

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر - الوادي



قسم العلوم الإنسانية

كلية العلوم الإجتماعية و الإنسانية

دور الحبيب بورقيبة تُجَاه القضية الفلسطينية
(1946-1985م)

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه L M D في التاريخ

تخصص: تاريخ بلاد المغرب المعاصر

إشراف الأستاذ:

أ.د/ محمد عبد الرؤوف ثامر

إعداد الطالبة:

شهره زاد رميثة

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
محمد السعيد عقيب	أستاذ التعليم العالي	جامعة حمه لخضر الوادي	رئيسا
محمد عبد الرؤوف ثامر	أستاذ التعليم العالي	جامعة حمه لخضر الوادي	مقررا و مشرفا
الطاهر سبفاق	أستاذ محاضر-أ-	جامعة ورقلة	مساعد مشرفا
أحمد بلعجال	أستاذ محاضر-أ-	جامعة حمه لخضر الوادي	عضوا
محمد الحاكم بن عون	أستاذ محاضر-أ-	جامعة حمه لخضر الوادي	عضوا
صالح حيمر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تبسة	عضوا
عيسى ليتيم	أستاذ محاضر-أ-	جامعة خنشلة	عضوا

السنة الجامعية: 1442-1443 هـ / 2021-2022م

بسم الله الرحمان الرحيم

﴿ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ
نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ
النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا
وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ
ذَلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴾

صدق الله العظيم

سورة المائدة الآية 32

إهداء

الحمد لله أقصى مبلغ الحمد.. و الشكر لله من قبل و من

بعد

إلى فقيدي أبي الذي ظننت أنه سيقاسمني لحظات الفرح

لكن كانت الموت أقرب

إلى قرة عيني أُمي

التي سهرت معي و كانت سندي

إلى إخوتي، صديقاتي، و كل أفراد عائلتي

أهدي ثمرة جهدي.

شكر و امتنان

من أي أبواب الثناء سندخل و بأي أبيات القصيد نعبر و في
كل لمسة من جودكم أسطر

رسالة تقدير و شكر أقدمها لمشرفي الأول محمد عبد الروؤف
ثامر و مشرفي الثاني الطاهر سبقاق

تعبيرا عن امتناني لكل ملاحظة أو إرشادات قدمت لي لفائدة
إخراج هذا العمل

لكل من أمدني بكتاب، بنصيحة، كلمة طيبة

من بينهم أساتذتي الأفاضل

علي غنابزية، محمد حناي

إلى عائلتي و زميلاتي و كل من مد لي يد العون

قائمة المختصرات

المختصرات بالعربية
ه. أ. م: هيئة الأمم المتحدة
ج. د. ع: جامعة الدول العربية.
م. ت. ف: منظمة التحرير الفلسطينية.
الح. د. ج: الحزب الدستوري الجديد
المختصرات بالأجنبية
A.D.S.T.F.A.O.H.P: Association for Diplomatic Studies and Training Foreign Affairs Oral History Project/ جمعية الدراسات الدبلوماسية و التدريب مشروع التاريخ الشفوي للشؤون الخارجية
DOC : document
F.R.U.S: Foreign Relations of the United States/ العلاقات الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية
F.S.H.S : faculté des sciences humaines et sociales/ كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية
J.T.A: JEWISH TELEGRAPHIC AGENCY/ وكالة التلغراف اليهودية
W.C.D.A: Wilson center digital archive/ أرشيف مركز ولسن الرقمي
WJC: world Jewish congress/ المؤتمر اليهودي العالمي

مقدمة

إذا كانت الحرب العالمية الأولى قد وضعت أوزارها معلنة توقف الصراع العالمي مؤقتاً، إلا أنها أُنذرت بواقع جديد استهدف المشرق العربي بصفة خاصة و العالم العربي بصفة عامة، في إطار إستراتيجية أوروبية صهيونية استغلت المسألة اليهودية لتستأثر بفلسطين (المنتدبة آنذاك)، و منها التوغل و السيطرة على كامل أجزاء المنطقة العربية.

فكان أن أُعلن عن قيام الكيان الصهيوني إسرائيل بُعيد انسحاب الانتداب البريطاني من فلسطين في 15 ماي 1948، ليزاحم بذلك يهود العالم الفلسطينيين في وطنهم استناداً إلى قرار هيئة الأمم المتحدة الصادر في نوفمبر 1947م، و القاضي بتقسيم فلسطين إلى شقين عربي و آخر يهودي. بموجب هذا القرار تمتلك الدولة العربية 11800 كلم² بما يساوي 43% من مساحة فلسطين، و تحتل الدولة اليهودية 14500 كلم² مربع، و تشكل 57% من مساحة الأراضي الفلسطينية. فكان أن حصل اليهود على حصتهم بمساحة تفوق المساحة التي خصصتها لهم الهيئة العالمية و أقاموا دولتهم، و تأخر الفلسطينيون في إعلان قيام دولتهم إلى غاية 1988م، حين أعلن الرئيس الراحل ياسر عرفات من العاصمة الجزائرية قيام دولة فلسطين، عاصمتها القدس.

لا تزال القضية الفلسطينية من أبرز القضايا التي لم يستطع الزمن و لا التاريخ تجاوزها رغم كل التطورات و الأبعاد التي أخذتها، و عصفت بعادتها، و غيرت مسارها من خط الإنصاف إلى خط التصفية. و رغم قيود الجغرافيا و ضغوطات الوضع السياسي و الإنساني الذي كرسه الاستعمار إلا أن بلاد المغرب العربي لم تكن بعيدة عن أصداء و تطورات قضية فلسطين، و تفاعلت بلدانها معها كل حسب توجهاتها و حدود إمكاناتها.

في ذات السياق يمكن القول أن الحبيب بورقيبة و قضية فلسطين، حلقة مهمة من تاريخ العلاقات التي كانت تربط تونس المستعمرة و المستقلة بدول المشرق و بفلسطين خاصة، لأن بورقيبة تفاعل معها مناضلاً سياسياً و أيضاً بصفته رئيساً للدولة التونسية. و عليه لم يمثل شخصه فقط و لكن كان ممثلاً لدولة و لشعب بأكمله، و لازم القضية في أغلب مراحلها و تطوراتها.

من جهة أخرى تعتبر السياسة الخارجية لأي دولة ملمحاً إن لم تكن معياراً في غاية الأهمية، يعكس مدى تمركزها في نطاق التفاعلات و التجاذبات الدولية القائمة، و يكشف عن خطها و نهجها و حتى قدرتها على معالجة القضايا العالمية، و مدى قيامها بدور

طلائعي أو ثانوي في هذا الشأن. و لم تكن تونس ممثلة برئيسها بمنأى عن ذلك النطاق الذي يحوي العديد من القضايا الدولية الشائكة و منها قضية فلسطين. لهذا تم اختيار الموضوع الموسوم ب: دور بورقيبة تجاه القضية الفلسطينية(1946-1985م).

يتأتى اختيارنا للإطار الزمني من منطلقات موضوعية ترتبط ارتباطا مباشرا بأحداث تاريخية مهمة، حيث تم تحديده من 1946م إلى غاية 1985م. فبالنسبة للتاريخ الأول، فقد حدده بورقيبة كسنة بداية ارتباطه بالقضية الفلسطينية، و ذلك من خلال ملازمته للسياسي و الكاتب الفلسطيني محمد علي طاهر في القاهرة. كما أنه أرسل و مجموعة من الوطنيين المغاربة مذكرة إلى اللجنة الأنجلو أمريكية باسم بلدان المغرب العربي في مارس 1946م و هي تعد حدثا بارزا في مسار الحركات الوطنية المغربية بالمشرق، و مسار بورقيبة النضالي خاصة. تناول فيها القضية الفلسطينية و قضية الإستعمار في المغرب العربي. و هو ما يعني أنه في حدود تلك السنة و في القاهرة، بدأ بورقيبة يتحدث علنا عن القضية الفلسطينية، و منه دمج الأخيرة في خطابه القومي.

أما التاريخ الثاني، فهو يمثل محطة هامة من تاريخ تونس و من تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية و هي في المنفى، كونها تعرضت للعدوان الإسرائيلي في أكتوبر 1985م داخل التراب التونسي. و تعد سنة 1985م أيضا آخر سنة تدخل فيها بورقيبة بشكل رسمي و بصفته رئيس دولة لصالح القضية الفلسطينية، حينما شجب العدوان الإسرائيلي على تونس و على مقر القيادة الفلسطينية التي تحتضنها. كما أنه في تلك الفترة تدهور وضعه الصحي مع بروز عوارض الشيخوخة، و منه عدم تحكمه بشكل كامل في دواليب السلطة، ما أدى إلى إزاحته عن الحكم نهائيا سنة 1987م.

دوافع اختيار موضوع الدراسة.

- تعزيز الدراسات التي تناولت مسألة تفاعل بلدان المغرب العربي مع قضية فلسطين و خاصة تونس. و درستنا هذه ستكون نافذة إضاءة على العلاقات الفلسطينية التونسية، و كذا العلاقات المغربية الفلسطينية التي تضرب بجذورها في عمق التاريخ.

- اقتصار تناول الأكاديمي على جانب واحد من جوانب هذه الدراسة، و المتمثل أساسا في خطاب بورقيبة بأريحا و دعوته الفلسطينيين لقبول قرار التقسيم، و هذا

ما تتصف به أغلب الدراسات المشرقية، و حتى التونسية التي اقتصرت على كتابة المقالات فقط.

- الرغبة في خوض دراسة معمقة لأحد القضايا التي طالما أثارت الرأي العام العربي و الدولي، و أحدثت جدلا واسعا في أوساط النخب السياسية و الجامعية المتخصصة، في حدود ما توفر لدينا من وثائق و دراسات.
- إزالة بعض الغموض المحيط بمسألة علاقة الحبيب بورقيبة بقضية فلسطين بناء على الشهادات الحية و كذا الدراسات التاريخية لإعطاء صورة أكثر اكتمالا و تفصيلا.

أهداف الدراسة.

تتقاطع أهداف البحث في نقاط عدة مع الدوافع الموضوعية لاختيار هذه الدراسة، و يمكن أن نضيف إليها:

- معرفة خبايا و أسرار علاقة بورقيبة بقضية فلسطين، و حتى علاقاته بأطراف النزاع العربي الإسرائيلي. و تفتح الدراسة المجال واسعا للتطرق لسلسلة كبيرة من العلاقات التونسية الإسرائيلية، و كذا العلاقات بين جناحي العالم العربي، و مسألة تفاعل المغاربة مع القضايا العربية.
- الكشف عن مساهمة تونس و دورها تجاه قضية فلسطين و تطوراتها خاصة و أن حدود الدراسة تتضمن زخما كبيرا من الأحداث التاريخية المهمة.
- شكلت القضية رهانا صعبا إبان الاستعمار و تحديا أصعب خلال مرحلة بناء الدولة، و في تاريخ تونس المعاصر. فأردنا من خلال هذه الدراسة إبراز تأثيرات هذا التحدي على تونس، و كيف جابهه بورقيبة و احتواه.
- تنقلنا إلى فصل مهم من فصول تاريخ منظمة التحرير الفلسطينية في بلد المنفى (تونس)، إذ تلقى الضوء على حقبة مهمة مرت بها القضية الفلسطينية بدءا بالمشرق وصولا إلى بلاد المغرب، و أهم التحديات التي واجهتها.
- رصد مجموعة الخطب و الجهود و المواقف التي اتخذها بورقيبة تجاه قضية فلسطين و تطوراتها.

إشكالية الدراسة.

تتمحور الإشكالية الرئيسية حول مواقف و آراء بورقيبة لحل القضية الفلسطينية، في الفترة ما بين 1946 - 1985، و سياسته في التعامل مع تبعاتها و تطوراتها؟ و تنفرع عن تلك الإشكالية التساؤلات الآتية:

- ما هي العوامل و الظروف التي شكلت السياسة البورقيبية؟ و ما هي بواعث الاستمرارية و التغير في سياسته و مواقفه تجاه قضية فلسطين؟
- هل كان بورقيبة مجبرا للدخول في مجريات القضية الفلسطينية تحت ضغط داخلي؟ أم أن الظرف الدولي كان وراء ذلك؟ و هل أن وجود ثقل يهودي في تونس ساهم في التأثير على سياسته و موقفه؟ أم أن الرأي العام التونسي كان عنصرا فاعلا في ذلك؟
- ما هي حقيقة المواقف العربية تجاه مقترحات بورقيبة في أريحا لحل القضية الفلسطينية؟ و هل حققت مبادرته نتائج ملموسة على الصعيد الدبلوماسي يمكن اعتبارها معيارا لنجاح طروحاته؟
- ما هي مساحة تفاعل بورقيبة مع تبعات القضية الفلسطينية؟
- هل أبعدت سياسة بورقيبة تجاه القضية تونس عن التجاذبات و الصراعات الدائرة حولها؟ أم جنحت بها إلى هذا التيار؟
- ما هو موقف بورقيبة من الوجود الفلسطيني في تونس؟ و كيف تفاعل مع تطورات هذا الوجود؟

منهج البحث:

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي بمقارباته المختلفة، منها المقاربة الوصفية لكون الموضوع ينطوي على العديد من الحوادث التاريخية و السجلات السياسية التي تستوقفنا في كل فصول الدراسة، و تتطلب وصفا يقرب لنا صورة تلك الأحداث في الوقت الحاضر. كما استخدمنا المنهج التحليلي لتفكيك بعض الحوادث التاريخية و المواقف الدبلوماسية التي تحتاج لشرح و نقد و دراستها بشكل من التعمق، و ايضاح بعض الحثيات المتعلقة بموضوع الدراسة بناءً على ما توفر لدينا من معلومات، و بناء على افتراضاتنا لعدم توفر مصادر أكثر تركيزا. و لتوسيع نطاق التحليل قمنا بدمج مصادر أخرى متاحة.

إضافة إلى ذلك استعنا بالمنهج المقارن، فقد استوجبت دراستنا استخدام هذا المنهج لمعالجة إشكالية الاستثناء الذي طالما لازم بورقية في علاقته و موقفه من قضية فلسطين، و لإخراجه من دائرة الاستثناء قمنا بإجراء بعض المقارنات بين وجهات نظر عديدة حول مسائل تتعلق بالقضية الفلسطينية أو الأقلية اليهودية.

المصادر المعتمدة

من بين أهم المصادر التي اعتمدناها في الدراسة، منها بعض المراسلات و المذكرات الدبلوماسية خاصة تلك التي نشرتها وزارة الخارجية الأمريكية، مجمعة في أرشيف رقمي خاص بالعلاقات الخارجية الأمريكية تحت اسم Foreign Relations of the (United States). على الرابط:

<https://history.state.gov/historicaldocuments>

و قد استفدنا كثيرا من هذه المعلومات الهامة، كونها تنطوي على سجل وثائقي تاريخي مهم، و كذا النشاط الدبلوماسي للخارجية الأمريكية خلال القرن العشرين. كما حملت تلك المذكرات الدبلوماسية في طياتها مؤشرات و حقائق تمس بعضا من جوانب الدراسة أبرزها طبيعة العلاقات الأمريكية التونسية سنوات الخمسينات و الستينات، من خلال المذكرات و التقارير المتعلقة بلقاءات بورقية و كذا أعضاء حكومته مع أطراف أمريكية، و مدى تأثيرها على الموقف التونسي تجاه الملفات الدولية كالملف الفلسطيني، و قد اعتمدنا عليه في كل من الفصل الثالث و الرابع و الخامس.

كما اعتمدنا على مؤلفات (مذكرات تاريخية) الفلسطيني أحمد أسعد الشقيري أول رئيس لمنظمة التحرير الفلسطينية، منها «من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء»، «حوار و أسرار مع الملوك و الرؤساء»، يتحدث فيها عن علاقاته بالملوك و الرؤساء العرب، و كذا الصراعات الداخلية العربية فترة الستينات، مؤتمرات القمة العربية الأربع الأولى من قمة القاهرة 1964م حتى قمة الخرطوم 1967م، و حرب جوان 1967 و ما تلاها من انقسامات و غيرها. استعنا بشهادته فيما تعلق بخطاب بورقية في أريحا 1965 م، و على الرغم من أن شهادته تمثل زاوية من عديد الزوايا التي كان ينظر منها إلى جوانب

القضية الفلسطينية، إلا أنه يمكن اعتبارها شهادة ذات قيمة كبيرة في تاريخ القضية الفلسطينية سنوات الستينات من القرن العشرين.

من المصادر المهمة الأخرى، كتاب «قبس من الذاكرة، مذكرات ضابط أمن» للإطار الأمني التونسي السابق النوري بوشعالة، و الذي تم انتدابه كحافظ أمن عام 1964م، و بعدها تقلد عدة مناصب منها مرافق أمني للرئيس بورقيبة، و مهمة حماية الشخصيات وغيرها. صدر كتابه عام 2015، عن مركز الأبحاث التابع لمنظمة التحرير برام الله. و قد اعتمدنا عليه في الفصل الأخير من هذه الدراسة، كونه مادة تاريخية وثائقية بالغة الأهمية و شهادة حية تتحدث عن العلاقات التونسية الفلسطينية، و خاصة فترة الوجود الفلسطيني بتونس، فمنصبه في سلك الأمن أتاح له المرافقة المقربة و الحراسة لعدد من الزعماء و القادة الفلسطينيين، و معايشة أحداث تاريخية هامة في تلك الفترة، و تطرقه لتفاصيل مهمة في الجانب الأمني الذي ارتبط بالتواجد الفلسطيني في تونس.

مصدر آخر اعتمدناه هو كتاب "ورق حرير" لزياد عبد الفتاح و هو صحفي فلسطيني بوكالة وفا الفلسطينية، هاته الأخيرة التي رافقت منظمة التحرير أثناء انتقالها من بيروت إلى تونس إثر الاجتياح الإسرائيلي للبنان و خروج المنظمة. كتابه صدر عن دار ميريت، القاهرة سنة 2014، و هو عبارة عن رواية تاريخية يتحدث فيها عن المرحلة التونسية التي عاشتها منظمة التحرير بعد خروجها القسري من لبنان بداية الثمانينيات، و كذا علاقة بورقيبة بها و ببعض القيادات الفلسطينية بشيء من التفصيل في قليل من الأحيان، و بتحفظ في كثير من الأحيان. و منه كانت روايته التاريخية مادة أرشيفية جد مهمة ساهمت في إثراء الدراسة.

كما كانت الجرائد واحدة من بين المصادر المهمة التي وفرت لنا مادة زخمة خدمت الدراسة، من بينها جريدة "الصباح" التونسية و التي اعتمدنا عليها في تغطية بعض الأحداث في الفترة ما بين 1965 إلى 1973. إضافة إلى جريدة وكالة التلغراف اليهودية jewish telegraphic agency، موقعها الإلكتروني (<https://www.jta.org>) و هي وكالة أنباء (صهيونية) تم إنشاؤها لخدمة المجتمع اليهودي في كل أنحاء العالم مقرها الولايات المتحدة الأمريكية، و هي تحوي مادة صحفية أرشيفية ضخمة حول اليهود و الكيان

الصهيوني، و استفدنا منها في دراستنا خاصة فيما تعلق بالموقف العربي و الإسرائيلي من خطاب بورقيبة في أريحا عام 1965.

الدراسات السابقة

في إطار جمع المادة، قمت بزيارة العديد من المكتبات و المراكز البحثية في تونس سنوات، 2018، 2019، 2020 منها المكتبة الوطنية، و الأرشيف الوطني التونسي الذي أتاح لي فرصة الاطلاع على العديد من الجرائد التونسية التي تغطي مجالا زمنيا واسعا، و كذا المعهد الأعلى للحركة الوطنية التونسية. و قد تزامنت الزيارة الأخيرة مع تقشي وباء الكورونا الأمر الذي حال دون الاستفادة من تلك الزيارة خاصة بعد غلق شبه كلي للمؤسسات، و قد استطعنا الحصول على بعض الكتب و المؤلفات التونسية التي تتحدث عن القضية الفلسطينية و العلاقات التونسية الفلسطينية، إما بتصورها أو شرائها. و استفدنا من بعض المواقع الإلكترونية التي تتيح الاطلاع على بعض المؤلفات الرقمية، و كذا تواصلنا مع دور نشر خارج الوطن وفرت لي مصادر هامة.

كما قمت بزيارة المكتبة الوطنية الجزائرية و كذا الأرشيف الوطني الجزائري، و مكتبات جامعة قسنطينة سنة 2018، غير أن استفادتنا من هذه المراكز كانت قليلة إما بسبب قلة المصادر التي تهتم الدراسة أو بسبب الإجراءات المشددة. و اغتنمت فرصة انعقاد المعرض الدولي للكتاب في الجزائر سنتي 2017، 2018، حيث اقتنيت بعض الكتب المهمة. و استطعت من خلال هذه الزيارات جمع كمية معتبرة من المصادر و المراجع المهمة. إضافة إلى أن مواقع التواصل الاجتماعي أتاح لي فرصة التواصل مع المركز القومي التونسي للتوثيق و الاستفادة من بعض وثائقه، كما أمكنني التواصل مع ابن المناضل محمد علي الطاهر (الحسن الطاهر) و الذي أمدني بكتاب والده "رسائل بورقيبة" الذي يضم عديد الرسائل المتبادلة فترة النضال و ما بعده بين الرجلين.

و فيما تعلق بأهم الدراسات الأكاديمية السابقة التي تم اعتمادها ، يمكن أن نذكر دراسات الباحث الإسرائيلي مايكل لاسكير المتخصص في دراسة الأرشيف الإسرائيلي الخاص بمنطقة المغرب العربي، و دراساته عبارة عن مجموعة كتب و مقالات يكشف فيها لاسكير الشبكة المعقدة للسياسة العربية البينية و يبحث في الدور الرائد الذي لعبه القادة التونسيون و المغاربة في تعزيز السلام العالمي في خضم الصراع العربي الإسرائيلي. و أهم

كتاب اعتمدنا عليه إضافة إلى المقالات **"israel and the maghreb from statehood to oslo"**، إسرائيل و بلاد المغرب من إقامة الدولة إلى أوصلو و الذي تحصلنا عليه من كندا، و قد قمنا بترجمة بعض أجزاءه. في كتابه هذا يتناول لاسكير العلاقات التونسية الإسرائيلية في خضم الصراع البورقيبي الناصري، كما يتحدث عن العلاقات المغاربية (تونس، المغرب، الجزائر) الإسرائيلية السرية، إضافة إلى مواقفهم من اتفاقيات كامبد دافيد.

من بين الدراسات الأخرى الهامة و التي تناولت جانبا من الموضوع، دراسة عبد اللطيف الحناشي "تطور الخطاب السياسي في تونس تجاه القضية الفلسطينية(1920-1955)" تناول فيه موقف بورقيبة و الحزب الدستوري الجديد من النشاط الصهيوني في تونس و من الكيان الصهيوني إسرائيل، و علاقته بأطراف إسرائيلية و دوافعها و حدود التفاعل مع القضية الفلسطينية إلى غاية 1955 م. كما كتب الحناشي مقالة بعنوان: "موقف بورقيبة من القضية الفلسطينية(1946-1965م)"، و تطرق فيها إلى خطاب أريحا، و ذكر بعضا من دوافع ذلك الخطاب، غير أن هناك دوافع موضوعية و ظروفًا أحيطت بالحدث غيبتها دراسته، و سنتطرق لها في دراستنا.

إضافة إلى كتاب "الحركة الصهيونية بتونس 1897-1948" لمؤلفه التونسي الهادي التيمومي، تم تأليف الكتاب سنة 1980 لكنه لم يصدر إلا بعد سنتين مع الرقابة، حيث كانت وزارة الداخلية تطالب بحذف تصريح لبورقيبة سنة 1952 يعد فيه بدعوة العرب للاعتراف بإسرائيل ما إن تتال تونس استقلالها، و كذا بحذف كل المعطيات المتعلقة بنشاط الحزب الدستوري القديم، ذلك أن ممثلي حزب بورقيبة لا يريدون أن يكون لحزب الثعالي شرف الريادة في تونس في مجال مناهضة الصهيونية حسب ما ذكره الكاتب. كتابه هذا يعتبر مادة بحثية قيمة لكونه يتحدث عن امتداد الحركة الصهيونية إلى تونس في الفترة ما بين 1897 و 1948، و دراسة الوضع السياسي و الاجتماعي ليهود تونس، و قد استفدنا منه فيما يتعلق بوضع يهود تونس ما بعد الحرب العالمية الثانية، و كذا موقف بعض التنظيمات السياسية في تونس و منها الحزب الدستوري الجديد من الصهيونية و النشاط الصهيوني.

و إشارة منا إلى أهم الفجوات التي لاحظناها في الأدبيات، يمكن القول إن الدراسات التونسية ركزت على أن موقف بورقيبة من قضية فلسطين و رؤيته لحل الصراع العربي الإسرائيلي لقناعاته و عقلانيته و واقعيته، لكن هناك جوانب أخرى خفية و ظروف محيطة بالحدث لم يشر إليها، خاصة تلك التي أشار لبعضها الباحث لاسكير الذي تناول مصادر أرشيفية إسرائيلية هامة في كتابه السابق ذكره، أو الباحث التونسي الطاهر لسود (باحث مقيم بأمريكا) اعتمادا على دراسات لاسكير. و بناء على ما توفر لدينا من معلومات حاولنا تغطية الجوانب التي تم تغييبها في تلك الدراسات السابقة.

تختزل الكثير من الأدبيات دور بورقيبة في موقفه من قرار التقسيم الذي أبداه بشكل رسمي أمام الفلسطينيين في خطاب أريحا مع رؤية سطحية غير معمقة و تغفل الكثير من المحطات المهمة التي لعب فيها دورا مهما.

إن الأدبيات، خاصة التونسية، أقامت دراساتها بعيدا عن شهادات القادة الفلسطينيين خاصة و أنهم أصحاب القضية إلى درجة التغييب، و ركزت على ما قيل في الدوائر العربية، و هو ما جعل تلك الدراسات مبتورة و تفتقر لزاوية فلسطينية.

خطة الدراسة.

قمنا بتخطيط الدراسة قصد الإجابة عن الأسئلة السابقة كالآتي:

قسمناها إلى خمسة فصول رئيسية وفقا للمضامين التي يحملها عنوانها. حيث يتضمن هذا الأخير ثلاثة أجزاء أساسية أولها الشخصية و المتمثلة في الحبيب بورقيبة، و ثانيا القضية الفلسطينية، و ثالثا الدور الذي قام به بورقيبة تجاهها في الفترة ما بين (1946-1985). و بما أن مواقف بورقيبة حسب ما توصلنا إليه من خلال إطلاعنا على عديد الدراسات قد ترتبط بشقين اثنين، أولها الشخصية و ما تنطويه من فكر و ميول و اختيارات و مصالح سواء شخصية أو وطنية، و ثانيهما بتطورات القضية الفلسطينية و مقتضياتها، فقد اخترنا أن يكون الفصل الأول جمعا بين قراءة في الشخصية و كذا إعطاء لمحة عن تاريخ القضية.

بخصوص الفصول المتبقية، فقد قمنا بعنونة كل منها وفق مجال زمني يبدأ و ينتهي بأحداث تاريخية مرتبطة ارتباطا مباشرا بشخص الحبيب بورقيبة و كذا القضية الفلسطينية. فحددنا الفصل الثاني بدور الحبيب بورقيبة تجاه القضية الفلسطينية في الفترة ما بين 1946

إلى غاية 1956، و فيه رصدنا مواقف و جهود بورقيبة تجاه القضية و تبعاتها في الفترة ما بين 1946 و 1956 بوصفه مناضلا سياسيا في الحزب الدستوري الجديد، و ذلك من خلال دراسة موقفه من مسألة التطوع و الدعم المالي للقضية و كذا التطرق لعلاقاته بأطراف صهيونية و التي يمكن من خلالها تصور الدور الذي يمكن أن يلعبه بورقيبة في القضية. أما الفصل الثالث، فاخترنا أن يكون دوره تجاه القضية مرحلة بناء الدولة في الفترة ما بين 1956 إلى 1965م، حيث عرجنا إلى موقفه من مسألة الهجرة اليهودية من تونس إلى فلسطين، و كذا جهوده الدبلوماسية لحل القضية في إطار مؤتمرات القمة العربية 1964م و منظمة الوحدة الإفريقية، وصولا إلى موقفه في خطاب أريحا الشهير عام 1965م.

أما الفصل الرابع فقد حددناه بالمجال الزمني (1965-1973)، أي ما بين خطاب أريحا إلى غاية اندلاع حرب أكتوبر 1973م، و فيه تطرقنا إلى حرب جوان 1967م و موقف بورقيبة منها، و كذا دوره في حل النزاعات العربية الفلسطينية (الصراع الأردني الفلسطيني-النشاط الفدائي الفلسطيني في لبنان)، و من ثم موقفه من حرب أكتوبر و جهوده فيها. أما الفصل الخامس فكان مجاله من حرب 1973م إلى غاية القصف الإسرائيلي على حمام الشط 1985م، و كانت أهم محاوره جهود بورقيبة في حل النزاعات بين الفصائل الفلسطينية، موقفه من اتفاقيات كامب دافيد للسلام، و كذا الوجود الفلسطيني بتونس و ظروفه و الموقف منه.

إضافة إلى خاتمة تضمنت أهم الاستنتاجات التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة، و أردفنا الأخيرة بمجموعة من الملاحق من صور و وثائق أرشيفية لإثراءها. **صعوبات البحث.**

- يعد الموضوع من الدراسات التي تتزامن و الفترة المعاصرة، و التي لم تمر عليها فترة طويلة من الزمن، فكان أن واجهتنا إشكالية قلة المصادر و ندرة الإشارة إلى بعض جوانب الدراسة، خاصة أن الموضوع يمس بعض الشخصيات التي لم تظهر شهادتها بعد. إضافة إلى عدم توفر المادة الكافية التي تغطي الأحداث التي مرت بها المنظمة و الأوضاع التي عايشتها داخل تونس فترة حكم بورقيبة و نشاطاتها.

- عدم توفر بعض المصادر المهمة إلكترونيا و صعوبة الحصول عليها كمادة ورقية، و أظهرت فترة الوباء الحاجة الماسة لرقمنة المواد الأرشيفية، لكون طبيعة الموضوع تتطلب تنقلا إلى خارج الوطن.
- صعوبة الحصول على وثائق الأرشيف الجزائري الموجود بالجزائر، لكونه تحيط به إجراءات جد صارمة حالت دون تحصلنا على ما نريده من مادة. و قد يكون بإمكان هذا الأرشيف إمدادنا ببعض المواد الأرشيفية المهمة في هذه الدراسة، خاصة و أن هذه الأخيرة تغطي مجالا جغرافيا واسعا، و الجزائر جزء لا يتجزأ من هذا المجال.
- معظم الأرشيف المتعلق بانتقال منظمة التحرير الفلسطينية الموجود في تونس (مكتب المنظمة) و ملابساته تحت الحراسة و لم ترفع عنه السرية بعد لأسباب نجهلها، إضافة إلى صعوبة الوصول إلى أرشيفات الدولة التونسية خاصة فيما يتعلق بهذه المرحلة من تاريخها.
- وجود وثائق أرشيفية مهمة في الأرشيف الإسرائيلي الرقمي عن بورقية لكنها غير متاحة للتحميل و لا للقراءة.
- صعوبات متعلقة بطبيعة الشخصية التي تتمحور عليها الدراسة، إذ أن بورقية عرف برجل التناقضات الأمر الذي صعب عملية فهم و تفسير الكثير من خطابه و تصريحاته و مواقفه.
- في الأخير، نتمنى أن تكون دراستنا هذه بادرة و فاتحة لدراسات أعمق و أثير، مع توفر مصادر أخرى أكثر دقة و ملامسة لمختلف جوانبها.

الفصل الأول :

بورقية و القضية الفلسطينية، قراءة في الشخصية و تاريخ القضية

أولاً: الحبيب بورقية من المناضل السياسي إلى رجل دولة

1/ الحبيب بورقية، المولد و التنشئة السياسية

2/ الحبيب بورقية، المناضل السياسي و محنة الإستعمار الفرنسي

3/ بورقية و قضايا التحرر و الوحدة في المغرب العربي مرحلة

4/ بورقية و هاجس الوحدة العربية

5/ بورقية رجل الدولة، السياسة الداخلية و الخارجية لتونس المستقلة

ثانياً: القضية الفلسطينية من وعد بلفور إلى قيام الكيان الصهيوني
إسرائيل

1/ الوجود العثماني بفلسطين.

2/ الاحتلال البريطاني لفلسطين.

3/ التغلغل الصهيوني في فلسطين و إصدار وعد بلفور بين المنح و

الافتكاك

4/ قرار التقسيم و قيام الكيان الصهيوني إسرائيل

5/ اندلاع الحرب العربية الإسرائيلية الأولى و نتائجها.

أولاً: الحبيب بورقيبة من المناضل السياسي إلى رجل دولة.

1/ الحبيب بورقيبة، المولد و التنشئة السياسية.

مما لا يدع مجالا للشك أن دراسة التنشئة السياسية خاصة إذا ما تعلق الأمر بشخصية برزت على الصعيد السياسي أكثر من أي صعيد آخر، تعد واحدة من أهم المعايير التي تتيح لنا معرفة الاتجاهات و السلوكيات السياسية للفرد و التعرف على دوافعه في مختلف الأنشطة السياسية، و الأهداف التي يصبو إليها من خلال هذا النشاط، و إمكانية تصور الأساليب و الوسائل التي يمكن أن ينتهجها.

يعتبر بورقيبة ساحلي المنشأ، حيث ولد بمدينة المنستير في 3 جويلية 1903م، دخل المدرسة الصادقية و تلقى تعليمه الابتدائي بها، و نال سنة 1913م الشهادة الابتدائية ليوصل تعليمه بمعهد كارنو، و يدخل إلى القسم الثاني. كما امتلك مواهب خاصة في الحساب و الفلسفة، و قد أثارت السياسة اهتمامه منذ ذلك العهد، فاشترك في الحزب الدستوري و هو لم يتجاوز التاسعة عشر من عمره، فكان أن أرسل برقية سنة 1922م إلى المقيم العام لوسيان سان (Lucien Saint)¹ احتجاجا على تعطيل جريدة الصواب، مما بعث بمدير المعهد على عقابه. لكن هذا العقاب لم يمنعه من الاجتهاد في عمله، إذ نجح سنة 1924 م في شهادة البكالوريا².

بعدها سافر إلى فرنسا، و انخرط في كلية الحقوق و مدرسة العلوم السياسية و هو يعلم أن مصيره سيكون مصير المكافح السياسي. شارك مدة دراسته و تمرينه على المحاماة في تحرير عدة صحف عربية و فرنسية، و كان يلقي المحاضرات في الاجتماعات السياسية³.

¹ - حسب بعض المؤلفات التونسية، لم تعرف تونس مقيما أخطر منه في الدهاء و المكر، تم تعيينه سنة 1921م، ثم شرع في رفع الأحكام العرفية (الأحكام العسكرية)، و أوجد وزارة العدل و أطلق الحريات العامة وفق مخطط استعماري، ليتسنى له دمج تونس في فرنسا، و قبلت عناصر من الحركة الوطنية التعاون معه، مما سبب شقا في الحزب الدستوري. ينظر الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية، ط2، دار المعارف، تونس، د.س، ص56.

² - فيلكس قاراس، بورقيبة و مولد أمة، تر. بوراوي الملو و آخرون، منشورات مكتب الصحافة و النشر للحزب الدستوري الحر، تونس، 1957، ص43.

³ - نفسه، ص 45.

كما أظهر مقدرة كبيرة على استيعاب العلوم السياسية و خاصة دروس المالية العالمية. و تابع بالمؤسسة الجامعية (السربون) دروسا في علم النفس، و مكنته من حضور حصص الطب النفسي في مستشفيات باريس. و اطلع هناك على عادات و سلوك و أخلاق الفرنسيين، و كيفية سير دواليب الدولة و المؤسسات الفرنسية، فذكر في هذا الصدد: «كنت مولعا باكتشاف أسرار هذه الحضارة، و مصادر قوتها، و نقاط ضعفها، حتى أستطيع وضع الطريق المثلى لإجبار العدو على تغيير سياسته»¹.

خالط بورقيبة الأوساط الاشتراكية، و عاشر الاشتراكيين فتشبع بالروح الإنسانية التي سيمتاز بها نشاطه السياسي. ثم عاد إلى تونس بعد أن أتم تعليمه، و نجح في الحقوق و شهادة العلوم السياسية، و اضطر للعمل لكسب قوت يومه، فانخرط في سلك المحاماة². التحق بنقابة المحامين بتونس في 17 نوفمبر 1930م، و افتتح مكتبه الخاص في حي للطبقة العاملة في باب السويقة في قلب العاصمة. و كان اختيار هذا المكان متعمدا ليكون قريبا من السكان³. و ستصبح القاعدة الشعبية فيما بعد الركيزة الأساسية لنشاطه السياسي.

بالنسبة لمميزات شخصية بورقيبة، فقد أسهبت الكثير من الدراسات و المذكرات الشخصية في وصفها، بعضها بغرض الإعجاب و تمجيد شخصه و فكره، و البعض الآخر بنوع من الانتقاد. في وصف شخص بورقيبة و طريقة تعامله مع خصومه، ذكر الشاذلي القليبي⁴: «بورقيبة لم يكن ذلك الرجل الذي يضحى بالأنا لأي سبب كان، و كان ما يريده سياسة براغماتية، و ليس خطبا جوفاء لا تأثير لها على الخصم. و كان يريد الدفع ببلده إلى

¹ - هشام البنزرتي، بورقيبة الإستثناء و المنعرج الحاسم، تونس، 2017، ص ص 13-14.

² - فيليكس قاراس، المصدر السابق، ص 46.

³ - Mohamed larbi haouat, **Habib Bourguiba le combattant suprême(1903-2000)**, center culturel du liver, casablanca, 2019, p25.

⁴ - الشاذلي القليبي (1925-2020): سياسي و دبلوماسي تونسي، أحد خريجي جامعة (السربون)، أول وزير للثقافة في حكومة الإستقلال الوطني، تقلد منصب مدير ديوان رئيس الجمهورية (1974-1976)، ثم وزيرا للإعلام (1978-1979)، ثم الأمين الرابع لجامعة الدول العربية (1979-1990) عندما تم نقلها من القاهرة إلى تونس، بعدها انسحب من الحياة السياسية. ينظر:

- Farida Dahmani, **tunisi, chedli klibi, ancien ministre de bourguiba, tire sa révérence**, "Jeune Afrique", 13/5/2020.

بلد حديث و منظم بمساعدة فرنسا التي هي في نظره نموذجا و ليست عدوا»¹.
و على حد تعبير المؤرخ الفرنسي فيليكس قاراس (félix garas)، كان بورقيبة يكره العنف الذي لا يجدي نفعا، حيث أراد أن يتحرر وطنه باتفاق مع المحتل. و أنه شخص لا يثقل عليه جو القصور و لا جو الأكواخ، فهو أول من تنبه لقيمة الشعب في تاريخ الحركة الوطنية التونسية، و يوجد بينه و بين الشعب علاقات خفية ناتجة عن تفاهم شديد لا يمكن للتقلبات السياسية أن تزيلها².

و يصف الإعلامي المصري أحمد سعيد³ قوة شخصية بورقيبة قائلا: « كانت له ملكات الممثل البارع الصادق، و الخطيب الجيد و المتحدث اللبق المتمكن من أدواته». و لو كان لدى سعيد فرصة للاختيار بين أكثر من سهرة سياسية ممتعة مع الأمير الخطابي أو علل الفاسي أو بورقيبة، حتى لو كانت المعلومات متساوية، حينها سيفضل بورقيبة لأنه كان رجل بانوراما متكامل⁴.

كما يذكر أحمد سعيد أن بورقيبة داهية في السياسة و رجل واضح و صريح فيما يقوله أو يفعله، و كان قادرا على التأثير في الجماهير التي كانت تعشقه جدا، و أنه من الشخصيات التي تؤثر في كل من يتعامل معها حتى لو كانوا يختلفون معها سياسيا و اجتماعيا، كان من بين الزعماء الذين يلتحمون بالجماهير دون حراسته بمعنى الحرس لأنه كان رجل شعبي، و أظهر شراسة شديدة في مواجهة خصومه السياسيين حتى لو كانوا رفاقه في الكفاح⁵.

تبعاً للدراسات التي تناولت الفن الخطابي بوصفه شبكة من المعاني و الدلالات و

¹ - الشاذلي القليبي، أضواء من الذاكرة، الحبيب بورقيبة، تر. محمد معالي، دار الكتب الوطنية، تونس، 2014، ص ص34-35.

² - فيليكس قاراس، المصدر السابق، ص ص49-50.

³ - أحمد سعيد(1918-1925): مذيع مصري، اشتهر في فترة الخمسينيات و السبعينيات من القرن الماضي في إذاعة صوت العرب، حيث عين مديرا لها منذ تأسيسها سنة 1953 و حتى عام 1967، و هو من أعلن بيان الثورة الجزائرية عام 1954 كان من بين أكثر الشخصيات المصرية الإعلامية التي قدمت انتقادات لاذعة لبورقيبة في وقت مضى من خلال إذاعة صوت العرب. ينظر: جريدة الأهرام على الرابط:

<https://gate.ahram.org.eg/News/2938801.aspx>

⁴ - ممدوح دسوقي، أحمد سعيد الإعلامي الأشهر في الستينات و شهادته التاريخية، ط2، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، 2017، ص127.

⁵ - نفسه، ص ص131، 141.

العلامات التي تتكون بتفاعلها مع الفضاء الاجتماعي، فقد كان الخطاب البورقبي في نظر المتخصصين في ذلك المجال عبارة عن مشروع مجتمعي متكامل يتلزم تلازما عضويا مع تجربة سياسية و تاريخية، بحيث أن المتتبع للخطاب البورقبي يلاحظ تعايشا بين نوعين من المعاني، المعنى الجوهرى و المعنى الثانوي، و قد يعكس هذا التعايش السمات الإيديولوجية من جهة و التحالفات و التقلبات السياسية من جهة أخرى، خطاب متغير في إطار التكتيك السياسي¹. و ستكون التنشئة السياسية باعتبارها منطلقا و معيارا، و الخطابة بوصفها أسلوبا ناجحا يحسن بورقية إتقانه عاملا لصيقا بمواقفه من القضايا العالمية و ممارساته السياسية.

2/ الحبيب بورقية، المناضل السياسي و محنة الاستعمار الفرنسي.

بعد أن أنهى تكوينه السياسي و جمع ما يمكن جمعه لخوض معركة صعبة ضد الاستعمار لم يكن لدى بورقية الوقت الكثير ليضيعه، إذ ما لبث أن انخرط في العمل الوطني لتقويض نظام الحماية الذي استهدف تونس، من خلال ضم جهوده و طاقاته إلى جهود الحركة الوطنية التونسية و انضمامه إلى الحزب الحر الدستوري التونسي(القديم) برئاسة عبد العزيز الثعالبي².

كان بورقية لدى عودته من باريس سنة 1927م إلى تونس وجد أن بلاده قد امتدت إليها الأزمة الاقتصادية العالمية، بحيث أصبح تصدير القمح و الخمر صعبا لكثرة الإنتاج الفرنسي، و انخفضت أسعار زيت الزيتون لكثرة الزيوت المستوردة، و عسر على المنتجين بيع ما خزنوه من البضائع، فأثقلت الديون كواهلهم و تخلوا عن بعض أعمالهم، فاشتدت البطالة و اضطرب السكان، و لم يطمئن بورقية لهذا النظام الاقتصادي الذي مكن الأوروبيين من جمع أموال طائلة، و تحسر لأن السكان الأصليين لم يتمتعوا بهذه الخيرات. و كان يتساءل قائلا ألا يمكن لهؤلاء المشيدين أن يستغلوا معلوماتهم لهدف أسمى من المصالح الشخصية؟³

¹ - وناس المنصف، المرجع السابق، ص483.

² - عبد العزيز الثعالبي(1874- 1944): وطني تونسي، و زعيم حركة سياسية، من أصول جزائرية، درس في الصادقية ثم الزيتونة، في عام 1901 أصدر جريدة سبيل الرشاد، فيما بعد نشبت بينه و بين بورقية خلاف عصف بمسار الحركة الوطنية التونسية، للمزيد عن هذه الشخصية ينظر: عبد العزيز الثعالبي، تونس الشهيدة، تر. سامي الجندي، دار القدس، بيروت، 1975. أو صالح الخرفي، عبد العزيز الثعالبي من آثاره و أخباره في المشرق و المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.

³ - فيلكس قاراس، المصدر السابق، ص46.

في مقابل ذلك لم يدم التفاهم بين بورقية و الحزب الدستوري طويلا، فقد دبّ الشقاق بين صفوف الحزب، و انشق عنه جماعة العمل¹ التونسي بزعامة بورقية². و حسب ما قدمته بعض الأدبيات أن الحزب القديم لم يكن يمثل غير مصالح كبار الملاك، و الإقطاعيين و البرجوازية، لذا كانت مطالبه لا تتعدى الحكم الذاتي. و لكن قاعدة الحزب التي كانت تتشكل من فئات برجوازية صغيرة ذات ثقافة ليبرالية، طرحت موضوع التخلص التام من الاستعمار كمهمة مباشرة للحزب، و منه انسلخت البرجوازية الصغيرة عن الحزب لتؤسس حزبها عام 1934م (الحزب الحر الدستوري الجديد)³. و قد أشار الباحث التونسي الهادي التيمومي أن أغلب عناصر الحزب الدستوري الجديد كانت تنسب إلى الشرائح الوسطى للمناطق القروية الساحلية، و هي شرائح قريبة اجتماعيا من الطبقات الشعبية و ميالة إلى التفتح و الاعتدال و الحلول الوسطى⁴. و هذه الميزة سوف تكون سمة بارزة في سياسة و مواقف الحزب الجديد فيما بعد.

لم يكن بورقية من الدستوريين الذين ينكرون منافع و ايجابيات الحضور الأجنبي في المنطقة لأنهم يرفضون نظام الحماية، فهو يعلم أن تلك المطارات و المعامل و غيرها، ذات أهمية اجتماعية لا تنكر، و لكنه لم يكن يريد أن يدفع استقلال وطنه كثمان لهذا التقدم⁵. و حسب ما ذكره (علال الفاسي) أن الحزب الجديد لم يعلن اختلافا عن المبادئ التي دافع عنها الأولون، و لكنه انتقد ما يسميه بالبرودة و قلة الحركة، و أخذ ينشر الدعوة لتكوين هياج شعبي للضغط على الإدارة و إرغامها على الاعتراف بحقوق التونسيين. و أمام

¹ - في نوفمبر 1932م أسس بورقية مع بعض أعضاء هيئة إدارة صوت التونسي جريدة مستقلة تحت عنوان العمل التونسي. ينظر: الحبيب ثامر، هذه تونس، مكتب المغرب العربي، القاهرة، 1948، ص 90.

² - تعرض بورقية في خطابه في مؤتمر قصر هلال إلى الخلاف الواقع بينه و بين بقية اللجنة التنفيذية و لأسبابه الحقيقية قائلا: الطريقة التي اتخذتها الجماعة القديمة هي طريقة التكتّم على الشعب، الذي كان يجهل تمام الجهل أمورهم و مقرراتهم و نتائج أعمالهم، فكانت النتيجة أن الأمة التونسية أخذت ترجع إلى الوراء بسبب عجزها عن مراقبة تلك اللجنة، و أخذت الحركة الوطنية تتلاشى، و بينما الأمور هكذا دخلت الشبيبة التي أمامكم معترك السياسة». للمزيد عن هذا المؤتمر ينظر: المؤتمر العام للحزب الدستوري الحر المنعقد بقصر هلال، مطبعة الاتحاد، 17 ذي القعدة 1352هـ، ص ص 42-43.

³ - لكن هناك من يرى أن الحزب الجديد عمليا لم يقم بأكثر من تصعيد نسبي للنضال الوطني، و أفرغ نضالات العمال و الفلاحين من مضامينها التقدمية. "الاتحاد"، م 31، 12/11/1974، ص 3.

⁴ - الهادي التيمومي، الحركة الصهيونية بتونس (1897-1948)، ط 4، تق: محمود درويش، دار محمد علي الحامي، تونس، 2017، ص 153.

⁵ - فيليكس قاراس، المصدر السابق، ص 47.

استفحال المظاهرات و المطالبات الشعبية و الحملات الصحفية التي أثارها شباب جديد دخل ميدان الصراع الوطني، أصدر المقيم العام الفرنسي مارسال بيرطون (Marcel Pyrouton) أمره بتعطيل جريدة العمل، و اعتقال زعمائها و بعثهم إلى برج البوف¹، أين سيعانون المحن المعنوية من ضغط و تهريب².

عودة إلى نشاط بورقية داخل الحزب، فبعد أن تأسس الح. د. ج حاول قادته جعله بمظهر المنظمة الأكثر قدرة على مواجهة فرنسا، و قد تمكن الديوان السياسي في ظرف ثلاث سنوات (1934-1937م)، من أن يصبح التنظيم السياسي الأكثر فاعلية و تنظيماً على جعل فرنسا تعيره الاهتمام الأكبر، و ذلك من خلال نجاحه في كسب قاعدة عريضة. حيث تمكن بورقية من كسب قاعدة في دواخل البلاد نتيجة اتصاله المباشر بأهاليها. فكانت له مواهب السياسي و خطابة المحامي، و كان يتدرب على لهجة المناطق التي سيزورها و يلبس لباسها و يطلع على أمجادها ليروي لهم جزءاً منها، و هي آليات اعتمدها لكسر الحاجز النفسي³.

و في إطار مواجهة السياسة الاستعمارية، ندد بورقية سنة 1932م بالسياسة الاقتصادية الفرنسية المتردية قائلاً: « إن تدهور أوضاع الفلاحين بتونس مرتبط بالسياسة الفرنسية على المستوى الجمركي، و هي سياسة إدماج هدفها جعل السوق التونسية حكراً على بضائع فرنسا. إن هذه السياسة تتناقض مع القوانين الطبيعية التي تنظم المبادلات على المستوى العالمي. إن البريطانيين الذين اعتمدوا على هذا النظام سابقاً تخلوا عنه في أغلب مستعمراتهم، و جعلوا من مسألة السوق و السياسة الجمركية من اختصاص السكان المحليين، لكن ذلك لم يمنع الإنجليز من المحافظة على العديد من المصالح. إن هذا الطريق السليم الذي نريد السير على منواله في علاقتنا مع فرنسا»⁴.

¹ - برج البوف: عبارة عن محتشد أو معسكر على تخوم الصحراء، يعيش فيه المساجين تحت الخيام، و كان بورقية أول من وصل لهذا المحتشد، ثم لحقه زملاؤه محمود الماطري و صالح بن يوسف، و أخوه محمد و الطاهر صفر (كانوا حوالي 20 سجيناً). فيلكس قاراس، المصدر السابق، ص 59.

² - علال الفاسي، الحركات الإستقلالية في المغرب العربي، ط6، مؤسسة علال الفاسي، الدار البيضاء، 2003، ص 76.

³ - الأزهر الصخراوي، مخطوطوا السياسة الإستعمارية الفرنسية بتونس من برنار روا إلى شارل سومانيه (1881-1956)، ط1، دار المسيرة، تونس، 2018، ص ص 167، 169.

⁴ - عبد المجيد الجمل، بريطانيا العظمى و بلاد المغرب، التنافس الإنجليزي الفرنسي بتونس و المغرب (1881-1939)، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 2019، ص 602.

و قد كان هدف الح. د. ج في الثلاثينات الحصول على دستور و حكومة منتخبة، إضافة إلى توحيد القضاء و إصلاح التعليم و وضع سياسة اقتصادية على مستوى النظام الجمركي تحمي الاقتصاد الوطني، هدفا تكتيكيا. أما الهدف الإستراتيجي، فيتمثل في الاستقلال و توقيع معاهدة مع فرنسا تضمن لها مصالحها¹.

تمظهر الدهاء و حسن التبصر لدى بورقيبة في عديد المواقف، خاصة فيما يتعلق باستراتيجيته في مواجهة الاستعمار الفرنسي و حدود العلاقة مع فرنسا. من هذه المواقف أنه في عام 1942م أثناء سجنه لدى الفرنسيين، أرسل بورقيبة رسالته الشهيرة إلى الحبيب ثامر² كان يتساءل فيها عما إذا كان من الأفضل الاصطفاف مع الألمان الطرف المجهول، أم الفرنسيين العدو المعروف؟ و قد تتبأ بثلاثة أشياء ستحدث بعد فترة وجيزة من انتهاء الحرب، أولها: بهزيمة ألمانيا كانت تونس ستحصل على استقلالها، و عليه لا تزال تونس بحاجة لعلاقة وثيقة مع فرنسا، لأن هناك أشياء ستأتي من هذه الرابطة. ثانيا: أن الاعتماد على فرنسا وحدها فقط سيكون محفوفاً بالمخاطر، و ليس من مصلحة تونس أن تكون تحت السيطرة الفرنسية. ثالثاً: لا بد من بديل و لا يمكن إلا أن تكون أمريكا، و التي ستظهر بعد الحرب القوة الأولى، و يجب على التونسيين التأكد على أن التعامل مع الألمان و لو مؤقتاً سيكون خطوة كارثية³.

في مارس 1945م غادر بورقيبة تونس سرا، و وصل القاهرة بعد شهر من المتاعب. و بادر بالاتصال بالجامعة العربية، و الدوائر المسؤولة، و مختلف الهيئات و الصحف و الشخصيات لرفع صوت تونس و الدفاع عنها. و في شتاء 1946م، قام برحلة إلى الو. م، أ و في ربيع 1948م قام برحلة إلى الأفطار العربية، و هاتان الرحلتان هما من أهم الرحلات التي قام بها بورقيبة للتعريف بقضية تونس و المغرب العربي، و لكن انهماك الجامعة

¹ - عبد المجيد الجمل، المرجع السابق، ص 606.

² - الحبيب ثامر (1909-1949): سياسي و أحد أقطاب الحركة الوطنية التونسية، زاول دراسته بالمدرسة الصادقية ثم معهد كارنو، و رحل إلى فرنسا حيث تخصص في فن الطب الإجتماعي، نشط ضد الاستعمار الفرنسي و انخرط في جمعية طلبة شمال إفريقيا المسلمين، و انضم إلى مكتب المغرب الغربي بالقاهرة، من مؤلفاته هذه تونس الصادرة عن مكتب المغرب العربي. ينظر للموسوعة التونسية المفتوحة على الرابط:

http://www.mawsouaa.tn/wiki/%D8%A7%D9%84%D8%AD%D8%A8%D9%8A%D8%A8_%D8%AB%D8%A7%D9%85%D8%B1

³ - Charles Stuart Kennedy, interview with Richard Eundeland, 29/7/1994, it has been published 2006, p25.

العربية في قضية فلسطين، ثم وقوع النكسة حال دون إثارة القضية في الهيئة الدولية، فقرر العودة إلى تونس في سبتمبر 1949، بعد أن أدرك أن أصل الكفاح هو في الداخل¹.

في خمسينيات القرن العشرين أين كانت تونس تعيش أوج حملة الاستقلال، برز بورقية مرة أخرى كعنصر فاعل و طرف مفاوض من أجل الظفر بأي تنازل قد يُمنح من الجانب الفرنسي، فكان بورقية المناضل يتمتع بميزة نادرة، تتمثل في معرفته كيفية البقاء مخلصا للحركة التي يمثلها، بينما يظهر نفسه كمفاوض مرن للغاية و مستعد للمضي قدما في أي اقتراح معقول في نفس الوقت. و كان الشرط الأولي لمفاوضات مثمرة يكمن في وقف أي مناورة انقسام داخل الحركة عندما يكون من الضروري تهدئتها².

كان رجل المناورات داخل تونس يقاوم الفرنسيين بوسائل التهريب، أما في فرنسا و أمام الرأي العام الدولي يؤكد على صداقته لفرنسا و خصوصا على استعدادده للقيام بتنازلات إزاء القوة الحامية. بهذه الكيفية تمكن بورقية من سحب الصورة التي كانت لدى فرنسا عنه على كامل الغرب الديمقراطي، فادعاء بورقية المتواصل بأنه مستعد للتنازلات، و رفضه القاطع للمساعدات الشيوعية بخصوص القضية الوطنية لا بد أن كل هذا جعله يظهر في أعين الغرب بمظهر السياسي المعتدل³.

في مقابل ذلك و بعد أن منيت فرنسا بالهزائم، بدأت تبحث عن قناع محلي يسهل لها استخدام تونس كقاعدة اقتصادية و عسكرية، و لم يكن من مرشح تتوفر فيه الشروط المطلوبة سوى الحزب الدستوري الجديد. و هكذا تم الاتفاق بين بورقية و (إدغارفور) على الحكم الذاتي الداخلي⁴، كان هدفه قطع الطريق أمام التحام الثورة في تونس مع الجزائر و المغرب، و تعزيز موقع بورقية⁵.

بقدر ما كانت هذه الاتفاقيات مبعث تفاؤل لدى الحبيب بورقية و حزبه، و خطوة

¹ - الرشيد إدريس، ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981، ص 162-163.

² - "j.r, l'heure hen tunisie", no.168, juin 1950, p1008.

³ - روف فيرنز، البورقية و السياسة الخارجية لتونس المستقلة، تر. الصبحي الثابت، المطبعة العصرية، تونس، 2011، ص 126.

⁴ - هذا الاستقلال الذي أسقط عن تونس ممارسة سياستها الخارجية المتمثلة أساسا في حق التمثيل الدبلوماسي و الدفاع عن أمنها الخارجي في تلك الفترة. نور الدين بالطيب، حسن مرزوق، خفايا حربي فلسطين و بنزرت و انقلاب 1962، ط2، الشركة التونسية للنشر، تونس، 2017، ص 41.

⁵ - "الاتحاد"، م 31، 12 / 11 / 1974، ص 3.

متقدمة في طريق الهدف المنشود، إلا أنها بالمقابل أحدثت شرخا في صفوف الحركة الوطنية التونسية، و أضرت بالعلاقات البينية بين قيادتها.

أمام تنامي قناعة بورقية في أن التسوية السياسية مع الاستعمار الفرنسي هي مفتاح الحل للمسألة الوطنية، فقد عمل على كبح جماح المقاومة المسلحة التي قد تضر بالمكسب السياسي الهام، و عمل على تجريدها من السلاح، و حسب (توفيق المديني) فعل هذا لأنه كان يعلم أن استمرار المقاومة ضد الاستعمار الفرنسي، يعني أن مركز الثقل السياسي سيميل بكل تأكيد لمصلحة الحركة اليوسفية التي تقود هذا الكفاح. فنزلت الإمبريالية الفرنسية بكل ثقلها لمصلحة بورقية، و لتحسم معركة حل المسألة الوطنية على أرضية الخط الذي يبقى تونس تدور في فلك الاستعمار الجديد¹.

على غرار أن اتفاقيات الاستقلال الداخلي تسببت في تأزم العلاقات التونسية التونسية، فقد أحدثت أيضا شرخا في علاقات بورقية بالمشرق، و خاصة مع مصر ممثلة برئيسها (جمال عبد الناصر)، الذي أعلن رفضه لهذه الاتفاقيات. و كانت تحمل هاته الأخيرة في بعض فقرات بنودها توقف القتال و إلقاء السلاح، الأمر الذي أثار حفيظة عددا من قيادات الحركة الوطنية التونسية، على رأسهم صالح بن يوسف² بدعم قوي من جمال عبد الناصر (الذي يأخذ عليه بعض من قيادات الحركة منهم حسن مرزوق أنه لم يدعم تونس و لو برصاصة واحدة، و لا حتى من الحكومات الشرقية، و أن الأسلحة التي كانت تأتي من مصر جاءت لتدعم حركة الانشقاق بين التونسيين)³. لكن حتى لو تم التسليم بصحة هذه المعلومات، إلا أن ذلك لا ينفي دور القاهرة في استقطاب القيادات السياسية المغاربية و دعم فتح مكاتب خاصة بقضايا المغرب العربي، و كذا فتح أبوابها للتدريب العسكري للمناضلين و إكسابهم خبرة قتالية.

لم تكن الأوساط الصهيونية بعيدة عن أصداء تجربة التفاوض التونسي الفرنسي، فقد

¹ - توفيق المديني، المعارضة التونسية، نشأتها و تطورها، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001، ص 20 - 21.

² - صالح بن يوسف (1907-1961): مناضل سياسي تونسي، تحصل على شهادة الليسانس في الحقوق و العلوم السياسية سنة 1933، ثم التحق بصفوف الحزب الدستوري الجديد بزعامة بورقية، لكن تطورات الأحداث فيما بعد أدت إلى نشوء خلاف حاد بين الرجلين خاصة فيما مسألة و طبيعة الاستقلال، و انتهى بصراع دموي راح ضحيته العديد من التونسيين. للمزيد عن هذه الشخصية ينظر: منصف الشابي، صالح بن يوسف حياة كفاح، ط2، دار نقوش عربية، تونس، د.س.

³ - نور الدين بالطيب، المصدر السابق، ص 42، 44.

حظي جنوح فرنسا للتفاوض و اختيار الشريك المناسب لذلك بدعم منظمات عالمية و في مقدمتها المؤتمر اليهودي العالمي (WJC)¹ الذي انعقد بزيوريخ، و أرسل برقية إلى الرئيس الطاهر بن عمار يعرب فيها عن تهانيه لمباشرة مهامه و عن تمنياته الصادقة بالنجاح في المهمة التاريخية الموكولة إليه، و يوم 8 أوت 1954 وصل تونس شوستر (shuster) رئيس المؤتمر اليهودي الأمريكي، و الدكتور بارلسويج (perlsweig) نائب رئيس المؤتمر اليهودي العالمي، و التقيا بالطاهر بن عمار، و عبرا عن تأييد المنظمات اليهودية المطلق لتجربة التفاوض. و يعزى هذا الدعم إلى الاهتمام بالجالية اليهودية التي كان لها وزنها الديمغرافي بتونس (12%) من مجموع السكان و اضطلاعها بدور اقتصادي هام².

بعد كل هذه التقلبات التي مست العلاقات التونسية العربية سواء في إطارها المغاربي أو العربي، و الجهود الحثيثة التي كانت تبذل على الصعيد الداخلي و الخارجي، توصلت تونس إلى نيل استقلالها التام، لتؤكد سداد الرؤية البورقيلية إلى حد ما، و نجاعة الخطة السياسية التي انتهجها رغم ما لاقته من انتقادات. و رغم أن هذا الاستقلال لم يمنح ليس بسبب جهود بورقية فقط، و لكن تحت وطأة ظروف أرغمت فرنسا على منحه التونسيين.

انطلاقا من تلك التجربة النضالية ذاع صيت البورقيلية كأسلوب سياسي عملي لاقى الاستحسان عند البعض و الانتقاد عند البعض الآخر. و قد أجمل بعض المحللين السياسيين سمات البورقيلية كفلسفة في الحكم في أربعة عناصر أساسية، من منطلق أن بورقية لم يكن منظرا إيديولوجيا بل سياسيا محتكا بالواقع. كان أولها سياسة المرحلية التي تعني انتهاج سياسة خذ و طالب بدل الكل أولا شيء، و التدرج الإيجابي في بلوغ الأهداف و هي تعد خيارا استراتيجيا في التعامل مع الأحداث، تفرض قبول الحل الجزئي وصولا إلى الحل الكامل مرحلة بمرحلة، و كان أن ناور بورقية فرنسا مطولا لإدخال جملة من الإصلاحات المبدئية على نظام الحماية فطالب بتحقيق بعض المطالب السياسية و

¹ - المؤتمر اليهودي العالمي: تأسس سنة 1936، يضم المنظمات اليهودية المنتشرة في العالم، من بين أهدافه ضمان استمرار وحدة الشعب اليهودي، و ضمان حقوق و مصالح الجاليات اليهودية، تشجيع تنمية الحياة الاجتماعية و الثقافية للجاليات اليهودية، و تمثيل هذه الجاليات لدى المؤسسات الحكومية و الدولية. رياض القنطار، *التغلغل الإسرائيلي في إفريقيا و طرق مجابهته*، منظمة التحرير الفلسطينية-مركز الأبحاث، بيروت، 1968، ص 59

² - الحسين بن عيسى، *سجلات الزيتونيين مع الإستعمار و دعاة التغريب (1881-1981)*، ط1، مجمع الأطرش، تونس، 2018، ص ص 272- 273.

الاقتصادية و اجتماعية تمكّن من تشريك الوطنيين في إدارة شؤون بلادهم على قدم المساواة مع أبناء الجاليات الأوروبية و انسجامها مع روح معاهدة باردو. و لما تراءى له أن الظروف قد نضجت لطرح مطلب الحكم الذاتي، انساق في ذلك على أن يمهد الطريق إلى الاستقلال التام¹.

الميزة الثانية تتمثل في البراغماتية، فوفق الفهم الليبرالي الغربي يرى بورقية أن السياسة تتطلب أن يكون رجل السياسة مكيفيليا، يجيد حياكة الدسائس و المكائد و يتقن أسلوب المراوغات و التتصل من الوعود، و حسب (أحمد المستيري) أن أسلوب بورقية في الغالب هو انتهاز الفرص و انتظار الوقت و الحدث. و كان رجل الحدس السياسي الذي يجعله يترصد الوقت المناسب².

ثالثا الواقعية، التي اتسم بها أسلوب عمله. فالسياسة في مفهومها الباطني في نظر الواقعيين تبدأ بالإنعطاف من العالم الوهمي إلى عالم الإنسان الواقعي، و الانشغال به و الاشتغال فيه، و منه الخروج من شرنقة الأيديولوجية إلى الواقع القائم بالفعل، فلو كان التفكير أو العاطفة تنظر إلى الحاضر على أنه شيء باطل، و تسعى لتجاوزه بمنظار حكمة أعلى من حكمة العقل، فإنها تجد نفسها في فراغ. و السياسة العقلانية هي العمل على ما هو ممكن، لا ما على هو واجب، و هو ما يقتضي إعادة بناء صورة العالم الواقعي في الذهن، و الكشف على ما ينطوي عليه من تناقضات³.

و رابعا القيادة الكاريزماتية، حيث امتلك بورقية قوة التأثير في مخاطبيه الأمر الذي أسهم في إيصال رسائله، و منحته قدرة عالية على الاتصال و الارتقاء بين الجمهور واصفا و ناقدًا و مستهزئا و متشنجا⁴. كما كانت لديه مهارة التلاعب خاصة في تعامله مع أنواع القيادة الموجودة في تونس. فكان لا يسمح ببدايل في القيادة و السياسة، و يعمل جاهدا على أن لا تتحد تلك البدائل في جبهة واحدة أو في قضية رئيسة. و من خلال الحفاظ على

¹ - الحسين بن عيسى، البورقيبية و الهوية صراع مشاريع، مكتبة تونس، تونس، 2015، ص14.

² - نفسه، ص15.

³ - صالح الشادي، هواجس الوحدة، قراءة في إشكالية الوحدة العربية، ط1، دار مجدلاوي، الأردن، 2010، ص ص208-209.

⁴ - الحسين بن عيسى، البورقيبية و الهوية صراع مشاريع، المرجع السابق، ص16.

موقعه في قلب معظم الخلافات فإنه يجعل من ائتلاف هذه البدائل أمرا صعبا للغاية¹.

3/ بورقية و قضايا التحرر و الوحدة في المغرب العربي في مرحلة الاستعمار

في خضم النضال المغاربي المشترك ضد الاستعمار أبدى بورقية تضامنه مع مختلف القوى المغاربية، ففي نوفمبر 1937م و إثر الأحداث القمع و قساوة السياسة الفرنسية في كل من الجزائر و المغرب، قام الحزب الجديد بعقد مؤتمر للنظر في الموقف الذي يجب أن يتخذه الدستور ضد هذه السياسة (سياسة القمع التي سارت فيها حكومة شوتان في الجزائر و المغرب)، و قد قرر أن ينزع ثقته في هذه الحكومة، و للتضامن مع إخوانهم المغاربة أعلن المؤتمر إضرابا عاما دام 24 ساعة، و نجح الإضراب نجاحا كبيرا².

كما لم يتخلف عن اللحاق بركب التنظيمات الوحدوية المغاربية، فقد انضم بورقية إلى جبهة الدفاع عن إفريقيا الشمالية التي تأسست يوم 18 فيفري 1944م من طرف محمد الخضر حسين³. كان من بين أهدافها السعي بكل الطرق المشروعة لتحقيق استقلال شعوب شمال إفريقيا، و قد انضم إليها بورقية من الحزب الجديد، و محي الدين القليبي من الحزب القديم⁴.

بعدها التحق بالتنظيم المغاربي مكتب المغرب العربي بالقاهرة⁵، و قد عمل بورقية جاهدا من أجل إيصال قضية المغرب العربي إلى العالم، و كانت تلك من بين أصعب المهام المنوطة به. حيث قرّر المكتب إيفاد أعضائه إلى البلدان العربية، فقام بورقية عن لجنة تحرير المغرب العربي بجولة دعائية في مارس 1948م في مختلف العواصم العربية

¹ - douglas ashford, new destour leadership and confiscated revolution, "Cambridge university press", vol.17, No.2, jan1965, p216.

² - علال الفاسي، المصدر السابق، ص83.

³ - محمد الخضر حسين (1876-1958): عالم دين تونسي من أصل جزائري. زار عددا من دول المشرق، و أسس خلال الحرب العالمية 2 جبهة الدفاع عن شمال إفريقيا، ثم ما لبث أن عاد لتونس، كان بسبب تأزم الأوضاع قرر الهجرة نهائيا نحو دمشق، تولى إمامة الأزهر من 1952-1954، و توفي بمصر سنة 1958. للمزيد عن هذه الشخصية ينظر: محمد الجوادي، محمد الخضر حسين و فقه السياسة في الإسلام، دار الكلمة، القاهرة، 2014.

⁴ - محمد بلقاسم، وحدة المغرب العربي فكرة و واقعا، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954، البصائر الجديدة، الجزائر، 2013، ص ص 466، 471.

⁵ - للمزيد حول المؤتمر التأسيسي الخاص بفتح مكتب المغرب العربي، وريقة التأييد من بورقية الذي كان وقتها بجنيف، ينظر: مكتب المغرب العربي، مؤتمر المغرب العربي المنعقد بالقاهرة من 15 إلى 22 فيفري 1947، مطبعة المكتب الثقافي الدولي، الجيزة، د.س.

في المشرق، و فيها قابل بورقية عديد الشخصيات و عقد ندوات صحفية، حتى إن زيارة بورقية لبغداد أقنعت السلطات العراقية برفع قضية المغرب العربي لهيئة الأمم، و قدمت عشر منح سنوية للطلبة المغاربة بالعراق¹. و هو ما يبرز الدور الكبير الذي قام به بورقية في المشرق خدمة للقضية المغاربية.

كذلك من بين الأعمال التي قام بها مشاركته إلى جانب (يوسف الرويسي)² عضو الديوان السياسي للحزب الجديد و رئيس لجنة تحرير المغرب العربي بدمشق في مؤتمر الأطباء العرب في حلب. و تعريفهما بالقضية المغاربية، و اتصلا بعدد الجمعيات و الهيئات. و نتيجة لذلك نظم الأهالي هناك اجتماعات لنصرة المغرب العربي. فكان لخطابات الرويسي و بورقية أثر بالغ في نفوس الحاضرين الذين قاموا بإرسال برقيات إلى دول أجنبية و عربية، احتجوا من خلالها على مساعي فرنسا الرامية إلى إدماج المغرب العربي في اتحاد فرنسي، حتى إن الرويسي قال إن زيارة بورقية لحلب آنذاك كانت بداية التحول الذي طرأ على موقف الجامعة العربية من قضايا المغرب العربي، فتبنت القضية بشكل كامل منذ ذلك التاريخ³.

لكن العلاقات بين بورقية و القيادات التي انضمت لهذا المكتب اتسمت بالتوتر في غالب مراحلها، إذ لم يلبث أن تحول التقاهم الذي ميّز بداية انطلاق هذا المكتب كقطب جامع للحركات الوطنية المغاربية إلى خلافات أثرت على مسار الوحدة المغاربية و العربية. فكان أن دب الخلاف بين قيادة بورقية التي وافقت منذ البدء على الارتباط بالأنظمة الرجعية العربية و بالإمبريالية الأمريكية، لأنها رأت أن المعادلات الدولية هي التي تأتي أساسا بحل للمسألة الوطنية التونسية، و بين قيادة كل من الحبيب ثامر و يوسف الرويسي، و الخطابي

¹ - محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 557.

² - يوسف الرويسي (1907-1980): مناضل سياسي تونسي ، ولد في منطقة الجريد التونسي، عاش الرويسي أهم الأحداث السياسية و الاجتماعية التي شهدتها تونس أواخر العشرينات و بداية الثلاثينيات، و قاوم السياسة الاستعمارية، و في أثناء إقامته بالمشرق دعم القضية الوطنية التونسية، و وجه طلاب المغرب العربي هناك، و دعم القضية الجزائرية. للمزيد عن هذه الشخصية ينظر: الموسوعة التونسية المفتوحة على الرابط:

http://www.mawsouaa.tn/wiki/%D9%8A%D9%88%D8%B3%D9%81_%D8%A7%D9%84%D8%B1%D9%88%D9%8A%D8%B3%D9%8A

³ - محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص 560-561.

بسبب الموقف من الكفاح المسلح¹.

نضيف إلى ذلك الصعوبات التي ذكرها (الرشيد إدريس) و التي اعترضت التنظيم المغاربي الموحد منها: « الحواجز التي أقامها الاستعمار بين الأفطار الثلاثة، و اختلاف وجهات النظر في لجنة تحرير المغرب العربي، فكان بعضهم يرى إلزامية الثورة المسلحة فوراً، و منهم من يعترف بأهمية الدعاية و الاتصالات الخارجية، و منهم من يرى التريث و حسن الاستعداد، و بينما كنا هكذا حتى داهمتنا حوادث فلسطين و صدور قرار التقسيم، ثم دخول الجيوش العربية»².

نظرا لقبول بورقية اتفاقيات الحكم الذاتي عقدت لجنة تحرير المغرب العربي اجتماعا بالقاهرة ب تاريخ 14 أكتوبر 1955م اتخذت فيها جملة من القرارات منها: فصل الديوان السياسي للحزب و رئيسه بورقية من عضوية اللجنة، و انتقال سلطات الديوان السياسي إلى يد الأمين العام صالح بن يوسف، نظرا لأنه بقي محافظا على المبادئ الاستقلالية التي انضم الحزب على أساسها إلى لجنة تحرير المغرب العربي³.

و قد استمرت علاقات التوتر هذه إلى فترة ما بعد الاستقلال تونس خاصة على الصعيد المغاربي، حيث تأزمت العلاقات التونسية الجزائرية خاصة و أن الجزائر كانت لا تزال تحت نير الاستعمار، الأمر الذي شكل بصورة أو بأخرى خطرا على تونس. و قد ذكرت جريدة الاتحاد الشيوعية أن بورقية صرّح أنه اعتقل عددا من الضباط المصريين في تونس بتهمة أنهم يعملون مع الثوار الجزائريين و يحرضونهم للتآمر على حياته، و قال إن الخطر على تونس لا يأتي من الشرق بل من الغرب أي الجزائر، و هو ما يعني الإساءة لجيش التحرير الوطني الجزائري⁴.

أما في ميدان التعاون العسكري المغاربي الموحد، لم يكن بورقية يحبذ هذا النوع من التعاون. و من الحوادث التي تروى في إطار نشاط الحركة الوطنية المغاربية، أن حركة الانتصار للحريات الديمقراطية الجزائرية كانت قد بادرت إلى طرح فكرة النضال الموحد

¹ - توفيق المديني، المرجع السابق، 2001، ص 17.

² - الرشيد إدريس، المصدر السابق، ص 18- 19.

³ - توفيق المديني، المرجع السابق، ص 18.

⁴ - الاتحاد، م. 15، ع. 61، 1958/11/25، ص 4.

على المستوى المغربي أثناء تواجد الأحزاب الوطنية المغاربية بالقاهرة في مكتب المغرب العربي، لكن الحزب فشل في إمكانية تكوين جبهة مغاربية مسلحة عام 1949م. فعلى الرغم من أنه أرسل وفدا من حسين لحول الأمين العام للحزب، و أحمد بن بلة (الذي أصبح على رأس المنظمة الخاصة في تلك الفترة) إلى تونس، و اتصلا بصالح بن يوسف و بورقية، غير أن المسيرين التونسيين تحفظوا تجاه هذه المسألة بل تم رفضها تماما، كما رفضها الطرف المغربي¹.

لم يتوقف الأمر عند رفض و تحييد الكفاح المغربي المسلح المشترك، بل كان هناك نشاط سياسي مكثف من جانب بورقية لتطبيق تجربته في النضال على المسألة الجزائرية. ففي مذكرة حوار بين بورقية و كان يومها رئيسا للوزراء، و المنجي سليم سفير تونس في الو.م.أ ، و نائب وكيل وزارة الخارجية الأمريكية روبرت مورفي (Robert Murphy) ، جاء فيها أن تفكير بورقية يتمشى مع اتفاق مبدئي بين الفرنسيين بشأن استقلال الجزائر، و الذي من شأنه أن يتم على مراحل على مدى فترة من الزمن، كان بورقية يعتقد اعتقادا راسخا من أن هذا النوع من التسوية سيؤدي إلى نتيجة تكون مفيدة لفرنسا على المدى الطويل، بينما استمرار القتال في الجزائر بالنسبة لتونس سيخلف مشكلة خطيرة، و يعيق التقدم الاقتصادي و الاجتماعي بها². فكان حرص بورقية على إنهاء الحرب في الجزائر من باب المحافظة على مكسب استقلال تونس و من أجل تهيئة الظروف المناسبة لتقدمها.

و ذكرت جريدة الأهالي العراقية، أن بورقية و الحرب قائمة في الجزائر قد أعلن مواقف غربية من قضايا الاستقلال، ففي تصريح له في فيفري 1959 م قال فيه: إن تونس مستعدة لقبول بقاء فرنسا في بنزرت إذا رضيت فرنسا مقابل ذلك بأن تستجيب لمطالب الشعب الجزائري، و تضع حدا لحرب الجزائر. و إن الشعب التونسي يقبل هذا الحل الذي يرمي إلى الإسراع بتوحيد شمال إفريقيا. إننا نتنازل عن جانب من سيادتنا في سبيل وحدة المغرب العربي الكبير. و حسب ذات الجريدة قصد بورقية من توحيد شمال إفريقيا تكوين كومونولث شمالي إفريقي بزعامته، و لحماية مصالح الاستعمار في هذه الأقطار. و أن

¹ - محمد بلقاسم، المرجع السابق، ص ص 494 - 496.

² - F.R.U.S, ,memorendom of a conversation, Washington, vol.18 , africa, 21/11/1956, doc246.

استعداده للتضحية ليس بالذي يمكن أن يغطي الأهداف الحقيقية و منها معاونة الاستعمار و تخليصه من الورطة التي وقع فيها في القطر الجزائري¹.

تطرقنا للتجربة الجزائرية في إطار موقف بورقية من قضايا التحرر و الوحدة في المغرب العربي، كون الجزائر البلد المغاربي الذي تأخر استقلاله مقارنة بالدول الأخرى، و منه إمكانية رصد بعض مواقفه في مسألة الكفاح السياسي و المسلح الموحد خاصة و أن المبادئ و الالتزامات في التنظيمات الحدودية و التي كان بورقية جزءا منها، كانت تؤكد على مواصلة الكفاح المشترك إلى أن تتحرر جميع البلدان المغاربية. لكن سياسة بورقية كانت تفرض عرض مساعدته في إطار تطبيق الرؤية التي كان يرى أنها قد تؤدي لنتيجة مرضية، و منه كان النضال السياسي و مبدأ خذ و طالب أساسا في ذلك.

4/ بورقية و هاجس الوحدة العربية.

استنادا لما دونته الكتابات التاريخية العربية أو الغربية، شكلت الوحدة العربية كطموح و ضرورة ملحة أمرا ثانويا، لم يستهو الحبيب بورقية مناضلا سياسيا كان أو رجل دولة. فقد أشار توفيق المديني مثلا إلى أن بورقية و السلطة التونسية ناصبت العداء لحركة الوحدة العربية، نظرا لتناقضها بعمق مع خيارات السلطة التونسية و حزبها² في مجال العلاقات العربية والدولية. فكان أن عزلت السلطة الجماهير التونسية عن محيطها العربي حتى تعيق عملية التفاعل و التكامل على الصعيد القومي. و على النقيض من ذلك، تعتبر الإيديولوجية القومية في المشرق أن الارتباط بالوجود الوطني(القطري) يناقض منطقها الخاص بوصفها تمزقا و تقطعا في التضامن³.

و هناك من يرى أنه بات من المشروع و الطبيعي لكل مجتمع أن يحرر نفسه من أعباء الالتزامات الإقليمية أو العربية، طالما أنها لا تساعد في معالجة أزماته الداخلية بل تزيد في تفاقمها. و لم يعد من المبرر حرمان أي بلد مهما كان صغيرا أو محدود الإمكانيات،

¹ - "الأهالي"(بغداد)، 1959/2/25، ص2.

² - و يقصد به الحزب الدستوري الاشتراكي و هو التسمية التي اتخذها الحزب الدستوري الحر الجديد خلال مؤتمره السابع المنعقد في أكتوبر 1964 و تبنى خلاله الخيار الاشتراكي.

³ - توفيق المديني، المرجع السابق، ص ص36-37.

حقه في القبض على أوضاعه الخاصة تحت أولوية الخيار القومي.¹ في الرؤية البورقبيية توضع المصلحة الوطنية في مرتبة أعلى من المصلحة القومية (سواء كانت تلك المصلحة تتمثل في الوحدة أو غيرها)، و قد فسر البعض هذا السلوك في أن هناك قوى تؤثر على رجال الدولة فيخضعون لها أو يحاولون السيطرة عليها، مع ذلك فإن فعلها لا يقام في إطار السببية فحسب، إذ لا تكفي دراسة الأسباب بصورة عامة، أي دراسة القوى الفاعلة و نتائجها لتفسير العلاقات الدولية و كذلك السياسة الداخلية، بل يجب كذلك وضع ذلك في إطار الغائية.²

من بين أهم العناصر التي تشكل المصلحة الوطنية المحافظة على أمن الدولة، فلا يتصور عقل أن لا يضع رجل الدولة الأمن في المرتبة الأولى، إذ يحتوي مفهوم الأمن المحافظة على السيادة و الاستقلال، و حياة السكان في حدود الإمكان³. و هذه المكاسب و الأهداف الوطنية قد تهدد بقاءها الوحدة العربية و ما تتطلبه من تضحيات و تنازلات في نظر الحبيب بورقية.

إضافة إلى أن رحلته المشرقية خلفت في نفسه انطبعا سيئا عن العرب و العالم العربي، فوقتها كان الساسة العرب في السنوات ما بين (1946-1949م) من الطبقة الاستقرائية من الباشاوات في مصر و المشايخ في السعودية، و هم قوم لهم عادات السادة، فلم يقدر بورقية على التأقلم مع مثل هذه العقلية و التقاليد، و لاحظ في أولئك الساسة من ضعف الشخصية و الجهل بعلم السياسة و الفساد في أخلاقيات التعامل مع قضايا شعوبهم، و بالمقابل كانت هناك شعوب عربية ترزح تحت ظلمات الجهل و الفقر و المرض.⁴

كما أن الدعم الذي لقينته الحركة اليوسفية (حيث كانت مصر تؤوي صالح بن يوسف و بعض المعارضين، و رغم احتجاج حكومة تونس و مطالبتها بطردهم إلا أن مصر لم تستجب لذلك⁵) من طرف بعض الدول العربية ربما جعل بورقية ينبذ تدخل الغير في الشؤون الداخلية لبلده و يبتعد عن فلکها، و يبتعد عن الدول التي تتادي بهذه الوحدة. و كان

¹ - صالح الشادي، المرجع السابق، ص201.

² - إدمون جوق، علاقات دولية، تر. منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، 1993، ص422.

³ - نفسه، ص435.

⁴ - فاتح والي، البورقبيية و اليسار التونسي، ميديا بوكس، تونس، 2017، ص158.

⁵ - نفسه، ص159.

تأخر بورقية في انضمامه للج.د.ع خير دليل على رفضه لهذا الاتجاه العربي. و يرى بعض السياسيين التونسيين أن خلاف بورقية مع الحركة القومية العربية يكمن في تصور طريقة إنجاز هذه الوحدة، فهل ينبغي دمج الدول؟ أم تكون اتحاد بين دول مستقلة تنشأ بينها تدريجيا و على مراحل علاقات قوية في المجالات الرئيسية، و كان يرى أن هذه الوحدة إذا عمدت إلى منع الدول الأعضاء من التعاون مع القوى الغربية الكبرى لا يكون ذلك في مصلحة شعوبها التي تقتضي التعاون مع جميع البلدان الغربية التي يمكن أن تساعد على تحقيق التنمية، و لم يكن بورقية يحتمل أن تدّعي أي هيئة خارجية حتى لو كانت عربية الحق لنفسها بالتوجه إلى شعبه مباشرة و تتخطاه هو لتتصب نفسها وصيا عليه¹.

و ليس هذا فحسب، فقد عمل بورقية على أن يباعد بين تونس و البلاد العربية و أخذ يبت في نفوس الناس نظرية أن بلاد الشرق بعيدة، و في تونس لا تهمهم إلا قضايا بلادهم، و ما يجري هناك لا يهمهم و لا يسبب لهم إلا المشاكل، فعلى حد تعبير فاتح والي²: « إن أخطر ما فعل بورقية أنه صادر فكرة الوحدة و صادر إيديولوجيا القومية العربية، و هذه صفحة مأساوية حقا في تاريخ بلادنا، و لقد بلغ حد المصادرة للانتماء القومي العربي أن أصبح المرء في تونس يخفي في أعماقه ميولاته العربية القومية و يخشى الإفصاح عنها»³.

رغم هذا، إلا أن التسليم بأن بورقية كان يرفض الوحدة كليا، سواء في الإقليم المغاربي أو العربي هو أمر غير مقبول من الناحية التاريخية، خاصة و أن هذه الوحدة قد تحقق له مكسبا استراتيجيا. فيذكر في هذا الصدد السياسي التونسي الصافي سعيد أنه في بداية السبعينات فاتح الجزائريون تونس عن طريق اتفاقيات الإخاء و الجوار بموضوع

¹ - الشاذلي القليبي، أضواء من الذاكرة، المصدر السابق، صص 161-162.

² - فاتح والي: كاتب و صحفي تونسي، تعرض للاضطهاد و السجن في عهد نظام حكم الحزب الواحد، من أهم مؤلفاته البورقيبية و اليسار التونسي.

³ - فاتح والي، المصدر السابق، صص 163 - 164.

الوحدة¹، فكانت هناك لقاءات بين بورقية و الرئيس الجزائري هواري بومدين، و في أحد اللقاءات قال الأخير للأول: أنت ستكون رئيس تونس و الجزائر. و رد بورقية عليه: أنا اليوم أستطيع أن أكون رئيسا، و لكن لن يقبل الجزائريون برئيس تونسي. و الجزائر بلد كبير و سيبتلع تونس. ارتعب بورقية من الطرح في تلك اللحظة، و لكن في نفس الوقت داهمته خيالات القوة. كان بورقية دائما يبحث عن القوة، فقد كان حيوانا سياسيا مفترسا لكنه بلا فكين². و عليه يمكن أن نلاحظ أن قبول بورقية للوحدة يرتبط ارتباطا وثيقا بمدى المنفعة التي قد تحققها تلك الوحدة للدولة التونسية.

نفس الحال مع ليبيا التي أرادت وحدة مع تونس، ففي عام 1973م ذهب بورقية إلى طرابلس و خطب في الفاتح من سبتمبر: أنا عربي وحدوي و أنا مستعد للوحدة. و بعدها في جانفي 1974م، جاء الرئيس الليبي معمر القذافي يحمل اتفاقا مشروعا للوحدة كاملا مندمجا تحت اسم الجمهورية العربية الإسلامية عاصمتها الرسمية القيروان. عاصمتها الشتوية طرابلس، و عاصمتها الصيفية تونس. بعدها تم توقيع الوحدة³. لكن هاته الأخيرة أجهضت لأسباب عديدة و بعد أن تدخلت أطراف داخلية و خارجية حالت دون استكمالها.

5/ بورقية رجل الدولة، السياسة الداخلية و الخارجية لتونس المستقلة.

بقدر ما كان خروج الاستعمار من تونس مرحلة هامة بشرت بمستقبل زاهر لتونس، إلا أن هذا الخروج صاحبه العديد من الأحداث، كادت تعصف بهذا المكسب، و أدخلت البلد في حالة من التوتر و الخلافات، أثرت بصورة مباشرة و غير مباشرة على طبيعة الحكم و سياسة الحكومة بشقيها الداخلي و الخارجي.

استطاع بورقية على الصعيد العملي تحقيق إنجازات و إصلاحات جذرية مست

¹ - حسب ما ذكره الصافي سعيد كان طرح الجزائر طرحا مناورا فقط، لأن الجزائر كانت تحتاج إلى مجرد حلفاء في المنطقة للتعاقد مع المغرب، و كذلك مع ليبيا في حالة اتحادها مع مصر. ينظر: الصافي سعيد، القذافي سيرة غير مدنسة (1911-1942)، منشورات سوتيميديا، تونس، 2018، ص188.

² - نفسه ، ص188.

³ - أسر الهادي نويرة للحبيب بورقية أن توقيت هذه الوحدة غير مناسب و أنها لعبة ارتجالية، و القصد منها خلط الأوراق و إضعاف تونس، و إفراغها من نخبها ثم الاستيلاء على السلطة. لكن بورقية حسب المصمودي ظل معلقا بين التوجهين. هل يواصل مع الوحدة و هي فرصة لتونس كي تكبر و تكون الدولة واحدة و الثروة واحدة، أو يترك المشروع تمام. و بتحالف بين نويرة و الطاهر بلخوجة و محمد الصياح، و حرم الرئيس وسيلة تم الإطاحة بهذا المشروع. ينظر: الصافي سعيد، القذافي سيرة غير مدنسة...، المرجع السابق، ص192.

ميادين اقتصادية و اجتماعية مهمة، أما على الصعيد السياسي فقد تميزت فترة حكمه بما اصطلح عليه بالأنانية السياسية التي أثرت بشكل سلبي على عمله السياسي مرحلة ما بعد الاستقلال. و لم نجد أفضل من هذا المصطلح يمكن أن نصف به نظام حكم بورقية، و ذلك استنادا لمختلف الشهادات التاريخية التي عايش أصحابها هذه الفترة و كذا الدراسات التاريخية المتخصصة، و التي أكدت على نظام الحكم حيد مسألة في غاية الأهمية و هي المسألة الديمقراطية.

كانت اللغة السائدة في السنوات الأولى في ما بعد الاستقلال لا تسامح مع أي معارضة أو انتقاد ضد نظام الحكم، فكان أن تم تحييد كل اتجاهات الحركة الوطنية بالعنف أو تهमيشها منعاً و إخماداً لكل صوت منشق و كل نزعة معارضة حقيقية، حتى إن اليوسفية التي بقيت متقدة حتى بعد خروج صالح بن يوسف، بقيت في نظر الدستور الجديد التهديد الخطير لأمن الدولة الداخلي، لذلك عمل على القضاء عليها بكل عنف.

تتفق أغلب الدراسات منها دراسة الطاهر بن يوسف "الحبيب بورقية تضخم الأنا سبب البلية"، و دراسة نورة البورصالي "بورقية و المسألة الديمقراطية 1956-1963" على أن بورقية عمل على انتهاج نظام الحزب الواحد (الحزب الحاكم)¹، و كان حريصاً على إيجاد توافق و إجماع حول أفكاره و توجهاته، و كان يرفض أن يتقاسم السلطة مع أحد، لذلك حكم البلاد التونسية أكثر من ثلاثة عقود بمنطق الفكر الواحد و الزعيم الواحد، رغم ما ترتب عن ذلك من احتقان سياسي و هزات اجتماعية خطيرة. و فسر البعض تصرفه على تلك الشاكلة أنه مبني على عدم إيمانه بالديمقراطية، و اعتباره أن تونس بحاجة إلى قبضة من حديد، و كذلك الإيمان برجل واحد و نظام واحد. بناءً على ذلك انزلت البلاد إلى حكم فردي استبدادي استأثر فيه بورقية بكافة السلطات². و قد عمد بورقية إلى وضع إيديولوجية للحزب ترتكز على إقرار الملكية الفردية، و تمجيد المنافسة، و رفض الصراع الطبقي، و العمل على إبعاد تونس عن نضال البلدان العربية، و تعبئة كوادر الحزب بالروح

¹ - هو الحزب الدستوري الجديد، و يعتبر الحزب الحاكم منذ سنة 1957م، و تم تغيير تسميته إلى الحزب الاشتراكي الدستوري سنة 1964، ثم التجمع الدستوري الديمقراطي سنة 1987، ثم وقع حله سنة 2011 إثر الإطاحة بنظام زين العابدين بن علي.

² - الطاهر بن يوسف، الحبيب بورقية تضخم الأنا سبب البلية، مطبعة فن الطباعة، تونس، 2012، ص 49.

الأوروبية¹.

بالنسبة للحريات و الحقوق التي نص عليها الدستور، فقد كانت شكلية و لا معنى لها، بحيث أصبح حزب الدستور أداة للتعبئة الجماهيرية خدمة للنظام و لاختياراته في جميع المجالات، و على هذا الأساس تم إقصاء غير المنتمين لحزب الدستور من المشاركة في تسيير شؤون الدولة. و رغم أن بورقية تشبع بالمثل العليا الغربية التي تدعو إلى احترام حقوق الإنسان و حرية الرأي، حيث سعى عند قيادته دولته إلى بناء أنموذج لدولة علمانية، إلا أن ممارساتها كانت بعيدة كل البعد عن النمط الغربي، و التي من أهمها التفريق بين السلط و التداول على الحكم و احترام الإرادة الشعبية². و في اعتقادنا أن سيرورة السياسة الداخلية هو مرآة عاكسة للسياسة الخارجية.

بناء على ذلك وضعت كل المنظمات الوطنية تحت وصاية حزب الدستور الجديد، و إن احتكر حزب الدستور الجديد لنفسه السياسة و غيرها -لأن الدستور في ما قبل 1956، و كذلك وحدانية الحزب بعد الاستقلال يحملان ضمناً نفس المبدأ و هو الوحدة الصماء لمختلف الفئات الاجتماعية المكونة للشعب التونسي الذي يعبر عن نفسه عبر الحزب الدستوري- فمركز السلطة هذه في أيدي الحزب و رئيسه حالت دون التعبير عن الميولات خارج إطار هذا الحزب³. و ربما هذه السياسة كبحت من جماح الاندفاع التونسي و التحمس للقضايا العربية.

هذا و اتجهت النخبة البورقيية إلى اعتبار كل شكل من أشكال المعارضة السياسية ضرباً من ضروب الفتنة، و لم يسع بورقية إلى تصفية خصومه الفكريين و السياسيين، فقط بل سعى إلى إلغاء مبدأ شرعية المعارضة السياسية باعتبارها خروجاً على الإجماع الوطني الذي يتلخص في شخص بورقية. لكن أواخر السبعينات و بداية الثمانينات شهدت تونس حراكاً سياسياً و اجتماعياً من أجل إحداث التغيير، و ذلك في أجواء الشيخوخة البيولوجية

¹ - "الاتحاد"، م 31، 12/11/1974، ص 3.

² - الطاهر بن يوسف، المرجع السابق، ص 49، 51.

³ - نورة البورصالي، بورقية و المسألة الديمقراطية 1956-1963، تع: محمد عبد الكافي، ط 3، دار نقوش عربية، تونس، 2016، ص 91.

التي مست عضد الرئيس العجوز و معها الشيخوخة السياسية التي أصابت الهرم السياسي¹. كما تبني الحبيب بورقيبة من الناحية العملية العلمانية في تونس (رغم أنه أكد في صياغته الفصل الأول من الدستور سنة 1959: تونس دولة حرة مستقلة ذات سيادة الإسلام دينها و العربية لغتها والجمهورية نظامها)²، و اعتبرها البعض أنها في البداية كانت مجرد اختيار، لكنها تحولت إلى نوع من التكتيك الظرفي، و مرد ذلك إلى طبيعة الضغوط الداخلية و الخارجية التي تعرض لها بورقيبة³، منها علاقاته بالدول الغربية و احتواء تونس نسبة معتبرة من عناصر سكانية ذات ديانات مختلفة أهمها اليهودية.

إضافة إلى أزمة الديمقراطية، برزت أزمة الخلافة كواحدة من بين الأزمات التي تعرض لها النظام السياسي في تونس عهد بورقيبة و ربما الذي فجر الأزمة حسب ما توصلت إليه بعض الدراسات الغربية هو تعرض بورقيبة عام 1966م لأول نوبة قلبية خطيرة، فأدت توقعات من سيخلفه إلى خلق مناخ من عدم الارتياح الذي هو جزء لا يتجزأ من المشهد السياسي التونسي. و كانت السلطة السياسية سائرة في طرق الضعف و التقهقر، و أصبحت المصالح الاقتصادية أكثر تعقيدا و صعبة الإرضاء بالنسبة للكثير من التونسيين⁴.

لم تتوقف الأمور عند هذا الحد بل كان الوضع في تونس يزداد توترا و تعقيدا. ففي عقد السبعينات عاشت تونس صراعات عنيفة بين السلطة ممثلة بالحزب الاشتراكي الدستوري و أيديولوجيته (القومية التونسية) ذات الطابع القطري، و بين الاتجاه القومي العربي، و ذلك في إطار الصراعات السياسية التي شهدتها البلاد خلال عقدي الخمسينات و الستينات. و كان أحد وجوه هذا الصراع الهجمات المتبادلة بين النظام و حزبه، و القوى المعارضة القومية العربية التي تبلورت في ثلاثة اتجاهات تنظيمية: الناصريون و البعثيون و

¹ - رفيق عبد السلام: الحاجة إلى بناء الكتلة التاريخية - الحالة التونسية نموذجا - ، كتاب الأحزاب و الحركات و التنظيمات القومية في الوطن العربي"، مركز دراسات الوحدة العربية، 4/30 /2012، ص204.

² - محمد لطفي الشابي، الماصونية في الوطن العربي زمن الإستعمار الأوروبي، منشورات سوتيميديا، تونس، 2019، ص102.

³ - وناس المنصف: الدين و الدولة في تونس (1956-1987) ، كتاب الدين في المجتمع العربي"، مركز دراسات الوحدة العربية، 4/30 /2000، ص483.

⁴ - Clement henry noore, tunisia and bourguibisme.twenty years of crisis, vol.10, no.1, janv1988, p177.

القوميون العرب¹.

و ما يمكن أن نضيفه في شأن السياسة الداخلية لبورقية، هو تأثير الحركة الماصونية في صياغة سياسته الداخلية، فحسب ما أشارت إليه بعض الدراسات التونسية المعاصرة منها كتاب محمد لطفي الشايبى "الماصونية في الوطن العربي"، و ذكر فيه بناء على شهادات و دراسات تاريخية جادة أن: « بورقية كان على إمام بماهية الماصونية و معرفة دقيقة بمبادئها (فصل الدين عن الدولة، و نشر التعليم اللاتكي، الفكر الحر لتحرير المرأة المسلمة، و إلى نبذ القومية ذات المرجعية الدينية، و استبدالها بالوطنية العلمانية)، فكان بورقية ماصونيا بدون منازع، أي لم يؤد القسم الماصوني و لكن كان يتناغم مع بعض من مبادئها، و فطنته جعلته يستعمل الماصونية (الانتهازية) في مساعيه، فهو ينضوي لغاية و يخرج حالما يحصل عليها، و ينقد ما يشاء، و يتناغم مع من يشاء من مبادئ الدعوة الماصونية»².

بالنسبة للسياسة الخارجية، فقد اخترنا التطرق لسياسة تونس تجاه إحدى القوى العالمية و هي الوم.أ، و جاء اختيارنا هذا لكون الأخيرة تمثل حليفا هاما لبورقية أثبت وجوده في عهد تونس البورقيبية، و أثبتت حضورها في المخاض العسير لميلاد الكيان الصهيوني فترة الأربعينيات، و كذا اعتبارها طرفا رئيسيا في تطورات القضية الفلسطينية و النزاع العربي الإسرائيلي. كما أن علاقته بها يمكن أن تترجم بوضوح سياسته الخارجية.

جنور هذه العلاقات تعود إلى مرحلة الوجود الفرنسي في تونس، و يصف (أندري بوتار) مراسل جريدة "لوموند" سابقا بدايات هذا الارتباط قائلا: «انبثقت من ذاكرة الطالب الباريسي، ذكريات نظرية ولسن التي كانت تستهوي الأفكار، إن أمريكا الجديدة لقادرة على تفهم ذلك الطموح إلى الحرية، و عمد بورقية إلى إقناعها بذلك. و عرف في تونس دبلوماسيا أمريكيا، بقي بورقية يدين له بالكثير، و تراءت له القوة الأمريكية لذلك راهن على الورقة الأمريكية»³.

و يرى بعض اليساريين التونسيين أن اختيار بورقية لأمريكا و أوروبا الغربية و

¹ - توفيق المديني، المرجع السابق، ص36.

² - محمد لطفي الشايبى، المرجع السابق، صص101-103.

³ - أندري بوتار، بورقية، تع. الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986، ص165.

تفضيلها على الاتحاد السوفياتي، مرده أن الأوضاع الدولية فرضت ذلك الاختيار التكتيكي، مستنديين على ما قاله بورقية نفسه: « فرنسا كانت في الشق الغربي، و كان لا بد لنا أن ننضم إلى شق أصدقاءها لكسب مؤازرتهم حتى يساعدونا و يؤثروا على فرنسا لصالح القضية التونسية، لكن لو بقينا في الشق الاشتراكي الشيوعي لأمكن لفرنسا العبث بحركتنا بسهولة، و الادعاء أمام الرأي العام الدولي أننا شيوعيون فلا مصدق لنا و لا نصير». لكن هذا التبرير المنطقي لاختيار أمريكا في نظر اليساريين ليس كافيا، لأن الثابت أن بورقية كان يبغض الشيوعية، و كان يحب الثقافة الغربية و خاصة الفرنسية¹.

كما يصف الشاذلي القليبي عمق العلاقة بين بورقية و الوم.أ قائلا: « إن بورقية في مجال السياسة الخارجية كانت لديه ميلول لأمريكا تكاد تتحول إلى عشق». و « كان بورقية في كل عمله السياسي للدفاع عن استقلال بلاده استراتيجيا كبيرا و تكتيكا مرهفا بعيد النظر، كان على قناعة أن بلدا مثل تونس لا يمكن أن يضمن أمنه دون مظلة قوة عظمى، لكن من الأفضل و هو يؤكد على ذلك أن تكون من خارج المنطقة لتجنب أي أثر للهيمنة»².

على الرغم من الود الذي كانت تظهره أمريكا لحليفها بورقية إلا أن الدعم الأمريكي لاستقلال تونس لم يكن متجذرا في الرغبة عن الدفاع عن حق تقرير المصير لدولة مستعمرة، بل في تحول محسوب مدفوع بسياسات الحرب الباردة، و على الرغم من أن أمريكا لم ترغب في تهميش حلفائها الفرنسيين إلا أنها اعتبرت شمال إفريقيا قطعة شطرنج جيوسياسية مهمة في الحرب الباردة، و إذا لم تتمكن تونس من العثور على دعم سياسي في الغرب، فقد خشيت أمريكا أن تجده في الشرق. و ما زاد من تعزيز هذا الخوف أن الاتحاد السوفياتي كان ينشر نفوذه في الدول المتخلفة³.

هذا و كانت علاقة بورقية بالوم. م. أ ترمي بكامل ثقلها على موقفه من سياسة عدم الانحياز، فحسب ما تؤكد الدراسات و حتى التصريحات التي صرح بها بورقية نفسه أنه برغم انتمائه لكتلة عدم الانحياز و موافقته على مبادئها، إلا أنه بقي وفيا للوم. م. أ، و كان

¹ - فاتح والي، المصدر السابق، ص ص 103- 104.

² - الشاذلي القليبي، أضواء من الذاكرة، الحبيب بورقية، المصدر السابق، ص ص 158، 160.

³ - Derek khoudja, **apartnership in the Maghreb; the first ten years of peace courps in tunisia**, university of new jersey, 2013, p25.

يؤكد وفاءه في كل مرة و بالتالي انحيازه لصفها. و كان له في نظر بعض اليساريين أن ينتهج سياسة عدم الانحياز للدول الاشتراكية أو الرأسمالية كما فعلت العديد من الدول بحكم مقتضيات مصلحة البلاد العليا، و كان يمكنه أن يغتتم من المساعدات و القروض كما غنم غيره، لكنه فضل الانحياز للكتلة الغربية¹.

و عليه فإن سياسة بورقية الخارجية و خاصة سياسته تجاه الو.م.أ ستكون عنصر تأثير و حتى ضغط يقف وراء موقفه و دوره تجاه قضية فلسطين.

ثانيا: القضية الفلسطينية من وعد بلفور إلى قيام الكيان الصهيوني إسرائيل.

1/ الوجود العثماني بفلسطين.

من المراحل التاريخية المهمة التي عرفها تاريخ فلسطين مرحلة الوجود العثماني ، و قد استمر هذا التواجد حوالي أربعة قرون، حيث انضوت فلسطين تحت اللواء العثماني عام 1516م إلى غاية بدايات القرن العشرين حين تعرضت الأراضي الفلسطينية لمؤامرة أوروبية صهيونية استهدفت الأرض و الشعب، لتشكل بذلك فاتحة لمرحلة مأساوية للشعب الفلسطيني لا تزال مستمرة إلى الساعة.

بالعودة إلى بعض المعطيات المتعلقة بالفترة العثمانية يمكن القول أن هيمنة المماليك على بلاد الشام تواصلت حتى بداية القرن 16م، و من ثم دخلوا في صراع مع الإمبراطورية العثمانية التي كانت قوة صاعدة آنذاك، فكان من نتائج هذا الصراع أن استطاع الأتراك احتلال الإمبراطورية المملوكية بأكملها من 1516-1517م، و من ثم خضوع فلسطين للحكم العثماني². و تم ذلك في عهد (السلطان سليم) الأول بعد معركة مرج دابق عام 1516م، و استكمل فتح المنطقة و ما حولها في عهد (سليمان القانوني)³. و تم ضم أملاك دولة المماليك في كل من سوريا و فلسطين و الحجاز و اليمن و مصر. و باعتبارهم مراكز ذات أهمية دينية و سياسية و حضارية فقد أضاف ذلك للدولة العثمانية ثقلا حضاريا في العالم الإسلامي و هو ما كان يطمح إليه السلاطين العثمانيون⁴.

¹ - فاتح والي، المصدر السابق، ص106.

² - Dominique Perrin, **Palestine une terre, deux peuples**. presses universitaires du septentrion, 2020, p85.

³ - حسن أوزمدير، فلسطين في العهد العثماني و صرخة السلطان عبد الحميد الثاني، ط1، دار النيل، مصر، 2013، ص24.

⁴ - سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية، النشأة - الازدهار، مكتبة الآداب، القاهرة، 2007، ص246.

قد تعرضت فلسطين خلال تلك الفترة إلى حملتين، أولهما الحملة الفرنسية بقيادة (نابليون بونابرت) الذي استطاع أن يستولي على فلسطين عام 1799م، و الثانية تعرضها لسياسة التوسع بقيادة (محمد علي باشا) المصري الذي استولى على فلسطين و سوريا عام 1832م.

فبالنسبة للحملة النابليونية يشير الباحث الفلسطيني في جامعة هايدلبرغ الألمانية (محمد مرقطن) أنها الحملة التي أدخلت فلسطين إلى دائرة الصراع الدولي و أحييت الحلم الأوروبي بإعادة السيطرة على فلسطين، و أثارت اهتمام الدول الكبرى (بريطانيا، النمسا، فرنسا، روسيا)¹.

كما لا يستبعد مرقطن تورط الحكم المصري (سياسة التوسع التي انتهجها محمد علي) بقصد أو بدون قصد في تكريس التغلغل الغربي في فلسطين، إذ سمح محمد علي بأن تفتح فيها قنصليات و مؤسسات تبشيرية غربية. و منه اتخذت الدول الغربية خطوات عملية للاستحواذ على فلسطين، حيث ادعت بريطانيا منذ منتصف القرن التاسع عشر أنها تتولى حماية اليهود، أما الفرنسيون فيحمون الطوائف الكاثوليكية، و الروس الأرثوذكس، فجاء تأسيس القنصلية البريطانية سنة 1838م في القدس²، و القنصلية الفرنسية عام 1843م، و الأمريكية سنة 1832م³.

كان محمد علي قبل حملته على بلاد الشام قد وعد قناصل الدول الأوروبية بأن المسيحيين و اليهود سيعاملون بطريقة لم يعهدها في السابق، فأزال أشكال التمييز الرسمي ضد أتباع الطوائف الدينية غير الإسلامية، و سهل للأوروبيين التغلغل السياسي و الديني و الثقافي حين اعترف بمؤسساتهم، و قد أصبح للطائفة اليهودية تمثيل داخل المجالس المحلية

¹ - محمد مرقطن: الرحالة الفرنسيون و الاكتشافات الأثرية في فلسطين و التمهد للمشروع الصهيوني (1800-1914)، كتاب العرب من مرج دابق إلى سايكس بيكو (1516-1916) تحولات بين السلطة و المجتمع، المركز العربي للأبحاث، 2020، ص 655.

² - عندما تولى اللورد بالمسترون وزارة الخارجية عام 1830، كان أهم نصير سياسي لمشروع اللورد شافتنبري الخاص بإعادة اليهود إلى فلسطين، فكانت خطوته الأولى افتتاح قنصلية بريطانية في القدس هدفها حماية كل اليهود المقيمين في فلسطين. ينظر. يوسف العاصي الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي و العالم و علاقتها بمخطط إسرائيل، ج1، ط1، مكتبة حسن العصرية، لبنان، 2014، ص 127.

³ - محمد مرقطن، المرجع السابق، ص 656.

الأمر الذي ساعد على تدفق اليهود نحو القدس¹.

في مقابل ذلك تصدت الدولة العثمانية لهذه التحركات التي كانت تهدد الاستقرار الداخلي للأراضي الفلسطينية، ففي عام 1882 م خلال فترة حكم السلطان عبد الحميد الثاني، أراد يهود روسيا النزوح إلى فلسطين، فتدخل كبار اليهود لدى القنصل العثماني العام في ثغر أوديسا (في اليونان) كي يمنح اليهود تصريحاً بدخول فلسطين و الاستقرار بها، و اتصل القنصل بحكومته فتلقى منها رداً علقت صورة منه على شكل إعلان على دار القنصلية جاء فيه: «إن الحكومة العثمانية تبلغ جميع اليهود الراغبين في الهجرة إلى الدولة بأنه ممنوع عليهم الاستقرار في فلسطين، و أن الدولة تسمح لهم بالإقامة في أي إقليم آخر من أقاليمها بشرط أن يكونوا رعايا عثمانيين و يخضعوا لقوانين الدولة»².

استمرت محاولات اليهود للتسلل داخل فلسطين و ذلك تحت غطاء استثمار المشاريع الأوروبية في العالم العربي، حيث اتصل (تيودور هرتزل) ب (غليوم الثاني) قيصر ألمانيا³ لإقناعه أن اليهود يستطيعون دعم نفوذها في المنطقة، من خلال المشاركة في تنفيذ مشروع سكة حديد برلين بغداد، و بعرض الاقتراح على السلطان عبد الحميد الثاني عام 1898م تم رفض تدخل اليهود⁴. خاصة و أن السلطان كان قد أعلن عن رغبته في أن يبقى المشروع في أياد ألمانية صرفة لعدم وجود ما يدعو إلى انتظار نتائج سياسية سيئة في هذه الحالة⁵. و قبلها تم طرح مشروع (tancred) تانكريد عام 1883م لمد سكة حديدية من طرابلس على المتوسط عبر حمص، حلب، وادي الفرات إلى بغداد فالبصرة، لكن إرادة تانكريد في أن يخرج اليهود الروس من روسيا و يوطنهم على جانبي السكة أدت إلى معارضة الحكومة

¹ - صالح علي الشورة، بسام عبد السلام البطوش: أثر الهجرات اليهودية في تغيير التركيبة السكانية للقدس في العهدين العثماني و البريطاني، "مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية"، ع.19، أبريل 2011، ص ص19-20.

² - جمال عبد الهادي، الطريق إلى بيت المقدس، ج2، ط3، دار الوفاء، 2001، ص ص19-20.

³ - استلم الحكم عام 1888م و سار في سياسة ترمي إلى إيجاد أسواق جديدة في الشرق و دخول ألمانيا معترك التنافس التجاري. لؤي بحري. سكة حديد بغداد "دراسة في تطور و دبلوماسية قضية سكة حديد برلين-بغداد حتى عام 1914. شركة الطبع و النشر، بغداد، 1967، ص26.

⁴ - جمال عبد الهادي، المرجع السابق، ص22.

⁵ - اتجه السلطان عبد الحميد الثاني نحو ألمانيا لتمويل و إنجاز هذا المشروع لأنه كان يعتبرها الدولة الأوروبية الوحيدة التي لم تكن تظهر بصورة علنية أطماعاً توسعية في الإمبراطورية العثمانية. للمزيد حول هذا المشروع ينظر. لؤي بحري، المرجع السابق، ص21.

العثمانية و قبر هذا المشروع¹.

لكن الأمر الضروري الذي يمكن لفت الانتباه إليه في هذه المرحلة هو تزايد النفوذ الأوروبي داخل أقاليم الدولة العثمانية خاصة أمام الضعف الذي كان قد طالها خلال القرن التاسع عشر، الأمر الذي جعل تلك الأقاليم عرضة للاحتلال و السيطرة من طرف القوى الأوروبية. و ذلك الضعف فتح الباب واسعا أمام العنصريين من المستشرقين و الرحالة و البعثات الاستكشافية، حيث صوروها على أنها بلد مهمل تحكمه أقلية متأخرة. و قد حال دون اقتسام الأراضي العثمانية في القرن التاسع عشر حدة التنافس الأوروبي الروسي².

2/ الاحتلال البريطاني لفلسطين.

رغم صغر المساحة التي تترع عليها فلسطين إذ لا تزيد عن 26 ألف كلم²، إلا أنها شكلت أهمية كبرى للدول المتصارعة حولها، فهي ملتقى القارات الثلاثة إفريقيا و آسيا و أوروبا، و تعد ملتقى طرق المواصلات العالمية برية و بحرية و جوية، و بها بحيرة البحر الميت الغنية بأملاح البوتاسيوم³. و غيرها من المميزات التي جعلتها مطمحا أوروبا و جب الوصول إليه.

كانت الإمبراطورية الألمانية واحدة من القوى التي أرادت الظفر بفلسطين، و حسب ما ورد في بعض الدراسات أنها شكلت استثناءً من الناحية الظاهرية من جملة القوى التي كانت تهدف للتوسع و احتلال الأراضي العثمانية، لذلك رحب السلطان العثماني عبد الحميد الثاني بسياسة التقارب مع ألمانيا، فكان لها أن حصلت على امتياز انجاز مشروع سكة حديد برلين بغداد كما ذكرنا سابقا. و قد هدفت من وراء هذا المشروع الزحف باتجاه الشرق لتجسيد تسلسلها الإقتصادي، و زيادة نفوذها المالي في الدول العثمانية، و تحقيق أغراضها العسكرية⁴.

القوة الأخرى تمثلت في الإمبراطورية البريطانية و التي شكلت الحلقة الصعبة في تاريخ فلسطين، نظرا لما آلت إليه الأخيرة بسبب السياسة البريطانية. فلماذا أرادت بريطانيا

¹ - لؤي بحري، المرجع السابق، ص 21.

² - بيان نويهض الحوت، فلسطين. القضية. الشعب . الحضارة، ط1، دار الاستقلال، لبنان، 1991، ص 27.

³ - صلاح محمد نصر، كمال الدين الحناوي، الشرق الأوسط في مهب الريح، مكتبة النهضة المصرية، مصر، ص 264.

⁴ - عيسى أسعد العبد الله، السياسة الخارجية للدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876 - 1909، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بيروت العربية، 2016، ص 93.

التدخل في فلسطين؟ هل حماية لمصالحها أم مصالح اليهود و الحركة الصهيونية؟ و كيف أمكنها احتلال فلسطين؟

كما تثبته الدراسات العربية و الأجنبية أن الاهتمام البريطاني بالشرق الأوسط و منه فلسطين مرده الأهمية الاستراتيجية البالغة التي تكتسبها بالنسبة لبريطانيا. فسعت الأخيرة للحصول على موطئ قدم لها في هذه الأراضي من خلال إيجاد عنصر بشري تتولى حمايته ليرعى مصالحها في هذه المنطقة. و كانت سياسة بريطانيا تجاه فلسطين خلال القرن التاسع عشر تغذيها عدة عوامل أبرزها: محاولتها الحفاظ على موازين القوى في أوروبا، و تأمين تجارتها مع الهند المهددة من قبل فرنسا و روسيا، و الحد من طموحات محمد علي في توسيع دولته¹.

بعد جهود حثيثة و مكثفة استطاعت بريطانيا التغلغل داخل الإقليم العثماني من خلال الامتيازات، فافتكت جزيرة قبرص التي كانت تعد أهم نقطة إستراتيجية في الطريق للهند، و لما كان وضع الدولة العثمانية يتطلب وجود قوى كبرى تؤيدها في مؤتمر برلين من جهة و أمام سياسة الضغط البريطانية، عقدت الدولتان معاهدة في 4 جوان 1878م أصبحت بموجبها جزيرة قبرص من الناحية الشرعية تابعة للدولة العثمانية، و فعليا لبريطانيا².

بعد نهاية الحرب العالمية الأولى عقد المجلس الأعلى للحلفاء اجتماعا من 19 إلى 26 أبريل 1920م سمي بمؤتمر سان ريمو (إيطاليا) من أجل مناقشة التقسيمات و الانتداب. ثم بعده في أوت من نفس السنة وضعت اتفاقية سيفر (فرنسا) قدم الانتداب على سوريا و لبنان لفرنسا، و العراق و فلسطين و شرق الأردن لبريطانيا. و كان استقبال الأوساط الصهيونية حماسيا لقرارات سان ريمو³.

تم وضع فلسطين تحت إدارة عسكرية بريطانية أطلقت عليها O.E.T.A.S و هي اختصار لـ occupied enemy territory administration south أي الإدارة الجنوبية

¹ - يوسف العاصي الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي و العالم و علاقتها بمخطط إسرائيل، ج1، المرجع السابق، ص126.

² - عيسى أسعد العيد الله، المرجع السابق، ص67.

³ - محمد فاروق الخالدي، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، دار الراوي، 2000، ص ص241-242.

للبلاد المحتلة، حيث وافقت دول أوروبا على وضع فلسطين تحت الإنتداب في 28 أبريل 1922م، و وافقت عصبة الأمم على الصك يوم 24 جويلية 1922م¹.

دخلت بريطانيا الأراضي الفلسطينية، و كان التغلغل اليهودي قد نخر جسد الإمبراطورية البريطانية إلى حد بعيد، الأمر الذي سيكون له تأثير كبير على مجرى الأحداث في فلسطين.

بالعودة إلى بعض الحقائق المتعلقة بوسائل و أهداف التغلغل اليهودي داخل الإمبراطورية البريطانية يمكن القول أنه لما كان الملك إدوارد الأول ملك إنجلترا هو الأول الذي طرد اليهود من بلاده سنة 1290م، فقد قرر سادة الذهب اليهود في فرنسا و هولندا و ألمانيا أن تكون بريطانيا الهدف الأول الذي يطبقون فيه مناهجهم لإثارة الفوضى. و لم تلبث إنجلترا أن وجدت نفسها مقسمة إلى معسكرين متصارعين، حيث انقسم الشعب المسيحي إلى معسكرين بروتستانت و كاثوليكي².

بعدها وافق القائد الإنجليزي كرومويل (Croimwell Oliver) على السماح لليهود بدخول إنجلترا من جديد بعد أن طردهم إدوارد الأول، و لما كان منهما في حروب تجارية مع البرتغال و إسبانيا و كان لدى هذه الدول جماعات يهودية معروفة بنشاطها التجاري، فقد كان الأمل في أن يقوم اليهود في إنجلترا بدور اقتصادي، أو كجواسيس بفضل تنقلاتهم و اتصالاتهم، و كذا إمكانية نقل رؤوس الأموال اليهودية³. كما أراد كرومويل الإطاحة بالعرش البريطاني (كان الملك آنذاك شارل الأول)، فكان أن طلب المعونة المالية من المرابين اليهود، فأدين شارل الأول بالتهمة التي قررها بشأنه هؤلاء المرابون، و تم قطع رأسه علنا أمام المصرف اليهودي سنة 1649م⁴. و هنا يمكننا أن نلاحظ أن الرغبة الأوروبية في استغلال الخبرات اليهودية فيما يخدم مصالحها، إضافة إلى تنامي رغبة الانتقام اليهودي، هو ما فتح الباب واسعا للتغلغل اليهودي في إنجلترا و السطو على المراكز الحساسة في الدولة.

¹ - جمال عبد الهادي، المرجع السابق، ص ص51، 61.

² - وليام غاي كار، أحجار على رقعة الشطرنج، تر. سعيد جزائري، دار النفائس، 1970، ص 71.

³ - كامل سعفان، اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصير الفاتيكان، دار الفضيلة، مصر، د. س، ص 180.

⁴ - وليام غاي كار، المرجع السابق، ص 76.

بمجيء حركة الإصلاح الديني التي انبثق عنها المذهب البروتستانتي¹، تغيرت نسبياً النظرة المسيحية تجاه اليهود و اليهودية، و قلصت من ذلك الحقد الذي لازمهم لقرون تجاههم، حيث عملت تلك الحركة على تغيير المبادئ الكاثوليكية التي في غالبها عدائية فيما تعلق بموقفها من اليهود، لأن اليهود طبقاً للكنيسة الكاثوليكية اقترفوا إثماً فطردهم الله من فلسطين إلى بابل، و عندما رفضوا دعوة المسيح نفاهم الله ثانية، و بذلك انتهت علاقة اليهود بأرض فلسطين إلى الأبد².

هذا التموّج اليهودي بإيجابياته و سلبياته في الوسط الأوروبي، سيعمل على جلب الصهيونية كحركة سياسية منظمة لتخدم المصالح الغربية بتناقضاتها و توافقاتها على حساب العرب و فلسطين خاصة.

3/التغلغل الصهيوني في فلسطين و إصدار وعد بلفور بين المنح و الافتكاك.

تفسّر الصهيونية على أنها ثمرة و نتاج الرغبة في الخلاص من الوجود اليهودي في أوروبا ثم أمريكا. و أن تأييد القوى الكبرى لعودة اليهود إلى أرض الميعاد لم يكن من واقع الولاء للوعد التوراتي بل من واقع كراهية اندماج اليهود في تلك المجتمعات³.

لم نجد من تعريف وافٍ لهذه الحركة كالتعريف الذي كتبه محمد البشير الإبراهيمي إذ يقول: « إن الصهيونية من ظاهر أمرها و باطنه، نظام يقوم على الحاخام و الصيرفي و التاجر. و يتسلح بالتوراة و البنك و المصنع، و غاياتها جمع طائفة قدر لها أن تعيش أوزاعاً بلا وازع، و قدر لها أن تعيش بلا وطن و لكن جميع الأوطان لها. فجاءت الصهيونية تحاول جمعها في وطن تسميه قولا فلسطين، ثم تفسره فعلاً بجزيرة العرب كلها⁴.

رسمت الصهيونية في بداية طريقها هدفاً ظاهراً إنسانياً أرادت الوصول إليه، فادعت و روجت إلى أنها جاءت لحفظ اليهودي من الانصهار في أي قومية، و المحافظة على هويتهم اليهودية من الاندثار.

¹ - ظهر المذهب البروتستانتي على يد مارتن لوثر في القرن السادس عشر، أكد على فكرة أن اليهود أمة مفضلة و ضرورة عودتهم إلى أرض فلسطين. و غيرت من صورة اليهود في ذهن المسيحي. يوسف عاص الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي دراسات و بحوث حول التحيز الأوروبي و الأمريكي لإسرائيل، ج1، ط2، صوت القلم لعربي، مصر، 2010، ص43.

² - نفسه، ص32.

³ - كامل سغان، المرجع السابق، ص205.

⁴ - أحمد طالب إبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي، 1997، ص437.

ينتقد توينبي¹ الهدف الصهيوني الذي يحمل الكثير من التناقض و السلبية قائلا:

« إن تكيف مشنتي اليهود حسب بيئاتهم هو روح التهود و هو ما أتاح لهم البقاء رغم كونهم مشنتين في بقاع مختلفة، و اليهود المتأخرون الذين أخذوا بالنظم الغربية (الليبرالية أو الصهيونية) كانوا يقطعون حبل الاتصال مع هذا الماضي اليهودي التاريخي. فحين يهجر اليهودي الليبرالي حياة التشريد بشكل إفرادي، ثم يضع نفسه بين صفوف البرجوازية المدنية الغربية يكون يصهر نفسه ضمن قائمة اجتماعية مسيحية². و من أجل أن يقلبوا جميع الخصائص اليهودية المتميزة في الحياة التقليدية لليهود التشريد، شرعوا يعيدون أنفسهم إلى عمال بدويين بدلا من طبقة مثقفة، و يسكنون الأرياف بدلا من كونهم سكان مدن، و مزارعين بدلا من رجال مال، و جنودا مقاتلين بدلا من أصحاب دكاكين، و إرهابيين بدلا من شهداء، و كان هذا التحول بغية الهدم بدل البناء و في سبيل الشر بدلا من توجيهه لصالح الخير³. و بحسب نظريته استغلت الصهيونية في ذلك ما تصفه بالاضطهاد و ملاحقة اليهود المستمرة في أوروبا الشرقية، حتى إنها بالغت في تلك الأحداث، بل فجرت قنابل وسط تجمعات يهودية لإخافة السكان و دفعهم للهجرة لفلسطين⁴.

بدلا من أن تحل الصهيونية المشاكل اليهودية، فإن التحقق العملي للأغراض السياسية للحركة الصهيونية حسب توينبي جلب بالفعل مشكلة يهودية إلى مسرح التاريخ، فقد جمعت إسرائيل الحاضرة بين كل شيء يهودي و كل شيء غير يهودي، و سيخرج من حاصل الجمع العام للنسختين من رواية اليهودية طبعة ثانية هي قصة بين المشتت اليهودي ذي العقلية الآسيوية الموجودة في الو.م.أ، و بين قومية يهودية صبت حسب القالب الغربي فجاءت على شكل فلسطين⁵.

بالعودة إلى ظروف انتشار الفكر الصهيوني في الوسط الأوروبي (ما يعني أن مشكلة اليهود ظهرت جذورها في ذات الوسط) نجد أنه من القنوات العقدية التي كانت

¹ - من كبار المؤرخين في العالم، كان مبعوث بريطانيا في معاهدة صلح باريس سنة 1919، شغل كرسي التاريخ الدولي في جامعة لندن سنة 1925، دافع عن قضية فلسطين ضد السفير الإسرائيلي في كندا ياماكوف هرتزوك. من أبرز ما قال: « إن جرائم النازية ضد اليهود أقل انحطاطا إلى الدرك الأسفل من جرائم ضحايا اليهود ضد العرب الأبرياء». من مقدمة كتاب: أرلوند توينبي: فلسطين جريمة و دفاع، ط3، تع. عمر الديداوي، دار العلم للملايين، 1981.

² - نفسه، ص65.

³ - أرلوند توينبي، المصدر السابق، ص66.

⁴ - أحمد فؤاد أنور، تاريخ اليهود من تشويه الأنبياء إلى 11 سبتمبر، مركز الرابطة، د. س، ص86.

⁵ - أرلوند توينبي، المصدر السابق، ص70.

متجذرة و راسخة أوساط العالم المسيحي في العصور الوسطى هو اعتبار اليهود أمة ملعونة، و مارقين و يوصمون بأنهم قتلة المسيح، حتى إنه لم تكن هناك ذرة من الحب العاطفي للمجد القديم، أو أي أمل في إعادة بعث اليهودية أو تملك اليهود لفلسطين. و كان واقع و طابع حياة اليهود قد دفع بهم إلى التجمع و الإقامة معا في حي واحد، محافظة على الشرائع الدينية، و لتبادل المساعدة كأقلية مضطهدة، و لضرورة الأمن كونهم غرباء مكروهين¹.

ففي روسيا مثلا عندما تولى (نيكولا الأول) الحكم سنة 1825 م، نظر بعين الحذر إلى التغلغل السريع لليهود في الاقتصاد الروسي، و نظرت حكومته بريب لإصرار اليهود على الاحتفاظ بلغتهم الخاصة و البقاء كأقلية منعزلة في قلب المجتمع الروسي. لكن بعد أن تولى (الكسندر الثاني) العرش سنة 1855م، فتح جميع المناصب أمام اليهود بعد أن منعوا من ذلك. و رغم ذلك خشي الزعماء اليهود المتطرفون أن تؤدي سياسة القيصر المتسامحة إلى ذوبان اليهود و إفلاتهم من سيطرتهم، فتم اغتياله عام 1881م، فأعقب ذلك موجة استياء عارمة في روسيا ضد اليهود أدت إلى أعمال عنف ضدهم، و أصدرت الحكومة الروسية قوانين قاسية بحق العنصر اليهودي، و دافع مصدر هذه القوانين عن موقفهم بقولهم: «إذا كانت سياسة ألكسندر الثاني بكل تسامحها لم تكف لإرضائهم، فمعنى ذلك أنه لن يرضيهم شيء سوى خضوع روسيا بأكملها لهم»².

كان من نتائج هذه القوانين أن تدفق يهود روسيا بشكل أدى إلى طرح المسألة اليهودية على العالم الغربي، و أعطى الفكر الصهيوني دفعة قوية³. و تعبدت الطريق جيدا أمام معاداة السامية و انتشارها في أوروبا بسبب تورط اليهود في إثارة الفوضى و قلب أنظمة الحكم، و الاستعلاء على مقدرات و اقتصاديات هذه الدول.

لكن من الأمور الواجب الإشارة إليها أن المذاهب المسيحية تفاوتت في استيعابها لهذا التحول و في نظرتها لملك اليهود وطنا خاصا بهم، فنجد البروتستانتين تقبلوا إلى حد كبير الطموح اليهودي و تأسيس دولتهم، أما الكاثوليك فكانوا أكثر تحفظا لذلك لم يبرئ الفاتيكان اليهود من دم المسيح إلا عام 1966م، و بالنسبة للأرثوذكس (الأوربيون الشرقيون) فكانت

¹ - كامل سغفان، المرجع السابق، ص ص148، 175.

² - وليام غاي كار، المرجع السابق، ص ص 155-156-157.

³ - كامل سغفان، المرجع السابق، ص 225.

لهم نظرة توجس و ريبة تجاه اليهود¹.

حتى إن بعض الأطراف ممن وقعوا على وعد بلفور فيما بعد كانوا يكنون العداء الشديد لليهود، ففي تصريح لسير (تشارلس ديلاك)، أن (آرثر جيمس بلفور) أعرب عن بغضه الشديد للتواجد اليهودي داخل الأراضي البريطانية، و وجوب الخلاص من هذا الجسم الغريب بينهم قائلا: « ليس من مصلحة حضارة هذا الوطن أن يكون فيه كثير من الأشخاص الذين يضلون- نتيجة تصرفاتهم- شعبا مستقلا يعتنقون دينا يختلف عن دين الغالبية العظمى من مواطنيهم، ليس من مصلحة الوطن أن يكونوا فيه مهما بلغت درجة وطنيتهم و انغماسهم في الحياة القومية»².

و هرتزل الذي يعتبر أب الحركة الصهيونية السياسية كان لا يهتم لأمر اليهود، فقد كان يهوديا نمساويا مندمجا لا يكثرث بالمسألة اليهودية، فحينما وصل يهود جالشيا إلى فيينا حيث يقيم شعر بالخطر و أيقن أن الصهيونية ستساهم في تحويل الهجرة بعيدا عن موطنه الأصلي³.

استطاعت الحركة الصهيونية أخيرا الظفر بوعد يمنح وطنا لليهود، و قد تعددت الرؤى و التحليلات السياسية و الاقتصادية في تحديد أسباب و دوافع منح اليهود أرض فلسطين.

كثيرا ما تصدرت القوة التي كان يتمتع بها اللوبي الصهيوني قائمة الأسباب التي دفعت إلى استصدار وعد بلفور، فيعزو بعض المحللين دوافع الدعم الأمريكي في إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين إلى المال اليهودي المؤثر في الحملات الانتخابية، و تحكم الإعلام اليهودي في الرأي العام الأمريكي، غير أن هناك من الباحثين من يرى أن تضخيم نفوذ اللوبي الصهيوني و جعله كأنه عنصر متحكم في أمريكا شيء مبالغ فيه، إذ أن المال اليهودي في الانتخابات لا يصلح تفسيراً للإجماع السياسي الذي حظي به إصدار هذا الوعد أو قيام الكيان الصهيوني فيما بعد، مبررين قولهم أن في أمريكا من أهل الثراء

¹ - يوسف عاص الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي دراسات و بحوث حول التحيز...، المرجع السابق، ص30.

² - كامل سغفان، المرجع السابق، ص195.

³ - نفسه، ص 225.

غير اليهود ما يكفي و زيادة لمعادلة المال اليهودي¹.

من جهة أخرى هناك من يرى أن العامل الديموغرافي (أو الثقل اليهودي) أدى إلى إصدار وعد بلفور، فمن الحقائق المتداولة في الدراسات التاريخية أن العثمانيين تبنا موقفا متسامحا مع اليهود و المسيحيين ما جعلهم يتمتعون بالعديد من الامتيازات، و في الإطار القانوني قَدَّم لهم استقلالية واسعة جدا و خاصة الإعفاء من الخدمة العسكرية، فجنى اليهود فوائد ديموغرافية هائلة من هذا الإعفاء لأن موتاهم أقل بكثير من المسلمين الذين سقطوا في ميادين الشرف، أو ضحايا للأوبئة².

كذلك دعت بريطانيا و دعمت توطين اليهود في فلسطين لتحقيق مصالحها، فقد كان وزير الخارجية اللورد بالمسترون (Viscount Palmerston) يرى أن استيطان اليهود في فلسطين سيحقق للمصالح البريطانية مكسبا دينيا و هو إرضاء الرأي العام البروتستانتي المتدين الذي يتشوق إلى إعادة اليهود إلى فلسطين مما سيساهم في ايجاد مجموعة موالية لبريطانيا في منطقة ليس لها فيها من يواليها، و عليه لم يكن بوسعه أن يهمل ضغوط الرأي العام البروتستانتي الذي كان يطالب بإقامة دولة يهودية³.

استغلت الصهيونية مؤتمرا تم عقده سنة 1907م من طرف ممثلين عن بريطانيا و فرنسا و بلجيكا و إسبانيا و البرتغال و إيطاليا في لندن، و تسلطوا على مسير جلساته لتصدر قرارته متفقة مع الأماني الصهيونية، و قد تمخض عن المؤتمر العديد من القرارات نذكر منها:

- أهمية السيطرة على البحر المتوسط شريان المواصلات بين الشرق و الغرب.
- استبعاد أي خطر على الاستعمار، و لمواجهة هذا الخطر يجب فصل الجزء الإفريقي عن الجزء الآسيوي، وذلك بإقامة حاجز بشري قوي و غريب في منطقة الجسر البري الذي يربط آسيا و إفريقيا على مقربة من قناة السويس⁴.

¹ - يوسف عاص الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي دراسات و بحوث حول التحيز المرجع السابق، ص25.

² - yousef courbage: **les juifs dans l'empire ottoman jusqu'à la déclaration balfour**, carep, paris, october 2018,p3.

³ - يوسف عاص الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي و العالم و علاقتها بمخطط إسرائيل، المرجع السابق، ص 128-129.

⁴ - جمال عبد الهادي، المرجع السابق، ص ص23، 24.

هذا و عمل اليهود على السيطرة على دواليب الحكم، و تغيير القيادات وفق ما يتناسب و أمانيتها، ليسهل عليها تنفيذ هدفها، فعندما اندلعت الحرب العالمية الأولى كان هيربرت سكويث (Herbert Asquith) رئيسا للوزراء في بريطانيا، و كان معاديا للصهيونية، فقرر الممولون الدوليون من اليهود إزاحة حكومته و إحلال حكومة ائتلافية مكانها، على أن يكون لويد جورج (David Lloyd George) و تشرشل (Winston Churchill) من بينها. و في 5 أبريل 1917م أعلنت الحكومة البريطانية عن إرسال وزير خارجيتها بلفور إلى الو.م.أ للاتصال بممثلي المصارف الأمريكية و إبلاغهم رسميا أن الحكومة البريطانية ستبنى رسميا مشاريعهم المتعلقة بالصهيونية مقابل تعهدهم بإدخال أمريكا إلى جانب الحلفاء في الحرب، و دخلت أمريكا الحرب¹.

أما إذا انتقلنا إلى روسيا سنجد أنه و بعد اغتيال القيصر ألكسندر الثاني سنة 1881م حدثت اضطرابات راح ضحيتها عدد كبير من اليهود، و من ثم انتشرت الدعوة إلى الحل القومي اليهودي أمام فشل مشروع الاندماج². و بالتالي حدث شبه إجماع و توافق أوروبي و أمريكي على ضرورة زرع اليهود في فلسطين.

لاقى هذا الحدث استحسانا كبيرا حتى لدى بعض الأطراف التي كانت تدعي حق تقرير المصير للشعوب، فالرئيس الأمريكي وودرو ولسن (Willson Woodrow) مثلا و الذي كان على اتصال وثيق بمجموعة نشطة من الصهاينة، و لأنه نشأ على التعاليم البروتستانتية الأمريكية التي كانت تؤمن بالأسطورة الصهيونية فقد كان تأييده نابعا من مشاعره الذاتية، و كان التفاف الزعامة الصهيونية من حوله مشجعا على سرعة اتخاذ القرار و موافقته على وعد بلفور³. و تشير بعض الدراسات إلى أن نص وعد بلفور قد عرض على الرئيس الأمريكي ولسن قبل إصداره و وافق عليه. و في 14 فبراير 1918م صدر بيان في باريس عن وزير خارجية فرنسا آنذاك (ستيفان) و ممثل الجمعيات الصهيونية (سوكولوف) عبّرا عن ارتياحهما عن التضامن بين الحكومتين الإنجليزية و الفرنسية في قضية إسكان

¹ - محمد فاروق الخالدي، المرجع السابق، ص ص227، 229.

² - كامل سفعان، المرجع السابق، ص151.

³ - كان من بين المبادئ التي جاء بها ولسن رفض الحصول على أراضي الغير بالقوة و إدانة الاتفاقات السرية و تأييد حق تقرير مصير الشعوب. نفسه، ص201.

اليهود في فلسطين¹.

أما الفاتيكاني فقد أبدى معارضة شديدة لوعده بلفور، ففي 15 ماي 1922 وجه مذكرة رسمية إلى عصبة الأمم انتقد فيها بشدة إقامة وطن قومي لليهود في فلسطين. و لم يتراجع الفاتيكاني عن معارضة تهويد فلسطين خلال الثلاثينيات من القرن العشرين و تقسيمها نظرا لما يمكن أن يخلفه على المجموعات المسيحية. كذلك أبدت بعض الصحف الأمريكية الكاثوليكية مثل "ساين" و "تابليت" رفضها لهذا المشروع، و ركزت على أن فلسطين ليست وطنيا قوميا لليهود. و ظل هذا الموقف من الثوابت الفاتيكانية حتى إلى ما بعد تصويت هيئة الأمم على قبول عضوية إسرائيل في المنظمة الدولية. غير أن الصهيونية المسيحية كانت أقدر على انتزاع موقف من الكونجرس يدعو فيه الإدارة الأمريكية لفتح أبواب فلسطين لليهود².

4/ قرار التقسيم و قيام الكيان الصهيوني إسرائيل.

يقول توينبي: « إن إسرائيل الصهيونية في فلسطين هي نسخة كربونية مشوهة للدولة الغربية الحديثة، و ما هي إلا حظ عاثر لكلى الطرفين لليهود و العالم، و حظ عاثر لدرجة أن تلك الدولة المتولدة من كثير من المثالية و الجريمة و الظلم قد قدّر لها أن ترى النور في اللحظة التي توصل فيها العالم أن قصة الدولة القومية تقترب من نهاية حياتها»³.

كانت الأحداث في فلسطين خاصة بعد إصدار وعد بلفور تثبت يوما بعد يوم أن العنصر اليهودي (صهيونيا كان أو غير صهيوني) يزداد تجذرا و تغلغلا، و صار من العسير وقف هذا المدّ البشري أمام تزايد معدلات الهجرة. و كانت مواقف العرب تزداد نقمة على هذا الوضع المتردي و على السياسية البريطانية التي تسببت في حدوثه.

أمام هذا الضغط و محاولة منها تخفيف حدة هذا الوضع وجهت الحكومة البريطانية دعوة لمندوبين عن العرب منهم الأمير (عبد الله) و(نوري سعيد) وزير خارجية العراق و (الأمير فيصل) و شخصيات مصرية، و كذا مندوبين عن الصهيونيين لحضور مؤتمر سان

¹ - جمال عبد الهادي، المرجع السابق، ص49.

² - يوسف العاص الطويل، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي و العالم دراسات و بحوث حول التحيز...، المرجع السابق، ص41.

³ - أرلوند توينبي، المصدر السابق، ص73.

جيمس¹ أوائل 1939م. و بعد أن رفض الطرفان المتنازعان الحلول الوسطية، أصدرت الكتاب الأبيض في مارس 1939م، و الذي كان من أبرز نقاطه عدم تقسيم فلسطين بين العرب و اليهود، و تحديد الهجرة اليهودية و قيام دولة فلسطينية بعد 10 سنوات².

خلال الحرب العالمية الثانية كانت الحكومة البريطانية تعارض التقسيم على اعتبار أنه سيثير عداة العرب، و لهذا آثرت تأجيل اتخاذ أي قرار إلى ما بعد انتهاء الحرب³.

بعد أن وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها، كانت القوة الأمريكية الصاعدة تدفع بقوة من أجل تحقيق الحلم الصهيوني، فلما اعتلى (هاري ترومان) الحكم الأمريكي عام 1945م أبدى تعليماته للوفد الأمريكي بالأمم المتحدة للتصويت إلى جانب التقسيم، و طلب من المسؤولين الأمريكيين أن يمارسوا الضغط على الحكومات الأخرى للتصويت إلى جانب التقسيم⁴.

و كان أن طالب قبلها ترومان رئيس الوزراء البريطاني في 31 أوت 1945م بالسماح لـ 100 ألف مشرد يهودي أوروبي بالهجرة إلى فلسطين. و قد تميز رد الفعل البريطاني إزاء العرض الأمريكي بالبرود خاصة أن أمريكا لم تقترح تقديم قوات عسكرية لمساندة اقتراحها، بل إن السخط البريطاني كان أعمق من ذلك، فممتلكات الولايات المتحدة في الشرق الأوسط كانت قد نمت في الوقت الذي ارتخت فيه قبضة بريطانيا على المنطقة. و كان رد بريطانيا هو اقتراح تشكيل لجنة إنجليزية أمريكية مشتركة للتحقيق في الوضع⁵.

أما عن سبب تدهور العلاقات البريطانية الصهيونية في هذه الفترة، فقد ذكرت (غولدا مائير)⁶: « في عام 1946م كان السبب الأساسي هو رفض الحكومة البريطانية المفاجئ

¹ - ترأس الوفد اليهودي (حاييم وايزمان)، و الوفد العربي من أتباع مفتي القدس و قادة أكثر اعتدالا من حزب الدفاع الوطني العربي من الناشطين، رفض العرب لقاء اليهود لأنهم لا يعترفون بالوكالة اليهودية و عليه أجبر البريطانيون على الاجتماع بشكل منفصل مع الوفدين، حيث اقترح البريطانيون كأساس للمفاوضات إقامة دولة عربية مستقلة مع قبول 75 ألف يهودي إضافي، و رفض الوفد اليهودي الاقتراح باعتباره منافيا لوعده بلفور كما رفضه الوفد العربي أيضا. ينظر الرابط:

<https://www.historycentral.com/Israel/1939StJamesConference.html>

² - أحمد عبد الرحيم مصطفى، بريطانيا و فلسطين 1939-1945، دراسة وثائقية، دار الشروق، الكويت، 1981، ص7.

³ - نفسه، ص11.

⁴ - كامل سفعان، المرجع السابق، ص204.

⁵ - أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص23.

⁶ - غولدا مائير (1898-1978): اسمها الحقيقي غولدا مابوفيتش، و لاحقا مايروسن، سياسية إسرائيلية ساعدت في تأسيس دولة إسرائيل، أصبحت وزيرة خارجيتها سنة 1956، و شغلت منصب رئيسة وزراءها الرابع (1969-1974)، و كانت هي أول امرأة

للطلب الذي تقدم به ترومان إلى بريطانيا بأن تسمح بدخول 100,000 يهودي أوروبي إلى فلسطين، بصرف النظر عن الكتاب الأبيض. و أضافت بريطانيا إلى رفضها، أنه إذا كانت حكومة الأمريكان مهتمة إلى هذا الحد فلتجد حلاً لمشكلة فلسطين. و على الفور تألفت لجنة التحقيق الأنجلو أمريكية، و زارت معسكرات اليهود في أوروبا¹. و مثلت غولدا أمام اللجنة كممثلة عن الهستدروت في مارس 1946م و شرحت لهم موقفها العاجز في فلسطين، و أصبح ثلاثة من أعضاء اللجنة من أقرب الأصدقاء إليها، و كان أن أصدرت اللجنة تقريرها بالسماح لـ 100,000 يهودي بالدخول². و هو ما زاد من تعقيد الأوضاع في فلسطين.

في حديثه عن قوة التأثير الصهيوني على صناع القرار الأمريكي بعد الحرب العالمية الثانية، قال السياسي العراقي (فاضل الجمالي)³ أنه تعاضم بعد تلك الحرب و ظهر بجلاء في مؤتمر الأمم المتحدة في سان فرانسيسكو سنة 1945م حيث كُتِبَ ميثاقها. و كان إذ ذاك عضواً في الوفد العراقي، فيذكر: « حاولت الوفود العربية وضع نص خاص في الميثاق يحمي فلسطين، لكنها لم تفلح بسبب عناد الوفد الأمريكي، إذ كان الوفد الصهيوني برئاسة (سول بلوم) يجلس خلف ممثل الوفد الأمريكي (الكوماندو ستاسن) في لجنة الوصاية التي كانت تعالج الموضوع. و قد اعترف ترومان في مذكراته بأنه رضخ للضغط الصهيوني حين حمل الجمعية العامة على اتخاذ قرار التقسيم⁴.

أما في بريطانيا فقد ظهرت بعض الأصوات السياسية المعتدلة لحل قضية فلسطين، حيث أدلى (أرنست بيفن)⁵ بتصريح 25 فيفري 1947 يعرض فيه حله الخاص بالاستقلال

=

تشغل هذا المنصب. للمزيد عن هذه الشخصية ينظر لأرشيف المرأة اليهودية (jewish women's archive) على الرابط:

<https://jwa.org/encyclopedia/article/meir-golda>

¹ - غولدا مائير، إعتراقات غولدا مائير، تر. عزيز عزمي، مؤسسة دار التعاون للنشر، د.س، ص 160.

² - نفسه، ص 160.

³ - محمد فاضل الجمالي (1903-1997): وزير و سياسي و مفكر عراقي، يعتبر من المؤسسين لهيئة الأمم المتحدة عام 1945، شغل منصب رئيس وزراء العراق خلال عامي 1953-1954، له عديد المؤلفات في مجال الوحدة العربية.

⁴ - محمد فاضل الجمالي، الصهيونية الأمريكية و المأساة الفلسطينية، الدار العربية للكتاب، ليبيا، 1984، ص 121-122.

⁵ - أرنست بيفن (1881-1951): وزير خارجية بريطانيا و من أعظم وزرائها في القرن 20، و فيما يتعلق بمشكلة الشرق الأوسط كان لا ييدي في أي مناسبة احتراماً لوعده بلفور، ومعارضاً لأهداف الصهيونية، كان على اقتناع أن اليهود قوم دعائيون ذو صداقات واسعة، و من ثم واجب على كل سياسي بريطاني محايد أن يأخذ كل أقوالهم بأقصى درجات الشك. للمزيد عن هذه الشخصية ينظر:

الذاتي، و أعلن فيه رفض التقسيم، حيث لمح إلى استحالتة من الناحيتين الاقتصادية و الأخلاقية. و أشار لليهود باعتبارهم ديناً لا أمة، وهاجم ترومان لإصراره على التقسيم و على إدخال 100 ألف يهودي إلى فلسطين في القريب العاجل. و بعد يأس بيفن من التوصل إلى حل مرضي أعلنت الحكومة البريطانية أنها ستحيل القضية إلى المنظمة الدولية، دون أن تهدف إلى التخلي على الانتداب، إلا أن تزايد الإرهاب الصهيوني هو الذي أرغمها في نهاية المطاف على الانسحاب الكلي من المنطقة¹.

و عن مسألة عرض قضية فلسطين على هيئة الأمم المتحدة فقد أعلن مفتي فلسطين (أمين الحسيني) الذي كان يرأس الهيئة العربية العليا و بقية أعضاء ها ترحيبهم بقرار الحكومة البريطانية هذا، و صرح في الوقت نفسه أن الهيئة العربية العليا غير ملزمة بأي قرار تصدره الأمم المتحدة ليس في صالح الفلسطينيين².

كما لاحظ أرنست بيفن أن الدولة اليهودية التي أوصت بها اللجنة أكبر بكثير من تلك التي اقترحتها لجنة بيل عام 1937، و أن أراضي الدولة العربية ستكون أقل خصوبة بكثير³.

أما القطب العالمي الثاني المتمثل في الاتحاد السوفياتي (الذي ربما كان ينظر إليه على أنه عنصر داعم لحركات التحرر و مطالب العرب ظاهرياً) فقد تبنى نفس الموقف الأمريكي، حيث ساند الروس قيام الدولة اليهودية لأنها كانت ستزعزع النفوذ الغربي في الشرق الأوسط. و قد كان مندوب الاتحاد السوفياتي في الأمم المتحدة (أندريه جروميكو) قد خاطب الجمعية العامة في 14 ماي 1947 بكلمات صدمت مستمعيه من الإنجليز و العرب، حيث قال: « إن فشل أوروبا الغربية في ضمان الحقوق الأساسية لليهود هو سبب رئيسي في سعيهم لإقامة دولتهم». و قد صوّت جروميكو و مندوبو الدول الاشتراكية على قرار التقسيم، على أن الاعتبار السياسية لا الإيديولوجية هي التي جعلت الاتحاد السوفياتي

=

أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 19. ينظر أيضاً للرباط:

<https://www.britannica.com/biography/Ernest-Bevin>

¹ - أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 19، ص 52، 56.

² - عصام الغريب، الحاج أمين الحسيني و دوره في الحركة الوطنية الفلسطينية (1897-1974)، بيروت، 2014، ص 229.

³ - أحمد عبدا الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 59.

يقف هذا الموقف، إذ طالما ندّد المنّظرون الشيوعيون بالصهيونية و القومية اليهودية و اعتبارها حركة عنصرية و بورجوازية¹.

ذهب الاتحاد السوفياتي بعيدا في ذلك، فخلال المراحل الأولى للنزاع على فلسطين منح إسرائيل مساعدات كبيرة. حيث زودتها تشيكوسلوفاكيا عام 1948م ب 100 طائرة مقاتلة، و كانت الدول الأعضاء في الهيئة الأممية قد تعهدت بأن لا تمد أيا من الأطراف المتصارعة بأية مادة حربية، لكن الروس راحوا يصبون الأسلحة في خزانة الحرب الإسرائيلية².

لخص (غلوب باشا)³ الأسباب التي جعلت بريطانيا تجابه طلبا جماعيا بالجلء عن فلسطين حيث اتفقت أمريكا و الاتحاد السوفياتي على رأي واحد في أن الو.م.أ فعلت ذلك لأن هاري ترومان كان يتلطف إلى أن يضمن الدعم الصهيوني لإعادة انتخابه، في حين فعل الروس ذلك لأن الشرق الأوسط كان منذ زمن بعيد منطقة نفوذ غربية، و لا شك أن السوفيات كانوا يرون أن الجلاء البريطاني سوف يؤدي إلى الفوضى و الحرب الأهلية التي قد يحصد الروس منها بعض المنافع⁴.

أما موقف الوكالة اليهودية⁵، فيشير غلوب باشا إلى أنها قبلت بمشروع التقسيم لكي تحقق بذلك إنهاء الانتداب و جلاء بريطانيا عن فلسطين، و ما إن غادر البريطانيون فلسطين حتى أعدت الخطة للاستيلاء على فلسطين كلها⁶.

1 - أحمد عبدا الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 60.

2 - غلوب باشا، *حياتي في المشرق العربي*، تر. جورج حتر وفؤاد فياض، دار الأهلية، الأردن، د.س، ص 245.

3 - غلوب باشا (1897-1986): يعتبر واحدا من أعظم الشخصيات العسكرية و السياسية في بريطانيا، كان شاهدا و قائدا لأحداث كبيرة مرت بها الأمة العربية خلال الحرب العالمية الثانية و ما بعدها. و تولى قيادة الفليق العربي، و كتب مذكراته عن حرب 1948 فور طرده من الخدمة من طرف الملك حسين 1956. ينظر: ايوجين روجان: *الأردن و حرب 1948*، "حرب فلسطين إعادة كتابة التاريخ"، تر. ناصر عفيفي، الكتاب الذهبي مؤسسة روز اليوسف، القاهرة، 2001، ص 113.

4 - غلوب باشا، *حياتي في المشرق*، المصدر السابق، ص 218.

5 - الوكالة اليهودية: اعترفت بها عصابة الأمم كمنظمة تمثل الشعب اليهودي و تقوم بالتعاون مع إنجلترا بتممية الوطن القومي اليهودي في فلسطين. أنشئت رسميا عام 1929، أخذت على عاتقها جميع المشاكل المتعلقة بالتهجير و الاستعمار اليهودي لفلسطين، كان أعضاؤها النواة الأولى لأول حكومة إسرائيلية مؤقتة. في سنة 1952 تم الاتفاق بينها و بين الحكومة الإسرائيلية على تقسيم المهام و تناول نشاطها تهجير اليهود إلى فلسطين. ينظر: رياض القنطار، *التغلغل الإسرائيلي في إفريقيا و طرق مجابهته*، منظمة التحرير الفلسطينية-مركز الأبحاث، بيروت، 1968، ص 58.

6 - غلوب باشا، *حياتي في المشرق*، المصدر السابق، ص 219.

بالنسبة للعرب فقد قرروا الاجتماع في بلودان(سوريا)، حيث اشترك فيه حوالي 500عضو من البلاد العربية و قرروا بالإجماع مقاطعة مشروع تقسيم فلسطين و إلغاء الانتداب و وقف الهجرة، و إصدار تشريع يمنع انتقال أراضي العرب لليهود¹.

على الرغم من أن الأطراف العربية أبدت رفضا تاما لمشروع التقسيم، إلا أن بعض الدراسات أكدت أن هذا الرفض كان رفضا ظاهريا فقط، حيث كان هناك تواطؤ عربي على حساب حقوق الفلسطينيين. فعلى سبيل المثال لا الحصر كان (صدقي إسماعيل) رئيس الوزراء المصري في تلك الفترة من أنصار التقسيم و توقعت الدوائر البريطانية احتمال إمكانية أن ينضم إلى صفه العدد الكافي من أعضاء الجامعة العربية لمساندته في التوصل إلى حل وسط على أساس التقسيم، و لو أن ذلك كان كفيلا بتصاعد الاتهامات بالخيانة من جانب المتطرفين، و رجال المعارضة، و لكن صدقي لم يكن يتمتع بما يكفي من النفوذ المباشر لدى الدول العربية بحيث يمكنه من إقناعهم².

لم يكن هذا القبول الوحيد فخلال إحدى المفاوضات البريطانية الأردنية لتعديل معاهدة 1946(حول استقلال المملكة الأردنية)، و كان رئيس الوزراء (توفيق أبو الهدى) حاضرا في أحد اللقاءات. في محضر المقابلة التي جرت بين الوفدين كانت هناك إشارة إلى أن اجتماعا جرى بين رئيس الوزراء الأردني و وزير الخارجية البريطانية و غلوب باشا الذي اشترك في الجلسة بصفته مترجما يقول: « و قدمنا نحن في شرق الأردن حلنا فقد أيدنا التقسيم و لكن رأينا ضرورة الإبقاء على حاميات بريطانية في القدس و حيفا و لو نفّذت هذه الخطة لأمكن تفادي القتال... و كان من الممكن ضم أجزاء فلسطين المخصصة للعرب إلى البلدان العربية المجاورة فتعطي الجليل للبنان و يهودا و السامرة (الضفة الغربية) لشرق الأردن و غزة و بئر السبع لمصر»³. و قد وصف غلوب باشا قبول الأردن قرار التقسيم بالسذاجة، لأن اليهود لن يرضوا فقط بذلك التقسيم بل سيستولون على فلسطين كلها، حيث ذكر: « لقد كانت الحكومة الأردنية جد ساذجة في تفكيرها و قبلت بالقيمة الظاهرية لموافقة

¹ - صلاح محمد نصر، كمال الدين الحناوي، المرجع السابق، ص272.

² - أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص78.

³ - نفسه، ص93.

اليهود على مشروع التقسيم»¹.

ظفرت الحركة الصهيونية بنسبة معتبرة من القبول بمشروعها الاستيطاني، و لاقت الرفض و المواجهة من بعض الأطراف العربية التي ستدخل في مواجهة ضد الإسرائيليين، في محاولة منها لاسترجاع الأراضي الفلسطينية.

5/ اندلاع الحرب العربية الإسرائيلية الأولى و نتائجها.

كان الوضع داخل فلسطين على أشده بعد أن أصدرت ه. أ. م قرارها بتقسيمها بين العرب و اليهود و نهاية الانتداب البريطاني. و أنذر بأن المواجهة العسكرية بين الطرفين ستكون أمراً واقعاً، و بقيت مسألة هل تدخل الجيوش العربية الحرب إلى جانب الفلسطينيين؟ أم أنها ستكتفي بتقديم المساعدات العسكرية فقط؟ و هل هي مستعدة بالشكل الكافي لخوض هذه المواجهة؟ و قد أردنا التطرق لهذه المسألة لكون بورقية سيطرح في موقفه تجاه القضية الفلسطينية مسألة استعداد الجيوش و أهميتها في ترجيح الكفة لصالح العرب.

كانت دول الطوق معنية بهذا التدخل بدرجة أولى لكونها قريبة من دائرة الصراع، و تتقاسم حدوداً برية مع فلسطين. بالنسبة للطرف المصري، فحسب رئيس الوزراء المصري سابقاً (محمود فهمي النقراشي) كانت الفكرة السائدة هي عدم دخول مصر في حرب نظامية ضد الكيان الصهيوني، و لكن استحسنوا مساعدة المتطوعين الفلسطينيين فيقول: « لقد ذهبت إلى مجلس الأمن و طالبت الإنجليز بأن يخرجوا من بلادنا، و قلت للعالم إن الجيش المصري قادر على ملء الفراغ في قناة السويس، و أنا لا أريد أن أعرض هذا الجيش الذي هو كل حجلي في القضية المصرية إلى تجربة خطيرة، غير أن (الملك فاروق) وافق على إدخال الجيش لفلسطين»².

لكن بعدها غير النقراشي موقفه اتفاقاً مع الملك و أدلى ببيانات غير دقيقة عن حالة الجيش المصري أدت بالمجلس النيابي المصري إلى الموافقة على دخول الجيش في حرب لم يكن مستعداً لها³.

¹ - غلوب باشا، حياتي في المشرق العربي، المصدر السابق، ص 219.

² - عبد الرزاق يوسف عبد الله سيد، محمود فهمي النقراشي و دوره في السياسة المصرية و حل جماعة الإخوان المسلمين (1888-1948)، مكتبة مديولي، القاهرة، 1995، ص 580.

³ - نفسه، ص 580.

يضيف الباحث سيد عبد الرزاق أنه من بين العوامل التي دفعت الملك فاروق للزج بالجيش المصري في حرب فلسطين، التنافس على زعامة العالم العربي و الاسلامي، و كان يشعر بحرج مركزه لاعتماده على أحزاب الأقلية، و كذلك رأى أن دخول مصر الحرب سيكون له شخصية على افتراض أن الجيش المصري سيحقق انتصارات¹.

كذلك لم يكن في مصلحة المسؤولين المصريين و هم يواجهون الإنجليز و الصعوبات الداخلية في المجالين الاجتماعي و السياسي أن يزجوا بالجيش في المعركة، خاصة و أنهم كانوا يدركون أن اليهود أكثر تنظيماً و تسليحاً، و رغم ذلك لم تكن الدوائر المصرية توافق على قيام القوات الأردنية وحدها باحتلال القسم العربي من فلسطين². بحيث أن تدخل الملك عبد الله في فلسطين مرتبط بخطته بضم القسم العربي من فلسطين، دون الاكتراث بمواقف الدول العربية الأخرى. فكان أن تحركت مخاوف الملك فاروق من احتمال سيطرة عبد الله على فلسطين لتحقيق مشروع سوريا الكبرى التي كان يطمح إليها، فقرر الاشتراك في الحرب، كما أن هذه المغامرة من شأنها أن تحول أنظار الرأي العام المصري عن المشاكل الداخلية³.

بالنسبة للطرف الأردني فتذكر بعض الدراسات أن الملك (عبد الله) لم يكن متحمساً لخوض غمار الحرب و كان أميل إلى اصطناع الدبلوماسية لحل الموقف لصالح مشروع سوريا الكبرى. إلا أن خصومه في مصر و فلسطين لم يكونوا على استعداد للسماح له بحل المشكلة سلمياً، مما دفعه إلى مقابلة غولدا مائير في ماي 1948م في محاولة أخيرة للتوصل إلى ميثاق عدم اعتداء بينه و بين اليهود، و قدّم اقتراحاً يقضي بعدم تقسيم فلسطين و حصول اليهود على استقلال ذاتي في قسم من البلاد، و قد رفضت مائير هذا العرض⁴.

في ذات السياق أكدت غولدا مائير ذلك قائلة: « قبل ستة أشهر من تأسيس الدولة، تقابلت مع الملك عبد الله، فهو لن ينضم إلى أي هجوم عربي ضدنا و سيبقى صديقاً لنا، و هو يريد السلام مثلاً. ثم إن عدونا واحد و هو المفتي أمين الحسيني، لكن فيما بعد جاءتنا

¹ - عبد الرزاق يوسف عبد الله سيد ، المرجع السابق، ص 583.

² - أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 141.

³ - نفسه، ص 143.

⁴ - نفسه ، ص 137.

معلومات بحيث لم يعد هناك شك في الأسبوع الأول من ماي، أن الملك سيلقي بثقله في الجامعة، حاولنا أن نتعرف على عمق التزامه هو وقواته. و في العاشر من ماي التقيت به بعد صعوبة كبيرة، و سألته، هل قطعت وعدك لي؟ فأجاب: عندما قطعت ذلك الوعد كنت أعتقد أنني أتحكم في مصيري، لكن الآن أنا واحد من خمسة (و فهمت أن الأربعة مصر سوريا، لبنان، العراق)¹. و عزت غولدا دخوله لفلسطين كونه يريد البلاد كلها بما فيها القدس، أما السوريون و اللبنانيون ييغون تقسيم الجليل، و العراق يريد منفذا على البحر المتوسط².

لذلك الاعتبارات و غيرها دخلت الأردن الحرب ضد إسرائيل، فتم تعيين الملك عبد الله قائدا فخريا دون أن يكون ثمة قائد فعلي، فقد اعترض العراق على تعيين قائد عام مصري، و مصر رفضت قائدا عاما عراقيا. و قد أشار السفير البريطاني في القاهرة، إلى أن الاستعدادات العسكرية التي كانت ستقوم بها الدول العربية تستهدف إنقاذ الزعماء العرب من جماهيرهم، التي ذهب إلى احتمال قيامها بقتلهم إذا لم يقوموا بإجراء ما، كما أن دخول المتطوعين العرب إلى فلسطين يعتبر إجراء دفاعيا³.

أكد المؤرخ اليهودي آفي شلايم في دراساته التي تناولت حرب 1948 م أن عبد الله لم يكن الوحيد الساعي إلى أجندة عائلية، بل إن جميع المشاركين العرب في الحرب كانوا مدفوعين بمصالح وطنية ضيقة، بينما تظاهروا بالعمل من أجل قضية مشتركة، أما الفرق فتمثل في أن عبد الله كان الوحيد بين الزعماء العرب الذي ملك تقديرا واقعا عن ميزان القوى في عام 1948م. و أشار شلايم إلى أن النزاع العربي الداخلي هي القصة التي لا تروى عن الحرب من أجل فلسطين. و أن الطرفين اللذين برزا كرابيين في حرب فلسطين هما الأردن و إسرائيل، فقد نجح الأردن في الدفاع عن الضفة الغربية و القدس الشرقية و ضمهما إليه، و إسرائيل ظفرت بتوسيع رقعتها أكثر مما قررتة هيئة الأمم. و انفرد عبد الله في تلقى حملات القدح لأنه قبل قرار التقسيم، و لأنه كان يريد المساومة على الحقوق الفلسطينية⁴.

¹ - غولدا مائير، المصدر السابق، ص ص 178-179.

² - نفسه، ص 191.

³ - أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص ص 139-140.

⁴ - آفي شلايم، أسد الأردن، حياة الملك الحسين في الحرب و السلام، تر. سليمان عوض العباس، مركز الكتب الأردني، الأردن، 2011، ص 55.

بالنسبة للتدخل العراقي و الذي كان قريبا من دائرة الصراع، فإن جيشه لم يفعل أكثر من احتلال مواقع دفاعية في تلال الضفة الغربية، فقبل الحرب حاولت الإدارات العراقية المتعاقبة عدم المخاطرة إلا في أضيق الحدود، و السعي إلى الحد من قدرة قضية فلسطين على إحراج الحكومة، مع التأكيد على عدم المجازفة بالمصالح العراقية¹.

أما سوريا فكان الخطر الحقيقي الذي كانت تشكله هذه الحرب بالنسبة لها، هو ما يمكن أن تؤدي إليه من تحول الهاشميين إلى قوة مهيمنة في المنطقة، فلم تكن حربا من أجل تدمير الدولة اليهودية، حيث قاتل الرئيس (شكري القوتلي) لحماية استقلال بلده التي كانت آنذاك حديثة الإستقلال. و كان يرى أن أعظم الأخطار التي تواجهها سوريا هو الملك عبد الله و ليس اليهود، إذ رأى أن هذه الحرب فرصة ثمينة لعبد الله لإسقاط النظام الجمهوري في سوريا.² كما أن الجيش السوري لعب دورا محدودا، لأن القوتلي أراد الحيلولة دون اشتباك مع القوات الصهيونية يؤدي لتدمير الدفاعات السورية³.

ذكر غلوب باشا أسباب غياب حماس القتالي لدى الدول العربية ضد اليهود في تلك الحرب في قوله أن الدول العربية مصر و سوريا و العراق لم تكن جادة في الموضوع، حيث كانت كل الحكومات العربية خاضعة في ذلك الوقت خضوعا شنيعا للاستعمارين الإنجليزي و الفرنسي، و تجهل كل الوسائل التي كانت الصهيونية العالمية تستخدمها لاحتلال فلسطين، و لهذا حين أعلنت الجامعة العربية عن إرسال جيوشها إلى فلسطين لم تكن تلك الجيوش كبيرة و لا منظمة. و غير مزودة بالأسلحة، و غير متحمسة لقتال اليهود⁴.

كان التحالف العربي الذي كان يواجه إسرائيل في 1947-1949 م حسب آفي شلايم أبعد ما يكون عن التماسك، فلم يكن هناك اتفاق على أهداف الحرب، و كان القادة

¹ - تشارلز تويب: **العراق و حرب 1948، انعكاس الاضطراب العراقي، "حرب فلسطين إعادة كتابة تاريخ 1948"**، تر. ناصر عفيفي، الكتاب الذهبي مؤسسة روز اليوسف، القاهرة، 2001، ص ص 133، 138.

² - وهناك نائب واحد اعترض على الذهاب إلى الحرب في فلسطين، كانت قناعته أن سوريا غير مستعدة لإنقاذ فلسطين حيث قال: "لقد أردت بالفعل إنقاذ فلسطين ليس بالكلمات و لا بالشعارات و لا بالخطب، و هذه القناعة لدي كانت قائمة على دراسة دقيقة للحقائق التي جمعتها من الأخوة المتطوعين في جيش الإنقاذ و ضباط في الجيش. يشوع لاندوز: **سوريا و حرب فلسطين، القتال ضد مخطط سوريا الكبرى لصاحبه الملك عبد الله**، "كتاب حرب فلسطين إعادة كتابة التاريخ 1948"، تر. ناصر عفيفي، الكتاب الذهبي مؤسسة روز يوسف، القاهرة، 2001، ص ص 183-184، 198.

³ - نفسه، ص 204.

⁴ - غلوب باشا، **حياتي في المشرق العربي**، المصدر السابق، ص 217.

الصهاينة على علم تام بالانقسامات العربية و استغلوها أحسن استغلال¹. كما أن ج. د.ع كانت منقسمة على نفسها إلى جبهتين الجبهة الهاشمية المكونة من الأردن و العراق، و المضادة مصر و السعودية. و لعبت المنافسات الحادة بين الحكام العرب دورا كبيرا في تشكيل السياسات العربية تجاه قضية فلسطين، إضافة إلى أن الجامعة لم تكن راغبة في السماح للفلسطينيين بتقرير مصيرهم بأنفسهم، فكان المفتي بالنسبة لـ (عبد الرحمان عزام) مناحم بيغن) العربي. و في اجتماعات الجامعة أعلن المفتي اعتراضه على تدخل الجيوش العربية النظامية في فلسطين، و أن كل ما يريده هو المساندة المالية و السلاح. و كان ما حصل عليه أقل من القليل إذ لم تكن موارد الجامعة موضوعة تحت تصرف الفلسطينيين².

تم الإعلان عن قيام الكيان الصهيوني إسرائيل في 15 ماي 1948م، و تحت ضغط الحسابات العربية بتوافقاتها و تناقضاتها اندلعت الحرب العربية الإسرائيلية الأولى، و انتهت بفوز إسرائيل و توقيع اتفاقيات الهدنة مع الدول العربية المشاركة.

تعزو بعض الدراسات هذه الهزيمة إلى جملة من الأسباب أهمها التفوق العسكري الإسرائيلي. فحسب بعض الإحصائيات كانت القوات المسلحة لليهود حوالي 600 ألف نسمة، يفوق عددها القوات المسلحة للأغلبية العربية على نحو يزيد عن الضعف³. و تصف بعض الكتابات هذا التفوق بقولها أن فلسطين سقطت جريحة تحت عجلات القدرات العسكرية المتفوقة لإسرائيل⁴.

إضافة إلى أنه أثناء المعركة انفجرت قضية الأسلحة الفاسدة التي استخدمها الجيش المصري أثناء حربه مع إسرائيل، و أن قيادات الجيش ذهبوا لأوروبا للتعاقد على أسلحة قديمة عفى عليها الزمن، لم تعد صالحة للاستعمال و ذلك طمعا في الحصول على ما تبقى

¹ - آفي شلايم، إسرائيل و التحالف العربي، المرجع السابق، ص 84.

² - نفسه، ص 86-87.

³ - حسب آفي شلايم أن المعدات العسكرية الإسرائيلية كانت متدنية بالفعل على الأقل حتى وصول إمدادات السلاح غير الشرعية التي أدت إلى ترجيح كفة الميزان العسكري لصالح إسرائيل. وفي منتصف ماي 1948 كان العدد الكلي للقوات العربية أقل من 25 ألف فرد، أما إسرائيل تزيد عن 35 ألف فرد، و بحلول ديسمبر وصل 96441 فرد. ينظر: آفي شلايم، إسرائيل و التحالف العربي 1948، المرجع السابق، ص 84-85.

⁴ - رشيد خالدي، الفلسطينيون و حرب 1948 الأسباب الكامنة وراء الهزيمة، "حرب فلسطين إعادة كتابة تاريخ 1948"، تر. ناصر عفيفي، الكتاب الذهبي مؤسسة روز اليوسف، القاهرة، 2001، ص 19.

من أموال¹.

في مقابل ذلك استغلت إسرائيل الخلافات الداخلية و عملت على تحييد جيش التحرير العربي، حيث كان (فوزي القاوقجي)² حلقة ضعيفة في الدول المعادية لإسرائيل، و كان توجهه السياسي مضادا للحسيني، فأدرك (بالمون يوشع جوشوا) أحد ضباط الهاجاناه مدى البغضاء التي يكنها القاوقجي للمفتي. و اكتشف وثائق ألمانية قام بتسريبها إلى القاوقجي، أكدت أن المفتي كان المحرض في القبض عليه من قبل السلطات الألمانية، و أدرك بالمون أن القاوقجي غير ماض في قتال اليهود، فالتقى بالمون القاوقجي في مركز قيادة الأخير بقرية نور شمس أول أبريل 1948م (أي قبل اندلاع الحرب)، فتقرر أنه يجب على الهاجاناه و جيش التحرير العربي الإحجام عن الهجوم عن بعضهما البعض، و أن يخططا للتفاوض بعد رحيل بريطانيا. أعرب القاوقجي عن موافقته لكنه أعلن على نحو سريع أنه بحاجة إلى إحراز أي انتصار عسكري من أجل تقديم أوراق اعتماده³. و من الإجراءات التي بادر بها عبد الله حل جيش الإنقاذ (جيش التحرير العربي) و العمل على مبارحته فلسطين، و انصاع فوزي القاوقجي لأوامره⁴.

و فعلا تم تحييد جيش التحرير، ففي معركة القسطل التي تعتبر نقطة إستراتيجية على طريق القدس قام (عبد القادر الحسيني)⁵ بالاتصال تليفونيا بالقاوقجي من أجل مدد عاجل بالسلح أمام الهجوم اليهودي، و بفضل الجامعة كان لدى القاوقجي كميات ضخمة من السلح، لكنه طبقا لمركز تنصت الهاجاناه الذي يراقب المكالمة أجاب أنه لا يملك شيئا،

¹ - هشام خضر، الملك فاروق آخر ملوك مصر (1936-1952)، ط1، دار طيبة، مصر، 2008، ص190.

² - ما يمكن الإشارة إليه هنا أن الحسيني رفض تولي فوزي القاوقجي قيادة جيش الإنقاذ من المتطوعين، لكن حاول بعض السياسيين العرب الرسميين التدخل لإقناع الحسيني بقيادة القاوقجي، و ظل معارضا حتى صدر قرار الجامعة بإبلاغ القاوقجي تسلم القيادة في نوفمبر 1947. ينظر: عصام الغريب: المرجع السابق، ص235.

³ - آفي شلايم، إسرائيل و التحاف العربي، المرجع السابق، ص89-90.

⁴ - أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص144.

⁵ - طالبت اللجنة العسكرية التابعة لجامعة الدول العربية عبد القادر الحسيني بعدم افتعال تصرفات فردية لأن الجامعة أوكلت قضية فلسطين إلى لجنة عربية عسكرية عليا و طالبتة بعدم الذهاب لقسطل، فقال: إني ذاهب لقسطل و لو أدى ذلك إلى موتي و الموت أحب إلي من المعاملة التي تعاملنا بها الجامعة (...)، و إنني سأموت بها قبل أن أرى نتائج تقصيركم و تواطؤكم و لو ترددتم عن العمل فإنكم ستحتاجون بعد 15ماي إلى أضعاف ما اطلبه الآن، و أرسل برقية إلى عزام باشا في 1948/4/6 تحمله مسؤولية ضياع فلسطين. ينظر: عبد الله محمد أبو علم، قالوا من فمك أديناك يا إسرائيل، ج1، دار الفلاح، الأردن، 2014، ص17-18.

و قُتِل عبد القادر الحسيني في معركة القسطل يوم 9 أفريل 1948 م¹.

ذكر أبو إياد² عن الجيوش العربية التي تدخلت في فلسطين، أنها لم تكن قادرة حتى على أن تطبق مشروع التقسيم. فاعهّل الأردن عبد الله الذي كان يطمح إلى الضفة، سارع إلى ضم أراضي الضفة دون قيد أو شرط، في حين أن الملك فاروق وضع منطقة غزة تحت الإدارة المصرية³.

كما جاء في أحد التقارير الخاصة التي تناولت الأوضاع في الشرق الأوسط في بدايات ديسمبر 1948 (فترة الهدنة ما بعد الحرب): «في رسالة حملها وفد عراقي من بينهم نوري سعيد إلى عمان، التقوا بالملك عبد الله و أخبروه أن الحكومة العراقية تعترف بالوضع الراهن و لا يمكنها الإعلان عنه، و رد عبد الله على الوفد غاضبا: مصر مهزومة، و أجزاء من لبنان احتلها اليهود، و سوريا ليس لها جيش، في غضون ذلك تتشغل الجامعة العربية و أعضاؤها بإلقاء الخطب و إقامة الحفلات، و المطالبة بأن تجبر الأمم المتحدة اليهود على الالتزام ببنود الهدنة لا أكثر و لا أقل. كما أن ج. د.ع ناقشت المشكلة الفلسطينية عام 1947 م من وجهة نظر عسكرية و سياسية، و توصل المندوبون إلى نتيجة مفادها أنهم غير قادرين على شن حرب منظمة ضد اليهود، لكن خوفا من غضب الجماهير العربية ادعى السياسيون أنه بمجرد عودتهم لبلادهم سوف يرمون اليهود في البحر»⁴. و هو ما يعني أن التدخل العربي في فلسطين كان ارتجاليا لم يأخذ بعين الاعتبار تفاوت موازين القوى، و سبب تدخلهم المباشر هو تخوفهم من رد فعل الجماهير العربية.

حسب شهادة القائد العسكري الأردني «عبد الله التل»⁵ أن اليهود استغلوا أيام الهدنة

¹ - آفي شلايم، إسرائيل و التحالف العربي، المرجع السابق، ص ص 89-90-91.

² - صلاح خلف (1933-1991): سياسي و قائد فلسطيني، كان عضوا في اللجنة المركزية لحركة فتح، أصبح رئيسا لمخابرات منظمة التحرير الفلسطينية منذ عام 1970. للمزيد عن حياة هذه الشخصية ينظر لكتاب: صلاح خلف أبو إياد، فلسطيني بلا هوية ، دار فايول، د. س.

³ - نفسه، ص 65.

⁴ - W.C.D.A, a special report, box11, file 9, 1/12/1948, p2

⁵ - عبد الله التل (1918-1973): قائد عسكري أردني و مفكر قومي إسلامي، أحد قادة الجبهة الأردنية في حرب فلسطين 1948 م ، من مؤلفاته كتاب "كارثة فلسطين" عام 1959، حيث اتهم فيه القيادات بصنع الهزيمة في حرب فلسطين. ينظر لموسوعة عريق الرقمية على الرابط:

https://areq.net/m/%D8%B9%D8%A8%D8%AF_%D8%A7%D9%84%D9%84%D9%87_%D8%A7%D9%84%D8%AA%D9%84.html

أحسن استغلال و العرب نيام، و لم ينفذ اليهود شروط الهدنة في أي جبهة من جبهات فلسطين و لم يكثرثوا إلى الرقباء الأجانب، بل شرعوا يستولون على الذخائر و ينقلون المهاجرين و يحفرون الطرق و الخنادق. و لتقوية مراكزهم الدفاعية بنوا الأبراج بالإسمنت المسلح، و حفروا الممرات التي تربط مواقعهم بعضها ببعض، و نصبوا الأسلاك الشائكة، و تمت أغلب استعدادات اليهود على مرأى و مسمع رجال الوسيط الدولي (الكونت برنادوت). في مقابل ذلك كانت الأعمال السلبية التي قام بها العرب جمع الأسلحة و شراؤها من أهل فلسطين، و غايتهم تجريد السكان من السلاح، و حسب عبد الله التل أنه في فترة الهدنة لم يتم استيراد خرطوشة واحدة للجيش¹.

حاول الفلسطينيون تشكيل حكومة سياسية فلسطينية تتولى زمام الأمور، فكان أن تشكلت حكومة عموم فلسطين²، و أدى هذا إلى إحياء جيش المقدس التابع للمفتي الأمر الذي هدد السيطرة الأردنية على فلسطين العربية فقررت حكومة الأردن استئصال شأفة هذا الجيش الذي يهدد سلطانها. فأصدر وزير الدفاع الأردني قراراً بأن كل المنظمات المسلحة التي تعمل في المناطق الخاضعة للفيلق العربي أن تأتمر لأوامره و إلا وجب حلها، و قد أرسل ضباطاً بريطانيين لمحاصرة و تسريح جيش الجهاد المقدس و أدى هذا إلى تحييد القوة العسكرية الفلسطينية³. وفي 7 جانفي 1949 م صدر قرار هيئة الأمم بوقف إطلاق النار واضعاً النهاية الرسمية للحرب العربية الإسرائيلية الأولى⁴.

كانت النتيجة أن أصبحت 77% من مساحة الأرض واقعة تحت الهيمنة الإسرائيلية⁵. و أدت الحرب إلى تشريد الآلاف من الفلسطينيين، و شكل هذا الخروج بداية لمأساة جديدة لهم في بعض الدول العربية، فقد روى أبو إياد في هذا الشأن أنه في نوفمبر 1952م أثار النزاع مع الجامعة العربية بعدما قررت إلغاء المساعدات التي كانت تدفعها للطلاب

1 - عبد الله التل، كارثة فلسطين، ط1، دار الهدى، مصر، 1959، ص225-235

2 - حسب أبو إياد أن هذه حكومة التي تشكلت في غزة برئاسة (أحمد حلمي باشا) فماتت يوم ولادتها بعد أن امتنعت العواصم العربية عن المخاطرة بدعمها، و كانت كل الثورات التي تولد في فلسطين تجهض في العواصم العربية. ينظر: صلاح خلف أبو إياد، المصدر السابق، ص65.

3 - آفي شلايم، التحالف العربي...، المرجع السابق، ص108.

4 - -- آفي شلايم، التحالف العربي...، المرجع السابق ص109.

5 - رشيد خالدي، المرجع السابق، ص21

الفلسطينيين، فقاموا بإضراب عام و آخرون احتلوا مقر الجامعة، و من ثم دعوا قوات الأمن التي لجأت في طردهم لاستخدام العنف. أما السلطات المصرية، فيذكر صلاح خلف أبو إياد: « كانت الشراسة التي تحملها السلطات لي تظهر أحيانا في صغائر الأمور، ففي جوبلية 1954 كنت عضوا في الوفد الذي يرأسه عرفات، و الذي كان ينبغي أن يسافر إلى فرصوفيا لحضور مهرجان للاتحاد الدولي للطلاب إلا أنني أوقفت قبيل مغادرة الوفد بساعات، و كانوا يرون أنني خطر جدا و لم يطلق سراحي إلا بعد 37 يوما»¹.

كما ذكر أبو إياد أيضا أنه حين غادر الفلسطينيون فلسطين عام 1948م ظنوا أنهم سيلقون في البلاد العربية عطف الأشقاء، و كم كان ذهولهم عظيما حين لاحظوا أنهم يعاملون كأجانب أو أشخاصا غير مرغوب فيهم². و أكد أن النظام العربي الوحيد الذي يؤيدهم عام 1964 هو نظام (بن بلة)، الذي رخص لهم بإقامة ممثلية في الجزائر، غير أن بن بلة حسب ما ذكره أبو إياد كان وثيق الصلة بعبد الناصر، فكان يرفض إعطاءهم أية معونة مادية، و إنما تسلموا أول شحنة من السلاح من الجزائر عام 1965 بعد أن تسلم هواري بومدين مقاليد السلطة»³.

هكذا كانت بعض أوضاع الفلسطينيين عقب حرب 1948، و لم تتوقف القضية عند هذه الحرب بل كان لها تطورات هددت مسار القضية و حق تقرير مصير الشعب الفلسطيني.

استنتاج جزئي:

- اشتغل بورقية في سلك المحاماة، ثم التحق بالنضال الوطني التونسي من خلال انخراطه في الحزب الدستوري، و قد امتاز نشاطه بانتهاج البراغماتية و المرحلية كأسلوب لمواجهة السياسة الإستعمارية.
- انضم إلى التنظيمات المغاربية الوحودية عهد الإستعمار غير أنه لم يلتزم بسياساتها و مبادئها المشتركة التزاما مطلقا.
- لم يبد بورقية اهتماما كبيرا بمشاريع الوحدة العربية خاصة و أنه رأى في هذه

¹ - صلاح خلف أبو إياد، المصدر السابق، ص 47.

² - نفسه، ص 73.

³ - نفسه، ص 79.

- المشاريع ما يمكن أن يهدد مصالح دولته و شعبه.
- استطاعت الحركة الصهيونية أن تفتك وعدا بمنح اليهود وطنا قوميا في فلسطين، و حصلت على شبه إجماع أوروبي و كذا أمريكي حول تنفيذ هذا المشروع.
 - مع نهاية الانتداب البريطاني على فلسطين دخلت الجيوش العربية لإنقاذها من قبضة الصهاينة و لأسباب أخرى غير معلنة، غير أنهم خسروا تلك الحرب و خسر الفلسطينيون أجزاء هامة من أراضيهم.

الفصل الثاني :

بورقية و القضية الفلسطينية في إطار الحزب الدستوري
الجديد (1946 -

1956)

أولاً: قضية فلسطين في اهتمامات الحبيب بورقية (بدايات
الارتباط).

ثانياً: بورقية و مسألة التطوع للجهاد في فلسطين
سنة 1948.

ثالثاً: موقف بورقية من الدعم المالي (التبرعات) التونسي
لفلسطين.

رابعاً: بورقية و النشاط الصهيوني مرحلة النضال الوطني)
الدعاية الصهيونية، الأقلية اليهودية، اللقاءات التونسية
(الصهيونية)

أولا/ قضية فلسطين في اهتمامات الحبيب بورقية (بدايات الارتباط).

محطات مهمة في تاريخ ارتباط بورقية بفلسطين و القضية الفلسطينية لا يمكن إغفالها، و هي تجسد التواصل الروحي و السياسي بين الرجل و القضية خاصة و أن هذا التلازم كان في مرحلة الكفاح ضد الاستعمار، الأمر الذي ولد الشعور بوحدة المصير و ضرورة التكتل.

عاش بورقية كتونسي أبرز الأحداث التي عرفت فلسطين و منها وعد بلفور، فيذكر في هذا الصدد: « إنني أذكر شخصا ما لقيته هذه القضية في تونس من اهتمام بالغ فيما بين عام 1920 و 1922م عندما كنت تلميذا بالمعاهد الثانوية. و أذكر حتى وعد بلفور بينما الحرب العالمية الأولى قائمة، و الذي أحاطته الدبلوماسية الإنجليزية بشيء من الغموض خفف من حدة وقعه، ذلك أن هذا الوعد لَوَّح لليهود بإمكانية بعث وطن قومي مع إدخال شرط لا يقل إبهاما عن الوعد نفسه، و هو أن لا يمس ذلك بحقوق المواطنين العرب»¹.

غير أن تاريخ هذا الحدث لم يكن هو تاريخ بداية الارتباط الحقيقي بالقضية الفلسطينية، حيث أكد بورقية أن هذا الارتباط يعود إلى زمن ملازمته للمرحوم المجاهد محمد علي الطاهر² بالقاهرة، و ما صرح به سنة 1946 للجنة الأنجلو أمريكية التي كانت مكلفة بالتحقيق في قضية فلسطين³. و حسب اعتقادنا إن تحديد بورقية لبداية ارتباطه الحقيقي بالقضية الفلسطينية بزمان ملازمته لمحمد علي الطاهر لهو مؤشر واضح على أن ما كان يقوم به في تونس و قبل ذلك التاريخ تجاه القضية الفلسطينية كان ارتباطا سطحيا.

¹ - الحبيب بورقية، موقف تونس من القضية الفلسطينية، نشریات كتابة الدولة للشؤون الثقافية، قرطاج، 1969 / 3/15، ص 4.

² - محمد علي الطاهر (1894-1974): ابن مدينة نابلس الفلسطينية، أبرز العاملين في حقل الصحافة الوطنية، في سنة 1924 في القاهرة أسس جريدة الشورى (كانت الصحيفة وبالا على الاستعمار و زبانيته و لسان الثورة السورية حين كانت صحف سوريا و لبنان مكمنة)، تحول مكتب جريدته إلى ندوة يجتمع فيها الوطنيون من المشرق و المغرب للبحث في سبل تعزيز التضامن مع نضال الشعب الفلسطيني و نضالات الشعوب العربية الأخرى. من آثاره القلمية: "رسائل بورقية" و هو مجلد يضم مجموعة الرسائل التي تبادلها مع بورقية أيام الكفاح، كتاب معتقل "هاكستب" ظهر عام 1950 يضم وصفا لاعتقاله مع أسرار نكبات الوطن العربي و نكبة فلسطين. للمزيد عن هذه الشخصية ينظر لكتابه: محمد علي الطاهر، خمسون عاما في القضايا العربية، مؤسسة دار الريحاني، بيروت، 1978. أو مؤسسة الدراسات الفلسطينية على الرابط:

<https://www.palestine-studies.org/ar/node/1651536>

³ - الحبيب بورقية، لا وصاية على الثورة الفلسطينية، نشریات كتابة الدولة للإعلام، تونس، 4 مارس 1974، ص 4.

كما أشار الأمي التونسي السابق في عهد بورقية (النوري بوشعالة) في كتابه "قبس من الذاكرة" إلى أن علاقة بورقية بفلسطين تعود إلى سنة 1945، حين كان بورقية يسعى في القاهرة إلى التعريف بالقضية التونسية و الدعاية لها في الأوساط السياسية و الإعلامية حيث تعرف خلال هذه الإقامة على رجل من أبرز رجالات النضال العربي و هو المناضل محمد علي طاهر¹. و يذكر بورقية هذه الحادثة بشيء من التفصيل فيقول: « ذات يوم بينما كنا بصدد مغادرة نزل لوكاندة مصر، فوجئت بخصومة بين أحد الحرفاء و صاحب النزل، و استمعت إلى شخص يقول الأستاذ بورقية، فقلت له: أنا هو بورقية، فقال لي: أنا محمد علي طاهر صاحب جريدة الشورى فقلت: لقد بلغتني أصدااء جريدتك (...) فأنزلي معه و قدم لي 10 جنيهات. ثم توجهنا للمقهى و قال لي ليس من المنطق أن تمكث في هذا النزل، فالمصريون لا يقيمون أي اعتبار لمن يسكن نزلا من هذا النوع، يجب أن تقيم بنزل كونتانتال و إلا فلا يمكن أن تنتظر زيارة من أي كان، فحتى الصحفي لا يمكنه ذلك»².

ذكر تلك الحادثة ابن محمد علي (الحسن الطاهر)³ حيث لمح والده أن الفندق الذي نزل فيه بورقية "ليس ماشي الحال" و لا حال بورقية تمكنه من تبدل الحال بما هو أمشي من الحال، فقام أبو الحسن جهده في تمهيد الطريق لبورقية ليظهر مناضل تونس في القاهرة و صحفها و أنديتها، و عند زعمائها و أهل الرأي فيها ظهورا يليق به، و رأى أبو الحسن أن تتلو ذلك حفلة تكريم لبورقية في أحد الفنادق الكبرى حضرها صفوة رجال مصر و سيداتها. فكان محمد علي الطاهر من الذين ساعدوا بورقية على التعريف بالقضية و كسب أنصار لها⁴.

وصلت قوة علاقة بورقية بمحمد علي طاهر إلى أن صار يترك أمواله عنده و التي تم تجميعها للمساهمة في إنشاء مكتب المغرب العربي، فيذكر بورقية حادثة مهمة في ذات السياق: « ركبت وسط ازدحام كبير في الترامواي و الناس متعلقون بمدارجه من كل جانب

¹ - النوري بوشعالة، قبس من الذاكرة، مذكرات ضابط أمن، ط1، رام الله، 2015، صص 76-77.

² - الحبيب بورقية، بورقية بلسان بورقية (حياتي، آرائي، جهادي)، تق. سعيد بحيرة، دار آفاق، تونس، 2015، ص 239.

³ - الحسن الطاهر: جاء إلى تونس سنة 1965 للعمل عقب حصوله على الشهادة الجامعية في بيروت، و غادرها سنة 1967 إثر حصوله على وظيفة في ليبيا. ثم غادر إلى المملكة السعودية حيث عمل في مجال الطيران، ثم توجه إلى الولايات المتحدة، و منها إلى كندا. حوار افتراضي مع الحسن الطاهر بتاريخ 2022/5/12.

⁴ - محمد علي الطاهر، المصدر السابق، صص 63-64.

و إذا بأحد النشالين انتشل حافظة النقود مني، و من ألطاف الله أن أموالني كنت أتركها عند السيد محمد علي طاهر»¹.

لم تتوقف علاقة بورقية بالفلسطينيين عند محمد علي الطاهر فقط، بل كانت له لقاءات مع العديد منهم، إذ يذكر (أحمد الشقيري)² حول إحدى زيارات بورقية³ لفلسطين فيقول: «جاء بورقية إلى عكا و أكرموا وفادته و شرح لهم ظروف الكفاح التونسي، فتبرع له عدد من الإخوان بمبلغ من المال يعينه في نضاله و أسفاره، و غادر عكا و هو يدعو أن يقدره الله على مكافئتنا في قضية فلسطين»⁴.

هذا و يمكن أن نستحضر أيضا شهادة الضابط الفلسطيني حسن أبو رقة حول زيارة بورقية لفلسطين إذ يقول: « سافرت إلى القاهرة سنة 1946م، ضمن فريق طلابي، و قمت بزيارة دار الشورى التي تجمع كبار رجال السياسة من المغرب العربي و التي كان يشرف عليها محمد علي الطاهر، و هناك قابلت بورقية الذي كان إذ ذاك لاجئا في القاهرة. فاستعدت معه بعض ذكريات الرسائل التي تبادلها أبو عصام أبو رقة مع شقيق الحبيب محمود بورقية قبل عدة سنوات، و دعوته باسم العائلة إلى زيارتنا في عكا⁵، و لبي الدعوة، و نظمنا له رحلة سياحية و سياسية في مختلف مدن فلسطين، حيث ألقى خطابات للتعريف بجهاد الشعب التونسي، و كان آخر ما اختتم به خطابه و ما نيل المطالب بالتمني و لكن تؤخذ الدنيا غلابا»⁶. و فيما معناه أن التمني وحده لن يحقق المطالب التي نتمناها و لكن

¹ - الحبيب بورقية، بورقية بلسان بورقية ...، المصدر السابق، ص 243.

² - أحمد أسعد الشقيري (1908-1980): كاتب، محام، سياسي، دبلوماسي فلسطيني، أول رئيس لم. ت. ف سنة 1964، بعد نكبة 1948 اختير مساعدا - ثم أمينا - لعبد الرحمان عزام الأمين العام لجامعة الدول العربية، كان من دعاة الوحدة العربية الأوائل، من مؤلفاته : دفاعا عن فلسطين و الجزائر (1962)، فلسطين على منبر الأمم المتحدة (1962)، على طريق الهزيمة مع الملوك و الرؤساء العرب (1970). محمد خير رمضان يوسف، **تكملة معجم المؤلفين وفيات (1977-1995)**، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1997، ص 30.

³ - ذكر الشقيري أنه في ذكرى جلاء القوات الفرنسية عن بنزرت سنة 1963 م (حيث تلقى دعوة من بورقية بوصفه ممثلا لفلسطين في الجامعة العربية، و تفضلت الحكومة التونسية بتحمل نفقات السفر و الإقامة) أشاد بورقية بلقائهما قبل ثلاثين عاما. يعني أنه من المرجح أن أول لقاء بين الرجلين كان سنة 1933 ينظر: أحمد الشقيري، **من القمة إلى الهزيمة مع الملوك و الرؤساء، المؤسسة العربية للنشر و التوزيع، بيروت، 2005**، ص 38.

⁴ - أحمد الشقيري، **أربعون عاما في الحياة العربية و الدولية، المؤسسة العربية للنشر و التوزيع، 2005**، ص 239.

⁵ - انظر الملحق رقم: 2.

⁶ - أبو رقة حسن، أزهار و أشواك مذكرات ضابط فلسطيني، ط1، دار الفارس، لبنان، 2005، ص 28.

يجب السعي و استخدام قوة التأثير لتحقيق تلك المطالب. و في قوله الأخير ربما إشارة أو تلويح للسياسة التي يجب إتباعها في التعامل مع القضية الفلسطينية.

يضيف أحمد الشقيري حول تواعد بورقية بفعل شيء حيال قضية فلسطين (و كان إذ ذاك مساعدا للأمين العام في الجامعة العربية و ممثلا لسوريا في الأمم المتحدة) قائلا: « في عام 1951م كان بورقية محتجزا في إحدى ضواحي باريس، و جاء وفد تونسي ليكون على مقربة من الأمم المتحدة و كان أن طاف الوفد التونسي على الوفود العربية يرجوها كلمة خير في اجتماع هيئة الأمم المتحدة، (...) جاءني الوزير (محمد بدر) و صالح بن يوسف و بيدهما توكيل باللغة الفرنسية باسم الحكومة التونسية، يفوضني الدفاع عن القضية التونسية أمام هيئة الأمم و أن الزعيم بورقية يبلغني التحية و يرجو أن يكون قادرا على مكافأتي في قضية فلسطين (...) فاستلمت التوكيل و هو ما يزال بين أعز الأوراق التي احتفظ بها»¹.

أما بالنسبة لنظرته لطبيعة القضية الفلسطينية، ففي الكلمة التي ألقاها بورقية في مارس 1974 م بقصر قرطاج، أطلق على قضية فلسطين بأنها مظلمة القرن العشرين، حيث أكد أن القضية إنما هي قضية استعمار توطيني يهدف إلى إحلال شعب أجنبي محل الشعب الأصلي بدعوى الاستناد إلى تاريخ قديم².

قبلها كان بورقية قد عبر عن تضامنه مع القضية و أصحابها في نهاية الثلاثينيات من القرن العشرين، حين أرسل من المؤتمر الثاني للحزب الحر الدستوري التونسي المنعقد في 2 نوفمبر 1937م و كان إذ ذاك أمينا عاما للحزب، برقية تأييد إلى مفتي فلسطين الحاج أمين الحسيني، جاء فيها: «إن مؤتمر الحزب الحر الدستوري في جلسته الختامية يعبر للشعب الفلسطيني عن تضامن الشعب التونسي الفعال في جهاده التحريري»³.

إذا كان الحزب قد عبّر عن دعمه لجهاد الفلسطينيين في تلك الفترة، فما الذي قاله تجاه الطرف الذي تسبب في الزج باليهود في الأراضي الفلسطينية، و وعدهم بإنشاء وطن قومي لهم، و المتمثل أساسا في بريطانيا؟

ما يلفت انتباهنا في تلك الفترة غياب تام لانتقاد السياسة البريطانية في فلسطين، أو حتى الإشارة إلى تورطها في نشوء المأساة الفلسطينية من طرف الحزب الدستوري و حتى

¹ - أحمد الشقيري، أربعون عاما في الحياة العربية و الدولية، المصدر السابق، ص 583-584-585.

² - الحبيب بورقية، لا وصاية على الثورة الفلسطينية، المصدر السابق، ص 4.

³ - الحبيب بورقية، تونس و قضية فلسطين، كتابة الدولة للأخبار و الإرشاد، تونس، 1966، ص 21. أنظر الملحق رقم: 1.

بورقية نفسه. بحثا عن أسباب إغفال أو التغافل عن هذه المسألة لابد أن نعود إلى طبيعة العلاقات التي جمعت الحزب الدستوري الجديد بالإمبراطورية العظمى بريطانيا في تلك المرحلة الهامة من حياة الحزب و القضية الفلسطينية.

حسب ما جاءت به أحدث الدراسات التاريخية التي تناولت علاقات بريطانيا و حركات التحرر في المغرب العربي، كانت الإمبراطورية الإنجليزية في فترة الثلاثينات أكثر استقرارا مقارنة بالاضطرابات التي حدثت بالمستعمرات الفرنسية (التي تميزت بالتحجر و القمع)، و ذلك مرتبط بحكمة الإنجليز و براغماتييتهم في التعامل مع حركات التحرر في العالم العربي رغم سياستها المتردية في فلسطين¹.

تلك السياسة الإنجليزية جعلها تكسب ود جزء من النخب في العالم، و صارت نموذجا يطالب الوطنيون بتطبيقه في تونس. حيث كان الدستوريون الجدد على دراية كبيرة بأدق تفاصيل السياسة البريطانية بالمنطقة العربية، و على هذا الأساس كانت المقارنة حاضرة في أذهانهم و أثرت على برامجهم و مطالبهم بصفة مبكرة². و كان أن حدثت اتصالات سرية بين الدستوريين الجدد و بريطانيا العظمى قبل الحرب العالمية الثانية³ و تحديدا سنة 1937م، التي أعلنت عن البوادر الأولى لدخول القضية التونسية غياهب الساحة الدولية، و بينت أيضا عن بداية الاعتراف الدولي بالدستوريين كأبرز محاور باسم الشعب التونسي. حتى إن تأييد بورقية للسياسة البريطانية وصل حدا بعيدا محاولا استغلال التناقضات الإمبريالية، إذ بعث برسالة للوطني الجزائري (فرحات عباس) سنة 1946م طالبه فيها بتنظيم انتفاضة بشمال إفريقيا، و الاستجداد ببريطانيا لمواجهة فرنسا⁴.

ربما كانت هذه العلاقات الودية في اعتقادنا سببا في غياب انتقاد بورقية و حزبه للسياسة البريطانية في فلسطين في تلك الفترة، و عدم التفاعل مع تطورات القضية بشكل

¹ - عبد المجيد الجمل، المرجع السابق، ص 558.

² - نفسه، ص ص 566، 601.

³ - قبل الحرب لم يتصل قادة الجيش الثامن البريطاني بالعرش الحسيني و لا بالدستوريين القدامى بل تواصلوا مع الحزب الجديد، و ذلك مرتبط بمعرفة جيدة من قبل البريطانيين لمواقف الدستوريين الجدد و وزنهم على الساحة السياسية بتونس. حتى إن مواقف الصحافة الدستورية بين 1934 و 1937م كانت مؤيدة للسياسة البريطانية بالشرق و خاصة مستعمراتها. عبد المجيد الجمل، المرجع السابق، ص ص 613-614.

⁴ - نفسه، ص 114.

جدي، في إطار تكتيك سياسي قد يخدم القضية التونسية. فهل ستتغير سياسة بورقية تجاه القضية الفلسطينية و المتورطين فيها بعد الحرب العالمية الثانية؟ مع ظهور قوى جديدة و نظام عالمي جديد؟

بعد نهاية الحرب العالمية الثانية و لجوء الحبيب بورقية إلى القاهرة، و إلى جانب مساعيه الحثيثة من أجل قضية بلده حاول ضم صوته إلى صوت الوطنيين المغاربة للدفاع عن قضية فلسطين، حيث كان من بين الزعماء الذين أرسلوا مذكرة للجنة الأنجلو أمريكية¹ كما ذكرنا سابقا. كانت من مهام هذه اللجنة² بحث الإجراءات الكفيلة بتحسين أوضاع اليهود في البلدان الأوروبية التي تعرضوا فيها للاضطهاد النازي و الفاشي، و كذا بحث الأوضاع السياسية و الاقتصادية و الاجتماعية في فلسطين من حيث علاقتها بمشكلة الهجرة اليهودية، و النظر في الإجراءات الكفيلة بالسماح بنسبة كبيرة معقولة من الهجرة اليهودية إلى فلسطين و من ثم تقديم المقترحات لكلتا الحكومتين³.

يقول الشقيري حول دور بورقية في تقديم المذكرة و كان إذ ذاك (أي الشقيري) يشرف على إعداد الدراسات لتقديمها إلى اللجنة الأنجلو أمريكية: « كان بورقية واحدا من زعماء العرب في القاهرة الذين أرسلنا لهم هذه الدراسات، و كان بورقية من جملة من عرض عليها وجهة النظر العربية باسم الأقطار العربية في شمال إفريقيا، و كانت شهادته فلسطينية حقا بكل معنى الكلمة، استخدم خلالها الدراسة التي بعثناها إليه خير استخدام»⁴.

و حسب المؤرخ جون بول شانلود (jean paul chagnollaud)⁵، أن المذكرة من حيث المبدأ كتبها وفد مغربي ترأسه بورقية⁶، لكنها في الواقع مستوحاة من فكر و نهج

1 - أنظر الملحق رقم: 3

2 - حسب الباحث عبد الرحيم مصطفى تشكلت اللجنة من 12 عضوا، نصفهم من الإنجليز و الآخر من الأمريكان، لكن حسب الموقع اليهودي الإلكتروني "jewish virtual library" كان هناك 10 أمريكيين و 11 بريطانيا، بينهم مراسلون و طاقم سكرتاري و ضباط إداريون و فريق بحثي. للمزيد ينظر: (1946) report of the anglo-américain committe of inquiry

3 - أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 23.

4 - أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك و الرؤساء، المصدر السابق، ص 233.

5 - jean paul chagnollaud : ولد سنة 1945، أستاذ العلوم السياسية بجامعة سيرجي بونتواز الفرنسية، متخصص في القضية الفلسطينية، و رئيس تحرير مجلة "confluences méditerranée"، مؤلف حوالي 20 كتاب عن الشرق الأوسط و العلاقات الدولية.

6 - يقول الباحث التونسي الهادي التيمومي حول مضمون المذكرة التي أرسلها بورقية، أن الأخير أغفل الإشارة في هذا التقرير إلى الدعم الأمريكي للحركة الصهيونية العالمية، و ذلك من باب التكتيك الذي يهدف إلى تقوية دعم الأمريكيين للحركة الوطنية التونسية،

الأخير، و مما جاء فيها: « من بين جميع بلدان المشرق التي يسيطر عليها البريطانيون، تدار فلسطين بأساليب تذكرنا بشكل شبيه بتلك الخاصة باللاتين في شمال إفريقيا، و خلفت هذه المأساة تيار تعاطف بشكل خاص بين البلدين، و التشابه في الهدف هو الذي يفسر التشابه في الوسائل. في كلتا الحالتين يكون الهدف من تعزيز الهجرة الأجنبية، قلب التوازن الديموغرافي الموجود في بلد ما، فإذا كان الهدف في فلسطين هو إنشاء وطن قومي يهودي، ففي شمال إفريقيا يتعلق الأمر بوطن قومي فرنسي، و الذي من شأنه على المدى الطويل أن يجعل من هذه البلدان امتدادا لفرنسا، و مع ذلك فإن مثل هذا المشروع يواجه مقاومة العنصر المحلي. و القمع يسبب الثورات، و الثورات تؤدي تلقائيا إلى إطلاق آلة القمع، و هذا يفسر التجدد المستمر للإضطرابات التي قوضت في كل من فلسطين و شمال إفريقيا سنوات ما بين الحربين. و التي ستزداد على نطاق واسع طالما واصلنا في إنكار ما هو واضح»¹.

في 20 أبريل 1946م وقع أعضاء اللجنة تقريرهم الجماعي بلوزان، و أوضحت اللجنة أنها ترفض تقسيم فلسطين. و انتهت إلى أن أي محاولة في ذلك الوقت لإقامة دولة فلسطينية مستقلة أو دولتين فلسطينيتين مستقلتين لا بد أن تؤدي إلى حرب أهلية قد تهدد السلام. كما حث على إلغاء الكتاب الأبيض حين أوصى باستمرار الهجرة اليهودية. فكان موقف العرب من تقرير اللجنة هو الرفض لكونه ألغى الكتاب الأبيض، في حين سخط اليهود على التقرير لأنه لا يعترف بقيام دولة يهودية في فلسطين و فرض قيودا على الهجرة اليهودية².

بشهادة الشقيري استمر الاتصال الروحي بين الفلسطينيين و بين بورقية في مراحل كفاحهم ضد الاستعمار الصهيوني، فكان بدوره لا يقتصر على الإدلاء بالتصريحات الصحفية في تأييد القضية الفلسطينية و خاصة أيام لجوئه للقاهرة في الأربعينيات و ما بعدها³. فعند إصدار قرار التقسيم 1947م بعث احتجاجا مع الزعماء المغاربة إلى الأمم المتحدة ضد تأسيس إسرائيل⁴. و تقطن في نفس الوقت و بعد الحرب إلى طبيعة توازن

و بقية حركات التحرر بالمغرب العربي في ظرف شددت فيه فرنسا قبضتها على الشعوب المغاربية. ينظر: الهادي التيمومي، الحركة الصهيونية بتونس (1897-1948)، ط 4، دار محمد علي حامي، تونس، 2017، ص 171.

¹ - jean paul chagnollaoud, **maghreb et palestine**, la bibiithèque arab sindbad, paris, 1977, p91.

² - أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص 26، 36.

³ - أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك و الرؤساء، المصدر السابق، ص 233.

⁴ - أنظر الملحق رقم: 4.

القوى، و أن موازين القوى في صالح الحركة الصهيونية عسكريا و دبلوماسيا. هذا و قد تنبأ قبل قيام هذا الكيان بما ستؤول إليه فلسطين، إذ تطرق إلى هذا التحول في الرسالة التي أرسلها إلى ابنه من القدس عام 1946م قائلا: «ابني العزيز، أكتب إليك هذه الأسطر من القدس التي كانت أولى قبليتي المسلمين، لكن ما بقي من الحاضرة القديمة لأهم ديارتين في الشرق مدينة موسى و يسوع المسيح، و تيتوس و عمر و بودوان و صلاح الدين القليل. لقد نشأت فجأة مدينة جديدة عصرية إنجليزية - يهودية بالكاد عربية، و تطورت، و ها هي بصدد خنق القدس القديمة الغابرة التي حشرت وراء أسوارها القديمة، و حكمت عليها السنّة الكبيرة للتطور بالموت البطيء المحتوم (...). إني أنوي اليوم زيارة بيت لحم مهد المسيح، و من هناك سأسير إلى يافا و تل أبيب الحاضرة الجديدة للصهيونية (...). إنه الصراع بين عالمين أو على وجه الخصوص المخاض العسير لعالم جديد»¹.

رغم احتجاجه مع الزعماء المغاربة على القرار التقسيم، إلا أنه كفرد و كمثل للح. د. ج تقبل بورقية هذا القرار بوصفه قرارا أمميا و أمرا واقعا يجب تقبله، و يعزى هذا القبول حسب ما ذكره الباحث الهادي التيمومي إلى أن قبول الاعتراف بإسرائيل هو موقف براغماتي للحصول على مكاسب لصالح الحركة الوطنية التونسية. و بحيث أن الحزب الجديد كان معارضا للصهيونية من موقع لا يخلط بين الصهيونية و اليهودية. و كانت سياسة بورقية مزيجا من مناهضة الصهيونية و التعاطف مع يهود تونس، و البراغماتية و إرادة توظيف التأييد العالمي لإسرائيل لخدمة قضية استقلال تونس².

أما الحناشي فقد تساءل حول موقف بورقية من قرار التقسيم قائلا: « هل كان وجود بورقية في القاهرة التي كانت منشغلة جدا بقضية فلسطين دافعا إلى اتخاذ هذا الموقف؟ أم أنه كان بسبب قناعاته و فهمه للصراع؟ و أجاب بأنه من الصعب جدا الإجابة نظرا لزنبيقية خطاب بورقية و عدم ثباته، لكن لم يكن يتجاهل الاتجاه الشعبي العام في تونس، و المؤيد للفلسطينيين و كذلك الموقف الرسمي العربي، فكان لا بد من اتخاذه الموقف حتى لا يعارض التيار العام، و انطلاقا من مصلحة الحركة الوطنية»³.

¹ - محمد الهاشمي عباس، بورقية-نويرة ذكريات و مذكرات، ج3-4، نق. الشاذلي القليبي، ميديا كوم، تونس، 2010، ص 257-258.

² - الهادي التيمومي، الحركة الصهيونية في تونس، ص179.

³ - عبد اللطيف حناشي، تطور الخطاب السياسي في تونس تجاه القضية الفلسطينية 1920-1955، المركز العربي للأبحاث و الدراسات، بيروت، 2016، ص251.

هناك من يرى أن موقف بورقية يتطابق بصفة إجمالية مع دعاة التغريب في تونس الذي من بين مكوناته الحزب الشيوعي. فقد زكى الأمين العام لهذا الحزب (محمد جراد) قرار التقسيم، حيث ذكر في مقال صحفي: « نبارك بذلك مساندة الاتحاد السوفياتي لقرار التقسيم، و من موقفه الذي دعا إلى ضرورة المحافظة على علاقة الشعبين التونسي و الفرنسي في ظل الاتحاد الفرنسي الذي أقره الدستور الفرنسي سنة 1948م كإطار جامع جديد لفرنسا مع مجالها الاستعماري»¹.

قد نتفق إلى حد نسبي مع وجهات النظر التي ترى أن مساندة بورقية لقرار التقسيم بشكل فردي، فترة الأربعينيات و ما بعدها هو لمصلحة الحركة الوطنية نظرا للاعتبارات التي أشرنا إليها.

كان بورقية يرى أن القضية هي قضية الشعب الفلسطيني وحده بدرجة أولى، و أنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تكون هناك وصاية للدول العربية عليها، معرجا إلى أن الدول المجاورة لفلسطين هي من يجب أن تتحمل العبء الأكبر و الأثقل من التضحيات بحكم موقعها الجغرافي. و ليس للدول العربية أن تحل محل الشعب الفلسطيني في ممارسة الكفاح و المقاومة و لا وصاية لهم عليها لا في الحرب و لا في التفاوض².

من جهة أخرى ذكر الباحث الفلسطيني المقيم بتونس أبو نادي سليمان أن قيادة الحزب الدستوري التي تنتمي إلى الفئات البرجوازية المتوسطة نظرت إلى القضية الفلسطينية من خلال منظور خاص بطبيعة فهمها للأمة و التي تعني لديها الشعب التونسي فقط، فركب الدستوريون الجدد الموجة حتى لا يتهموا بالتقصير. لكن رغم هذا بقيت جهودهم محدودة مقارنة بجهود الدستور القديم في مجال مساندة القضية. و قد برر أبو نادي هذا التفاوت في أن إمكانات الحزب الجديد البشرية و الإعلامية كانت أقل بعد نهاية الحرب العالمية الثانية لأن أبرز قاداته كانوا في المنفى، و لأنه لم يتمتع بصحيفة رسمية تكون لسان حاله و منه تعبئة الناس³.

قد يحمل مفهوم رفع الوصاية العربية عن القضية الفلسطينية جملة من الدلالات و

¹ - الحسين بن عيسى، البورقيبية و الهوية صراع مشاريع، المرجع السابق، ص 259.

² - الحبيب بورقية، لا وصاية على الثورة الفلسطينية، المصدر السابق، ص ص 5-6، 9.

³ - أبو نادي سليمان، التونسيون و القضية الفلسطينية حتى عام 1948، دار حنين، تونس، 2015، ص ص 54، 67.

الالتباسات خاصة و أن بورقية لم يحدد طبيعة الهدف المتوخى من رفع هذه الوصاية. فمن جملة التأويلات التي ربما يمكن أن نرجحها في هذا الشأن الحفاظ على استقلالية القرار السياسي الفلسطيني في خضم التجاذبات و الخلافات العربية، خاصة و أن التدخلات العربية في الشأن الفلسطيني أضر بالقضية أكثر مما أفادها. أو لإبعاد القادة العرب الذين كان ينظر إليهم بورقية على أنهم يبدون الكثير من التطرف تجاه قضية فلسطين، و بالتالي إرخاء اليد و من ثم الترويج و الدعوة لقرارات أكثر اعتدالا.

لكن و بحسب رؤية حركة التجمع العربي الديمقراطي التي ظهرت في تونس فيما بعد أكدت أن دعوة البعض لضرورة حرية القرار المستقل بالنسبة للثورة الفلسطينية في نظر الحركة معناه عزل العرب عن الأخوة الفلسطينيين، و هو أمر مرفوض لأنه يعني تمييز القضية الفلسطينية، إذ لا يجب التفريق بين الفلسطينيين العرب و بين العرب غير الفلسطينيين¹.

2/ بورقية و مسألة التطوع للجهاد في فلسطين سنة 1948.

من المتعارف عليه أنه من بين أبرز مظاهر و تمثلات الدفاع عن قضية ما و إبراز التضامن بين الشعوب خاصة تلك التي تشترك في الدين و اللغة و الانتماء الحضاري قوة الدعم البشري في ظرف الحرب و الاعتداءات الأجنبية. و لما كانت أرض فلسطين هدفا استعماريًا فكان الواجب مساندتها بشريا حسب ما يقتضيه الواجب العربي.

كان أبناء تونس المستعمرة ممن لبوا نداء الاستغاثة الفلسطيني، و تطوع المئات منهم للقتال في فلسطين و قد وصل عددهم يوم 30 ماي 1948م حسب مصالح الاستعلامات 2676 متطوعا. كما أن أغلب المتطوعين لم يصلوا إلى فلسطين، بل اضطروا إلى العودة على أعقابهم على إثر توقف المعارك في فلسطين، أو وقع ترحيلهم بالقوة من قبل السلطات المصرية. و قد عانوا كثيرا من الجوع و العطش و المطاردة من قبل الفرنسيين و البريطانيين و عملائهم المحليين في كل من مصر و ليبيا. و أُستعمل المتطوعون في

¹ - توفيق المديني، المرجع السابق، ص 52.

الانقلاب العسكري الذي قام به (حسني الزعيم)¹ في سوريا ضد شكري القوتلي و كذلك في انقلاب (سامي الحناوي)² على حسني الزعيم³، و ربما هذا الحدث أثر على موقف بورقية في إرسال المتطوعين إلى الحروب التي اندلعت فيما بعد.

كما يمكن أن نشير في نفس السياق إلى الوضع المتردي للمتطوعين المغاربة عسكريا، فيذكر المناضل المغربي (الهاشمي الطود)⁴: « كان التجهيز العسكري نقطة سلبية في أداء المقاتلين، و مرد ذلك إلى عوامل أهمها الاعتماد في تمويل حركة المتطوعين على المساهمات المادية للجامعة العربية. و حتى الضباط المصريين الذي أشرفوا على تدريباتنا كانوا مجرد متطوعين، و يمكن القول أن مساهمة الدولة المصرية كانت ضعيفة للغاية و تأكدت الانعكاسات السلبية لهذه الوضعية عندما دخلنا الأراضي الفلسطينية»⁵. و تشير هذه الشهادة إلى الاستهتار الكبير الذي قامت به الحكومة المصرية و حتى الجامعة و عدم جديتها في الإعداد الكافي لخوض المعركة.

عودة إلى موقف الحزب الدستوري الجديد من مسألة التطوع للجهاد، فحسب بعض الدراسات التونسية عبّر الحزب عن انزعاجه من حملة لجنة الدفاع عن فلسطين التي كان يرأسها (محمد الصادق بسيس)⁶ لإعداد من يود الالتحاق بجبهات القتال و مؤازرة المجاهدين. و بخصوص المتطوعين الذين طردوا من مرسى مطروح المصري، فقد تعرضوا

¹ - حسني الزعيم: عسكري سوري، كان ضابطا في الجيش العثماني، ثم انضم إلى جيش الشرق في عهد الانتداب، وأصبح رئيس الجمهورية السورية الأولى بعد أن قام بحركة انقلابية في مارس 1949 على شكري القوتلي، تم إعدامه في أوت 1949 بعيد انقلاب سامي الحناوي. للمزيد ينظر: التاريخ السوري المعاصر على الرابط موقع/30/07/2019https://syrmh.com/حسني-الزعيم-2.

² - سامي الحناوي: قائد الإنقلاب الثاني على حسني الزعيم، و أطيح به في ديسمبر 1949 تحت انقلاب قاده أديب الشيشكلي، و تم اغتياله في بيروت في أكتوبر 1950. ينظر: /06/09/2017 https://syrmh.com/سامي-الحناوي

³ - الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص 172.

⁴ - الهاشمي الطود (1930-2016) : ولد بمدينة القصر الكبير المغربية، في سنة 1947 هاجر إلى مصر ليلتحق بعبد الكريم الخطابي، بعدها أصبح عضو في لجنة تحرير المغرب العربي، و تم تكليفه بمهام التدريب و الاتصال و إعداد جوازات سفر المتطوعين القادمين من البلدان المغاربية للمشاركة في حرب فلسطين. ينظر لكتاب: أسامة الزكاري، الهاشمي الطود: خيار الكفاح المسلح، حوار سيرة ذاتية، طنجة، 2018.

⁵ - نفسه، ص 77.

⁶ - محمد الصادق بسيس (1914-1978): رجل دين و مصلح تونسي، ولد في عائلة تونسية محافظة، دخل جامع الزيتونة و انتظم في دروسه، قام بجمع التبرعات و إرسالها إلى اللجنة العليا لتحرير فلسطين. في حدود 1962 انتقل للتدريس بكلية الشريعة و أصول الدين.. للمزيد عن هذه الشخصية ينظر: أبو زيان السعدي، محمد الصادق بسيس حياته و آثاره، وزارة الثقافة، تونس، 2002.

للتضيقات و لم يعاملوا معاملة سيئة من قبل الإنجليز و السلطات المصرية فحسب، و إنما من قبل القادة الدستوريين و لا سيما بورقية الذي لم يحرك ساكنا تجاه الوضع المأساوي الذي وصل إليه أولئك المتطوعون، الذين ما إن عادوا إلى أرض الوطن حتى ندّوا بتخاذل القادة الدستوريين¹.

ففي تقرير للمقيم العام الفرنسي جون مونس (Jaen Mons) أرسله في 8 جويلية 1948م إلى وزارة الخارجية الفرنسية، تحدث فيه عن أعمال و ممارسات السلطات المصرية تجاه المتطوعين التونسيين. و تحدث التقرير على لسان بعض المتطوعين عن موقف بورقية السلبي أثناء تلك الأحداث بالرغم من أنه أبلغ بها².

نشير أيضا إلى شهادة مهمة حول موقف بورقية من مسألة القتال في حرب فلسطين، و هي شهادة المناضل التونسي (حسن مرزوق)³، و الذي كان من بين المتطوعين في هذه الحرب، فيذكر: « بينما كنا في مصر، وصلت باخرة سورية لنقلنا إلى سوريا، و بعد صعودنا، حدث شيء مهم، اقترب زورق صغير كان فيه الزعيم بورقية، و ألقى فينا خطابا ما أذكر منه، أنه قال لنا إن حرب فلسطين قد انتهت و لم يعد بمقدوركم أن تفعلوا شيئا، أما ما أطلبه منكم فهو التدريب على الأسلحة و تقنيات القتال حتى تعودوا إلى تونس»⁴. لكن الملفت للانتباه أن المعارك لم تنته، فالمعركة كانت لا تزال مستمرة، و كان المتطوعون و منهم حسن مرزوق بعد لقاءهم ببورقية قد أكملوا سيرهم و شاركوا في الحرب و معاركها. فلماذا قال بورقية إن الحرب انتهت و هي لم تضع أوزارها بعد؟ و لماذا لم يطلب عودتهم فورا و طلب تدريبهم على الأسلحة أولا ثم العودة؟ فالمرجح إذن أن بورقية أراد أن يستغل فرصة تواجد التونسيين و تدريبهم على السلاح هناك لتوظيفها في تحرير تونس.

قبل هذا، كان بورقية و بعض الزعماء التونسيين الذين كانوا في القاهرة منهم

¹ - الحسين بن عيسى، سجلات الزيتونيين مع الإستعمار ...، (المرجع السابق، ص 243).

² - تتعلق تلك الأحداث بمطالبة المتطوعين بتحسين مستوى الخدمات المقدمة إليهم فجددوا من ملابسهم، عندئذ اقتحم المتطوعون المعسكر للحصول على الملابس و المؤن فأطلق حارس المخزن النار عليهم مما أدى إلى مقتل سنة أشخاص. أنظر: سليمان أبو نادي، المرجع السابق، ص 168.

³ - حسن مرزوق (1930-2012): مناضل تونسي، تطوع في القتال في فلسطين و لم يتجاوز عمره 18 سنة و عاد منها ليندمج في الحركة الوطنية في جناحها المسلح، و هو من الدفعة الأولى التي تولت تكوين إطارات الحرس الوطني خلال الاستقلال الداخلي.

⁴ - نور الدين بالطيب، حسن مرزوق خفايا حربي فلسطين و بنزرت و انقلاب 1962، ط2، ش. ت. ت، تونس، 2017، ص 17-18.

يوسف الرويسي قد زاروا المتطوعين في مراكز التدريب العسكري. و ساعدهم الرويسي للالتحاق ببعض الأكاديميات العسكرية بدمشق و بغداد¹. أما بورقية أثنى على شجاعتهم لكنه استغرب من عددهم المرتفع، و حثهم على تعلم السلاح و المحافظة على أرواحهم حتى يتمكنوا من المساهمة في تحرير بلادهم². ففي زيارته الأولى للمعسكر التدريبي أبلغهم عن سعادته برؤية مشاركة تونسية عظيمة في القتال للدفاع عن فلسطين و أكد لهم أنه غير مقتنع تماما بهذا العدد في حين لا تزال تونس تحت نير الاحتلال³.

كما اعتبر بورقية الالتزام في قضية فلسطين جزء من أجندة الوطنيين من أجل الهدف النهائي المتمثل في الاستقلال الوطني للمغرب⁴. غير أن استغرابه من العدد المرتفع للمتطوعين في اعتقادنا هو تعبير عن عدم ارتياحه لتواجد هذا الكم الهائل للتطوع في حرب فلسطين، و يتعزز هذا الطرح بكون بورقية نصحهم بالمحافظة على أرواحهم للتمكن من العودة لتحرير بلادهم و هنا تظهر المصلحة الوطنية كأولوية.

يمكن أن نضيف حول زيارة بورقية للمتطوعين 8 جوان 1948م في معسكرهم التدريبي، حيث أعرب عن تقديره للمتطوعين الذين قدموا كمجاهدين من أجل الأمة العربي و تقديم الدعم المعنوي لهم ما ذكره الهاشمي الطود: « التحقنا بمعسكر التدريب في ديسمبر 1947 و وجدت نفسي ضمن المتطوعين المغاربة الذين كان غالبيتهم من أصول ليبية ثم تليهم من حيث العدد فرق تونسية و أخرى جزائرية و مغربية، و قد عرفت كل المجموعات المغاربة تحت اسم كتائب شمال إفريقيا، و أذكر أن الكثير من الشخصيات الوطنية العربية زارتنا بالمعسكر⁵ بهدف دعمنا و تحفيزنا على تطوير عملنا منهم الزعيم بورقية و علال الفاسي⁶. و قد أشار أبو نادي سليمان إلى أن موقف بورقية و قيادات

¹ - يذكر أبو نادي سليمان أمام تواجد عدد هائل من التونسيين المتطوعين في المشرق، فقد عمل الرويسي على استغلال تواجدهم هناك، حيث دعا المتطوعين الراغبين في مواصلة دراساتهم في الكليات الحربية ببغداد و دمشق. و قد تمكن نفر من هؤلاء من مواصلة دراساتهم العليا و عادوا لتونس كمدرسين. ينظر: سليمان أبو نادي، المرجع السابق، ص 169.

² - الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص 173.

³ - سليمان أبو نادي، المرجع السابق، ص 169.

⁴ - shoko watanab, **aforgotten mobilization : the tunisian volunteer movement for Palestine in 1948**, jornal of the economic and social histoty of the orient", no. 60, 2017, p492.

⁵ - أنظر الملحق رقم: 5.

⁶ - أسامة الزكاري، المصدر السابق، ص 78.

الحزب الدستوري الموجودين في مكتب المغرب العربي بالقاهرة من حركة التطوع قام على أساس قبول الأمر الواقع، ثم محاولة الاستفادة من هؤلاء المتطوعين في حرب الإستقلال¹. و عليه إن الموقف البورقيبي في قضية تدخل المتطوعين لأهداف و مصالح وطنية يعزز وجهة نظرنا في عدم جديته و تحبيذه لدعم الحرب ضد الكيان الصهيوني، و عدم توريث التونسيين في تلك الحرب.

رغم هذا، إلا أن الجانب الفلسطيني أشاد بدور المتطوعين التونسيين في تلك الحرب، حيث أبدى محمد أمين الحسيني امتنانه لدور تونس في نصره عرب فلسطين سنة 1948 م، حيث جاء في الرسالة التي وجهها المفتي الأمين الحسيني إلى بورقية، أنه اطلع من خلال البرقيات الأخيرة على الحركة المباركة التي قامت بها الهيئات في تونس، و في مقدمتها الحزب الحر الدستوري التونسي، و أشاد بتكوين اللجنة التونسية العليا لإنقاذ فلسطين مما كان له أحسن الوقع في النفوس².

3/ موقف بورقية من الدعم المالي (التبرعات) التونسي لفلسطين.

ما تجمع عليه بعض الأدبيات التونسية خاصة ذات الاتجاه الزيتوني أن قيادات الحزب الجديد لم تكن تحبذ بتاتا عمليات جمع التبرعات لفائدة فلسطين معتبرة أن الحزب أولى بها. فكان خط الحزب يرى أن هذا العمل سيكون له عواقب وخيمة على الشعب التونسي، إذ أنه سيدفع التونسيين و منهم اليهود إلى التجنيس أو إلى السفر إلى فلسطين لكي يصبحوا في عداد المستوطنين. و قد وردت معلومات عن تلاعب الحزب الجديد بالأموال و تحويلها إلى المصلحة الخاصة. فمن الحوادث التي ذكرت في هذا الصدد أن مبلغ 100 ألف فرنك الذي تبرع به سكان منزل جميل لفائدة القضية الفلسطينية، حيث حمله المناضل الدستوري (علي معاوي)³ إلى المنجي سليم بمقر الحزب بباب السويقة، و لكنه

¹ - سليمان أبو نادي، المرجع السابق، ص 169.

² - أحمد أبو جزر، بلدان المغرب العربي و القضية الفلسطينية (1948-1978) تونس، الجزائر، المغرب، أطروحة لنيل شهادة

الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر 2، كلية العلوم الإنسانية، 2013/2014، ص 68.

³ - تفاجأ علي معاوي بعد أن سلم المبلغ للمنجي سليم بقول الأخير أن سي الحبيب بعث إليه بطلب تحويل مبلغ التبرعات المجموعة باسم فلسطين إليه لأن الملوك العرب عبارة عن لصوص يتاجرون بالقضية، و أن سي الحبيب سيقدم من القاهرة إلى ليبيا خصيصا لهذا الغرض. ينظر الحسين بن عيسى، البورقيبية و الهوية صراع مشاريع، المرجع السابق، ص 263. و عن هذه الشخصية بقول بورقية: بعد عودتي لتونس من القاهرة لاحظت وجود جو من الفساد تعمل عناصره ضدي من بينهم علي معاوي الذي علقت به

تفاجأ بتحويل المبلغ إلى بورقية المقيم بالقاهرة آنذاك¹.

لكن هل من المعقول أن يتجاهل بورقية ذلك اليوم عندما كان لاجئاً سياسياً في القاهرة و كان هناك الفلسطيني محمد علي الطاهر الذي دفع له أجر الفندق الذي مكث فيه أول أيامه هناك، و أن الشعب الفلسطيني عندما زار فلسطين جمع له التبرعات من أجل استكمال مشواره و الدفاع عن قضيته؟ فهذه المواقف قد تبدو رمزية إلا أنها عبرت عن عمق العلاقات و المساندة لشخصه و قضيته.

لكن بعد أن تفجر السخط الشعبي في شكل إضرابات اجتماعية و لوائح استتكار على إثر إصدار هيئة الأمم لقرارها القاضي بتقسيم فلسطين، شكّل الح. د. ج لجنة لجمع التبرعات المالية لفائدة الفلسطينيين². كما ترجح بعض الدراسات أن تخوف قيادة الحزب من تعاضد دور المجموعات الزيتونية التي تحولت إلى قوة سياسية بعد الحرب العالمية الثانية بوقوفها وراء التحركات الشعبية، في ظل الفراغ التي تركته القوى السياسية نتيجة القمع الاستعماري (الاعتقال، النفي...) كان دافعا لتخصيص الدعم المادي للفلسطينيين. و لكن خط الحزب كان واضحاً في رفضه مقاطعة متاجر اليهود ذوي الميول الصهيونية، و عدم استفزازهم و الحفاظ على علاقات طبيعية معهم. و قد عملت هذه المواقف من التقليل من زخم الحركة الاحتجاجية التي شهدتها البلاد من مقاطعات و إضرابات منددة بقرار التقسيم، إذ لم تستجب لها قواعد الحزب³.

كانت الجامعة العربية قبل ذلك اعتباراً من ديسمبر 1945 م قد قررت التدخل في مسألة المقاطعة لمساعدة الفلسطينيين بإغلاق باب الأسواق العربية في وجه الصناعة اليهودية، و دعت الشعوب العربية غير الممثلة في مجلس الجامعة إلى التضامن و التعاون

قضايا أخلاقية فيادرت لإزالته من مكتب الحزب. ينظر: الحبيب بورقية، بورقية بلسان بورقية (حياتي، آرائي، جهادي)، المصدر السابق، ص256.

¹ - الحسين بن عيسى، سجلات الزيتونيين مع الإستعمار و دعاة التغريب، المرجع السابق، ص243.

² - الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص171.

³ - الحسين بن عيسى، سجلات الزيتونيين مع الاستعمار...، المرجع السابق، ص242.

مع دول الجامعة في هذا القرار للحد من تقدم الإنتاج اليهودي و تخفيف تدفق اليهودية¹. غير أن هذا الأسلوب لم يجد الصدى الكافي في تونس خاصة لدى الح. د. ج الذي رفض مقاطعة متاجر اليهود.

كما لم يكن هناك إجماع داخل الح. د. ج على ضرورة دعم حركة التضامن مع الفلسطينيين، إذ برز تيار يمثلته صالح بن يوسف و غيره حاولوا ايجاد تبريرات للحد من المد التضامني، في حين عمل قادة جهويون آخرون على التغاضي عن تعليمات الحزب و تمادوا في مقاطعة التجار اليهود. كما كانت هناك رغبة من طرف القادة الحزبيين في توظيف تلك التبرعات لمصلحة الحزب خصوصا لبورقية، الذي كان في القاهرة بحجة أن الحزب بحاجة للمال أكثر من الفلسطينيين².

ذكرت بعض الأعلام الغربية أنه كان هناك تنافس حاد داخل الحركة الوطنية التونسية حول التعبئة المؤيدة للفلسطينيين على خلفية الصراع الأيديولوجي بين القومية العربية و المفهوم الغربي للوطنية، بحيث انقسم القادة التونسيون من أجل إظهار نفوذهم الشعبي، و كان تدويل القضية التونسية في تلك الفترة أحد العوامل المهمة في بذل جهود التعبئة هذه³. و عليه برزت المصلحة الوطنية التونسية عند بورقية في مسألة الدعم المالي للفلسطينيين و قضيتهم مرة أخرى كضرورة ملحة أهم من المصلحة العربية المتمثلة في دعم القضية الفلسطينية و أصحابها. لكن هل المبررات (خاصة الظرفية التي كانت تمر بها الحركة الوطنية التونسية) التي تم طرحها في هذا التفضيل بين الخيارين، كانت كافية لإسقاط ضرورة الدعم؟

4/ بورقية و النشاط الصهيوني مرحلة النضال الوطني (الدعاية الصهيونية، الأقلية اليهودية، اللقاءات التونسية الصهيونية).

إذا سلمنا أن القضية الفلسطينية قضية شعب احتل وطنه ليحل محله شعب آخر، و أنه من الاستراتيجيات التي تتخذها الصهيونية هي الدعاية ضد هذه القضية العادلة، فمن المهم أن نتطرق لموضوع الدعاية الصهيونية كونها تجسد قاعدة أساسية في دعم الكيان

¹ - محسن عوض و آخرون، مقاومة التطبيع، ثلاثون عاما من المواجهة، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2007، ص263.

² - عبد اللطيف الحناشي، تطور الخطاب السياسي في تونس...، المرجع السابق، ص293.

³ - shoko watanab, op.cit, p496.

الصهيوني من جهة، و باعتبارها عنصر مضر بالقضية الفلسطينية من جهة أخرى، و معرفة موقف الحبيب بورقية منها.

ما يحسب للح. د. ج حسب ما تتفق عليه العديد الدراسات أنه « تتميز مقارنة ببقية الفصائل السياسية الوطنية التي سبقته باندفاعه النضالي، و إتقانه العمل السياسي العصري و قدرته العالية على تحريك الشارع و تأطير الشباب»¹. و تكوين قاعدة شعبية عريضة. استنادا إلى ذلك الثقل الذي تمتع به الحزب على المستوى الوطني فقد كان من الضروري الدخول في معترك القضايا الدولية و منها قضية فلسطين ربما لإثبات الوجود بشكل أكبر أو لأهداف أخرى غير معلنة. فيذكر التيمومي أن قادة الحزب كانوا مناهضين للصهيونية، و حسب تقرير صادر عن المباحث يوم 19 أكتوبر 1937م أن القادة الدستوريين الجدد انضموا إلى الحركة السياسية الدينية (حركة تأييد الفلسطينيين) مخافة أن توجه لهم تهمة اللامبالاة تجاه قضايا الإسلام، و قد قرروا آنذاك ضم مشاعر استيائهم إلى مشاعر استياء العالم العربي بواسطة برقيات وجهوها إلى وزارة الخارجية الفرنسية، و الكاتب العام لعصبة الأمم، و أرسل المؤتمر الثاني لح. د. ج كما ذكرنا سابقا يوم 2 نوفمبر 1937م برقية تأييد إلى مفتي فلسطين أمين الحسيني².

كما نظم الحزب الدستوري التونسي مظاهرتين صاخبتين في اليومين الأولين من جانفي 1938م، و ذلك لمنع ريان الباخرة (sara1)³ من القيام بتظاهرة دعائية لفائدة الصهيونية ما أدى إلى وقوع حوادث صدام بين اليهود و المسلمين في العاصمة⁴.

لكن الملفت للانتباه الموقف الذي أبدته النخبة المتغربة على رأسها قيادة الح. د. ج من موضوع الدعاية الصهيونية حيث أدت الحادثة سابقة الذكر بأنصار الحزب الدستوري القديم و الجديد للتظاهر، و في ذلك الظرف توجهت قيادات من الطائفة اليهودية إلى بورقية مستشرفة رأيه في تلك الأحداث، فأنكر أن يكون شباب الحزب الجديد قد ساهموا في الحركة

¹ - الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص 153.

² - نفسه، ص ص 153-154.

³ - الباخرة ضمت وفدا يهوديا خطط للقيام ببث شريط أرض الميعاد الوثائقي حول فلسطين و إلقاء محاضرة في مدرسة الرابطة الإسرائيلية حول الإبحار اليهودي من قبل قائد السفينة. الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص 154.

⁴ - نفسه، ص 154.

الاحتجاجية، و حمل كامل المسؤولية للحزب القديم¹.

و قد أكد موقفه ذلك في تصريح لجريدة "tunis soir" يوم 3 جانفي 1938 م قائلا أن لا علاقة لحزبه بالمظاهرتين. و من المبررات التي رُجحت حول اتخاذ هذا الموقف أنه كان يرمي من وراءه التقرب من الجبهة الشعبية في فرنسا التي كان لليهود وزن كبير فيها. و لم يكن موقف بورقية هذا يصبح علنيا حتى انبرى أصحاب الحزب الدستوري للتشهير به في مظاهرات بشعارات لاذعة، و قد رد بورقية بأسلوب سجالي على هذه الحملة الموجهة ضده في جريدة حزبه "l'action tunisienne" يوم 8 جانفي 1938م قائلا: « إن اليهودية دين أما الصهيونية فهي مذهب سياسي. أما الأولى، فقد حظيت لدينا باحترام المسلمين و تسامحهم، و الثانية تصدم تطلعات العرب في فلسطين(...)». على أن ما أريد التنصيص عليه هو أن الأواصر التي تربطنا بعرب فلسطين ليست شبيهة بتلك التي تربط صهاينة تونس بصهاينة الخليل أو تل أبيب، فإذا كانت الأولى أواصر تعاطف قائمة على وحدة اللغة و الدين، فإن الثانية تنطلق من وحدة وطن مزعومة، بيد أنه ليس ثمة تونسي يعتبر فلسطين أرضا له². فكان قادة الحزب الجديد و على رأسهم بورقية مناهضين للصهيونية، و يعتبرونها حركة استعمارية. و كانوا يفرقون بكل وضوح بين الصهيونية و اليهودية، و يرون ضرورة تحرير اليهود من الصهيونية³.

و نقلا عن كتاب "المراقبة السياسية بالبلاد التونسية" لطارق بضيوف أوضحت بعض التقارير الأمنية التي كانت تحاول البحث في الصلات بين الحركة الوطنية و النشاط الصهيوني أن الأوساط الوطنية التي كانت تنتمي إلى الح. د. ج كانت مستاءة من تنامي النشاط الصهيوني في البلاد، و وصفت بأنها متأثرة بالدعاية المناهضة للصهيونية التي يقودها الشرق الإسلامي⁴.

لم يشكل بورقية استثناء في رؤيته المتمثلة في التمييز بين اليهود الصهيونيين و اليهود غير الصهيونيين، كون الاتحاد التونسي للشغل انطلقا من كونه منظمة وطنية يمثل

¹ - الحسين بن عيسى، سجلات الزيتونيين مع الإستعمار ...، المرجع السابق، ص229.

² - الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص154.

³ - نفسه، ص153.

⁴ - طارق بضيوف، المراقبة السياسية بالبلاد التونسية خلال الحقبة الإستعمارية "الجهاز السري أنموذج"، ط1، مجمع الأطرش،

تونس، 2017، ص401.

كل التونسيين بغض النظر عن دياناتهم فقد ضم بين صفوفه بعض اليهود، حيث أكد (فرحات حشاد) أن الاتحاد هو إطار لكل التونسيين مسلمين و يهود. أما أعضاء الديوان السياسي من بينهم صالح بن يوسف رأوا أن اليهود التونسيين رعايا للباي، و يجب أن يوضعوا على قدم المساواة مع المسلمين التونسيين. و حسب الحناشي إن هذه الرؤية تعبر عن وجهة نظر أغلبية القيادة العليا للديوان السياسي¹.

على حين اعتبر البعض الموقف البورقيبي المسابير ليهود تونس هذا أسلوبا تكتيكيا يخدم المصلحة الوطنية بالنظر إلى الوزن اليهودي، إذ تقدم بعض المصادر في عام 1946م رقم 100 ألف يهودي بتونس، حيث شكّل عدد النشطين المشتغلين من يهود تونس %28,45 من التعداد الكلي ليهود تونس. و يوجد أوساط اليهود 175طبيبا، و 160 محاميا، و 254 حاخاما و قاضيا و مدرسا² (فهل يمكن في إطار الفكر البورقيبي أن يضحى بورقية بهذا الثقل اليهودي من أجل قضية أخرى غير قضية بلده)، اعتبر البعض الآخر على رأسهم الزيتونيين أنها مواقف عبرت عن قناعاته الحقيقية الباطنية، لكون أبناء النخبة الفرانكفونية اختاروا أسلوب المدارات و عدم الجهر بآراهم لأن مثل هذه القناعات قد تصدم المجتمع التونسي الموسوم بالمحافظة، و غير المهيأ لتقبل ما يزعزع قناعاته³.

لم يكن الوزن اليهودي وحده عاملا في التأثير على سياسة بورقية و لكن ان استجابة يهود تونس للنداء الصهيوني ساهمت في ذلك أيضا، فبعد نهاية الحرب العالمية الثانية و أمام الصدمة النفسية التي هزت الطائفة اليهودية من جذورها ابان حقبة فيشي أعطت الحركة الصهيونية دفعا قويا، إذ أصبح أغلب يهود تونس حسب ما أشار اليه التيمومي إما صهاينة أو متعاطفين مع الصهيونية، حيث استغلّت الصهيونية سقوط فرنسا في يد أعوان فيشي اللاساميين لإقناع اليهود بأنه ليس ثمة بلد واحد في العالم لا يكن لهم العداء حتى لو كان ذلك البلد فرنسا المعروفة بتحريرها لليهود، و أنهم لن يحصلوا على الاستقرار إلا في دولة فلسطين اليهودية، فتحول بذلك العديد من اليهود الى صهاينة راسخين في الايمان⁴.

¹ - عبد اللطيف الحناشي، تطور الخطاب السياسي...، المرجع السابق، ص289.

² - الحسين بن عيسى، البورقيبية و الهوية صراع مشاريع، المرجع السابق، ص251.

³ - _____، سجلات الزيتونيين مع الاستعمار و دعاة التغريب، المرجع السابق، ص231.

⁴ - الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص161.

لكن من زاوية أخرى إذا كان بورقية يريد تحاشي الصدام مع الأقلية اليهودية من باب الحفاظ على وحدة الحركة و وحدة الشعب، إلا أنه في المقابل ساهمت سياسة اللين و المسايرة من طرف قادة الح. د. ج إلى حد بعيد في انتشار الفكر الصهيوني بين يهود تونس، و هو ما كانت هذه الأخيرة في غنى عنه، خاصة و إن علمنا أن إدارة الحماية شجعت هذا الفكر حفاظا على مصالحها الاستعمارية. و هو ما أدى إلى تنامي تيار الهجرة اليهودية كنتيجة حتمية فيما بعد من تونس إلى فلسطين، و تسبب في مشكلة بشرية لهذه الأخيرة. و الشق الثاني أن هذه المسايرة و سياسة إرخاء اليد تجاه اليهود (بحيث أصبحوا عنصر تأثير) كان واحدا من بين الأمور التي ربما أجبرت فيما بعد بورقية على ضرورة الاتفاق مع إسرائيل، و طلب دعمها في مطلب الاستقلال، و حتى دعمها في مرحلة بناء الدولة.

لكن رغم هذا اللين و الاعتدال البورقيبي تجاه اليهود، هل كانت الجبهة اليهودية تبادل نفس الشعور للح. د. ج و لو من باب المجاملة؟ فالإجابة لا، لأن الجبهة اليهودية كانت تعتبر من أبرز الجبهات المعادية للحركة الوطنية التونسية. إذ أن العديد من الدراسات تتفق على أن أغلب اليهود في تونس بما فيهم الصهاينة كانوا موالين قلبا و قالبا لفرنسا حتى إن بعضهم فاق في عدائه للحركة الوطنية التونسية غلاة الاستعماريين الفرنسيين أنفسهم، و ذلك بشهادة الكاتب اليهودي أصيل تونس (ألبار ميمي) الذي قال: « إن تَمَثَل الحضارة الفرنسية قد أصبح بعد مضي أكثر من قرن على الحضور الفرنسي بتونس الظاهرة الطاغية في صفوف هؤلاء اليهود، و قد عبر عنها اليهودي (شملا سؤوول) بكليب يحمل عنوان الذاتية اليهودية تحتضر»¹. من جهة أخرى كانت علاقة إدارة الحماية باليهود ملتبسة يشوبها التقارب و التآمر، فلا هي علاقة عدائية واضحة، و لا هي صلة صداقة و تعاون بصفة قطعية، و كان اليهود محل مراقبة و متابعة أمنية كسائر العناصر بالبلاد التونسية².

لقد كانت الأغلبية الساحقة من اليهود في تونس شديدة التعلق بفرنسا، و مقتنعة أن مواقف قادة الح. د. ج السلمية من اليهود لا تعكس موقف الأغلبية من السكان المسلمين. و قد حاول قادة الحزب بكل استطاعتهم لطمأنة اليهود على مستقبلهم في تونس، فكتب بورقية

¹ - الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص 168.

² - طارق بضيوف، المرجع السابق، ص 402.

في رسالة بالفرنسية في تاريخ 20 أبريل 1952 متحدثا عن المسجونين الوطنيين في رمادة بالصحراء التونسية: « إن أحسن معبر عن حركتنا، هو وجود يهود و مسلمين في هذا المحتشد في سبيل المثل الوطنية و سيتواصل هذا الواقع طالما بقي الحزب الدستوري قائما»¹.

بينما كان بورقية متواجدا بالقاهرة طرحت مسألة وضع الأقلية اليهودية في تونس عام 1946م، و لا سيما في إطار نضال التونسيين لمصلحة فلسطين و التضامن مع شعبها. و ظهرت تباينات حادة في مضمون موقف الحزبين الدستوريين من هذه القضية، و في شأن السلوك الذي يجب اتباعه تجاه الأقلية اليهودية على المستوى الاقتصادي و السياسي. فبالنسبة للديوان السياسي حسب ما ذكره الحناشي بدأ الخطاب يراجع خلال هذه المرحلة بعض المفاهيم المتعلقة بالصهيونية و اليهود بحكم التطورات التي عرفت المنطقة، مثل الممارسات الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني و تحالف الصهيونية مع الاستعمار بشكل عام².

حين اندلعت الحرب في فلسطين سنة 1948م كان بورقية واحدا ممن شهدوا وطأتها فيذكر في مذكراته: « لقد شهدت وطأة الحرب الأولى بين الدول العربية و العصابات الصهيونية و انهزام الجيوش العربية السبعة، و بعد استيلاء اليهود على أرض تزيد عن القسم الذي أعطته إياهم المنظمة بنسبة 24% كنت أقول لعزام: « أنا لا أريد منكم سلاحا و لا كلاما بل إلقاء كلمة في اجتماعات الجامعة. فيجيبني نحن مشغولون بقضية فلسطين و حالما نفرغ منها نعى بقضية تونس»³.

كما أن قيادة الح. د. ج استطاعت أن تعي مبكرا القوة التي تتمتع بها الحركة الصهيونية و التحالف القوي الذي يربطها بالدول الغربية، بحيث تواجد الكثير من أفرادها قريبا من سلطة القرار في تلك الدول. و فهمت طبيعة الخطاب السائد آنذاك على المستوى الدولي سياسيا و ثقافيا، و هو خطاب كان يؤيد الصهيونية و دولة إسرائيل، فعدلت قيادة الحزب بعض مواقفها الحماسية التي برزت خلال معركة التقسيم و أدركت ضرورة اعتماد

¹ - الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص 169.

² - عبد اللطيف الحناشي، تطور الخطاب السياسي ...، المرجع السابق، ص ص 287-288.

³ - الحبيب بورقية، بورقية بلسان بورقية ...، المصدر السابق، ص 251.

خطاب معتدل و غير معاد لليهود و الصهيونية بصورة واضحة¹.

حددت بعض الدراسات التونسية (دراسة الحناشي) بداية الخمسينات على أنها سنة التحول في موقف الحركة الوطنية، حين تحول خطاب قيادة الح. د. ج (الديوان السياسي) من مرحلة التفهم و العطف، إلى مرحلة التجسيد العملي لمفاهيمها و قناعاتها في شأن الأقلية اليهودية. ففي حركة محسوسة أجلس بورقية إلى جانبه في اجتماع جماهيري عام في مدينة قابس ممثل الأقلية اليهودية في قفصة و قابس، و أفسح المجال لرابي قابس لإلقاء كلمة في الاجتماع. و في الوقت نفسه كان يحرس المهرجان الخطابي نحو 400 شاب دستوري أغلبهم ممن تطوعوا في حرب فلسطين². و هذه الحادثة إن دلت على شيء إنما تدل على وصول الحزب الدستوري الجديد إلى درجة من التناغم السياسي بين أقطابها أعضاء و قاعدة و بين الأقلية اليهودية. كما تتم على جهود بورقية الحثيثة في إحداث تقارب بين التونسيين على اختلاف ديانتهم و انتماءاتهم خاصة و أن البلد كان يتجه نحو مفاوضات مصيرية.

حتى إن بورقية في مقابلاته مع المسؤولين الأمريكيين كان يشدد على ديمقراطية حزبه، ففي مذكرة محادثة كتبها إيرل ريشي (earle richey) من مكتب الشؤون الإفريقية سنة 1951م حول الوضع السياسي في تونس ذكر فيها: « لقد صرح بورقية أن الدستور الجديد كان ديمقراطيا حقا و شدد على الطبيعة الديمقراطية للحركة الوطنية في تونس، و أشار إلى أن تونس ليس لديها مشكلة يهودية، و أن الحركة القومية في تونس كانت في الأساس حركة وطنية يدعمها جميع التونسيين»³.

هذا و قد ثمن بورقية إشراك يهود تونس في الحياة السياسية الوطنية حين دعا باي تونس اليهود إلى تقديم رأيهم في الإصلاحات عام 1952م، و كان يكثر من ذكر اليهود في الرسائل التي كان يرسلها إلى رفاقه من منفاه، و اعتبرهم مواطنين تونسيين، و أكد من جديد طبيعة الدولة التونسية كما يراها غير ثيوقراطية مادام أن رعاياه ليسوا كلهم مسلمين. كما ثمن و هو مبعد في أقصى الجنوب التونسي العلاقات السائدة بين اليهود و المسلمين في

¹ - عبد اللطيف الحناشي، تطور الخطاب السياسي...، المرجع السابق، ص 295.

² - نفسه، ص 303.

³ - F.R.U.S, memorandum conversation by early richey of the office of African affair, vol.5, 14/9/1951, doc773.

البلاد، و اعتبر أن وجود بعض اليهود إلى جانب المسلمين دليل على مواطنة هؤلاء واعتبرها من خصائص الحركة¹.

كان من بين المسجونين اليهود في سجن رمادة (أندري باروش)، و كان موردا للحرير أثناء الحرب العالمية الثانية و استطاع جمع ثروة كبيرة و أصبح من مسيري الاتحاد التونسي للصناعة و التجارة بداية من 1948م بصفته رئيس جامعة تجار الأقمشة، و انخرط في الحزب الدستوري الجديد، و كان مدير الجريدة "le petit matin" اليومية التي صدرت بين 1956 و 1967م. و بعد استقلال البلاد شغل خطتي كاتب دولة للأشغال العمومية، ثم كاتب الدولة للإسكان أواخر الخمسينات، و كذلك (ألبير بسيس) الذي شغل خطة وزارية².

إن احترام بورقية اليهود التونسيين حسب الحناشي هي قناعة وظيفها في معركته السياسية ضد فرنسا، حتى إن حكومة الطاهر بن عمار التفاوضية المدعومة من قبل الديوان السياسي ضمت يهوديا تونسيا، و قد أوضح بورقية أن وجود هذا اليهودي يفند ما يدعيه الاستعمار حول أنه إذا خرجت فرنسا فإن أمن اليهود يصبح مهددا، غير أن العكس هو الذي حدث³.

و قد لخص الحناشي أسباب التحول في الموقف البورقيبي من مرحلة التقهّم و العطف إلى التجسيد الفعلي لقناعاته في شأن الأقلية اليهودية في أن المسألة كانت مرتبطة في مرحلة أولى لما أصبحت عليه الحركة الصهيونية من قوة التأثير في السياسة الدولية، إضافة إلى تأكيد رغبة بورقية في استقطاب أفراد من النخبة الاقتصادية اليهودية إلى صف الحركة، حتى تكون الأخيرة ذات أفق وطني و تتميز بتنوع الانتماءات الدينية لمواطنيها، و لإضفاء مسحة من التسامح عليها حتى تظهر أنها بعيدة عن التعصب، و في مرحلة ثانية سحب البساط من تحت فرنسا التي أرادت أن تلعب بالورقة اليهودية، من حيث إلهاء الحركة في صراعات ثانوية و إبعادها عن أهدافها الأساسية⁴.

لم يكن تفكير بورقية بهذا المنطق استثنائيا، إذ أن هناك من الوطنيين المغاربة من

¹ - عبد اللطيف الحناشي، تطور الخطاب السياسي...، المرجع السابق، 304 .

² - الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص 169-170.

³ - عبد اللطيف حناشي، موقف بورقية من القضية الفلسطينية (1946-1965)، "مجلة الدراسات الفلسطينية"، م. 18، ع. 69.

2007، ص 2-3.

⁴ - عبد اللطيف الحناشي، تطور الخطاب السياسي...، المرجع السابق، ص 306.

تبنوا هذا الفكر، و لنا أن نستدل بالتجربة الجزائرية في مسألة محاولة المناضلين السياسيين الجزائريين الحد من استغلال الإدارة الاستعمارية العنصر اليهودي لتكريس سياستها. فبعد اندلاع الثورة التحريرية الجزائرية و غداة عقد مؤتمر الصومام 1956م بأشهر قليلة، و أمام الصمت و التردد اليهودي للالتحاق بالثورة (خاصة و أن معظمهم أبدى مواقف تميل للفرنسيين)، حاولت جبهة التحرير الجزائرية توجيه نداء إلى اليهود الجزائريين من أجل صد المؤامرات الاستعمارية، و التي كانت تعتمد سياسة فرق تسد، و تحريض المسلمين على بعضهم البعض¹.

عودة إلى تونس، كانت إدارة الاستعمار تسعى إلى جعل اليهود ضحايا للتعصب الإسلامي، و تأثير ذلك سيكون كبيرا في الأوساط الأمريكية و الإسرائيلية التي كانت تستغل الهفوات، فافتعلت الإدارة حوادث عنف انطلقت في جانفي 1952 م بعدما هوجمت محلات تجارية بالقرانة و استباححت مقابر اليهود بحثا عن الذهب. كما تعرضت محلات لليهود للنهب في القيروان و قذف منازل تابعة لهم، و اتهمت الإدارة قادة الديوان السياسي بافتعال هذه الحوادث، لكن الديوان أصدر بيانا يدين فيه أعمال الشغب تلك ضد اليهود، و أكد على الأخوة اليهودية بين اليهود و المسلمين، كما ندد (شارل حداد) رئيس لجنة الأقلية بما جرى و حمل المسؤولية للإدارة الفرنسية².

و منه كانت مواجهة السياسة الفرنسية نهاية الأربعينيات و بداية الخمسينيات في تونس تتطلب تحسين العلاقة إلى درجة أكبر مع الأقلية اليهودية في نظر بورقية و حتى حزبه، حتى لا يفتح جبهة جديدة على نفسه و يعرض جهود الحركة الوطنية التونسية للانهيأ، و السير خطوة نحو المفاوضات مع الطرف الفرنسي. و في المقابل كان الموقف من القضية الفلسطينية كنتيجة حتمية سيخضع لمثل هذه الحسابات.

لكن المسألة التي تفرض نفسها في هذا السياق، هل ضم الح. د. ج فعلا عناصر

¹ - أول نص رسمي للثورة التحريرية موجه إلى الطائفة اليهودية، يوم 1 أكتوبر 1956 حرره محمد بجاوي. مما جاء فيه: إن جبهة التحرير التي هي الممثل الوحيد للشعب الجزائري ترى اليوم أنه من الواجب عليها أن تتوجه مباشرة إلى الجالية الإسرائيلية لتطلب منها أن تعلن صراحة عن إنتمائها إلى الأمة الجزائرية، و إن هذا الاختيار إن وقع التعبير عنه بكل وضوح سوف يقضي على كل الخلافات و يقتلع بذور الحقد التي يربعاها الإستعمار الفرنسي. للمزيد عن هذا النداء ينظر: فوزي سعد الله، **يهود الجزائر موعد الرحيل**، دار قرطبة، الجزائر، 2018، ص 239-242.

² - عبد اللطيف الحناشي، **تطور الخطاب السياسي...**، المرجع السابق، ص 306-307.

يهودية بين صفوفه خاصة و أنه أبدى تجاههم نوعا من العطف؟

حسب الباحث التيمومي إن الح. د. ج هو التنظيم السياسي المسلم الوحيد الذي ضم بين صفوفه بعض اليهود¹. لكن الباحث الحناشي يشير إلى أنه لا يُعرف شيء عن وجود عناصر يهودية في الحزب الدستوري، أو عن سعي الديوان السياسي إلى استقطاب اليهود لصفوفه. و أنه ربما يكون أفراد من النخبة اليهودية أصدقاء بعض قادة الح. د. ج². لكن إذا ما سلمنا بالفرضية الثانية، فلماذا لم يضم في صفوفه اليهود على الرغم من التعاطف الكبير الذي كان يظهره تجاههم؟

في نظرنا أنه و رغم التعاطف الكبير تجاه الأقلية اليهودية إلا أن الحزب الدستوري و هو يعتبر عسبا حساسا في الحركة الوطنية التونسية كان ينظر بريية و حذر لتواجد اليهود بين صفوفه، خاصة و أنه يدرك جيدا العلاقة القوية بين هذه الفئة و إدارة الاستعمار، فرغم المجاملة إلا أنه لا يمكن أن يمنح الثقة الكاملة فيهم، حتى إن المناصب التي أعطيت لليهود بعد الاستقلال لم تشمل المناصب الأكثر حساسية في جهاز الدولة، و هو مؤشر على أن هناك حالة من اللإرتياح تجاه اليهود متصهينين كانوا أم غير ذلك.

إن العطف التكتيكي تجاه يهود في تونس و الذي تبناه بعض قيادة الح. د. ج و على رأسهم الحبيب بورقية لم يبق حبيس العلاقة بين الحزب و هذه الفئة، و إنما ارتقى إلى مستوى اللقاءات السرية التونسية الإسرائيلية و الصهيونية، كل حسب مصلحته و أهدافه في وقت كانت تمر فيه القضية الفلسطينية بفترة حرجة و يعاني فيه الفلسطينيون مأساة الطرد القسري و ممارسات العصابات الصهيونية. و من المهم جدا أن نتطرق لطبيعة و مضامين هذه اللقاءات لفهم أبعادها و أهدافها و منها تأثيرها على الموقف السياسي التونسي تجاه قضية فلسطين.

حسب الباحث المتخصص في الأرشفة الإسرائيلي الخاص بمنطقة المغرب العربي مايكل لاسكير (Michael M. Laskier) أن الاتصالات الأولى بين إسرائيل و الوطنيين التونسيين أقيمت في نيويورك في الفترة الممتدة من 1951-1952م في أوج حملة الاستقلال التونسية، و ذلك عندما اقترب ممثلون تونسيون من البعثة الإسرائيلية لدى الأمم المتحدة.

¹ - الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص 168.

² - عبد اللطيف الحناشي، تطور الخطاب السياسي...، المرجع السابق، ص 304-305.

كان من بين الذين التقوا بمسؤولين إسرائيليين مبعوث الح. د. ج الباهي الأدغم¹، و هو يعتبر عضوا بارزا في المكتب السياسي للحزب و أحد المقربين من بورقية².

في 25 جوان 1952م خلال لقاء بين الأدغم و (جدعون رافائيل)³ من بعثة إسرائيل سعى الأدغم للحصول على قرار يدعم الاستقلال التونسي، و أكد لرافائيل أن حزبه لم يكن وراء أعمال الشغب المعادية لليهود التي ابتليت بها تونس. كما أجرت إسرائيل لقاءً مع صالح بن يوسف الذي اقترب من الإسرائيليين في 9 فيفري 1953م للتعبير عن شعوره بالإحباط إزاء عدم دعم إسرائيل لتونس. و أوضح أن الدول العربية هي الوحيدة التي تساعد جهود تونس في الاستقلال و أنه لا مفر من أن تتحاز لهم مستقبلا⁴.

أما بالنسبة لبورقية فقد دعا نفسه أولا إلى تسوية مع إسرائيل في مقابلة مع جريدة "لوموند" الفرنسية في جوان 1952 م حين كان في المنفى السياسي في فرنسا. و بعد ذلك بعامين أخبر بورقية (Alec.I. Easterman)⁵ رئيس المكتب السياسي للمؤتمر اليهودي العالمي في لندن، أن الحكومة التونسية المستقبلية ستدخل الجامعة العربية لكنها لن تتبع بالضرورة سياسات الجامعة أو تدعم أنشطتها السياسية. و بصفته فردا يتفهم القومية اليهودية، و لكن كعربي شعر أنه مضطر إلى اعتبار قيام إسرائيل شكلا من أشكال الاستعمار. و مع ذلك على سبيل السياسة العملية لم يستطع أن يدعم القضاء على إسرائيل

¹ - الباهي الأدغم: سياسي و رجل دولة تونسي من زعماء الحزب الدستوري الاشتراكي، لعب دورا في قيادة الحركة الوطنية، عام 1969 عين رئيسا للوزراء ولمع اسمه على الساحة العربية بصفته رئيسا للجنة المشرفة على وقف القتال بين منظمات المقاومة الفلسطينية و الجيش الأردني، فراس البيطار، الموسوعة السياسية و العسكرية، ج2، دار أسامة للنشر، عمان، 2003، ص459.

² - Michael M. Laskier: israel and the maghreb at the height of the arab-israel conflict(1950-1970), "meria", vol.4, no.2, june 2000, p96.

³ - جدعون رافائيل: مؤسس وزارة الخارجية الإسرائيلية، في حياته المهنية التي بدأت قبل إنشاء إسرائيل، تفاوض السيد رافائيل مع النازيين لإرسال اليهود إلى فلسطين، و عمل في الأمم المتحدة و أوروبا و أجرى اتصالات سرية مع دول عربية. كان عضوا في وفد الوكالة اليهودي لدى الأمم المتحدة عندما صوتت الجمعية العامة لتقسيم فلسطين. ينظر:

- Joel Greenberg: Gideon rafaél, 85 a founder of the israeli foreign ministry, "the new york times", 12/2/1999.

⁴ - Michael M. laskier: israel and the maghreb at the height of the arab-israel conflict(1950-1970), op.cit , p96.

⁵ - بدأ الاجتماع في 9 أوت 1954، في قصر دي لافيرت (la Fert) بالقرب من باريس مكان منفي بورقية، ينظر: - Michael M. laskier, israel and the maghreb from statehood to oslo, university press of florida, 2004, p32.

و سعى لتحقيق السلام بينها و بين العرب¹.

و عليه بناء على ما نوقش في تلك اللقاءات السرية فإن بورقية قد حدّد موقفه مستقبلا من هذا الصراع، و هو اتخاذ موقف محايد مبدئيا من خلال دعوته للسلام. لم تتوقف الاتصالات التونسية الإسرائيلية عند هذا الحد بل استمرت و تكثفت، لكون بعض المصالح العاجلة و الآجلة لتونس كانت تتطلب تمتين روابط التحالف خاصة مع القوى العالمية المتنفذة، و في ظرفية كانت تجنح فيها الدول المغاربية المستعمرة إلى طريق الاستقلال.

في فيفري 1956م عندما كانت تونس على وشك تحقيق الاستقلال، عقد بورقية اجتماعا سريا مع (ياكوف تسور) سفير إسرائيل في فرنسا، و فهم تسور من هذا اللقاء أنه من الأهمية إدراج تأييد اليهود الأمريكيين لتأمين المساعدات الاقتصادية الأمريكية لتونس. و بعد حصول تونس على الاستقلال، في 3 أكتوبر 1956م التقى تسور بوزير المالية التونسي الذي طلب المساعدة في بناء مستوطنات زراعية تعاونية، و تم تفويض تسور للقبول بالطلبات التونسية بهدف إضعاف المقاطعة الاقتصادية العربية لإسرائيل و دخول المجال المغاربي. و اتفق الطرفان على أن باريس ستكون أفضل مركز لتنسيق المشاريع المشتركة تحت رعاية (بينحاس سابير) وزير التجارة و الصناعة في إسرائيل. و بررت وزارة الخارجية الإسرائيلية المساعدة لتونس بحجة أن بورقية لن يتوافق مع سياسات الجامعة العربية الاقتصادية تجاه إسرائيل².

عودة إلى اللقاء الذي جمع تسور ببورقية قبيل إعلان الاستقلال التام لتونس، فحسب الدراسات التي قام بها لاسكير تبين أنه في فيفري 1956م و بينما كان الوطنيون التونسيون يضعون التفاصيل النهائية لاتفاقهم على الاستقلال عن فرنسا، انتهزت السفارة الإسرائيلية في باريس مناسبة تواجدهم لإقامة علاقات معهم، و أوكلت مهمة ترتيب لقاءات مع التونسيين إلى السفير تسور، و كان مضمون الاجتماع الأول بينه و بين بورقية الذي عقد في بداية فيفري، هو افتتاح تسور حديثه بالقول أن الحكومة الإسرائيلية تعتبر بورقية ممثلا لطريقة

¹ - Michael M. Laskier: israel and the maghreb at the height of the arab-israel conflict(1950-1970) , op.cit, p97.

² - ibid, p97.

تفكير جديدة في حقبة ما بعد الاستعمار في العالم العربي. و ناقش بورقية المشاكل التي يواجهها مع خصمه صالح بن يوسف الذي فر من تونس و حصل على حق اللجوء السياسي في القاهرة، كما اشتكى بورقية من أن حرب 1948م و ولادة إسرائيل أسفرتا عن محنة اللاجئين الفلسطينيين، و أن هذا الأمر هو ظلم فادح يشغل كل العالم العربي¹.

رغم هذا إلا أن بورقية امتدح إسرائيل لإنجازاتها، و عندما جادل بورقية تسور بأن المخاوف و الشكوك العربية غير المبررة تماما في ضوء الأحلام الإسرائيلية في التوسع الإقليمي، رد تسور أن مثل هذه التصريحات كانت من جانبهم (أي من جانب العرب) مجرد حيل دعائية لتشويه سمعة إسرائيل. و لم يستبعد بورقية بشكل قاطع إمكانية التعاون التقني و الزراعي مع إسرائيل، لكنه لم يقدم التزاما صارما بتحقيقها الفوري. و نفس الشيء بالنسبة للعلاقات الدبلوماسية و غيرها، لأن الضغوط السياسية من قبل (المتطرفين على حد تعبيره) جعلت من المستحيل إقامة علاقات رسمية، و بالتالي أي ترتيبات مستقبلية ستبقى غير رسمية، و شدد على أن إسرائيل حققت معجزات في بنيتها التحتية و الزراعية².

من وجهة نظرنا أنه في هذا اللقاء حدث نوع من الثقة المتبادلة، ما يوحي بوجود جو من الارتياح بين الطرفين إلى حد التوصل إلى إمكانية عقد اتفاقيات تعاونية في مجالات عدة، كما بين أن بورقية كان شديد الإعجاب بما وصلت إليه إسرائيل من إنجازات، حتى إنه رأى أنها نموذج يحتذى به. كما نلاحظ أن مؤثرات القضية الفلسطينية -إذ أشار إلى أن الحرب خلفت مأساة للفلسطينيين- و كذا المصالح الوطنية لتونس كانت تضغط بشدة على طبيعة الحوار، و هو الذي أجبر بورقية في طرح آراءه بشيء من الاعتدال قدر الإمكان.

هذا و كانت مصلحة الح. د. ج في هذه الفترة (1956م) في الحد من التوترات بين إسرائيل و الدول العربية هو إضعاف الدفع الإمبريالي للمصريين (الذين كانوا يدعمون الحركة اليوسفية بقوة) في المنطقة. و قد شكك (محمد المصمودي) في لقاء له مع تسور في صدق إسرائيل في لقاء الزعماء العرب الذين قد يكونون مستعدين للتفاوض، فكان رد تسور أن حكومته كانت على علم بالقادة العرب الذين دافعوا عن المفاوضات بهدوء لكن لم

¹ - Michael.m. laskier, "israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s; egypt and Tunisia through israelé lenses", department of middle eastern studies, bar-ilan university Israel, p6.

² - Michael M. Laskier, "israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s", op.cit, p7.

يكن أي منهم جريئاً بما يكفي لإعلان ذلك علناً، لكن المصمودي أشار إلى أكرم حوراني الزعيم البارز لحزب البعث السوري العربي و الذي اعتبره في ذلك الوقت الزعيم العربي الأكثر تقدماً في الشرق الأوسط¹. و هذا الحديث من طرف المصمودي هو تحدٍ لإسرائيل و التشكيك في جديتها في القيام بمفاوضات مع العرب.

بعد حصول تونس على الاستقلال التام، كانت إسرائيل تعمل بقوة على تنفيذ خطتها في التغلغل أكثر في المغرب العربي للحصول على حليف لها في المنطقة، و فك العزلة المضروبة عليها في المشرق، و هو ما سيؤثر بصفة مباشرة على موقف تونس من القضية الفلسطينية حتى بعد استقلالها.

استمرت الاجتماعات التونسية الإسرائيلية حتى وقوع العدوان الثلاثي على مصر في 29 أكتوبر 1956². فأدت حرب سيناء السويس و نتائجها إلى توقف الاتصالات غير الرسمية بين الطرفين، و أعرب مسؤولون تونسيون على مختلف مستويات الحكومة عن إحباطهم تجاه فرنسا، و في بعض الأحيان أضافوا إسرائيل إلى فئة القوى الاستعمارية³.

كانت العلاقات التونسية المصرية في هذه الفترة جد متوترة لأسباب تعود جذورها إلى ما قبل استقلال تونس⁴. و قد اتضحت صورة هذه العلاقات خلال زيارته للو. م. أ في 21 نوفمبر 1956م، و هي زيارة أعقبت العدوان الثلاثي على مصر. حرص فيها بورقية على أن يبين للرئيس الأمريكي إيزنهاور (Dwight Eisenhower) و الإدارة الأمريكية أن وجهة نظر النظام التونسي فيما تعلق بإسرائيل تختلف عن مواقف معظم الدول الإسلامية و

¹ - Michael M. Laskier, "israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s, op.cit, p8.

² - ibid, p8.

³ - ibid, p11.

⁴ - ما زاد من توتر تلك العلاقات هو موقف بورقية من اليهود، إذ كان له وزيراً يهودياً و هو الأمر الذي لم يرتضيه عبد الناصر، فقد كان أندري باروخ لبعض الوقت وزيراً للتخطيط و أحد أقرب مستشاري بورقية، و بحسب روايته للأحداث التي أدت إلى استقالته من الحكومة، كان باروخ يرغب في استئناف ممارسة القانون الخاص و وافق بورقية على استقالته، و لما كان الأخير في خلاف مع عبد الناصر لأنه كان لديه وزيراً يهودياً، فقد رفض بورقية منح الاستقالة لباروخ في ظل هذا الوضع، و لكن عند إجراء تعديل وزاري بعد بضعة أشهر بدا الوقت مناسباً و عاد باروخ للحياة الخاصة. ينظر:

- Edwin eytan, as bourguiba fights to keep unity, jews watch nervously, "sentinel", 21/9/1961, p16.

العربية لا سيما مواقف مصر و سوريا، و حسب بعض وجهات نظرتونسية لم يكن بورقية يقول غير الصدق لمضيفيه، فقد كان واضحا في مواقفه من الحركة الصهيونية منذ الثلاثينيات عندما استنكر خروج التونسيين في مظاهرة شعبية للتصدي للباخرة الصهيونية سارا التي قدمت لتونس عام 1937 بغية تسهيل هجرة اليهود التونسيين إلى فلسطين و نعت المتظاهرين بالرجعية¹.

أثناء العدوان على مصر احتج بورقية بغضب على تعرض ممتلكات العائلات اليهودية من أصل تونسي للنهب في الإسكندرية، و سمحت الحكومة التونسية لليهود بالهجرة مع أموالهم إلى خارج تونس على الرغم من أثرها السلبي في الاقتصاد التونسي. و في 10 فيفري 1957م استقبل (كوهين) و هو يهودي طرد من مصر لنشاطه المعادي للعرب، كما استقبل وفد الجمعية اليهودية الأمريكية، و سمح بنقل رفات اليهود التونسيين إلى إسرائيل على نفقة الحكومة التونسية، ثم استقبلت تونس وفدا إسرائيليا شارك في المؤتمر الخامس للاتحاد الدولي للنفابات الحرة الذي عقد في تونس عام 1957م².

بعدها أرسل رئيس المؤتمر اليهودي العالمي (ناحوم غولدمان) ايسترمان لمقابلة بورقية 18 جويلية 1957³. و في تقرير له ذكر ايسترمان أن بورقية أكد أن على العرب أن يدركوا أن إسرائيل جاءت لتبقى و أن يتفاوضوا بطريقة معقولة بمبدأ خذ و طالب. و سأل ايسترمان لماذا لا يعلن بورقية عن مثل هذه الأفكار؟ فكان رد بورقية: « إن هذه الأفكار غير ناضجة اليوم بالنسبة للرأي العام، أعطوني مهلة من الزمن حتى أقنع الرؤساء العرب جميعا بحتمية التفاوض مع الكيان الإسرائيلي»⁴. فأوضح بذلك بورقية الدور المنوط به في القضية الفلسطينية و الذي يتمثل في بذل جهود سياسية أكبر لإقناع العرب بضرورة المفاوضات للخروج بحل مرضي.

¹ - محمد العربي الجليدي، حكايات حب جبلية، دار حروف، تونس، 2017، ص 694.

² - إشراق نوري عبد بخيت السامرائي، الحبيب بورقية و دوره في الحياة السياسية 1933-1987، رسالة ماجستير، التاريخ المعاصر، كلية الآداب، بغداد، 2003، ص 98.

³ - أنظر الملحق رقم: 7

⁴ - محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ص 258.

هذه المنعرجات التي تخللت واقع نضال الحبيب بورقية في ظل الحركة الوطنية التونسية، و علاقته بالقوى العالمية و على رأسها الو. م.أ، و بعض الأطراف الإسرائيلية ستشكل بالنسبة لنا قاعدة هامة يمكن الارتكاز عليها في دراسة الدور البورقيبي تجاه القضية الفلسطينية مرحلة ما بعد الاستقلال.

استنتاج جزئي:

- ارتبط بورقية بالقضية الفلسطينية و ضمنها في خطابه القومي حينما كان لاجئاً سياسياً في القاهرة، حيث لازم المناضل الفلسطيني محمد علي الطاهر و كان على مقربة من الجامعة العربية التي كانت منشغلة بهذه القضية.
- في إطار الح. د. ج دافع بورقية عن القضية الفلسطينية في مذكرة أرسلها إلى اللجنة الأنجلو أمريكية عام 1946 م باسم البلدان المغاربية، أدان فيها الواقع الاستعماري في كل من بلاد المغرب و فلسطين.
- لم يبد بورقية ارتياحاً كبيراً لتطوع التونسيين للجهاد في فلسطين، غير أنه أراد استغلال فرصة تواجدهم هناك للكسب الخبرات العسكرية من أجل تحرير تونس.
- في خضم نضاله السياسي ضد الاستعمار الفرنسي، تفادى بورقية أي موقف من شأنه أن يثير يهود تونس، و دعا إلى التمييز بين اليهود الصهيونيين و اليهود غير الصهيونيين.
- أجرى العديد من عناصر الحزب الدستوري الجديد و من بينهم بورقية اتصالات مع أطراف إسرائيلية سنوات الخمسينات، و في أوج حملة الإستقلال التونسية من أجل كسب الدعم لمطالبهم الوطنية.

الفصل الثالث :

بورقية و القضية الفلسطينية مرحلة بناء الدولة (1956-
(1965

أولاً: بورقية و مسألة الهجرة اليهودية من تونس إلى الكيان
الصهيوني إسرائيل

ثانياً: بورقية و القضية الفلسطينية في مؤتمرات القمة
العربية 1964 م.

ثالثاً: جهود بورقية الدبلوماسية إزاء القضية الفلسطينية في
الإطار الإفريقي (منظمة الوحدة الإفريقية).

رابعاً: مقترح بورقية في أريحا 1965 لتسوية القضية الفلسطينية
(الإرهاصات - المواقف - النتائج).

خامساً: بورقية و إشكالية الاستثناء في قضية فلسطين ما قبل
خطاب أريحا و بعده .

أولا/ بورقية و مسألة الهجرة اليهودية من تونس إلى الكيان الصهيوني إسرائيل.

إذا كان الفلسطينيون قد حاربوا السياسة البريطانية (قبل قيام الكيان الصهيوني) و القرارات الدولية من أجل وقف الهجرة اليهودية في اتجاه فلسطين، فإن هناك من القادة العرب من وقف العكس من ذلك و شجع على الهجرة إلى هناك. و بحسب ما جادت به العديد من الدراسات كان بورقية واحدا ممن تقبلوا هجرة اليهود إلى إسرائيل و قدموا تسهيلات لذلك. لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا و تماشيا مع موضوع دراستنا، لماذا شجع بورقية الهجرة اليهودية؟ و هل خدمت هجرة يهود تونس إلى إسرائيل القضية الفلسطينية؟ أم الكيان الصهيوني؟ أم سياسة بورقية؟

حسب ما توصلت إليه بعض الدراسات كان بورقية يدرك دور تلك الجماعات اليهودية و الثقل الذي تتمتع به في الأوساط الأمريكية و غيرها، و لذلك طلب عند التقاءه في نيويورك¹ بداية الخمسينات بممثل الكيان الصهيوني في الأمم المتحدة، أن تدعم إسرائيل المطالب الوطنية التونسية مقابل التزام التونسيين الوطنيين بتسهيل هجرة اليهود التونسيين في اتجاه إسرائيل، و العمل في الأوساط العربية لإقناعها بالاعتراف بها². فكانت مصلحة تونس تتطلب وضع التزامات سرية و تنفيذ مطالب الكيان الصهيوني لما يتمتع به هذا الأخير من نفوذ في الوسط الأمريكي.

وجدت الحكومة التونسية نفسها بعد الاستقلال مضطرة لتنفيذ التزاماتها، فما كان على بورقية إلا أن يدعم مسألة الهجرة رغم أن الطرف الآخر (إسرائيل) لم يساند مطالب التونسيين في الاستقلال بل وقف ضدها. لكن في اعتقادنا و بعيدا عن تنفيذ التزاماته التي كان قد وعد بها فإن هذا يبقى سببا غير كافٍ لدعم بورقية للهجرة اليهودية، و يمكن أن نرجح بعض الأسباب (كفرضيات) الأخرى التي دفعته لدعم سياسة الهجرة منها: ربما تخوف بورقية من انتشار الفكر الصهيوني أوساط يهود تونس، الأمر الذي سيعزز الصراع العقائدي بين هذه الفئة و مسلمي تونس. أو تخوفه من أن يصبحوا عنصرا مهددا لأمن الدولة التونسية رغم العلاقات الحسنة التي جمعت ببعض الأطراف اليهودية أو الصهيونية، فالتخوف من الاجتياح الصهيوني لتونس و بالتالي استعمار آخر قد يحطم مكسب الاستقلال الذي

¹ - نيويورك كانت مركز كبيرا للتجمع اليهودي و كذا مركزا للوبي الصهيوني.

² - عبد اللطيف حناشي، موقف بورقية من القضية الفلسطينية...، المرجع السابق، ص 2.

استرجع حديثا ربما كان دافعا لدعم الهجرة. و رغم أن هذه الهجرة قد تتقل معها رؤوس أموال ضخمة و هو ما يتسبب في تراجع الاقتصاد التونسي (خاصة و أن خروج الاستعمار خلف وضع اقتصاديا مترديا) إلا أن بورقية ترك حرية الهجرة لليهود، و هو ما يشير الى أن دوافع دعم الهجرة قد تكون وراءها مصالح سياسية أمنية لفائدة تونس.

فقد أوضح بورقية أن الدعاية الصهيونية أوجدت لدى اليهود خصوصا الشبان منهم عقلية استعمارية قوامها احتقار أهل البلاد و الكبرياء العنصري، و ستقتنع الشعوب بكون اليهود عنصرا أجنبيا داخل الأمة، و لا سبيل لإدماجه أو الاطمئنان إليه، مما يدعو إلى الضرب على يده توقيا شره¹. و لم تكن تونس التي تضم نسبة معتبرة من اليهود بمنأى عن هذا الخطر المحدق بها.

حسب جريدة "sentinel" صوت يهود شيكاغو الأمريكية، أن اليهود بالرغم من أنهم كانوا في وضع جيد مع الحكومة التونسية، و بورقية نفسه لديه يهود من أقرب أصدقائه و مستشاريه، إلا أنهم كانوا يخشون من سرعة تغير المشهد السياسي، و في ظل الوضع المعقد في شمال إفريقيا (يقصد به الصراع الفرنسي التونسي إذ لم يتم إجلاء القوات الفرنسية جلاء تاما، كما أن الحرب كانت لا تزال قائمة في الجزائر في تلك الفترة)، قد يصبحون قريبا في بيادق المعركة من أجل التفوق السياسي². فتخوف اليهود في تونس على أرواحهم رغم السياسية السلمية التي انتهجتها الحكومة جعلهم يفضلون الهجرة إلى فلسطين لتأمين حياتهم. كما أشادت بعض الصحف اليهودية بمعاملة الحكومة التونسية لليهود، حيث ذكرت أن تلك الحكومة في عهد بورقية لم تكن ترى أي مشكلة يهودية و تتصرف كما لو لم يكن هناك أي مشكلة، و أن معاداة السامية غير موجودة عمليا في تونس، إذ لم يسمح بورقية بأي تمييز على أسس عرقية أو دينية، حتى إنه ترك لليهود حرية اختيار الهجرة أو البقاء، و على الرغم من أنهم يخضعون لأنظمة اقتصادية صارمة مثل التونسيين الآخرين، فهم ليسوا مؤهلين لتصدير العملة المحلية أو الأجنبية، و يجب عليهم دفع الرسوم الجمركية عند خروجهم³.

¹ - عبد اللطيف الحناشي، تطور الخطاب السياسي...، المرجع السابق، ص 287.

² - Edwin eytan, op.cit,p16.

³ - ibid, p15.

لكن حسب إحدى المواقع الإلكترونية اليهودية منها "virtual jewish history" و المهمة بتاريخ اليهود، أنه بعد حصول تونس على استقلالها صدرت سلسلة من المراسيم الحكومية المناهضة لليهود، و في عام 1958م ألغت الحكومة مجلس الجالية اليهودية في تونس، و دمرت المعابد و المقابر و الأحياء اليهودية القديمة من أجل التجديد الحضري، و أدى الوضع الغير مستقر إلى هجرة 40 ألف يهود تونسي إلى إسرائيل¹. لكن الزعيم الحالي للجالية اليهودية في تونس (بيرز طرابلسي) شكك في رواية بعض المؤرخين الغربيين بأن اليهود تعرضوا للاضطهاد في عهد بورقية، إذ يذكر أن بورقية وضع كل التونسيين على قدم المساواة، و استبعد القوميين، و ألغى المواد المتوافقة مع الشريعة الإسلامية في الدستور².

و حسب الحناشي إن الإجراءات التي قام بها كانت تستهدف العناصر اليهودية التي كانت على علاقة بالتنظيمات الصهيونية و تقليص نفوذها، إذ قام بحل الفدرالية الصهيونية في تونس عام 1956م و وضع حد للدعاية الصهيونية³.

مهما تكن أوضاع اليهود مستقرة كانت أو غير مستقرة في تونس، فإن هجرتهم إلى فلسطين فاقمت من المشكلة الإنسانية و السياسية و الأمنية بها. فبالنسبة لتأثير هذه الهجرات على الفلسطينيين (الذين سيدفعون ثمن هذه الهجرات) و قضية فلسطين، يمكن اعتبارها عنصرا سلبيا إلى حد بعيد على مسار القضية. فما جادت به بعض التقارير أن فلسطين بمواردها لا تكفي لاستيعاب عدد كبير من المهاجرين اليهود، إذ جاء في التقرير السنوي لحكومة فلسطين عام 1937 ثبت من التجارب أن الحاجة كانت ماسة جدا لتحديد الهجرة إلى فلسطين تحديدا تاما، فهي لا يمكن أن تستوعب أفواجا كبيرة من المهاجرين و لا تكفي لسد حاجيات السكان الحاليين⁴.

كما تعتبر مسألة الهجرة إلى إسرائيل من المسائل المهمة التي يسعى إليها الصهاينة في إطار جمع يهود الشتات، لأن حركة الهجرة بمثابة الدم الذي يحيي إسرائيل لما يمكن أن

¹ - jewish virtual library, jews in Islami countres; tunisia. sur le lien <https://www.jewishvirtuallibrary.org/jews-of-tunisia>

² - jewish virtual, tunisia. sur le lien: <https://www.jewishvirtuallibrary.org/tunisia-virtual-jewish-history-tour>

³ - عبد اللطيف الحناشي، موقف بورقية من القضية الفلسطينية، المرجع السابق، ص3.

⁴ - صلاح محمد نصر، كمال الدين الحناوي، المرجع السابق، ص265.

تحله من مشكلات اقتصادية و مالية و سياسية لها. ففي رسالة لـ (دافيد بن غريون)¹ ألقاها في اجتماع اللجنة الصهيونية في القدس في جانفي 1954م (كانت الهجرة آنذاك قد توقفت)، و كانت الرسالة عبارة عن سؤال للجنة: « هل يجوز بعد قيام إسرائيل أن يبقى للحركة الصهيونية وجود و قد تخلت عن واجباتها حيال الهجرة؟ و إذا جاز لها أن توجد فما الفرق بين الصهيونية بغير هجرة و بين ما يبديه اليهود في أنحاء العالم من عطف على إسرائيل؟ و ما هي مثل الصهيونية و أهدافها بغير هجرة؟²». و تشير هذه الرسالة إلى الأهمية البالغة التي تكتسيها الهجرة في ديمومة الكيان الصهيوني.

كما أن في دعم الهجرة نحو إسرائيل هو تعزيز صارخ لهذا الكيان، إذ أن بعض الأنظمة العربية سواء في المشرق أو المغرب تواطأت مع القوى الاستعمارية الغربية و الحركة الصهيونية على تهجير يهود البلدان العربية إلى إسرائيل، فأصبحوا بذلك عاملا مساعدا لتثبيت وجودها³. كما أن الهجرة استطاعت أن تحول الأقلية اليهودية إلى أغلبية ما جعلهم يتمتعون بثقل ديموغرافي على حساب عرب فلسطين.

على صعيد آخر قد تتقل هذه الهجرات معها رأس مال مفيد للاقتصاد الإسرائيلي مثلما صرح به وزير خارجية إسرائيل سابقا (أبا اييان) عام 1952م، و هو أن العرب بالنسبة لإسرائيل عبارة عن قنبلة ديموغرافية، فأى حرب ستقوم لا بد من استخدام المشاة و هذا ما يمثل نقطة الضعف لديها. و صرح أيضا أن هجرة يهود شمال إفريقيا إلى إسرائيل ستزيد من أمنها العسكري، لأنه سيتم تحويلهم إلى جماعة وظيفية ذات مهام قتالية. و كانت الحركة الصهيونية ترغب من وراء هجرة يهود المغرب العربي إقامة مستعمرات سكنية لمواجهة الخطر العربي، و يعتبر السفارديم هم خطوط الدفاع الأولي عن الإشكاز من الشمال و الجنوب⁴.

¹ - دافيد بن غريون (1886-1973): اسمه الأصلي David Gruen، رجل دولة و سياسي صهيوني، أول رئيس وزراء لإسرائيل، و وزير دفاعها (1948-1953؛ 1955-1963)، لعب دورا بارزا في دعم الهجرة اليهودية نحو فلسطين، و هو من أعلن عن قيام الكيان الصهيوني في ماي 1948. للمزيد عن هذه الشخصية ينظر الرابط:

<https://www.britannica.com/biography/David-Ben-Gurion>

² - أحمد عبد القادر الجمال، من مشكلات الشرق الأوسط، مكتبة الأنجلو المصرية، بيروت، 1955، ص 274.

³ - محسن محمد صالح، منظمة التحرير الفلسطينية، تعريف، وثائق، قرارات، مركز الزيتونة، بيروت، 2014، ص 10.

⁴ - أحمد حسن سميج إسماعيل، اليهود في المغرب العربي و الحركة الصهيونية في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016، ص ص 295، 297.

و اليوم نجد أن تونس تعاني من مشكلة كبيرة هي من مخلفات الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، ففي هذا الصدد ذكر البرلماني التونسي السابق صافي سعيد: « هناك مخطط صهيوني في إسرائيل لإعداد ملف لتقديمه لـ ه. أ. م يعمل على طلب تعويض اليهود العرب كما عوضت ألمانيا اليهود الذين تركوا أموالهم في البلاد العربية و منهم تونس، حيث تدعي إسرائيل أنهم طردوا عام 1948 و 1967. و تصل تقديرات تعويض تونس من 75 إلى 120 مليار دولار كتعويض لأموال اليهود»¹. و قد أكد هذه النوايا وزير أملاك الدولة السابق (حاتم العشي) ذلك، فخلال لقاءه بسفيرة الاتحاد الأوروبي في تونس (لورا بايزا) سنة 2015 ذكرت له أن إسرائيل طلبت منها إبلاغهم بنيتها بالمطالبة بمبلغ هائل من التعويض المالي عن ممتلكات اليهود الذي فروا بعد حرب 1967 و 1973، و أشار العشي إلى أن إسرائيل قد تضغط على تونس لدفع التعويضات في أي وقت، كما أن تلك التعويضات كبيرة جدا و تتجاوز ميزانية الدولة². و عليه إن الهجرة خلقت أيضا مشكلة مالية لتونس خاصة و أن الكيان الصهيوني أصبح معترفا به من قبل الهيئة الأممية و العديد من الدول، و بالتالي إن تعويض ممتلكات اليهود في الدول العربية هو أمر جد وارد.

على الرغم من ضغوط القادة العرب في الشرق الأوسط، قاوم بورقية جميع التأثيرات داخل بلاده و خارجها لمنع هجرة اليهود التونسيين إلى إسرائيل. حتى إنه في العدوان الثلاثي على مصر كانت الوثائق الرسمية لهؤلاء المهاجرين تحمل بوضوح عبارة وجهة إسرائيل (destination israel)، لكن في أعقاب الحرب أزلت السلطات التونسية من جوازات السفر عبارة وجهة إسرائيل، حتى لا تزيد من تفسير منتقديها الذين سينددون بهم باعتبارهم خونة لقضية التضامن العربي زمن الحرب. لكن مكتب الهجرة اليهودية لم يتوقف و ظل مكتب الوكالة اليهودية في تونس مفتوحا في جميع الأوقات³.

يمكن القول أن دعم الهجرة اليهودية شكّل عنصر تهديد لمسار القضية الفلسطينية لكونه أتاح لليهود الهجرة تحت مسمى حق العودة، و أضر بحق اللاجئين الفلسطينيين في

¹ - حصة تلفزيونية "وحش الشاشة"، قناة التاسعة (تونس)، تاريخ العرض: 2021/1/10، تاريخ المشاهدة: 2021/9/17.

² - "Middle East Monitor", **israel wants huge financial compensation from Tunisia**, 13/1/2021. sur le lien: <https://www.middleeastmonitor.com/20210113-israel-wants-huge-financial-compensation-from-tunisia-says-ex-minister/>

³ - Michael M. Laskier, **"israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s"**, op.cit, p19.

العودة إلى وطنهم. حتى إن تسهيل الهجرة اليهودية من تونس نحو فلسطين هو في اعتقادنا معيار لنجاح الحركة الصهيونية في تونس على الصعيد العملي، لأن مسألة الهجرة تحتل مركزا جوهريا في النشاط الصهيوني.

2/ بورقيبة و القضية الفلسطينية في مؤتمرات القمة العربية 1964 م.

قبل أن نتطرق إلى موقف بورقيبة تجاه القضية الفلسطينية على الصعيد العربي من خلال طروحاته في مؤتمر القمة العربية (القاهرة جانفي 1964)، لا بد أن نشير إلى طبيعة العلاقة التي جمعت بورقيبة بج. د. ع. فما تجمع عليه الشهادات التاريخية و معظم الدراسات التي تناولت هذه العلاقة أنها اتسمت في غالبيتها بالتوتر و العداء الصريح، و تعود جذور هذا الخلاف إلى مرحلة كفاحه ضد الاستعمار. و لما كان بورقيبة قد اتفق خلال هذه المرحلة و ما بعدها مع أطراف إسرائيلية على أن يعمل قدر الإمكان على إقناع العرب بضرورة التفاوض مع إسرائيل، فقد كانت أولى الخطوات التي قام بها هي الانضمام إلى الجامعة العربية (التي كانت القطب الجامع لكل الدول العربية المستقلة) رغم عدم توافقه مع سياستها و خطتها. فأصبحت تونس عضوا في الجامعة في أكتوبر 1958م.

رغم هذا الانضمام و وفق ما كان متوقعا طبقا للالتزامات التي كان قد قدمها بورقيبة للإسرائيليين و ربما للقناعات التي كان يؤمن بها، لم تتأثر العلاقات الإسرائيلية التونسية بهذا الانضمام، إذ لم يلتزم بورقيبة بسياسة الجامعة و قاطع العديد من جلساتها. لكن و نظرا لدور تونس في الشؤون العربية بوصفها بلدا عربيا طلبت الحكومة التونسية من إسرائيل تجنبها الحرج السياسي في الداخل (حفاظا على صورة النظام أمام الشعب في الداخل و الحكومات العربية في الخارج)، حتى إنه في نهاية 1958م ستعمل الوكالة اليهودية في تونس تحت شعار الوكالة اليهودية للخدمات الاجتماعية السويسرية¹.

لم يكن هذا فحسب إذ شعر بورقيبة بعد انضمامه للج. د. ع بضغط سياسي كبير، حيث فقد وضع نفسه بين تيارين متناقضين (التيار العربي و التيار الإسرائيلي) أراد التوفيق بينهما، و رغم عدم إخفاء استيائه من الوحدة العربية و سياسة الجامعة، فعلى حد تعبير

¹ - Michael M. Laskier: Israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s, op.cit, p11.

لاسكرير لم يستطع بورقية تحمل رعاية العلاقات مع إسرائيل و شدد موقفه¹. ففي مقابلة عام 1959م مع الصحيفة اللبنانية "الجريدة" صرح بورقية عقب سؤال تم طرحه عليه حول الإجراءات الواجب اتخاذها لطرد اليهود من فلسطين، قائلاً: « إذا كنت ترغب في إنهاء وجود بلد معين يجب عليك إعداد الاستراتيجيات التي ستؤدي إلى القضاء عليه. و إنه لا يمكن إنكار وجود إسرائيل بالطريقة التي كانت تحاول الدول العربية القيام بها، و بالتالي ليس كافياً محاربتها بالكلمات. ما كان ضروريا هو عمل منسق ضد إسرائيل يمكن أن يؤدي إلى صراع مسلح»².

هذا التصريح أدى إلى تعزيز الشكوك حول صورة تونس كقوة معتدلة في العالم العربي، و قد خفف خبير في المنطقة المغاربية من المخاوف الإسرائيلية مبررا أن سلوك بورقية العدواني فيما تعلق بالصراع العربي الإسرائيلي يهدف لإقناع الدول العربية أنه يقف لجانبهم و أنه يمكنه التوسط بين العرب و إسرائيل مستقبلاً³.

وصفت بعض الدراسات الأجنبية موقف بورقية تجاه إسرائيل في الفترة الزمنية من 1960-1964م في التصريحات العامة و الأمم المتحدة و المقابلات بأنه لم يختلف عن موقف عبد الناصر⁴ و الذي اتسم بالعداء و التنديد. و عليه لا بد أن نشير لبعض التصريحات التي قالها بورقية في هذه الفترة في شأن إسرائيل و الصراع العربي الإسرائيلي. في خطاب له في 12 جانفي 1961م قال بورقية: « إنه لا ينوي الدخول في حرب من أجل تحرير فلسطين لأن ذلك يعني أن يكرس جهود بلاده لمحاربة خصوم خياليين بينما يجب أن تركز لتونس في مقدمة الأمم الراقية»⁵. و قد اعتبر في هذا التصريح أن

¹ - Michael M. laskier: israel and the maghreb at the height of the arab-israel conflict(1950-1970), op.cit,p98.

² - غير أن المؤتمر اليهودي العالمي أكد أن بورقية لم يجر مقابلة مع الجريدة مطلقاً، و أن القصة التي تناقلتها صحف لبنان هي تشويه فقط. و ذكرت جريدة "the detroit jewish news" أنه في المؤتمر الأخير لحزب الدستور عام 1959 ضرب بورقية إسرائيل كمثال على عجز عبد الناصر و أصدقائه عن العمل، و ظنوا أنهم إذا ما أدارو رؤوسهم بعدما التقوا مندوب إسرائيل في الأمم المتحدة، فإن مثل هذه البادرة قد تخلصت تلقائياً من حقيقة إسرائيل غير موجودة. ينظر:

"the detroit jewish news",17/4/1959، p11.

³ - Michael M. laskier: Israel and the Maghreb at the height of the arab-israel conflict (1950-1970), op.cit, p98.

⁴ - Michael M. laskier، "israel an active spectator in the arab cold war of the1950s and 1960s,op.cit, p11.

⁵ - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص98.

الإسرائيليون هم مجرد خصم خيالي و ليس واقعي و هو يعني إنكار هذا الوجود الإسرائيلي. بعدها خاطب بورقيبة الصحفيين المعتمدين بالأمم المتحدة في نيويورك يوم 12 ماي 1961 و فيه تحدى فرنسا و إسرائيل قائلا: « كما كانت فرنسا في القرن الماضي تعتبر نفسها قوية في الجزائر، إن إسرائيل تظن نفسها اليوم أنها أقوى لتفرض الاستعمار، ستكون في فلسطين حرب تشبه حرب الجزائر ما لم تقبل إسرائيل الحل الذي يرضي كرامة العرب»¹. و في إجابته على سؤال من طرف أحد الصحفيين حذر بورقيبة القوى العظمى إذا لم يتحركوا بسرعة لحل الصراع العربي الإسرائيلي، فإنه ستكون هناك حروب جديدة حول فلسطين. و هاجم إسرائيل و بحدة و أكد أن ما يعيشه عرب فلسطين في مخيمات اللاجئين شبيه بوضع اليهود في الحرب النازية، و توقع أن يستعيد عرب فلسطين استقلالهم².

رغم تنديده بإسرائيل و ممارساتها إلا أن موقف بورقيبة تجاه اليهود لم يتغير إلى معاداة السامية في محاولة منه لتكذيب ادعاءات إسرائيل. ففي ذات الفترة، و نقلا عن صحيفة "l'echo de tunis" كتبت صحيفة "information" juive: « إن الشيء الذي يعرفه الرجال أو يتجاهلونه أنه لا يوجد مكان في تونس لمعاداة السامية التي تدينها أعلى سلطة في البلاد، بورقيبة»³. و هذا ينفي ما تدعيه إسرائيل بأن اليهود في كل مكان خارج إسرائيل يعانون من معاداة السامية التي هي دافع من دوافع تأسيس دولتهم.

غير أن التحليل السطحي لخطاب و تصريح بورقيبة بعيدا عن الظرف الداخلي الذي كانت تمر به تونس، و حتى الدولي يعتبر تحليلا مبتورا. و عليه وجب رصد الأحداث التي وقعت في تونس في تلك الفترة.

في ذلك الظرف الزمني، كانت العلاقات التونسية الفرنسية تمر بفترة حرجة بسبب القواعد الفرنسية التي كانت لا تزال موجودة في تونس، ففي 4 ماي 1961م أي قبل ثمانية أيام من إلقاء خطابه أمام الصحفيين المعتمدين في ه. أ. م ، رفعت قيادة البحرية الفرنسية في بنزرت مذكرة إلى ولاية الجهة تفيد بأنها تعتزم القيام بأشغال لتوسيع مهبط الطائرات في قاعدة سيدي أحمد، و كانت هذه الأعمال قد بدأت منذ أفريل دون اتفاق أو إشعار مسبق،

¹ - الطاهر بلخوجة، الحبيب بورقيبة سيرة زعيم شهادة على عصر، الدار الثقافية، تونس، 1999، ص22.

² - "The american jewish world", **bourguiba warns new wars threaten israel**, vol. 49, no.308,19 may 1961.

³ - "Information juive",no.130,may1961,p2.

فانتهر بورقية الفرصة لاستغلال القضية سياسيا، و في 13 جوان أرغم الحرس الوطني العمال التونسيين على الكف عن مشاركتهم في الأشغال، و وجه إنذارا إلى العسكريين الفرنسيين الذين حلوا محل العمال التونسيين بمغادرة أماكن الأشغال، و من ثم تصاعدت وتيرة الأزمة بعد أن هتف المتظاهرون لأول مرة بالجلاء، و السلاح¹.

إن الحادثة و إن كانت تمس الشأن الداخلي لتونس إلا أن بورقية وظفها في حربه السياسية على فرنسا التي لا تزال قواعدها العسكرية في تونس، و حليفها إسرائيل. و في اعتقادنا هي من أعطت دفعا للتهجم على إسرائيل التي تدعم بشكل قوي السياسة الفرنسية في تونس.

و سنجده في سنة 1962 م يبعث بخطاب إلى المؤتمر الثاني للاتحاد العام لطلبة فلسطين المنعقد في غزة بحضور مندوبين عن الاتحاد العام لطلبة تونس في أكتوبر 1962م: « لا شك أن مؤتمرهم هذا يكتسي أهمية بالغة لما سيتعرض له من مسائل حيوية بالنسبة لمصير فلسطين العربية، حيث أن الطلبة الفلسطينيين يشكلون جبهة المقاومة و طليعة شعبهم لبعث دولة فلسطينية، و اليوم و قد تحررت تونس فإن شعبها ما انفك يناصر كفاح شعبكم من أجل القضاء على الاحتلال الصهيوني»².

بعدها في سنة 1963م بعث ببرقية إلى المؤتمر الثاني عشر للطلبة العرب المنعقد في جامعة ولاية كلورادو الأمريكية في 26 أوت 1963م يقول فيها: « هل هناك أجدر بالاهتمام في الظرف الراهن بالقضية الفلسطينية، و هي الأرض العربية الوحيدة التي لم تخلص تربتها بعد لأبنائها، و القادة العرب مسؤولون بالدرجة الأولى على تدارك الملاحظات الراهنة و المنتظرة و التي تحف بالمشكل الفلسطيني و ما يوجد في المضمار الدولي من أحداث تتصل بالقضية حتى يكتفوا وسائل الاتصال بخطط محكمة تستند إلى الفعل أكثر من القول»³.

في الندوة التي عقدها بورقية في كوبنهاغن عاصمة الدانمارك 1963م ردا على سؤال بشأن موقف تونس من الكيان إسرائيل، فقال: « إننا ننظر لإسرائيل باعتبارها دولة

¹ - الطاهر بلخوجة، المصدر السابق، ص 67.

² - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص 98.

³ - نفسه، ص 99.

فرضت وجودها بالقوة، و سمحت لنفسها أن تحل محل شعب لم يحمل في الماضي مشاعر العداء لليهود، لذلك إن دولة إسرائيل لا تزيد عن أن تكون صيغة من صيغ الاستعمار»¹.
ردا على هذا التصريح بعث رئيس الهيئة العربية العليا لفلسطين رسالة إلى الحبيب بورقية جاء فيها: « اطلعت الهيئة العربية العليا لفلسطين على التصريحات القيمة التي أدليت بها فخامتكم في المؤتمر الصحفي الذي عقدتموه في كوبنهاغن و نددتم بمطامحهم الخطيرة التي لا تقوم على أساس من الحق، فالهيئة العربية العليا تقدم إلى فخامتكم خالص الشكر لتصريحاتكم القيمة»².

كانت تونس سنة 1961م تشهد أزمة من أعنف الأزمات مرحلة ما بعد الاستقلال و هي معركة جلاء القوات الفرنسية عن قاعدة بنزرت. و كانت علاقاتها بفرنسا على أشدها لذلك لا جرم أن ترفع الحكومة التونسية شعارات معادية للاستعمار و الدعوة لمجابهته و خاصة الاستعمار الصهيوني في فلسطين. ابتدأت المعركة في 1961 و انتهت في أكتوبر 1963م بجلاء آخر جندي فرنسي عن القاعدة. فهل سيتأثر وضع تونس بعد تدهور علاقاتها مع فرنسا؟ و هل سيكون له انعكاس على موقف بورقية من القضية الفلسطينية و إسرائيل؟

لا شك أن تدهور العلاقات سيكون لها تأثير سلبي، إن لم يكن سياسيا فاقتصاديا خاصة إن علمنا أن فرنسا كانت شريكا مهما لتونس، و هو ما دفع بهذه الأخيرة للبحث عن حليف يسد هذه الثغرة ، و لم تكن الو. م. أ. و لا ج. د. ع بعيدة عن دائرة اهتماماته.
حدد الباحث jean paul chagnollaud الفترة ما بين 1956 - 1964م في تاريخ تونس تجاه القضية الفلسطينية بأنها تتسم بعدم الوضوح، لكون تونس لم تتخذ موقفا محددا و صريحا تجاهها. حتى إنه خلال رحلته إلى الدانمارك عام 1963م صرح قائلا: « كان من الممكن إيجاد حل يأخذ بعين الاعتبار الرغبة المشروعة في السلامة و الأمن و حماية اليهود، و مع ذلك حق الشعب الفلسطيني الذي يضم يهودا و مسيحيين عربا في أن تكون لهم حكومة من اختيارهم هو حق غير قابل للتصرف، هذا هو رأيي بشكل عام»³.

¹ - أحمد أبو جزر، المرجع السابق نفسه، ص99.

² - نفسه، ص100.

³ - jean paul chagnollaud, op.cit, p106.

في أوائل 1964 م أعرب بورقية عن شكوكه حيال السلام في الشرق الأوسط، و اقترح على الفلسطينيين تنظيم أنفسهم داخل حركة جبهة التحرير الوطني على الطريقة الجزائرية، و اعتقد أن أفضل طريقة لحل النزاع هي إعادة توطين الإسرائيليين خارج المنطقة. لكن بورقية عرف أن التوطين هو أمر غير واقعي، و كانت لديه شكوك حول الخيارات العسكرية العربية ضد إسرائيل، و أن الغرب لن يسمح أبداً للدول العربية بكسب الحرب ضد اليهود¹. و عليه، طالب بورقية الفلسطينيين بتكوين جبهة نضالية للدفاع عن وطنهم، رغم أنه شكك في قدرة الحل العسكري العربي على مواجهة إسرائيل المدعومة من قبل الغرب، و منه طرح حلول بديلة لهذا الخيار.

كانت لقاءات القمة العربية منبرا هاما يتم فيه مناقشة القضايا العربية المشتركة و غيرها من خلاله. كما كانت علاقة بورقية بالقاهرة التي تحتضن مقر الجامعة العربية قد انفرجت نسبيا خاصة بعد أزمة بنزرت، و مشاركة عبد الناصر بورقية احتفالات الجلاء عن القاعدة.

في أول مؤتمر قمة عربي بالقاهرة 14 جانفي 1964² طرح بورقية وجهة نظره في القضية، حيث ألقى بورقية خطابا وضّح فيه استراتيجية النضال في فلسطين للخروج بالقضية الفلسطينية من طور المأساة إلى طور الكفاح البناء³. و ارتأينا أن نقبس من هذا الخطاب المهم الذي لم ينشر وقتها و لكنه نشر أول مرة من طرف جريدة الصباح التونسية⁴ بتاريخ 4 مارس 1965- أي بعد يوم من إلقاء خطابه في مدينة أريحا و الذي سنتطرق إليه

¹ - Michael M. Laskier, Israel and the Maghreb at the Height of the Arab-Israeli Conflict (1950-1970), op.cit, p98.

² - حضرت القمة وفود ثلاثة عشر دولة و هي كالاتي : الأردن، تونس، الجزائر، السودان، العراق، السعودية، سوريا، مصر، اليمن، الكويت، لبنان، ليبيا، المغرب. و حضر أحمد الشقيري ممثلا عن فلسطين. ينظر: هادي خليف كريم، القضية الفلسطينية في العلاقات السعودية الكويتية (1964-1968)، "مجلة جامعة بابل"، م.24، ع.1، 2016، ص572.

³ - ذكرت جريدة الصباح أن هذا الخطاب لم ينشر يومها، و رأت أنه بعد خطاب أريحا، قد حان الوقت ليطلع الرأي العام العربي على كل كلمة فيه. إن تأخير نشر هذا الخطاب لدليل على أهميته، و أن ما يدور داخل حجرات القمة العربية يتم الكتم عنه، و تعطى التصريحات التي لا تمس جوهر القضية. الصباح، ع. 3919، 1965/3/4، ص3.

⁴ - صحيفة أسسها الحبيب شيخ رحو باقتراح من قادة الح. د. ج لكي تكون لسان حال الحزب دون أن تكون جريدته الرسمية، فتوفر لهم منبرا إضافيا غير محسوب عليهم، و قد ساهم في تحريرها جمع من الزعماء المثقفين علي البلهوان و المنجي سليم و الشاذلي القليبي . لمزيد حول الجريدة. ينظر: شريفة الصيفي، المكبوت و المكتوب في الصحافة المكتوبة في تونس، المنهل، تونس، 2012، ص22.

في العنصر اللاحق- البعض من الآراء التي وردت فيه. قال بورقيبة: «(...) أنصت بكامل الاهتمام إلى ما تفضل به رؤساء الوفود الذين عبروا عن وجهات نظرهم في القضية التي من أجلها اجتمعنا، و كانوا كلهم مجمعين على أن مسألة مياه الأردن مسألة فرعية لا سبيل لدرسها بمفردها و بدون أن نرجعها إلى المشكل الأصلي المتمثل في قيام دولة إسرائيل»¹.

و في حديثه عن أهمية القرارات التي تصدرها الجامعة التي لم يقع تنفيذها يقول: « إن شيئا من هذه المقررات لم يقع تطبيقه، و لا أخذه مأخذ الجد مما جعل قضية فلسطين تكتسي صبغة روتينية تجعلها محل المناقشات، و لا تتجاوزها طور الفعل و التنفيذ، و قد انعقدت في الماضي اجتماعات عديدة و لم تسفر عن أي نتيجة. و هذا الفشل يعزى إلى أن العزائم كان ينقصها الصدق و الإخلاص و القوة على مجابهة الواقع و تغليب العقل. إذا سلمنا أن قضية فلسطين قضية استعمار فإن علاجها يجب أن يكون أيضا بطرق شبيهة بالتي اتبعتها الشعوب المستولى عليها لنيل استقلالها. و إذا حللنا هذه الطرائق الكفاحية سواء في إفريقيا أو آسيا، سواء في مصر أو تونس، في الفيتنام أو الجزائر، وجدنا أن النصر لم يكن في يوم من الأيام نتيجة حرب بين جيشين تفوق فيها الشعب المستعمر على الدولة المستعمرة، بل هو دائما نتيجة صراع طويل بحيث يجعل الغاصب بين أمرين، أن يقبل الصراع الطويل المنهك، و هذا ما لا يرتضيه المستعمر إذ أن هدفه الذي من أجله فرض سيطرته هو إنماء ثرواته، و إما أن يتخلى عن الميدان ارتكابا لأخف الضررين»².

كما اقترح بورقيبة خطة نضالية للخروج بحل في قضية فلسطين تتمثل المضايقة و الشغب الدائم و الضغط المستمر الذي يتطور إلى حرب العصابات في الداخل، و في الخارج إلى حرب سياسية تهدف إلى عزل العدو في الميدان الدولي، و إظهاره لدى الرأي العام العالمي بما يكره أن يظهر به. و أكد أنها السبيل التي ينبغي أن يتوخاها العرب في حل قضية فلسطين و التي أيدتها كل التجارب بعد الحرب العالمية الثانية. و أعطي مثال تونس التي انتقلت بفضل سياسة المراحل من الحكم الذاتي إلى إعلان الاستقلال التام. و لم تمض إلا سبع سنوات حتى حققت الجلاء التام بجلاء آخر جندي عن بنزرت، قائلا: « هذا ما قامت به تونس البلد صغير الرقعة، قليل العدد تجاه دولة من أعظم الدول، و في ظروف

¹ - "الصباح"، ع. 3919، 1965/3/4، ص 3.

² - نفسه، ص 3.

تاريخية لم يكن فيها الرأي العام الدولي و لا حتى العربي متهيئاً لمناصرة القضية مانصرة واضحة»¹.

كما استشهد بورقية بالتجربة الجزائرية و نضال الجزائريين و ضرورة الاقتداء بها قائلا: « إن في جهاد الجزائر لعبرة يجب استخلاصها و يمكن الاستفادة منها لمعالجة القضية الفلسطينية، فالعبرة الأولى أن أبناء الجزائر هم الذين شنوا على فرنسا الحرب و لم يترقبوا أن يأتيهم المدد من الخارج، و لا أن ترسم لهم الجامعة خطة كفاحية لتحريرهم، و العبرة الثانية أنهم لما دخلوا في النضال و أقاموا الحجة على أنهم جادون في كفاحهم أمتهم الإمدادات و المساعدات من شعوب الدنيا كلها، و العبرة الأخرى أن التجربة الجزائرية لم يكتب لها أن تستمر أو تثبت إلا بفضل ما وجدته من البلدين المجاورين من تضامن و نصرة(...) إذا أردنا أن نخرج بهذه القضية إلى طورها الايجابي يجب انتهاز الطريقة الثورية الأصلية على أن هناك شرطا أساسيا يتوقف عليه النجاح و هو أن نقتنع أن هذا الكفاح سوف يطول و سوف يكون عسيرا و سيكون حتما على مراحل»².

كما أكد أن الظروف التي يمر بها الفلسطينيون و الوضع العربي بصفة عامة لا يساعد على تحقيقي الهدف المنشود، و أن التفكير بالحل الكامل دفعة واحدة هو تجاهل الواقع. و ليس هناك من طريقة ناجعة غير طريقة المراحل، و هي لا تعني التخلي عن الهدف أو الرضا بأمور تافهة ، بل يجب أن يفهم هذا الكفاح على أنه حركة ايجابية، و قوة منطلقة، و زحف منظم نحو الهدف. و جدلية صارمة في مبادئها و لكنها خطة تعتمد إلى تذليل الصعاب بنسف معاقل القوة المعادية³.

و أشار إلى ضرورة التمييز بين الحلول المنقوصة الإيجابية و الحلول المغشوشة، و لا بد من توفر خصال أدبية تساعد على تحمل مسؤولية الاختيار و الجهر به، و لو كان معاديا للشعور السائد في الجماهير. و لا بد من الشجاعة و الصبر و تحمل الانتقاد و روح التضحية. و ختم خطابه بقوله: « هذا رأي تونس عبرت عنه بغاية الصراحة، و نحن إذ نقدم لإخواننا بعصارة تجاربنا التي اكتسبناها خلال كفاح مرير لا نقصد أن هذه الطريقة هي

¹ - "الصباح"، ع.3919، 1965/3/4، ص3.

² - يذكر jean paul chagnollaود أنه قبل 1964 و قبل عرض هذا الخطاب كانت الصحافة التونسية متحفظة للغاية بشأن القضية الفلسطينية، و لم تعرض سوى حالة اللاجئين الفلسطينيين، و كان يتم عمل كل شيء لإظهار أن الاستراتيجية الصحيحة و الوحيدة هي التي اقترحها بورقية. ينظر: jean paul chagnollaود، op.cit، p108

³ - الصباح، ع.3919، 1965/3/4، ص3.

المثلى، بل يمكننا أن نستفيد منها و أن نستتبط على ضوئها طريقة إيجابية لمكافحة إسرائيل من دون أن يكون ذلك مانعا من انتهاج خطة حربية إذا توفرت أسباب النجاح، و مهما يكن القرار الذي نصل إليه جميعا فإن تونس لا تتردد لحظة في جعل إمكاناتها المتواضعة في خدمة قضية فلسطين»¹.

ما نلاحظه في هذا الخطاب هو أن بورقية وجه انتقادا كبيرا لسياسة ج. د. ع التي بقيت قراراتها حبيسة التنظير و الخطب الجوفاء، و طلب أن ترفع الجامعة و الدول العربية وصايتها على القضية و تترك زمام المبادرة لأصحابها الفعليين، إضافة إلى طرح السياسة المرحلية كمنهج تحرري يمكن أن يؤدي إلى حل القضية الفلسطينية مع عدم اعتباره الطريق الوحيد و ترك حرية تقبله أو رفضه. ثالثا، ذكر التجربة الجزائرية في الكفاح في الخطاب البورقيبي في نظرنا له عدة دلالات، فلربما استشف بورقية من خلال احتكاكه بالفلسطينيين تأثرهم بكفاح الجزائريين، نظرا للمكانة التي اكتسبها الكفاح التحرري الجزائري مقارنة ببعض حركات التحرر، أو أن المساندة الكبيرة التي تلقوها من الجزائر، كانت عاملا في توظيف بورقية لتجربة الجزائر، و كونها استخدمت طريقة المراحل بأسلوب غير مباشر، لعلها تلقى صدى واسعا و قبولاً بمثل هذا النوع من الحلول².

كانت خطته بعد رفع وصاية الأنظمة العربية عن القضية أن يتحول محور المقاومة إلى أرض فلسطين، و الابتعاد عن فكرة الحرب الكلاسيكية، و أهمية النشاط الدبلوماسي لكسب التعاطف و التأييد الخارجي، و ربط الصلة بالدول الإفريقية التي تعترف بإسرائيل و منها 30 دولة آنذاك كانت تعترف بإسرائيل³.

كما أصر بورقية في هذه القمة على حقيقة أن المقاومة ضد الإسرائيليين لا يمكن أن تنشط إلا في فلسطين نفسها، في قلب المدن و الصحاري و الجبال، الأمر الذي يعني ضرورة قبول الفلسطينيين قرار 1947، و التخلي عن وضعهم كلاجئين من أجل الحصول على الجنسية الفلسطينية الرسمية⁴.

¹ - الصباح، ع. 3919، 1965/3/4، ص3.

² - أما بورقية فقد ذكر أنه ضرب المثل بالتجربة الجزائرية و ليس التونسية من باب التواضع، ينظر: الحبيب بورقية، موقف تونس من القضية الفلسطينية، المرجع السابق، ص31.

³ - عبد اللطيف حناشي، موقف بورقية من القضية الفلسطينية...، المرجع السابق، ص5-6.

⁴ - Amor chadli, **Bourguiba, tel que je l'ai connu**, les press simpact, tunisie, 2011, p157

هذا الخطاب أخرج عبد الناصر عندما اقترح أن يأخذ الفلسطينيين زمام أمورهم بينما كان الرئيس المصري يسعى من خلال أحمد الشقيري للسيطرة على كل مبادراتهم، و مع ذلك بورقية لم يذهب لأبعد من ذلك، فقد وافق على الامتثال لقرارات الأغلبية التي تؤيد مقترحات عبد الناصر من خلال تقرير إنشاء منظمة التحرير الفلسطينية. و قد اعتبر jean paul chagnollaud هذا الخطاب هو أول نهج عالمي لحل القضية من قبل بورقية كرئيس دولة مستقلة، و لأول مرة يحدد علانية تحليلاته و استراتيجياته¹.

ثالثا/ جهود بورقية الدبلوماسية إزاء القضية الفلسطينية في الإطار الإفريقي (منظمة الوحدة الإفريقية).

كانت الدول الإفريقية هدفا صهيونيا هاما من أجل إجهاض تطلعات الدول العربية لعزلها سياسيا، و في هذا الإطار كان الكيان الصهيوني يعمل على إظهار التواجد السياسي و الاقتصادي في الدول الإفريقية لاختراق الحصار العربي المضروب عليه، من خلال إقامة علاقات دبلوماسية مع الدول الجديدة و كان هذا هدفا سياسيا مهما لإسرائيل نهاية الخمسينات استطاعت الوصول إليه².

في مقابل ذلك كانت حاجة الدول الإفريقية ماسة إلى المعونة، الأمر الذي ساعد على ترسيخ أقدام إسرائيل في إفريقيا، فالبلدان الإفريقية فقيرة في مجموعها، و لما كانت حديثة الاستقلال، فإنها كانت بحاجة إلى المساعدات و الأطر الفنية و الإدارية و الاقتصادية، و لتغطية هذا النقص تقدمت إسرائيل عارضة مساعداتها و رؤوس أموالها و هو ما جعل الحكومات الإفريقية تعمل على عقد اتفاقيات معها³.

تتفق بعض الدراسات التاريخية على أن منظمة الوحدة الإفريقية خاصة في الأعوام الأربعة من حياتها التزمت سياسة التردد تجاه القضية الفلسطينية، حيث بدا صمت الحكومات الإفريقية فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية واضحا ابتداء من سنة 1963م و ذلك بسبب تفادي مؤتمرات القمة الإفريقية الأولى مناقشة القضايا التي كان ينظر إليها على أنها سببا للخلاف في الصفوف الإفريقية، و كان من بينها القضية الفلسطينية و الصراع العربي

¹ - jean paul chagnollaud , op.cit; p108.

² - آرية عويد، إسرائيل و إفريقيا، ج2، تر. عمرو زكريا خليل، المؤسسة المصرية إمدكو، القاهرة، 2014، ص22.

³ - رياض القنطار، المرجع السابق، ص20.

الإسرائيلي. و أمام فشل طريقة الإلحاح لإقناع الجانب الإفريقي بجدوى مناقشة أطروحة الجانب العربي(حتى إن الدول الإفريقية التي صادقت على القرارات التي تدين إسرائيل في المؤتمرات الأفروآسيوية أنكرتها)، التزمت مصر الصمت في مؤتمرات المنظمة الإفريقية فيما يخص الصراع مع إسرائيل، ففي حديث عبد الناصر عن هذا الصراع قال في أحد مؤتمرات الوحدة الإفريقية: « إن الجمهورية العربية المتحدة أتت إلى أديس أبابا بقلب مفتوح، حتى المشكلة التي نعتبرها من أخطر مشاكلنا لن نطرحها للمناقشة في هذا الاجتماع، مؤمنين بأن تقدم العمل الإفريقي الحر سوف يكشف الحقيقة أمام الضمير العربي»¹.

لكن في مقابل ذلك الصمت و التعاضى نجد أن بورقية اتبع سياسة حازمة و جادة تجاه التحفظ و التردد الإفريقي. ففي إطار الجهود الدبلوماسية لدعم القضية الفلسطينية أثناء مؤتمر القمة لمنظمة الوحدة الإفريقية في القاهرة، برز بورقية في 18 جويلية 1964م في هذا الاتجاه بصفة ملحوظة عندما تهجم على دول إفريقيا السوداء التي بقيت غير مبالية تجاه الموقف العربي قائلاً: « إن جميع الدول الإفريقية تتخذ موقفا من الإستعمار، لكنها تنسى مع ذلك جزئياً أن الشرق الذي يقال أن التحرر من الاستعمار تم فيه قبل إفريقيا، مازال الإستعمار قائماً صلبه. و في فلسطين تم تركيز دولة فطرية و هي الشكل السيء للبيت الوطني اليهودي (*un état champignon version aggravée des foyer national juif*). إن إسرائيل يمارس فيها التمييز العنصري الذي لا يختلف في شيء عن السياسة العرقية لجنوب إفريقيا، و بما أن دولة إسرائيل هي نتاج استعمار فعلى الدول الإفريقية أن تقوم باللائم في علاقاتها بهذه الدولة، إذا أرادت ألا تضع مصداقية سياستها بخصوص تحرر البلدان غير المستقلة في إفريقيا موضع الشك، كما أن التمييز بين كفاح الشعب العربي في فلسطين و كفاح شعوب روديسيا أو أنغولا أو جنوب إفريقيا هو بمثابة التشكيك في المبادئ الأخلاقية التي هي أساس وحدتنا»².

كما أبدى بورقية سياسة أكثر حزماً حين عبر أمام أعضاء مؤتمر الوحدة الإفريقية الذي عقد في القاهرة عن قناعته بأن إسرائيل هو كيان مصطنع يقوم على الاغتصاب، و

¹ - محمد بوعشة، مواقف الدول غير العربية بشأن قضية فلسطين و الصراع العربي الإسرائيلي(1947-1983)، رسالة ماجستير في العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 1984، ص175.

² - روف فيرنر، المرجع السابق، ص 335-336.

طالب الحكومات العربية بمقاطعته¹. و هنا نلاحظ أنه طال بهم بانتهاج أسلوب المقاطعة في إطار حرب سياسية لعزل الكيان الصهيوني خارجيا.

في الندوة الصحفية التي عقدها في بيروت في نهاية زيارته الرسمية للبنان يوم 11 مارس 1965، أشاد بورقية بجهوده في إطار حث الدول الإفريقية على اتخاذ موقف حازم تجاه قضية فلسطين حيث ذكر: « كنت أول من نادى في مؤتمر القمة الإفريقي باتخاذ موقف حازم من الدول التي تعترف بإسرائيل، و عوض ألمانيا أو أمريكا علينا أن نبدأ بالدول التي تخلصت من الإستعمار و ارتبطت معنا في النطاق الإفريقي، ذلك أن 30 دولة من أصل 35 لها علاقات مع إسرائيل، فالحجة المستندة على الحقوق التاريخية أنكرتها الدول الإفريقية بالإجماع باعتبارها ماثرا للمشاكل و الخلافات، و هذا السلوك من قبل الحكومات الإفريقية لا يساعد على وحدة إفريقيا، و لا سبيل لذلك إذا لم نتفق حتى على مبدأ استنكار الإستعمار، و قد كنت الرجل الوحيد الذي صدع بهذا الرأي»².

بعد هذه الجهود الدبلوماسية الحثيثة التي قام بها بورقية سيتغير الموقف الإفريقي ابتداء من حرب جوان 1967م، و التي ستشكل منعرجا حاسما في تاريخ المواقف الإفريقية تجاه القضية الفلسطينية.

رابعا/مقترح بورقية في أريحا 1965 لتسوية القضية الفلسطينية (الإرهاصات-المواقف-النتائج).

على الرغم من أن خطاب أريحا أخذ حيزا كبيرا من الاهتمام في مختلف الدراسات التاريخية و السياسية لكونه شكّل حلقة مهمة في مسار العلاقات التونسية العربية بصفة عامة و العلاقات الفلسطينية التونسية بصفة خاصة، إلا أن علاقة بورقية بقضية فلسطين أكبر بكثير من أن تُختزل في خطاب أريحا و ما ورد فيه من تأييد لقرار تقسيم فلسطين. إذا ما سلمنا أن الخطاب البورقيبي غالبا ما يندرج ضمن تكتيك سياسي ذي أبعاد و أهداف مختلفة، و أن بورقية من الشخصيات التي كثيرا ما يقال عنها أنها شخصية انتهازية ذات توجهات براغماتية و هو ما وصف به نفسه أيضا، فإن خطابه في أريحا يطرح العديد من التساؤلات يمكن أن نذكر أهمها:

¹ - إشراق نوري عبد بخيت السامرائي، إشراق نوري عبد بخيت السامرائي، الحبيب بورقية و دوره في الحياة السياسية 1933-

1987، رسالة ماجستير، التاريخ المعاصر، كلية الآداب، بغداد، 2003، ص 98.

² - الحبيب بورقية، تونس و قضية فلسطين...، المصدر السابق، ص 83- 84.

- ما هو مضمون الخطاب؟ الهدف من طرحه؟ و ما هي الظروف التي ارتبطت بالحدث و تاريخه؟
- لماذا كانت مصر المحطة الأولى لجولته المشرقية؟ و لماذا خطب في الشعب الفلسطيني و لم يخطب في القيادة الفلسطينية أولاً؟
- هل خطاب أريحا عبّر عن الإرادة السياسية لحكومات العرب، أم الإرادة الصهيونية؟ و لماذا أخذ خطاب أريحا الكثير من الاهتمام رغم أن بورقية كان قد بسط رأيه في مؤتمر القمة العربية 1964؟
- حسب ما ذكرته جريدة الصباح التونسية قبل أن يبدأ بورقية جولته في المشرق قام بإرسال الباهي الأدغم إلى القاهرة، حيث استقبل عبد الناصر الوفد التونسي برئاسة محمد بدرة سفير تونس بالقاهرة، و المنجي سليم كاتب الدولة، و تم التباحث حول مسائل تهم البلدين و كذا الزيارة التي سيؤديها بورقية إلى القاهرة يوم 16 فيفري 1965¹.
- انتقل بورقية إلى المشرق و كانت البداية مع مصر، فتباحث الرئيسان بورقية و عبد الناصر حول موضوع القضية الفلسطينية، و لم يكن الرئيس المصري معارضا لفكرة الحل الدبلوماسي الذي يركز على الشرعية الدولية لكن كانت له اعتبارات خاصة². فحسب ما قدمته بعض الشهادات التونسية و منها شهادة بورقية نفسه، أنه (أي بورقية) كان قد اقترح على عبد الناصر أن يغتنم زيارته القادمة إلى الأردن ليزور مدينة أريحا، و يلقي فيها خطابا يقترح فيه قبول الفلسطينيين قرار التقسيم على أن يكون ذلك حلا مؤقتا، ثم يطالبون بما هو من حقهم عملا بنظرية خذ و طالب، على ألا يقبلوا التنازل عن أشياء جوهرية، فاستمع إليه عبد الناصر باهتمام و قال له أنه لا يستطيع القيام بذلك لعدة أسباب، فأجابه بورقية: «أنا مستعد للقيام بذلك، على ألا تهاجمني فيما بعد أنت و إعلامك، و اتفق الرئيسان في هذه الجلسة السرية على ذلك»³.

¹ - "الصباح"، ع. 3827، 1965/1/12، ص1.

² - محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ص262.

³ - محمد فريد الشريف، مواقف دبلوماسية في العهد البورقيبي، تونس 2012، ص ص164 - 165.

بعد نهاية المباحثات بين عبد الناصر و بورقية، صدر بلاغ مشترك في 23 فيفري 1965م معلنا أن الرئيسين يؤكدان تأييدهما لم. ت. ف و مساعدتها على استرداد حقوق الشعب الفلسطيني كاملة¹.

ثم كانت الوجهة بعد المملكة السعودية الأردن، أين قابل الملك (الحسين) و منها توجه إلى مخيمات اللاجئين الفلسطينيين بأريحا، حيث اطلع على الوضع المأساوي الذي كان يمر به هؤلاء، و أبدى بورقية تأثره لما شاهده من آثار النكبة، و دعاهم إلى حل عملي مرحلي للخروج من هذه الأزمة بقبول القرار الأممي سنة 1947 م القاضي بتقسيم فلسطين و تأسيس دولتهم في الشق العربي الذي خصصته لهم الهيئة الأممية².

رغم أن بورقية في كامل خطابه في أريحا لم يدع الفلسطينيين صراحة إلى قبول القرار الأممي 1947م³، إلا أن الدكتور عمر الشاذلي⁴ و الذي رافق بورقية في جولته المشرقية⁵ أكد أن مضمون الخطاب هو دعوة الفلسطينيين لقبول التقسيم، و أن تفادي بورقية التصريح المباشر بضرورة الاعتراف بإسرائيل هو من أجل عدم إثارة ردود فعل عنيفة من طرف الفلسطينيين المعارضين لذلك القرار. و رأيه في الاعتراف بإسرائيل على أساس قرار هيئة الأمم لن يحدده بصراحة حتى 21 أبريل 1965م عند عودته لتونس⁶.

يصف أحمد الشقيري زيارة بورقية في 3 مارس 1965م لعدد من المدن الفلسطينية في الضفة الغربية و مخيمات اللاجئين فيقول: « راح يخطب على الشعب الفلسطيني خطبا لم أصدق

¹ - أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك و الرؤساء، المصدر السابق، ص 237.

² - أنظر الملحق رقم: 6 (خطاب أريحا).

³ - وردت كلمة التقسيم في خطاب بورقية مرة واحدة، حيث قال: لو أننا رفضنا الحلول المنقوصة - مثلما رفض العرب الكتاب الأبيض و التقسيم - و قد ندموا على ذلك الرفض، لظلت تونس إلى اليوم منكوبة. فبورقية أشار بطريقة غير مباشرة إلى ضرورة قبول الحل المنقوص و هو التقسيم. ينظر لخطاب أريحا من كتاب: الحبيب بورقية، تونس و قضية فلسطين...، المصدر السابق، ص 69.

⁴ - عمر الشاذلي (1925-2019): بعد دراسته الطبية و تخصصه في تشريح الجسد و الجراثيم، التحق بمعهد باستور في تونس، وعين أول عميد لكلية الطب في تونس، ثم صار ظلا مراقبا للحبيب بورقية بعد أن أصبح طبيبه الخاص منذ سنة 1960، تولى وزارة التعليم العالي و البحث العلمي (1986-1987)، من مؤلفاته "بورقية كما عرفته". شريط وثائقي، عمر الشاذلي، قناة الوطنية الأولى (تونس)، تاريخ المشاهدة 2022/4/3. على الرابط <https://www.youtube.com/watch?v=a9XvDyz-Pj8>

⁵ - من الوفد المرافق لبورقية في أريحا (وفد ضخم تتابع أعضاؤه حسب الدول المراد زيارتها): الباجي قائد السبسي مدير الأمن الوطني، فريد سوداني مدير التوجيه في كتابة الدولة للإعلام، الدكتور الشاذلي عمر، الشاذلي القليبي وزير الدولة للشؤون الثقافية، محمد المحرزي صحفي، محجوب بن علي قائد الحرس الوطني. ينظر: Amor chadli, op.cit, p158

⁶ - Amor chadli, op.cit , p157.

أذني و أنا أسمعها، ففي مدينتي أريحا و نابلس و مخيم عقبة طير وقف بورقية يرثي لحال اللاجئين و يعني سوء طالعها(...) و يندد بالسياسة التي أدت إلى نزوح الفلسطينيين عن مدنهم و قراهم، و أنه لا سبيل للخلاص من هذا العناء و البلاء إلا بالاعتراف بالأمر الواقع على أساس الاحترام المتبادل بين العرب و إسرائيل، و أن التعايش السلمي هو الحل الوحيد لتسوية القضية الفلسطينية، و أن إسرائيل دولة عضو في الأمم المتحدة و إزالتها مناف لميثاق الأمم المتحدة»¹.

أما بالنسبة للظرف الدولي الذي كانت تمر به القضية الفلسطينية في هذه الفترة (1965 و ما قبلها) فحسب ما ذكره الحناشي جاءت دعوته تلك في الوقت الذي عرفت فيه القضية في الفترة 1952-1965م فتورا سياسيا في المحافل الدولية و أروقة الأمم المتحدة، و توقف بند إدراج القضية في جدول أعمال الجمعية العامة². ففي محاولة لتوضيح أهمية مشروعه بعث بورقية برسالة لجمال عبد الناصر في 29 أبريل 1965م بين من خلالها أن مشروعه لا يهدف إلى الاستكانة و أنصاف الحلول كما يعتقد البعض بل لمحاولة تحريك القضية الفلسطينية بعد أن أصبحت من القضايا المحفوظة في أرشيف الأمم المتحدة، و أن كل الذي سعى إليه هو جعل إسرائيل في موقف حرج أمام ه. أ. م لأنه يعلم أنها سترفض ذلك³.

لتبرير ذلك الدافع يمكن أن نستند على بعض الشهادات الفلسطينية و منها شهادة السياسي الفلسطيني (نبيل شعث)⁴ حيث أكد في كتابه "حياتي من النكبة حتى الثورة" أن هيئة الأمم المتحدة أزاحت قضية فلسطين من جدول أعمالها منذ عام 1952م، إلا أنها عادت لمناقشة انتهاكات إسرائيل لحقوق الإنسان بعد احتلال الضفة و قطاع غزة سنة 1967م، و ناقشت حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره سنة 1969 بعد انطلاق

¹ - أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك و الرؤساء، المصدر السابق، ص 238.

² - عبد اللطيف الحناشي، موقف بورقية من القضية الفلسطينية...، المرجع السابق، ص 6.

³ - عبد الله أديب صالح، الموقف العربي من مشروع الرئيس التونسي بورقية لحل القضية الفلسطينية 1965، "التربية والعلم"، م. 20، ع. 1، 2013، ص ص 24-25.

⁴ - نبيل شعث (1938-—): سياسي فلسطيني، هاجر و عائلته من فلسطين إلى الإسكندرية و تدرس هناك، و من ثم انتقل إلى أمريكا لإكمال دراسته، أصبح رئيسا للطلبة العرب في أمريكا و كندا سنة 1963، و هو كاتب الخطاب الذي ألقاه عرفات أمام هيئة الأمم عام 1974. و ثم أصبح رئيس المفاوضين الفلسطينيين، و رئيس وزراء السلطة الفلسطينية بالإنابة، و وزير التخطيط في السلطة الوطنية الفلسطينية. عايش الكثير من المحطات المهمة في قضية فلسطين. للمزيد عن هذه الشخصية ينظر: نبيل شعث، حياتي من النكبة إلى الثورة: سيرة ذاتية، دار الشروق، مصر، 2017.

الكفاح المسلح¹. و يفهم من هذا أن بورقية فعلا استغل الركود الذي شهدته القضية في تلك الفترة (1952-1965)، و من ثم تجديد الملف الفلسطيني لإدراجه في جدول أعمال ه.أ.م. كما تزامن الطرح البورقبي مع تحضيرات أندونيسيا برئاسة (أحمد سوكارنو) لمراسيم الاحتفال بالذكرى السنوية العاشرة لمؤتمر باندونغ 18 أبريل²، و لا يمكن أن نستبعد أن بورقية رأى فيها فرصة لإعادة طرح القضية في المحافل الدولية و منها المؤتمرات الآفرو آسيوية التي لطالما كانت تعقد لدعم حركات التحرر في العالم و كذا دعوتها لقبول قرار التقسيم الدولي (كما سنشير إلى ذلك لاحقا).

على الصعيد العربي، في أوائل الستينات عاتب بورقية القادة العرب على خلافاتهم الإيديولوجية و تجاهل المشاكل الحادة من حولهم، و حثهم على بذل المزيد من أجل الفلسطينيين. و قد شجع تدهور العلاقات مع فرنسا حليف إسرائيل بورقية على تضخيم انتقاده لإسرائيل، و دعا دول المشرق و المغرب للانضمام لهذا الهدف. لكن انهيار الاتحاد السوري المصري في سبتمبر 1961م و جهود عبد الناصر (1963-1964) لإحياء مشاريع الوحدة أعاد إحياء الشكوك حول بورقية في التطلعات المصرية المحتملة للارتقاء بمكانة القاهرة القيادية في العالم العربي، و التدخل العسكري لمصر في اليمن³، و دعمها القاطع لبن بلة ضد المغرب، و التحدي الذي يمكن أن تشكل تلك المناورات لتونس دفع بورقية إلى إعادة التفكير في بعض سياسته⁴.

يذكر jean paul chagnollaud أن تونس تأخرت ثماني سنوات قبل أن تعلن موقفها العام اتجاه القضية لأسباب أهمها: كان على التونسيين أن يضمنوا إنهاء استعمارهم

¹ - أشار شعث أيضا إلى أنه في خضم ترتيب أوضاعه في أمريكا من أجل جلب قرار لدعوة عرفات لدورة الأمم المتحدة التاسعة و العشرين سنة 1974، كان بند فلسطين قد اختفى تماما من الجمعية العامة، و لم يبق إلا تقرير الأمين العام السنوي عن نشاطات وكالة غوث اللاجئين. ينظر: نبيل شعث، المصدر السابق، ص ص 951، 964.

² - W.C.D.A , record of conversation between qiao guanhua and the dprk ambassador to china pok, 5/3/1965.

³ - حين كان النظام الملكي في اليمن على وشك السقوط إثر انقلاب عسكري، اندلعت حرب أهلية بين الجمهوريين الجدد المدعومين من قبل عبد الناصر و القوى الموالية من المملكة السعودية و الدول الغربية، و كان أن أرسل عبد ناصر جيشه، و تحولت تلك الحرب إلى مستنقع غاصت فيه القوات المصرية. ينظر: جوزيف يوري بار، المرجع السابق، ص 84.

⁴ - Michael M. laskier, "israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s; op.cit, p12

تماما، و قد انغمسوا في صراع قومي مع الجزائر قبل 1962م و بعدها، بحيث كان عليهم تبديد بعض المشاكل الحدودية¹.

يمكن أن نضيف لذلك ما ذكره محمد علي الطاهر الصديق الحميم لبورقيبة إثر زيارته لتونس بعيد استقلالها مشيرا إلى الصعوبات التي كانت تواجهها الحكومة التونسية منها تعريب أكثر من 20 ألف وظيفة حكومية يتولاها الفرنسيون فالتخلص من هؤلاء مشكلة وإيجاد من يحل محلهم مشكلة أكبر، مشاكل الأجانب من جنسيات أخرى، و من الأمور الهامة التي أشار إليها محمد علي حوالي 70 ألف يهودي يقبضون على البلاد و شرايينها، و يملكون الشركات و البنوك و المتاجر و معظم مرافق الحياة، و الصحف الكبرى أيضا، إضافة الى الديون التي ورثتها الحكومة التونسية من الاستعمار «لا يتصور العقل مقدار فداحتها فلو بيعت تونس الآن بأرضها لما كانت كافية لتسديد تلك الديون التي عقدتها فرنسا في 57 عاما باسم التونسيين»، إضافة إلى انشغالها بمسألة الجيش الفرنسي الذي يملأ البلاد بغير وجه حق².

قد نضيف إلى تلك تحديات المشاكل الداخلية الحادة التي كانت تعاني منها تونس في تلك الفترة منها أزمة القيادة، حيث برز بعض القادة السياسيين كرافضين لنظام الحكم و منهم جماعة صالح بن يوسف الذي و برغم اغتياله إلا أن المتعاطفين معه كانوا لا يزالون منتشرين في تونس، و كذا دعاة التحديث العلمانيون يمثلهم (أحمد بن صالح) الذي وجد قاعدة تنظيمية في الحركة العمالية، و كان بورقيبة يتوجس خيفة من تعاضم القوة النقابية، و كان هناك الليبراليون البرجوازيون الذين يشاركون الرئيس إيمانه بفرنسا، و لكنهم يعترضون أحيانا على أساليبه التعسفية و منهم محمد المصمودي³، فجرت محاولات للإطاحة بنظام الحزب الواحد في تلك الفترة غير أنها فشلت.

ذلك في رأينا ما شغل بورقيبة عن القضايا الدولية و تأخر نسبيا في عرض موقفه بشكل رسمي ومنه تقادي فتح جبهة مواجهة أخرى.

¹ - jean paul chagnollaoud, op.cit, p109.

² - محمد علي الطاهر، المصدر السابق، ص ص405، 409.

³ - Douglas Ashford, new destour leadership and confiscated revolution, Cambridge university press, vol.17, no.2, jan1965, p217.

كما أن ظرفية المبادرة كانت نتاج وضع عربي مترد و الدول العربية كانت تعيش صعوبات و تحديات إن على المستوى الداخلي أو على المستوى الإقليمي، حيث وصف الشقيري الأوضاع العربية المتأزمة في تلك الفترة قائلا: « كانت الحرب دائرة بين الجزائر و المغرب بشأن الحدود، و مصر تؤيد الجزائر، حرب اليمن تستنزف أموال السعودية و أرواح المصريين و اليمنيين، و الصراع بين تونس و المغرب، لأن تونس اعترفت باستقلال موريتانيا، و المغرب يؤكد أنها جزء من التراب المغربي»¹.

في مقابل ذلك ترى جهات إسرائيلية على رأسهم إيسترمان أن بورقية اختار توقيت إعلان السلام بذكاء، فقد كان يعلم جيدا أن تورط عبد الناصر المكلف في اليمن مع وجود 50 ألف جندي مصري محاصر قد تتسبب في مشاكل القاهرة أكثر من الريح² و بالتالي إن مثل هذا الطرح قد يحظى بقبوله أمام هذه الظروف الصعبة.

بالنسبة للأوضاع الداخلية في فلسطين و الكيان الصهيوني، فقد كان الأخير في تلك الفترة يمر بمرحلة سيئة جدا خاصة من الناحية الأمنية على طول الحدود مع سوريا، كما كانت هناك أنشطة لتحويل منابع نهر الأردن³. و ربما هذا التدهور الأمني قد يدفع بالعرب و الإسرائيليين لقبول التفاوض.

أما فلسطينيا فقد تزامن الحدث مع بداية تشكل قوى فلسطينية(منظمة التحرير الفلسطينية) و انطلاق الكفاح المسلح، و كلها مؤثرات توحى بتحول جذري في مسار الحركة الوطنية في تجاه الاعتماد على الذاتية الفلسطينية و الخروج من العباءة العربية⁴. و عليه ربما رأى بورقية أن استمرار المواجهة العسكرية و تكثيف عملياتها قد يؤدي إلى اندلاع حرب أخرى و هو ما قد يعرض مكاسب الدول حديثة الاستقلال إلى خطر الانسحاق في هذه الحرب، فلربما كان يريد أن يتدخل في هذه الفترة للحد من التصعيد العسكري و طرح حل

¹ - أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك و الرؤساء، المصدر السابق، ص47.

² - Michael M. laskier, "israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s, op.cit,p19.

³ - <http://archive.jewishagency.org/israel/content/.23387the-jewish-agency-for-israel>,

⁴ - إدريس رئيسي، الحقائق الكبرى حول مشاريع السلام لحل الصراع العربي الإسرائيلي من مؤتمر الصلح إلى وادي

عربة(1919-1994)، ج1، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2014، ص ص531 ، 535.

سياسي بديل. فالظروف التي كان تعيشها الدول العربية، كانت في نظر بورقية مناخا مناسباً لطرح أفكاره.

من جهة أخرى تتبادر إلى ذهننا مجموعة من التساؤلات حول سبب اختيار بورقية مصر كوجهة أولى في رحلته إلى المشرق و ليس فلسطين، أليس بورقية نفسه كان مقتنعا أن لا وصي على القضية الفلسطينية غير الفلسطينيين؟ فلم لم يتوجه إلى الشعب الفلسطيني بصفة مباشرة؟ لا شك أن حكمة و نباهة الرجل ستكون واحدة من بين الأمور التي تحدد اختياراته و أولوياته، فنجد من تصريحات بورقية ما يمكن أن يبرر هذا الاختيار و ذلك في قوله: « إن أي مبادرات لتحقيق الوحدة العربية عليها أن تصدر عن البلد الذي بحكم إشعاعه و موقعه بين الدول هو مؤهل لأن يلعب دورا مميزا في العالم العربي و هذا البلد هو الجمهورية العربية المتحدة¹. و عليه إن المكانة التي كانت تتمتع بها مصر في العالم العربي، و تمركز الجامعة العربية بها، جعلت بورقية يختارها وجهة أولى.

يمكن أن نضيف إلى هذه الحجة أنه رغم أن مصر الناصرية هي العدو اللدود في نظر بورقية، لكنه كان يدرك جيدا المكانة البارزة التي تحتلها القاهرة في العالم العربي كونها مركز ثقل و كونها مركز استقطاب للمناضلين، و قد أكدت الدراسات التونسية هذا الطرح بحيث أن بورقية كان يدرك حجم مصر بالنسبة للعرب و مكانة عبد الناصر لدى الجماهير العربية، و بالتالي طلب المساندة منه فيما سيطرحه². فلا عجب أن تكون المحطة الأولى لاختيار الشريك و الحليف الأنسب في هذه المهمة.

كما أنه من المرجح أن بورقية كان على علم باعتدال سياسة جمال عبد الناصر (لأنه حسب ما كانت تذكره بعض الشهادات الأمريكية أن عبد الناصر تميز بهذه الصفة) فتصور أنه سيجد التأييد المطلق منه. و يمكن أن نستشهد في مسألة اعتدال سياسة عبد الناصر بمذكرة مؤتمر كتبها الرائد الأمريكي (ايزنهاور) حول الاجتماع الذي دار بينه و بين الرئيس (نيكسون) بحضور السكرتير رونترى (rountree) و وكيل وزارة الخارجية هارتر

¹ - فيرنر روف، المرجع السابق، ص336.

² - إدريس رئيسي، المرجع السابق، ج1، ص ص531.

(herter)¹، بعد أن عقدا هذين الأخيرين مع عبد الناصر مؤتمرا عام 1958م - حجب رونتري بعض تفاصيل مؤتمره عندما قدم عرضه في اجتماع المجلس القومي-، و قد جاء في تلك المذكرة: « لاحظ الوزير كريستيان هريتر أن ناصرا كان أكثر اعتدالا من العرب الآخرين مؤخرا فيما يتعلق بإسرائيل»². قد يمكن أخذ هذه الملاحظة بعين الاعتبار حول جنوح عبد الناصر لسياسة الاعتدال خاصة و أنها جاءت في ظرف قبلت فيه الولايات المتحدة تقديم مساعدات لمصر حسب ما أكدته ذات المذكرة.

أما بالنسبة لخطابه في الشعب الفلسطيني في أريحا بدرجة أولى و لم يوجه كلامه للنخبة أو القيادة الفلسطينية، فالشيء الذي دعانا لطرح هذا التساؤل ما قاله أحمد الشقيري رئيس المنظمة آنذاك الذي استغرب من الخطاب المفاجئ، كون الشقيري جلس مع بورقيبة في القاهرة قبل توجهه إلى الأردن و لم يخبره بمثل هذا المقترح. و عليه بناء على ما توفر لدينا من شهادات و وفق افتراضاتنا يمكن القول أنه ربما كان بورقيبة يعلم مسبقا موقف الشقيري من سياسة المراحل هذه فتجاوزته. و قد أشار الشقيري في كتابه "أربعون عاما في الحياة العربية و الدولية" إلى رفضه سياسة المراحل، و برز موقفه هذا حول القضية الجزائرية بدايات الخمسينات (و كان وقتها بورقيبة مسجوناً في أحد السجون الفرنسية، و كان ثمة وفد تونسي على اتصال ببورقيبة في أروقة هيئة الأمم التي كانت تعقد إحدى دوراتها في تلك الفترة) قائلا: «إن المنطق الفرنسي لا يمكن أن يكون مرحلة، إنه التسليم، و لا مانع من السير بمراحل بشرط ألا يكون التسليم هو المرحلة الأولى فبعد التسليم لا مجال لمراحل أخرى، التسليم هو نهاية المطاف»³.

بعدها حدث أن جاهر بورقيبة الشقيري برؤيته بصفة مباشرة سنة 1963م، ففي أواخر هذا العام و كانت المناسبة جلاء القوات الفرنسية عن بنزرت، فتلقى الشقيري دعوة من بورقيبة بوصفه ممثلا عن فلسطين في ج. د. ع ، و في لقاء بينهما شرح الشقيري الظروف

¹ herter - شغل منصب وكيل وزارة الخارجية (1957-1959)، و وزير الخارجية (1959-1961)، عمل ممثل خاص للمفاوضات التجارية في عهد الرئيس كينيدي، شجع على استخدام رحلات النوايا الحسنة الدولية لتحسين العلاقات مع الدول، و توفي سنة 1966. للمزيد ينظر: herter, christane: papers, 1937-67 - dwight d.eisenhower Library

² - F.R.U.S, memorandum of a conference with the president, , vol. 13, , 23/12/1958, doc.230.

³ - أحمد الشقيري، أربعون عاما في الحياة العربية والدولية، المصدر السابق، ص ص 581-582.

التي تمر بها القضية الفلسطينية و المصائب التي يتلقاها أبناء فلسطين في الوطن العربي، فأشار بورقية إلى أن الأخطاء العربية في عدم التزامها الواقعية في قضية فلسطين و رفض التسويات المتعددة التي عرضت في الماضي أفضى إلى كارثة فلسطين. فأخذ الشقيري يشرح له الفروق الكبيرة بين قضية فلسطين و القضايا العربية الأخرى، و أن سياسة المراحل على الصعيد الدولي لا تصلح للقضية الفلسطينية لأن الشعب يواجه غزوة استعمارية استيطانية تهدف إلى إقامة وطن على أنقاض وطن. و لم يصل إلى نتيجة تذكر مع بورقية، و نفس الحال مع الباهي الأدغم و المنجي سليم و بورقية الابن حيث وجد فتورا تجاه القضية. و تساءل الشقيري قائلاً أهو الحكم و مسؤولياته أم التفكير البورقبي¹.

كما لا نستبعد خاصة بعد أن بسط بورقية رأيه في القضية في مؤتمر القمة العربية في القاهرة 1964، أن منطقه لم يلق الصدى المطلوب لدى ممثلي الشعب الفلسطيني في الجامعة العربية و بالتالي تجاوزهم.

أما بالنسبة للقيادة العسكرية المتمثلة آنذاك في م. ت. ف بفصائلها و التي كان مبدؤها الأساسي هو تحرير فلسطين عن طريق الكفاح المسلح و تأسيس دولة فلسطينية مستقلة. و قد دعم بورقية تأسيس هذه المنظمة و مبادئها، فحين انعقد المؤتمر الفلسطيني في 28 ماي 1964 في القدس برعاية الملك حسين و إشراف جامعة الدول العربية، و مشاركة كل الدول العربية على مستوى وزراء الخارجية باستثناء السعودية و سوريا، شاركت تونس عن طريق ممثلها المنجي سليم كاتب الدولة للخارجية آنذاك الذي سافر رفقة (عبد العزيز بوتفليقة) إلى القدس لحضور هذا المؤتمر، و قال بورقية في هذا السياق: « إن تونس تشارك الدول العربية في كل مبادرة أو مجهود اقتصادي أو عسكري، و قضية فلسطين هي قضية تونس»².

رأى بورقية وجوب أن يتولى الفلسطينيون قيادة معركتهم بأنفسهم فقال: « إن فلسطين لا يحررها إلا شعب فلسطين و بما يشابه الطريقة التي انتهجتها الشعوب التي تخلصت من أبشع ألوان الاستعمار، أي بالنضال اليومي على أرض المعركة مع الاستمرار بالنضال الدبلوماسي في كل العواصم حتى يتأكد الجميع أن المخاطب الكفاء هو شعب فلسطين».

¹ - أحمد الشقيري ، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك و الرؤساء، المصدر السابق، ص ص38-40.

² - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص ص111،115.

فبدأت الصحافة التونسية تنشر البلاغات العسكرية الصادرة عن منظمة العاصفة الجناح العسكري لفتح منذ الشهور الأولى، و تندد بتصرفات الشقيري الذي يضيع وقته في طلب المساعدات التي تصرف يمينا و شمالا على المهرجانات الغوغائية¹.

فحسب تقديراتنا سيكون من الصعب عليه في هذا الظرف الوجيز أن يبدي رأيا (مثل التفاوض مع إسرائيل و قبول التقسيم) قد يتنافى و مبادئ هذه المنظمة، و للصراع الداخلي الذي تعرضت له تونس عهد الاستعمار حول مسألة التفاوض و الكفاح المسلح لدليل على صعوبة موقفه في قضية فلسطين، لذلك تجاوز هذه الأطراف أيضا متجها إلى القاعدة التي لطالما عرف بقدرته على التأثير عليها و هي الشعب. و لأن الشعب في نظر بورقية قاعدة أساسية في النضال فتوجه إليهم.

كان يؤمن بأن الاتصال المباشر بالشعب هو أساس العمل، و كان يرى أنه قادر على إيصال فكرته و قبولها نظرا لما يتمتع به من مميزات، و قدرته على التأثير في مخاطبيه، ففي فترة نضاله في تونس توجه إلى القاعدة الشعبية و كان أن حصل على تأييد يكاد يكون مطلقا.

انتقالا إلى الظرف الذي كانت تمر به تونس و الذي يمكن أن نعتبره أهم حدث في خضمه انطلقت مبادرة بورقية، و الذي لم تشر إليه الدراسات التونسية، فإنه بحلول 1964م كانت تونس حريصة على إطلاق مخططها للتنمية الاقتصادية و الاجتماعية، و كان بورقية بحاجة ماسة للغرب، بينما كانت تعتمد تونس بشدة على الاقتصاد الفرنسي منذ عام 1956. غير أن بورقية لم يستطع اللجوء إلى الفرنسيين لدعم مشاريعه لأن العلاقات الفرنسية التونسية كانت في أدنى مستوياتها، و لتأمين المساعدة الاقتصادية من الدول الغربية (و هو ما يعزز الطرح القائل بأن تدهور العلاقات مع فرنسا كان له تأثير دفع ببورقية للخوض مجددا في أعقد القضايا العالمية) بدأ بورقية بالنأي بنفسه عن القاهرة و تبني السياسات التي تخدم بدرجة أولى أهدافه الوطنية².

¹ - أحمد أبو جزر، المرجع السابق ، ص135.

² - Michael M. laskier, "israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s;egypt and Tunisia through israelé lenses",p12-13.

بدأ هذا التوجه يتمظهر في التصريحات التي أكدها بورقية لبعض الإسرائيليين بعد فترة من فتور العلاقات، حيث أبلغ بورقية ايسترمان في 2 سبتمبر 1964 بأن أي محاولة من جانب عبد الناصر لممارسة الضغط على تونس أو التأثير عليها في أي اتجاه بما في ذلك الصراع العربي الإسرائيلي لن يتم التسامح معها، و سوف يتبع أي خط يناسب مصالح تونس¹.

اتضحت تلك الأهداف (أي تأمين المساعدات الإقتصادية) بعد طرح مبادرته في أريحا، ففي في ماي 1965 م زار وزير الخارجية بورقية الابن واشنطن بحثا عن الدعم المالي لخطته التتموية، و حثت وزارة الخارجية الأمريكية الإسرائيليين على إقناع الألمان و الفرنسيين بمنح تونس 20 مليون دولار كمساعدات، و حث إسرائيل على شراء النبيذ التونسي².

نضيف إلى ذلك شهادة ريشارد يوندلاند (Richard E.undeland) مسؤول الشؤون العامة في وكالة المعلومات الأمريكية و الذي عمل ضابط معلومات مساعدا في تونس هدفه الحصول على برامج إذاعية لصوت أمريكا في السنوات ما بين 1958 و 1962م فيقول: « إن الولايات المتحدة مطلوبة جدا من قبل تونس الجديدة، مساعدتنا ضرورية لإخراج هذا البلد الفقير جدا من حيث الأرض لكنه ينعم بقيادة معتدلة و ديناميكية، أردنا أن نلعب دورا في تطورها. و إن أمة شابة يمكن أن نتعامل معها بسهولة إذا ما استخدمت مساعدتنا بحكمة»³. فكانت هناك مصالح متبادلة بين الطرفين، فتونس كانت بحاجة إلى قوى لتأمين نهوضها الإقتصادي، و الو.م. أ رأت في تونس حليفا عربيا مهما في هذه المنطقة.

يمكن أن نشير إلى بعض المصالح الأمريكية التي كانت تتمتع بها الو.م.أ داخل تونس، منها أن هذه الأخيرة واحدة من دول البحر المتوسط القليلة التي تسمح بإجراء زيارات روتينية للموانئ التونسية من الأسطول السادس الأمريكي، كما أن النهج المعتدل عموما تجاه

¹ - Michael M. laskier, "israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s", op.cit, p13.

² - Michael M. laskier: "israel and the maghreb at the height of the arab-israel conflict (1950-1970)", op.cit, p98.

³ - Charles stuart kennedy, interview with richard eundeland, 29/7/1994, it has been published 2006, p27

المشاكل الدولية الذي اتخذته تونس كان داعما لأهداف السياسة الأمريكية. فأصبح بذلك ما يقارب ثلث إجمالي المساعدة الاقتصادية الخارجية لتونس هي من الو. م. أ¹.

و عليه إن الظروف الدولية و العربية (خاصة الأوضاع الداخلية لتونس و التي غيبتها الدراسات التونسية) التي أحاطت بالمبادرة كانت دافعا و محفزا لبورقية لتقديم مشروعه أمام الفلسطينيين كحل أمثل لقضيتهم. و ستكون بعض الظروف التي سنتطرق إليها بشيء من التفصيل سببا قويا وراء مبادرة بورقية.

للإجابة عن الإشكالية التي سبق و أن طرحناها حول ما إذا كانت مبادرة بورقية في أريحا قد عبرت عن الإرادة العربية التي لم يُجَاهَر بها، أم التونسية، أم الإسرائيلية، فلا يمكن فهم أبعادها دون الرجوع إلى الأسباب التي كانت وراء الطرح البورقيي.

أسباب عديدة و متداخلة متقاربة أحيانا و متناقضة أحيانا أخرى، بعضها ارتبط بالجولة المشرقية في حد ذاتها و بعضها الآخر ارتبط بالمبادرة كحدث بارز. حسب بعض الدراسات (منها التونسية مثلما ذكره الحناشي) التي وثقت لمبادرة بورقية تجاه قضية فلسطين أن جولته كانت من أجل القضية الفلسطينية و حشد الدعم لها، لكن حسب ما أفادت به جريدة "الصباح" أن جولته في المشرق لم تكن من أجل قضية فلسطين فقط، و لكن أيضا للحصول على برامج تنموية مشتركة تساهم في تنمية تونس. فمثلا تركزت المحادثات التي دارت بين بورقية و الملك الحسين حول قضية فلسطين التي تهم الأردن بصفة خاصة، كما كانت هناك اتفاقيات اقتصادية و تجارية سيوقعها رئيسا الدولتين قبل مغادرة بورقية للأردن².

في ذات السياق ذكر الشاذلي القليبي³ أنه تمكن من إجراء اتصالات ببعض المسؤولين في شتى القطاعات الاقتصادية و المالية و الثقافية و الإعلام، و أكد أن هذه الاتصالات كانت جد مشجعة لأنها مكنت من توثيق عرى التعاون مع كل من مصر و

¹ - F.R.U.S, interagency intelligence memorandum, vol.17,part3,28/2/1978, doc196.

² - "الصباح"، ع. 3919، 1965/3/4، ص1.

³ - كان إذ ذاك كاتب الدولة للشؤون الثقافية و ضمن الوفد المصاحب لبورقية عند زيارته للجمهورية العربية المتحدة و السعودية. "الصباح"، ع. 3920، 1965/3/5، ص1.

السعودية¹. و هو ما ينم على أن هذه الجولة كان من بين أهدافها الحصول على مكاسب اقتصادية قد تخدم تونس، و ليس هدفها حشد الدعم للقضية الفلسطينية فقط. هذا و نقلا عن مجلة "دبلوماسيست" البريطانية قالت جريدة الصباح أن هذه الرحلة² ليس الغرض منها التفاوض، بل التعبير عن الأهمية التي يعيها الرئيس التونسي للروابط الروحية الودية القائمة بين تونس و هذه الدول استنادا إلى الجو الحار الذي سبق هذه الرحلة. كما أن هذه الزيارة حسب بورقية هي بمثابة العودة إلى ديار عرفها فيما مضى لما كان يعرّف بقضية تونس المكافحة، و سيعرب عن امتنان الشعب التونسي للمعونة التي تلقاها من هذه البلدان³.

لكن هل فعلا كانت العلاقة في الفترة التي سبقت الحدث على هذه الدرجة الشديدة من العداوة؟ فالإجابة من وجهة نظرنا: لم تكن على تلك الدرجة، لأن بورقية كان قد دعا عبد الناصر في مناسبة الجلاء عن بنزرت عام 1963 م، و كانت العلاقات قد تحسنت بعدها. كما اشترك بورقية في مؤتمر القمة جانفي 1964 (و هو المؤتمر الذي أبدى فيه بورقية موقفه بشكل علني تجاه قضية فلسطين) و كانت العلاقات تبدو ودية حسب ما أكده أحد الصحفيين الأمريكيين الذين كانوا متواجدين هناك و هو (آلان وورتن) Alan w. Horton⁴، إذ ذكر بعض المشاهد التي لاحظها إثر نهاية المؤتمر قائلا: « كان عبد الناصر يودع الملوك و الرؤساء عندما غادروا منفردين، و كان الوحيدون الذين تلقوا العناق الرئاسي بن بلة من الجزائر، و عارف عبد السلام رئيس العراق، و بورقية بشكل مدهش. و هو مقياس للمشاعر الشخصية التي تولدت خلال المؤتمر⁵ ». أشارت هذه الشهادة إلى أن بورقية تلقى العناق من عبد الناصر و هذا مؤشر على حدوث نوع من التقاهم بين الرجلين

¹ - "الصباح"، ع. 3920، 1965/3/5، ص 3.

² - كان الوفد المرافق له يتكون من 60 شخصية بين أعضاء الحكومة و مسؤولين سياسيين. الحسين بن عيسى، البورقية و الهوية صراع مشاريع، المرجع السابق، ص 261.

³ - "الصباح"، ع. 3905، 1965/2/16، ص 3.

⁴ - Alan w. Horton (1920 - 1921): صحفي أمريكي، خلال الحرب العالمية الثانية خدم في البحرية الأمريكية ، في عام 1947 بدأ دراسة اللغة العربية في الجامعة الأمريكية بالقاهرة، و عمل في لجنة خدمة الأصدقاء الأمريكيين لتوزيع مواد الإغاثة على اللاجئين الفلسطينيين في قطاع غزة، و في عام 1962 أصبح مراسل الشرق الأوسط لموظفي الجامعة الأمريكية، للمزيد عن هذه الشخصية ينظر الرابط: <https://www.vnews.com/alan-horton-ohit-vn-030120-32996119>

⁵ - Alan w. Horton, the Arab summit of january 1964; some observation on inter Arab relation, vol.11, no.1, february 1964, p187.

بعدما استمرت عداوتهما لفترة من الزمن (و هو الأمر الذي سيثير اليه بورقية بعد خطاب أريحا). و عليه إن تلطيف الأجواء و إعادة ربط العلاقات لم تكن سببا رئيسا لجولته إلى المشرق.

كما ذكر Alan أن بورقية حقق نجاحا شخصيا كبيرا في المؤتمر، و في لحظات مهمة تمكن من التعبير جيدا عما كان يخالج فكر الآخرين، و أعد نفسه للمؤتمر من خلال التوصل إلى تفاهات مسبقة مع بن بلة و عبد الناصر، و أشار إلى أن العديد من التقارير تفيد بأنه لعب دور محفز المؤتمر الرئيسي¹. لم يذكر التقرير طبيعة التفاهات التي جرت بين بورقية من جهة و بن بلة و عبد الناصر من جهة أخرى، غير أنه أشار إلى العلاقات التي بدت على درجة عالية من الحميمة.

من جهة أخرى هناك من يرى أن جولة بورقية في الشرق لم يتم تفسيرها في تونس كمؤشر على تصالح بورقية مع الشرق فقط بل كان ينتظر منها أيضا أن تفتح الباب أمام وساطة تونسية في النزاع اليمني².

في حين صرح بورقية أنه لم يذهب إلى الشرق بهدف طرح أفكاره تلك (أي الدعوة لقبول قرار التقسيم)، و إنما كان الأمر بدفع من بعض الإخوان الذين أبوا إلا أن يطلعوه على حالة أثارت شفقتهم. و أن زيارته لخط النار جعلته يقف على وضع مؤثر لمأساة شعب³.

إذا سلمنا بما قاله بورقية في كون رحلته إلى المشرق ليس الهدف منها طرح أفكاره حول قضية فلسطين، و أن زيارته لخط النار و الوضع المؤثر الذي رآه في تلك اللحظة هو ما جعله يبدي موقفه، فلماذا ذكر في شهادته أنه أخبر جمال عبد الناصر بأنه سيقترح حله هذا عند ذهابه إلى فلسطين؟ و يطلب منه دعم مقترحه و عدم الوقوف ضده؟ فالشهادتان تحملان الكثير من التناقض، و قوله أنه أخبر عبد الناصر بما سيطره يفند القول بأن الوضع المؤثر الذي شهده في مدينة أريحا فيما بعد جعله يطرح مقترحه هذا.

¹ - Alan w. Horton, op.cit, p196.

² - روف فيرنر، المرجع السابق، ص346.

³ - اللطيف حناشي، موقف بورقية من القضية الفلسطينية (1946-1965)، المرجع السابق، ص10.

لكن إذا ما أردنا أن نرجح أحد الرأيين سنختار أن حل قضية فلسطين كانت جزءاً و هدفاً من الأهداف التي دعت بورقية للذهاب إلى المشرق لطرح أفكاره، خاصة أن العودة إلى مضامين اللقاءات التي جمعت بورقية بأطراف صهيونية، و حتى الظروف الدولية و الداخلية لتونس المحيطة بهذا الحدث تدعم اختيارنا.

كذلك إن تجربة تونس المريعة في المشرق ربما جعلته يطرح هذا الموقف و يدعو الفلسطينيين لتولي زمام أمورهم بخطي هذه الخطوة التي خطتها تونس و نجحت فيها. فإذا عدنا إلى تلك المرحلة (أي نشاط الوطنيين المغاربة في القاهرة) سنجد أنه في أحد التقارير التي تصف حالة مكتب لجنة تحرير المغرب العربي بالقاهرة و نشاط مكاتب تونس و المغرب، أنه بعد أن علم التونسيون أن مصر تتوي التخلي عن مناصرة القضايا العربية التجأوا (أي التونسيون) إلى أصدقائهم في الدول الآسيوية، و حرصهم على عقد مؤتمر لهم و للدول العربية في مصر تحت اسم المؤتمر الآسيوي، ثم استطاعوا أن ينتزعوا قراراً من هذا المؤتمر بوجوب مساعدة الدول المشتركة فيه مالياً و معنوياً. و يقول صاحب التقرير الذي لم يذكر اسمه أنه بعد أحاديث كثيرة استنتج من زعماء تونس أن أمريكا هي التي تمدهم بالمال، و أنه عندما سأل أمين الجامعة (عبد الخالق حسونة باشا) عن قضايا تونس و مراكش فأجابه أنه لا يهتم بها، أما الشقيري فقال إن هاتين من القضايا البارزة لدى الجامعة و لابد من إثارتها في هيئة الأمم¹.

فأمكننا أن نلاحظ هنا أن المواقف السلبية للجامعة و الجمود تجاه قضايا التحرر في الوطن العربي خاصة تجاه الجناح المغاربي و التي كان بورقية على علم بها، و الرد الإيجابي للشقيري، و ما فعله الأخير من أجل قضية تونس، كان عاملاً مهماً يقف وراء الموقف البورقيبي و تقديمه حلاً أثبت نجاحه في تونس و قد يكون ناجحاً في قضية فلسطين.

كما نادى بورقية في خطابه بالاستناد إلى قرار هيئة الأمم و ضرورة قبوله لكونه رجل قانون و درس المحاماة، و عليه لا جرم أن ينظر للقضية الفلسطينية بمجرى قانوني، و يقترح حلاً يتماشى و القانون الدولي و الهيئات الدولية.

¹ -W.C.D.A ,the committee for the liberation of the arab Maghreb in cairo, box.8,file.1A/8, oxford,1950, pp4-6.

أما الصحفيتان و الكاتبان التونسيان صوفي بسيس و سهيل بلحسن، فقد تطرقتا لهذه الجولة، بوجهة نظر مختلفة حيث ذكرتا: « هل دخول بورقيبة سنة 1965 في الساحة المعذبة في الشرق الأوسط هو صدفة أم عن سبق إصرار و ترصد؟ » و تجيبان: منذ صلحته مع عبد الناصر أراد بورقيبة أن يكون رئيس دولة في منطقة لم تنظر إليه إلا بصورة الخارج عن القانون، و ذهابه هناك هو تكريس لاعتراف من الصعب الحصول عليه، و هو أن يظهر أنه كان على حق لهؤلاء العرب الشرقيين الذين لا يحترمهم كثيرا¹. و معناه أن جولته أريد بها تلميع صورته في المشرق التي قد سبق و أن تشوهت فترة نضاله ضد الإستعمار، و إثبات فعالية طروحاته.

كما تظهر اقتراحات بورقيبة بايجاد حل لقضية فلسطين و منها قبول قرار التقسيم كتعبير لإرادته و مصالحه و تحقيق مصالح تونس، كون تلك الاقتراحات و حسب بعض الدراسات الغربية كانت موجهة بكل وضوح ضد طموح عبد الناصر في السيطرة على منطقة الشرق، لأنها وصفت السياسة التي كان اتباعها الرئيس المصري إلى حد ذلك الوقت بالخاطئة و غير المجدية و العقيمة، و من المستبعد أن بورقيبة لم يكن له طموح في أن يقدم نفسه كقائد لسياسة عربية جديدة تتعلق بفلسطين².

و حسب لاسكير أنه من وجهة نظر إسرائيلية كان هدف بورقيبة هو جذب الاهتمام الدولي، و من ثم تحسين موقفه القيادي على حساب عبد الناصر و القوميين الآخرين، و من الممكن أن تساهم المفاوضات في الاستقرار السياسي و الاقتصادي بين جميع دول الحوض المتوسط، مما يشكل تحديا إن لم يكن الحد من تدخل العناصر العربية (و منها مصر) و انخراطها في الشؤون الداخلية للدول العربية المعارضة للحرب . و قد كان أفضل التكتيكات لتحديهم هو الإشارة علنا أو حتى الإيحاء إلى أنهم استغلوا ببراعة الصراع العربي الإسرائيلي لتحقيق مكاسب عربية أو شخصية، و الدعوة إلى التفاهات سواء تمت على الفور أم لا، يمكن أن تلحق الضرر بدور ناصر القيادي³.

¹ - Sophie besis, souhayr belhassen, **bourguiba un si long régime 1957-1989**, part2, japress, France, 1989, p60.

² - روف فيرنر، المرجع السابق، ص ص346-347.

³ - Michael M. laskier, **"israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s**, op.cit, p16-17.

في ذات السياق يصف لاسكير بورقية قائلا: « كان بورقية رجلا يتمتع بقدرة و ذكاء كبيرين، و لكنه كان رجلا مغرورا و شعر بالإحباط لأن حجم تونس الصغير، و قلة الموارد سيمنعها من لعب دور كبير و ريادي في الشؤون العالمية مثل مصر». و بخصوص دوافع طرح مقترحه ذكر: « يعتقد البعض أنه تم إجباره و تشجيعه على السياسات الدرامية و الإبداعية لجذب الانتباه. و بالنسبة للوضع الهامشي لتونس في الشؤون العربية فإنه أراد لعب دور محوري من خلال الدعوة إلى مفاوضات عربية إسرائيلية»¹. و حسب تعليق richard eundeland مسؤول الشؤون العامة في وكالة المعلومات الأمريكية و الذي كان شاهد عيان على بعض الأحداث في تونس في تلك الفترة أن: « إن بورقية أراد علاقات جيدة مع العرب لكن دون دفع ثمن باهض لهم»².

كذلك تؤكد الروايات الإسرائيلية أنه من وراء موقفه أراد تحقيق مصالحه و مصالح إسرائيل (بصورة غير مباشرة) في الإقليم المغاربي، فبعد بروز الجزائر في أوت 1962 م كعضو نشط في ج. د. ع ، و إقامتها علاقات وثيقة مع الاتحاد السوفياتي، و لم يعد بإمكان إسرائيل اعتبار نظام أحمد بن بلة نظاما محايدا، فأسعد إسرائيل أن بورقية تجنب بن بلة و عبد الناصر و دافع عن اعتراف عربي بإسرائيل مقابل تنازلات إقليمية، و كان هذا الإجراء يهدف إلى مواجهة الإمبريالية الجزائرية و الناصرية (على حد تعبيرهم) في بلاد المغرب، حيث استغل كل من عبد الناصر و بن بلة من وجهة نظر بورقية القضية الفلسطينية لتعزيز موقعهم الريادي على حساب القادة العرب الآخرين³.

أما عمر الشاذلي و الذي كان ضمن الوفد المرافق لبورقية في جولته ذكر أن بورقية قام بتقييم موضوعي و تتبع بعين ناقدة الخيارات السياسية لبعض القادة العرب، و لم يشاطر مصر ميلها لتحل محل الفلسطينيين في حل مشاكلهم، و استنكر وجهات النظر التي كان عبد الناصر يحاول فرضها على العالم العربي، و أمام غياب موقف سياسي متماسك قادر

¹ - Michael M. laskier, Israel and the Maghreb at the height of the arab-israel conflict (1950-1970), op.cit, p98.

² - charles stuart kennedy, interview with richard eundeland, op.cit ,p48

³ - Michael M. laskeir, iseal and algeria amid French colonialism the arab-israel conflict(1954-1978) , " Israel studies", vol.6,no.2, 2001.p20.

على وقف الصراع بصرف النظر عن المواقف العربية المتطرفة (على حد تعبيره)، تقدم بورقية بحله¹.

بالنسبة للأسباب الاقتصادية التي أشرنا إليها سابقا فقد رجحت بقوة كسبب جوهري في موقف بورقية، حيث أراد من وراء هذا الطرح الحصول على دعم أمريكي في مجال التنمية. ففي مذكرة من المساعد الخاص لرئيس شؤون الأمن القومي (بوندي) إلى الرئيس (جونسون) في أبريل 1965، وضّح الهدف من مقترحه بقوله: « بورقية قطع شوطا في التوصية بأن يتفاوض العرب و الإسرائيليون على تسوية في فلسطين، و على الرغم من أن هذا غير قابل للتطبيق الآن، فقد تطلب الأمر شجاعة ليكون الزعيم العربي الوحيد الذي يدرك أن إسرائيل موجودة لتبقى (...). لنكون صادقين، إن موقف تونس المباشر مصمم جزئيا لتوليد أقصى قدر من الدعم الأمريكي لخطواتها التنموية، إنها تريد تعهدا بدعم محدد»².

و قد أكد لاسكير هذا التفسير قائلا: « من ناحية أخرى، من خلال التظاهر كقائد بناء مناصر لفكرة السلام في الشرق الأوسط و الاستقرار الإقليمي، كان بورقية يأمل في جمع الأموال اللازمة من الغرب لتمويل خطته التنموية ذات الأربع سنوات»³.

كما ساند الباحث التونسي الطاهر لسود المقيم بأمريكا هذا الرأي قائلا: « إن بورقية كان يعتمد إستراتيجية عامة جوهرها البحث عن دور للدولة الوطنية ضمن الاستراتيجية الأمريكية، و اعتبار ذلك حجر الزاوية الأساس في قيام ثم استمرار الدولة الوطنية الناشئة، و وفق هذا المبدأ يجب النظر للرؤية البورقيبية للصراع العربي الإسرائيلي، و اعتبر أن أهم مفاتيح مواقع القرار في واشنطن هي الأطراف الإسرائيلية بمختلف مؤسساتها المباشرة و غير المباشرة»⁴.

هذا و أشارت أزمة بنزرت إلى ضعف تونس الاقتصادي و اعتمادها على المساعدات الخارجية و خاصة المساعدة الفرنسية، فكانت العملة التونسية الدينار مدعومة

¹ - Amor chadli, op.cit, p152.

² - F.R.U.S, memorandum of conversation, vol.24, 29/4/1965, doc.150.

³ - Michael M. laskier, **"israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s"**, op.cit, p20.

⁴ - الطاهر لسود، في نقاش تمثل علاقة بورقية بفلسطين، ثوات، 18/4/2007. على الرابط:

- <https://nawaat.org/2007/04/18/relation-bourguiba-palestine/>

بشكل كبير من قبل الفرنسيين، و تمثل الإتاوات حوالي 29 مليون دولار سنويا من خط أنابيب (edgele) الفرنسي الذي يمر عبر تونس (قطع أثناء الأزمة) جزءا كبيرا من الدخل الوطني، و كانت المنتجات التونسية مرتبطة منذ فترة طويلة بالأسواق الفرنسية، و كانت للجهود التونسية المبذولة لإنشاء علاقات اقتصادية جديدة مع الكتلة الشيوعية و وعود المساعدة من الدول الإسلامية و المحايدة نتائج ضئيلة، و بقيت المساعدات الفرنسية و الأمريكية الركيزة الأساسية للاقتصاد التونسي¹. و عليه إن النتائج الاقتصادية لأزمة بنزرت كانت دافعا بارزا و ظرفا أحيط بمبادرة بورقية.

الأمر الآخر الذي يمكن أن نرجحه و غيخته الدراسات هو أن تونس كانت أول دولة عربية تقبل فيلق السلام (peace corps) عام 1962، و قد أشاد بورقية بهذا الفيلق في خطاب له في 4 جانفي 1964 و اعتبره من أعظم الأعمال التي قام بها الرئيس الأمريكي جون كينيدي (John F. Kennedy)، و أكد على أن علاقة البلدين ستستمر في التطور ليس فقط في النطاق الدبلوماسي و لكن ضمن النطاق الشخصي و الانساني². عمل هذا المشروع الأمريكي على تقديم مساعدات كبيرة لتونس بدايات الستينات³، و قد قبل بورقية تعيين اليهود الأمريكيين داخل فيلق السلام⁴. و في اعتقادنا تواجد هذا التنظيم داخل تونس و تضمينه ليهود خاصة أسهم بشكل كبير في دفع سياسة بورقية نحو طرح مشروعه و الدعوة لقبول قرارات هيئة الأمم.

أما بالنسبة لإمكانية وجود دوافع ذاتية متعلقة بشخصه منها حبه للسلام و التعايش السلمي، ففي اعتقادنا أن هذه الدافع يشكل نسبة ضئيلة من جملة الدوافع التي كانت وراء

¹ - The American jewish year book, **Tunisia**, "springer", vol.36, 1962, p433.

² - فيلق السلام: تم انشاء هذا الفيلق من قبل الرئيس الأمريكي (جون كينيدي) عام 1961، كوسيلة لتعزيز السلام العالمي والصداقة، و تشجيع روح الخدمة بين الأمريكيين، و منذ عام 1962، عمل متطوعو فيلق السلام في شراكة حقيقية مع التونسيين لتحسين التعليم و الصحة و الزراعة و تعزيز التنمية الحضرية. للمزيد عن فيلق السلام و مهامه في تونس. ينظر:

- peace corps tinisia the legacy1962-1996. On the link <https://tn.usembassy.gov/wp-content/uploads/sites/59/2017/01/LegacyEnglish.pdf>

³ - ساعد فيلق السلام في التخفيف من مجموعة المشاكل الاقتصادية الناجمة عن الوضع في بنزرت، حيث شهدت تونس انخفاضا ملحوظا في الاستثمارات الأجنبية و قدر عجزها التجاري بأكثر من 50مليون دولار، مع تزايد معدلات الهجرة الجماعية للعمال المهرة (30 ألف عامل هربوا). ينظر: **derek khoudja,apartnership in the Maghreb;the first ten years of**

peace courps in tunisia,university of new jersey, 2013, p31.

⁴ - Charles Stuart kennedy, **interview with richard eundeland**, op.cit , p29.

طرح بورقيبة لمقترحه، لأن مقترحاته (طريقة المراحل) فيما مضى لم تكن محبذة بصفة مطلقة و لم تلق قبولا خاصة في المشرق، فلماذا يريد إحراج نفسه من جديد، خاصة أن هذه النقطة بالذات كانت سببا في شرح علاقته بالمشرق العربي، و حتى مغربه، و أثارت صراعا أهليا داخل تونس. فهل يحبذ بورقيبة تكرار ذلك السيناريو لمجرد حبه للسلام؟ فتفضيل التعايش السلمي في اعتقادنا له أغراض و مصالح سياسية تصب في صالح تونس.

غير أن ما نود الإشارة إليه أن الوضع الاقتصادي لتونس و ضعف الإمكانيات ربما جعلها تختار أسلوب التعايش السلمي في حل النزاعات، حيث يقول السياسي اليمني سالم صالح محمد¹ أنه: « باعتبار النفط ثروة العصر، فالأرضية الاقتصادية غير النفطية جعلت من تونس بلدا مسالما لا يحب المواجهات و الأحلاف و الصراعات، لأن المواجهات تحتاج إلى ميزانيات و أموال طائلة، و مع ذلك فإن الأوضاع في الشرق الأوسط و المغرب العربي كانت ترغم التونسيين و تجرهم جرا إلى سلوكيات مغايرة»².

كما نرجح أن التموضع الفلسطيني -المتمثل أساسا في إنشاء مكتب لحركة فتح³ في الجزائر التي تشارك تونس حدودا جغرافية- في الإقليم المغاربي، قد شكل هاجسا و تحديا آخر دفع ببورقيبة لطرح مقترحه. إذ تشير بعض الدراسات أن مركز ثقل العمل الفلسطيني في هذه المرحلة انتقل إلى مكتب فلسطين في الجزائر، و الذي كان بمثابة القلب الذي يستقبل الدم من الأطراف و يعيد ضخه ثانية إلى جميع أجزاء الجسم، حتى إن خليل الوزير أبو جهاد⁴ أكد أن الدور الذي لعبه مكتب الجزائر كان دورا تاريخيا في مسار الحركة و القضية⁵. و عليه إن اقتراب النشاط الفلسطيني من تونس من الناحية الجغرافية، ربما أحدث

¹ - سالم صالح محمد (1947- —): سياسي يمني مخضرم، عمل في الفترة (1973-1975) سكرتيرا عاما للمجلس اليمني للسلام و التضامن مع الشعوب، و ما بين (1975-1979) سكرتيرا للعلاقات الدولية للجنة القومية، ثم وزيرا للخارجية لجمهورية اليمن الشعبية ما بين (1979-1982). ينظر مقدمة كتابه: مدن نسكنها و مدن تسكننا، دار الكتب المصرية، مصر، 2008.

² - سالم صالح محمد، المصدر السابق.

³ - فتح: الاسم المختصر لحركة التحرير الوطني الفلسطيني.

⁴ - خليل إبراهيم محمود الوزير (1935-1988): الرجل الثاني في حركة (فتح)، و أحد مؤسسيها مع ياسر عرفات، حيث سافر مع الأخير إلى الجزائر عام 1963 أين تم تأسيس أول مكتب لحركة فتح، و نجح خلال توليه هذه المسؤولية في تعزيز العلاقات مع الحكومة الجزائرية، فحصل على موافقتها في قبول الآلاف من الفلسطينيين في جامعات الجزائر و على السماح بالتدريبي العسكري للفلسطينيين بها. تم اغتياله في ربيع 1988 في تونس حيث مقر منظمة التحرير الفلسطينية. مؤسسة خليل الوزير، خليل الوزير السيرة الذاتية على الرابط: <http://kwf.ps/alwazir-cv>

⁵ - محمد حمزة، أبو جهاد أسرار بداياته و أسباب اغتياله، ط2، المركز المصري العربي، مصر، 1989، ص208.

تخوفا لدى النظام البورقيبي لما يمكن أن يشكله هذا النشاط من تهديد لأمن و استقرار تونس.

كما أنه ليس من المستبعد أن بورقية كان على اطلاع تام بالوضع المتردي الذي يشوب العلاقات الفلسطينية العربية خاصة مع الأنظمة في تلك الفترة، و الواقع أنها فعلا كانت تمر بفترة عصيبة من تضيق الخناق عليها، الأمر الذي دفعه للتدخل و طرح مقترحه. و كان من بين الأمور التي يصر عليها بورقية في أغلب تصريحاته رفع الوصاية العربية على القضية الفلسطينية، و نجده يتوافق في هذه الرؤية مع الأهداف التي وضعت من أجلها حركة فتح، إذ أقسم مؤسسوها على التصدي لكل محاولة لإخضاع الحركة الوطنية الفلسطينية لإشراف حكومة عربية كائنا ما كانت هذه الحكومة¹.

لا شك أن مقترحات بورقية بغض النظر عن مدى فعاليتها كانت ستختصر الكثير من الوقت و الجهد كون المصير الذي آلت إليه القيادة الفلسطينية (اختيارها المفاوضات فيما بعد) هو نفسه ما اقترحه بورقية.

من زاوية أخرى يعتقد خبراء إسرائيليون و بعض المحللين السياسيين أن بورقية لم يكن جديا في جعل قرار الأمم 1947 يمكن أن يكون بمثابة أساس للمفاوضات، و لكن أراد فقط كسر الحواجز النفسية التي حالت دون حوار عربي إسرائيلي². لكن بالنظر إلى ردود الفعل العنيفة التي تعرض لها بورقية بعد خطابه حتى إن الأمر وصل لحد تهديد حياته، و لم يكن حدوث هذا السيناريو بعيدا عن توقعاته، فإن هذا ينفي إلى حد ما ما قاله الخبراء في أن مقترحه غير جدي.

أما الإرادة الإسرائيلية (و التي تم تجاهلها في أغلب الدراسات) فتظهر في ضغط إسرائيل على توجه النظام التونسي، حيث يذكر كبير الدبلوماسيين الإسرائيليين جلعون رافائيل في أبريل 1956م: « ظهرت أنظمة جديدة في تونس و المغرب، و تبذل فرنسا قصارى جهدها لكسب هذه الأنظمة لتحويلها لكيانات موالية للغرب و موالية لفرنسا. يجب أن نكون مهتمين أكثر بأنهم لا يتجهون للقاهرة بل إلى فرنسا، و من واجبنا المساعدة في

¹ - صلاح خلف أبو إياد، المصدر السابق، ص 68.

² - Michael.m. laskier: israel and the maghreb at the height of the arab-israel conflict(1950-1970), op.cit,p98.

إبعادهم عن الجامعة¹. و كان المأمول أنه رغم دور تونس الهامشي نسبيا فإنه قد يستعان ببورقية بمساعدة الزعماء العرب المعتدلين في إحباط جهود الوحدة العربية².

من بين الأسباب الأخرى التي نعتقد أنها كانت وراء طرح مقترحه ضغط الجالية اليهودية. فحسب شهادة Richard E. undeland، لاحظ أن الجالية اليهودية كانت جد نشطة و قوية في تونس، مع تمثيل قوي لهم في التجارة و التمويل و المهن و وسائل الإعلام و أجزاء من التعليم. و كانت المعابد اليهودية محمية بشكل جيد³. و هذا ينم على أن اليهود فرضوا وجودهم كقوة لا يستهان بها في تونس المستقلة، و بالتالي انسياق نظام الحكم وراء سياسات قد ترضي هذه الفئة يبدو أمرا غير مستبعد.

كما ورد في بعض الدراسات التي تناولت تأثيرات أزمة بنزرت على الطائفة اليهودية في تونس و يمكن أن نرجحها كدافع و سبب دعا بورقية لإرضاء اليهود من خلال الوقوف بشكل رسمي إلى صف القرار الأممي القاضي بتقسيم فلسطين. و هي تزرع ثقة اليهود في النظام التونسي و أمنهم في تونس، فقد كانت أحد الثوابت في تفكير يهود تونس أنه « لطالما كان بورقية موجودا فنحن بأمان»⁴.

من بين 55 إلى 60 ألف يهودي في تونس كان هناك حوالي 10 إلى 15 ألف مواطن فرنسي شعروا بتأثير المشاعر المعادية للفرنسيين خلال أزمة بنزرت، و لم يكن التونسيون اليهود بمنأى عن هذه المشاعر المعادية، حيث انتشرت بين المسلمين شائعات أن يهود تونس كانوا من المتعاطفين مع الفرنسيين، و حتى إنهم ساعدوا المضليين الفرنسيين في بنزرت من خلال إطلاق النار على المسلمين، و كان مجموعة من طلاب تونس قد ساروا في مسيرة ما بعد بنزرت أضافوا صرخة «الموت لليهود» لشعاراتهم. فكان أن شعرت خلايا ح. د. ج أنه من الضروري عقد اجتماعات أعلن فيها أن يهود تونس هم مواطنون تونسيون مثل أي شخص آخر، و يجب وضع حد للشائعات المعادية لليهود. و قد أظهرت الأزمة

¹ - Michael M. laskeir, israel and algeria amid French colonialism the arab-israel conflict(1954-1978), op.cit ,p3.

² - Michael M. laskier: israel and the maghreb at the height of the arab-israel conflict, op.cit,p98.

³ - charles stuart kennedy, interview with richard eundeland, op.cit ,p29.

⁴ - كانت هناك مجلة اسمها technique ، ظهرت في وقت مبكر من عام 1961، كانت معادية للسامية و لأمريكا و حتى لبورقية، و قد أغلقتها السلطات التونسية لنشاطها المشبوه. ⁴ - The American jewish year book, Tunisia, "springer", vol.36, 1962, p436.

ليهود تونس الذين كانوا يشعرون بأن تونس الأكثر أمانا لهم أن هذا الأمن هش للغاية و هو ما أثار القلق بشأن مستقبلهم في تونس¹.

كان من تداعيات أزمة بنزرت أيضا أن حوّل بورقية وجهته إلى المشرق خاصة مصر و الجامعة العربية - التي يمكن أن تعوض و لو القليل من تدهور العلاقات مع فرنسا- فكان أن تزايدت مخاوف اليهود من تحسن هذه العلاقات، حيث أدت إلى تعطيل الاتصالات البريدية بين تونس و إسرائيل. و سبب آخر دعاهم للقلق و هو الهجوم غير المبرر على إسرائيل من قبل بورقية في مؤتمر صحفي بنيويورك بداية الستينات، حيث قال: « إن إسرائيل لم تكن أبدا مستعدة لاحترام قرارات المنظمات الدولية، لكن يبدو لي ثانويا بالنسبة للمشكلة الرئيسية التي يطرحها وجود إسرائيل التي تشكل مشكلة استعمارية تتمثل في إخضاع شعب لآخر، و هذه المشكلة لن يتم حلها من خلال نقاط تفصيلية طالما لا يوجد اتفاق بين العرب و اليهود». دفع هذا العديد من اليهود إلى التساؤل عما إذا كانت تونس ستتبع البلدان العربية الأخرى في التمييز ضد اليهود و إغلاق حريتهم في التنقل².

و عليه كان لا بد من اتخاذ موقف قد يبديد هذه المخاوف و يعيد شعور الأمن لليهود تونس، فلربما جاءت دعوة بورقية لقبول قرار التقسيم تحت ضغط أولئك اليهود الذين كانوا يبدون عطفًا للدولة الصهيونية الوليدة، و إعادة ثقتهم في نظام الحكم، و كانت قضية فلسطين مفتاحا من مفاتيح إعادة الثقة من وجهة نظرنا.

أما الشاذلي القليبي فيذكر أن بورقية كان حريصا على المحافظة على العلاقات الثقافية مع فرنسا رغم أن العلاقات السياسية كانت تمر بمصاعب، و منه كان على بورقية الاعتراف بالجميل الذي يكنه لبيار مانداس فرانس (Pierre Mendès France) الرجل الذي أرسلته العناية الإلهية لكي يمهد الطريق لتصفية الاستعمار (على حد تعبير القليبي) خير شاهد على وفائه، و قد كان مانداس يهوديا و هو ما وفر لبورقية حجة أخرى لمقاومة كل الأحكام المسبقة ذات الطابع العنصري أو السياسي ضد اليهود. و كان الاعتدال الذي ميز معالجته للصراع مع إسرائيل مرده للخطاب الذي ألقاه مانداس في قرطاج 1954، و

¹ - The American jewish year book, **Tunisia**, "springer", vol.36, 1962, pp 435-436.

² - ibid, p434.

كان هذا الخطاب هو الذي عزز لدى بورقية التشبث بالشرعية الدولية منها لمعالجة الصراع العربي الإسرائيلي¹.

كذلك من بين الفرضيات التي يمكن أن نعتبرها دافعا لبورقية وجود أشخاص بمثابة عنصر ضغط في حاشيته، تبنا نفس الفكر و ساهموا في صنع القرار السياسي و دفعوا ببورقية لطرح مشروعه. فنجد مثلا الباهي الأدغم الذي كان يعرف عنه أنه مؤيد لأمريكا و سياستها حتى إنه كثيرا ما يطلق عليه أحيانا إسم أمريكا على حد تعبير Richard e. undeland. في حديث سري بينه و بين الأخير يبرز عمق العلاقة بينهما. حيث قال الأدغم لـ undeland: « أنه وقت أزمة بنزرت ذهب للو. م. أ سعيًا للحصول على ضمان أنها لن تسمح للقوات الفرنسية باحتلال أجزاء أخرى، و حصل على التأكيدات التي طلبها من الو. م. أ»².

كما أنهم كانوا على علاقات سرية بأطراف صهيونية قبيل الإستقلال و بعده، و هو ما شكل دافعا لمساندة مثل هذه المواقف الاعتدالية. و عليه إن بعض وزراء الحكومة التونسية كانوا يشكلون دعما فعالا لطرح بورقية كونهم كانوا على علاقة وثيقة بدوائر سياسية إسرائيلية و أجروا لقاءات سرية مع أطرافها، و التي أشار إليها الباحث مايكل لاسكير في دراساته. و سبب مهم طرحه undeland و هو استفادة أمريكا من هذه المفاوضات إذا ما تم قبولها: « إن بورقية بطرحه هذا و البحث عن تسوية عربية مع إسرائيل يكون قد قدم حجة سياسية لاستثمارنا للجهد و المال في ذلك»³.

لكن السؤال الذي قد يطرح نفسه هنا، لماذا اقترح بورقية حله هذا علما أن مثل هذا الحل كان قد طرح في قضية تونس أواخر عهد الاستعمار الفرنسي، و قد تم رفضه من طرف الكثير من الزعامات في المشرق العربي و حتى مغربه، و هو يعلم أيضا أنه قد تعرض لانتقادات عديدة بل إن مكانته قد اهتزت و تراجعت في تلك الفترة بسبب طريقته هذه؟ لماذا أراد حمل هذه المسؤولية على عاتقه خاصة و أن هذه الرؤية قد أثقلت كاهله فترة نضاله السياسي؟

¹ - الشاذلي القليبي، أضواء من الذاكرة، المصدر السابق، ص ص 157-158 .

² - charles stuart kennedy, interview with richard eundeland, op.cit , p33.

³ - ibid, p29.

لا شك أن مسائل كثيرة تكونت و ترسبت لترجح كفة عرض بورقية لتجربته و مقترحه هذا على الفلسطينيين للانتقال بقضيتهم لطور آخر و مرحلة متقدمة حسب رأيه. ربما رأى بورقية أهمية جنوح العالم إلى السلام خاصة و أن دول العالم الثالث كانت قد خرجت لتوها من عهد استعماري غاشم هدد استقرار المنطقة و استحوذ على إمكاناتها، و بما أن قضية فلسطين قضية كل العرب فإن أي تطور سيمسها سواء كان تطورا سلبيا أو إيجابيا سيكون له تأثير مباشر على بقية الدول العربية التي ليست بمنأى عن تجاذبات القوى العالمية و خطر الصهيونية.

ثانيا بصفته رجل ورئيس دولة فإنه من الطبيعي أن يبدي رأيه في ملفات دولية كملف فلسطين، في سياق الخط و التوجه السياسي الذي يتبناه هو و في إطار المصلحة التي تخدم بلاده.

كما أن الطريق المرحلي الذي طالب به بورقية شبيه بالخط الذي انتهجه الإسرائيليون. فبعد اندلاع حرب 1948م بادرت أمريكا لطرح القضية على مجلس الأمن على أساس أن تدخل الجيوش العربية يعد عملا عدوانيا، أما إسرائيل ليست مسؤولة عن الحرب في نظر أمريكا لأنها أعلنت قيامها ضمن حدود التقسيم الوارد في قرار الجمعية العامة نوفمبر 1947، و زعماء إسرائيل فعلوا ذلك تماشيا مع سياسة المراحل. فقد كانوا هم أيضا يعملون على استخدام القوة لتوسيع رقعتهم بيد أنهم تظاهروا بقبول التقسيم عند إعلان قيام الدولة ليكسبوا تأييد الرأي العام الدولي، و عندما يتجاوزون حدود التقسيم فيما بعد سيذكرون بأن العرب قد رفضوه فلماذا يتمسكون به الآن¹.

أما الإرادة السياسية العربية الكامنة وراء مقترح بورقية، فتظهر في قوله أن رأيه لا يدخل في إطار الديماغوجية التي كان ينتهجها البعض بل كان في سياق تحريك القضية الفلسطينية فيذكر بورقية: « لعل صادمات بعض المشاعر، و الواقع أن كل ما فعلته هو الاصداع على رؤوس المأ بما يراه الكثيرون و لا يقولونه همسا»². و أكد أن خطابه إلى جموع الفلسطينيين إنما هو تعبير عن الحقائق التي كان يضمها القادة العرب و يخشون

¹ - صلاح العقاد، قضية فلسطين. المرحلة الحرجة (1945-1956)، المطبعة الفنية الحديثة، 1968، ص 93.

² - إدريس رائسي، الحقائق الكبرى حول مشاريع السلام لحل الصراع العربي الإسرائيلي من مؤتمر الصلح إلى وادي عربة (1919-1994)، ج 1، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2014، إدريس رائسي، ج 1، ص 531.

قولها أمام الجماهير و يقرون بها في خلواتهم، معرضا بذلك حياته للخطر نتيجة لتصريحه الخطير¹.

و يرى لاسكير أن مقترحات بورقية كان لها أهداف أخرى حيث كانت أفعاله تهدف إلى حد كبير في إظهار استقلال تونس و عدم خضوعها للرايكاالية العربية، و اعتبر نفسه جوزيف بروز تيتو (الذي تبني سياسة الحياد الايجابي) العرب، يعارض القبضة الخانقة التي تؤديها الكتل الإيديولوجية المتجانسة و الشاملة. و مع ذلك بالرغم من أن مبادرته المؤيدة للسلام إلا أنه شعر بعدم الإرتياح بشأن العلاقات مع إسرائيل. و بما أن بورقية كان يأمل في الحصول على مساعدة اقتصادية من الغرب فقد استمر في حملته من أجل السلام، و عندما لم تكن المساعدة وشيكة أو على الأقل ليس بالسرعة التي يريدها، قرر اعتماد خطط تنمية أقل طموحا، و بدأ في التراجع عن حملته².

ما يمكن أن نضيفه هنا، أن زيارة بورقية لم تتوقف عند دول المشرق بل تواصلت من أجل حشد الدعم الدبلوماسي للقضية في نطاق حله الذي اقترحه. فذهب إلى تركيا، و جاء في البلاغ المشترك إثر نهاية الزيارة في 30 مارس 1965 أن رئيس الجمهورية التركية و رئيس مجلس وزرائها شعورا بما يكتننه من ود للبلاد العربية، أكد بورقية عطف تركيا و تفهما لهذه القضية الخطيرة التي ينبغي أن تجد حلا عادلا و منصفا. كما كسب بورقية تأييد يوغسلافيا لحق الشعب الفلسطيني، حيث جاء في البلاغ المشترك في 3 أبريل 1965 م أن الرئيس بورقية و تيتو يؤكدان تعلقهما بالموقف الذي وقفته ندوة القاهرة لبلدان عدم الانحياز بشأن الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني³.

لكن هل استطاع بورقية الحصول على ما أراد من خلال مبادرته لحل قضية فلسطين؟

لم يستطع بورقية الحصول على كل ما يريده، فعلى الرغم من أن وزارة الخارجية الإسرائيلية أرسلت وسطاء من ممثلي W.J.C و الاشتراكيين الفرنسيين البارزين ليشرحوا لبورقية الفوائد التي يمكن أن يجنيها من التعاون الاقتصادي الإسرائيلي، لكن هذه

¹ - الحبيب بورقية، لا وصاية على الثورة الفلسطينية، المصدر السابق، ص5.

² - Michael M. Iaskier, "Israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960", op.cit, p30.

³ - الحبيب بورقية، تونس و قضية فلسطين...، المصدر السابق، ص ص95-96.

المجهودات باءت بالفشل. حيث قال بورقية أنه كان يدرك جيدا الفوائد التي يمكن أن يجنيها لكن مشاكل الأمن الداخلي و المعارضة التي واجهها داخل تونس و العالم العربي منع التعاون من الحدوث¹.

هذا و اعتقدت تونس أنه يمكنها تعويض سحب المساعدة الفرنسية من خلال الاعتماد على الولايات المتحدة و ألمانيا، لكن ما حصلت عليه كان أقل بكثير مما كانت تأمله و في مجال واحد و هو التجاري، و لم يأت شيء للتعويض عن إلغاء التعريفات التفصيلية التي كانت تمنحها فرنسا لتونس².

أما بالنسبة للمساعدات التي استطاع بورقية الحصول عليها من أمريكا في تلك الفترة، فقد جاء في مذكرة من المساعد الخاص للرئيس الأمريكي (روستو) إلى الرئيس جونسون في 4 أكتوبر 1966م، أن وزير الخارجية دين راسك (Rusk David Dean) أشار إلى واحدة من أصعب المشاكل التي كانت تواجهها أمريكا، و هي كيفية الرد على طلب تونسي قديم للمساعدة العسكرية، حيث كان بورقية يريد علاقة أوثق مع أمريكا لتعويض تدهور علاقاته مع ديغول و عبد الناصر، و حشد الأسلحة المدعومة من السوفيات في الجزائر المجاورة له³.

و كان أن أعطت الحكومة التونسية لأمريكا قائمة تسوق بقيمة 100 مليون دولار، و بعد إرسال فريق استطلاعي أمريكي أوصى ببرنامج 25 دولار على مدار 5 سنوات لتطوير القوة العسكرية التونسية، لكن اعترض بعض المسؤولين الأمريكيين على الالتزام لمدة خمس سنوات، و أوصوا بشريحة لمدة عام من البرنامج البالغ 25 مليون دولار، و جاء في المذكرة أيضا أن بورقية وقف مع أمريكا فيما يتعلق بقضية الفيتنام و لا يمكن لأمريكا أن تتوقع من أصدقائها التمسك بها إذا لم تأخذ مخاوفهم الدفاعية المشروعة على محمل الجد، كما أنه عزل نفسه في العالم العربي من خلال وقوفه في وجه عبد الناصر، و يعتبر صوت معتدل في قضية النزاع العربي الإسرائيلي و دعوته لحل سلمي لمشكلة فلسطين، و ليس من

¹ - Michael M. laskier, "israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s;egypt and Tunisia through israelé lenses",p12-13.

² - Etienne mallarde, "la francophonie africaine",*revue des deux mondes*",15/2/1967,p534.

³ - F.R.U.S, memorandum from the president's special assistant(rostown) to president Johnson, vol.21, 4/10/1966 , doc166.

المنطقي إجبار بورقية على شراء الأسلحة في السوق المفتوحة، بينما تساعد أمريكا في برنامجه التتموي فليس لديه مكان يلجأ إليه¹.

كما ذكر روستو أن بورقية عرض على الأمريكيين قواعد بحرية و جوية لا يحتاجونها كحث على توثيق العلاقات. فكان أن شجع وزير الخارجية دين راسك و وزير الدفاع (روبرت إس ماكنمارا) على تقديم المساعدة لبورقية². و عليه لم تكن تلك المساعدات في مستوى الطموح الذي أراده بورقية من خلال موقفه التاريخي الذي أبداه في أريحا. و منه إن بورقية من خلال، بادرته في أريحا استطاع أن يحقق جزءا بسيطا من الأهداف الاقتصادية التي كان يطمح إليها، و في مقابل ذلك كانت تلك البادرة مصدر نقمة لشخصه و نهجه في العالم العربي و أثارت ردود فعل مختلفة.

المواقف المختلفة من خطاب بورقية في أريحا:

1/ الموقف الفلسطيني :

بشكل عام شكّل الخطاب و كما تصفه الكتابات التاريخية صدمة عنيفة للشعب الفلسطيني شعبا و قيادة. و اخترنا في هذا الصدد أن نتناول بعض المواقف الفلسطينية البارزة و التي عبرت عن موقفها بشكل مباشر و غير مباشر تجاه مقترح بورقية.

1.1/ الشعب الفلسطيني :

بالنسبة للشعب الفلسطيني، فحسب الشقيري الذي كان موجودا بالقاهرة قال إنه كانت هناك أنباء تتوارد عن احتجاج الشعب الفلسطيني و نقمته تعلن استنكارها لتصريحات بورقية³.

لكن ما قاله بورقية على العكس من ذلك، حيث و في تصريح له في 30 مارس 1965م بإسطنبول قال: « أنا مؤمن بأن الكثير من الفلسطينيين الذين توجهت إليهم في نابلس و عمان أعملوا أفكارهم في تصريحاتي، لم يروا في المنهج التونسي خيانة و لا تنكرا ما للشعب الفلسطيني، و أقصى ما هناك أن بعض الصحفيين ممن يرون أن سياسة المراحل تعني التنازل عن الهدف». بناء على ذلك اعتبر أن الفلسطينيين مقتنعون

¹ - F.R.U.S, memorandum from the president's special assistant (rostown) to president Johnson, vol.21, 4/10/1966, doc166.

² - Michael M. Iaskier, "Israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s, op.cit, p21.

³ - أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك و الرؤساء...، المصدر السابق، ص 229.

بآرائه و أن ما حصل من ردود فعل هو آراء مجموعة صحافيين ذوي ميول سياسية لا تعبر عن إرادة الشعب¹.

أما في القاهرة، فقد هاجم طلبة فلسطينيون سفارة تونس و رددوا الهتافات و رشقوا بالحجارة و كان من بينهم الطالب نبيل شعث الذي سوف يصبح فيما بعد وزير خارجية السلطة الوطنية و أحد المتمسكين باتفاق أوسلو². و اشترك في تلك المظاهرات الطلابية الفلسطينيون و طلبة جامعة القاهرة طافت في الشوارع، و على إثرها عقد مجلس الأمة المصري اجتماعا طارئا استنكر فيه تصريحات بورقية و سحبت القاهرة و بغداد و دمشق سفراءها من تونس³.

2.1/ موقف المجلس الوطني الفلسطيني :

أعلن المجلس الوطني المنعقد في القاهرة في دورته الثانية في الفترة ما بين 31 ماي 1965 و 4 جوان 1965 م أن تصريحات بورقية خيانة عظمى للقضية الفلسطينية، و خروج على الإجماع العربي، و افتراء على حق الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره، و أن المجلس يرفض هذه التصريحات جملة و تفصيلا. و أن المجلس يؤيد رئيس اللجنة التنفيذية أحمد الشقيري تأييدا كاملا في موقفه من تصريحات بورقية، ذلك الموقف الذي اتخذه أمام لجنة ممثلي الملوك والرؤساء و أمام مجلس وزراء العرب. و أكد المجلس ثقته بوعي الشعب التونسي الشقيق و إدراكه لحقيقة القضية الفلسطينية، و شكر دولة الكويت للقرار الوطني الذي أصدرته بقطع المعونة نظرا لموقف بورقية من قضية فلسطين⁴.

3.1/ موقف رئيس م.ت.ف الشقيري :

كان موقف أحمد الشقيري أكثر حدة و هجوما من مواقف غيره من السياسيين الفلسطينيين، حيث وصف موقفه و دهشته من تصريحات بورقية في كتابه "من القمة إلى الهزيمة مع الملوك و الرؤساء" قائلا: «راح يخطب على الشعب الفلسطيني خطبا لم أصدق أذني و أنا أسمعها (...)» راح يندد بالسياسة التي أدت إلى نزوح الفلسطينيين عن مدنها، و

¹ - إدريس رائسي، المرجع السابق، ج 1، ص 507.

² - سمير عطا الله، مقال الأربعاء، دار الساقى، بيروت، 2008، ص 339.

³ - "الاتحاد"، م. 21، ع. 101، 1965/4/30، ص 8.

⁴ - محسن محمد صالح، منظمة التحرير الفلسطينية، تعريف، وثائق، قرارات، مركز الزيتونة، بيروت، 2014، ص 103.

أنه لا سبيل للخلاص من هذا العناء إلا بالاعتراف بالأمر الواقع، على الأساس الاحترام المتبادل و التعايش السلمي بين العرب و إسرائيل، و أن الأخيرة دولة عضو في الأمم المتحدة و أن إزالتها مناف لميثاق الهيئة... لم أصدق سمعي، فقد كان بورقية قبل ليلة واحدة في القاهرة و لم يتحدث بمثل هذه الآراء»¹. و أضاف الشقيري: « حديث بورقية لم يكن فلتة لسان أو زلة بيان، راح يخطب في حضور مضيفه الحسين، و في كل مكان في المملكة الأردنية. و لم يكتف بذلك بل عاد و أكد الآراء في المؤتمر الصحفي الذي عقده يوم انتهاء زيارته»².

و قد أكد لاسكير الموقف الحاد من طرف الشقيري ضد بورقية مشيرا إلى أنه لم يتم توبيخه بشكل جدي من طرف أغلب السياسيين، و أنه في الواقع لم يذكر اسمه كثيرا في المداولات باستثناء الانتقادات الحادة لرئيس المنظمة الشقيري³.

برّر الشقيري انتقاده لما قاله بورقية بقوله: « انبريت للهجوم عليه لا تهجما و لكن دفاعا عن قضية بلدي. و لم يكن من الممكن أن أسكت أو أجامل، و كان أول ما عملته أن عقدت مؤتمرا صحفيا يوم 22 أبريل 1965، و أدليت ببيان شجبت فيه تصريحات بورقية و أعلنت باسم الشعب الفلسطيني رفضها جملة و تفصيلا». و أعلن أنه سيطلب في أول اجتماع عربي فصل الحكومة التونسية من الجامعة، و إسقاط عضويتها من مؤتمرات القمة⁴.

في الاجتماع الدوري للجنة ممثلي الملوك و الرؤساء يوم 28 أبريل 1965 قدم الشقيري ملفا كاملا عن رحلة الرئيس بورقية و تصريحاته، و الممثلون أعلنوا و بلهجات متباينة أنهم لا يوافقون على تصريحات بورقية، و طالبهم الشقيري بفصل تونس، فرفض الممثلون التعرض لرئيس دولة لأن هناك أمورا دبلوماسية و أصولا بروتوكولية تحول دون البحث في تصريحات رؤساء الدول. و علق الشقيري على هذا بقوله: « كانت اللجنة في الواقع تبحث عن مهرب قانوني من مواجهة الموقف الخطير الذي وقفه بورقية بصورة

¹ - أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك و الرؤساء، المصدر السابق، ص 238.

² - نفسه، المصدر السابق، ص 239.

³ - Michael M. laskier, "israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s", op.cit, p24.

⁴ - أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك و الرؤساء، المصدر السابق، ص 241-242.

حاسمة، و تم إحالة الموضوع إلى اجتماع مجلس رؤساء الحكومات العربية¹. و قال الشقيري أنه لن يفتح مكتبا للمنظمة في تونس².

في أحد النقاشات التي دارت بين الشقيري و السفير التونسي بالقاهرة محمد بدره سأل الأخير الشقيري حول ما إذا كان يؤمن بسياسة المراحل و هي التي طبقها التونسيون مع الفرنسيين في القضية التونسية؟ فأجاب الشقيري: « لست غريبا عن القضية التونسية و قد واكبت جميع مراحلها، و القضية الفلسطينية لا بد لها من مراحل، و لكننا لا نستطيع أن نقبل مرحلة تصفي القضية و المرحلة التي تنتهي عندها القضية لكونها هي البداية و النهاية، و الاعتراف بإسرائيل ليس مرحلة إنها نهاية القضية»³.

من المفارقات التي دونتها بعض الأدبيات التونسية، و اتخذتها كدليل على عدم استقلالية قرار الشقيري الرفض لمقترح بورقيبة و تبعيته لمصر، و هي أن تصريحه تزامن مع التصريح الذي قدمته جريد الأهرام المصرية، حيث جاء في بيان الشقيري أنه ليس بين صفوف الشعب الفلسطيني فلسطينيا واحدا يقبل بمقترحات بورقيبة، أو يوافق على مفاوضة إسرائيل. فتزامن التصريحين في وقت واحد دليل على أن منظمة التحرير كانت بمثابة أداة ضغط على الأنظمة العربية لخدمة الأجندة المصرية و تفعيلها في الشارع العربي، و رفضه للمقترح هو تعبير عن وجهة النظر المصرية⁴. هذا ما فسره بعض الكتابات التونسية.

لكن هل هذا التزام هو صدفة أم أن هناك ارتباطا وثيقا بين التصريحين؟ و الأقرب أن هناك ارتباط بينهما كون المنظمة في تلك الفترة كانت على صلة وثيقة بنظام الحكم المصري، و هو ما يمكن أن يلزمها باتخاذ مواقف تتفق و رؤى هذا النظام. أما رفضه للمقترح، فبما أنه رئيس للمنظمة بوصفها ممثلة الشعب الفلسطيني فإنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يفصح عن تصريح يتنافى و المبادئ التي قامت عليها المنظمة و التي من بينها رفض قرار التقسيم الذي لا يعكس إرادة الشعب الفلسطيني.

1 - أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك و الرؤساء، المصدر السابق، ص ص242، 244.

2 - "الإتحاد"، م. 21، ع. 100، 1965/4/27، ص 4.

3 - أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك و الرؤساء، المصدر السابق، ص 245.

4 - كلا التصريحين صدر في شهر أبريل، أي أن الشقيري انتظر حوالي 3 أسابيع بعد الخطاب للرّد عليه، و ذهب بعيدا في رفضه إلى حد إصدار أوامر بتأجيل إفتتاح مكتب المنظمة في تونس. إدريس رايسي، المرجع السابق، ج 1، ص ص513-514.

من جهة أخرى، إذا ما نظرنا من زاوية أخرى لأبعاد تصريح بورقية، هل قراره فتح جبهة أخرى على م.ت.ف؟

فتح التصريح جبهة أخرى على المنظمة التي لم تستطع أن تتأى بنفسها عن الصراعات العربية الداخلية و وجدت نفسها تخوض فيها دون إرادتها، ففي عام 1965 م وجدت نفسها في معركة مع تونس و رئيسها بسبب تصريحه، و معركة بينها و بين السعودية بسبب صلة المنظمة بعبد الناصر، و تفجر الخلاف مع الأردن الذي سحب اعترافه بالمنظمة عقب إعلان استقلاليتها عن كافة الأنظمة الرسمية العربية، و أنه لا يحق لأي زعيم عربي أن يعزل رئيسها و يأتي بآخر، بل الفلسطينيون وحدهم المخولون بذلك دون ضغط¹.

و ربما أثرت تصريحات الشقيري و ردود الفعل التي خلفها خطاب بورقية على قضية دفع الالتزامات المالية العربية للمنظمة، فيذكر الشقيري: « أنه على غرار الدول العربية الأخرى تخلفت تونس في دفع التزاماتها للمنظمة، ففي الفترة الممتدة ما بين 1964-1971 تخلفت عن تلك الالتزامات 7 سنوات للمنظمة، و 5 سنوات لجيش التحرير »².

4.1 / موقف صلاح خلف أبو إياد:

لم يبد أبو إياد موقفا رسميا تجاه مقترحات بورقية في تلك الفترة، لكن ما يمكن أن نستشفه من الشهادات التي تضمنتها مذكراته الشخصية أنه أعطى إشارة مهمة تعبر عن موقفه السلمي: « إن الإخوان المسلمين كان من بينهم الوعاظ يعتمدون لغة نضالية يسهل تناولها على عامة الناس، إلا أنني بالرغم من كل هذا لم ألتحق بصوفهم. صحيح أنني كنت حفيد شيخ و أبي مسلم لا يقطع فريضة إلا أن تسامح وسطي و بيئتي العميق أبعدني عن أيديولوجية الإخوان المسلمين، و بخلاف ذلك كانت ميولي الطبيعية تحملني على أن أنضم إلى ركب قومية علمانية لا يزال علينا أن نوضح شكلها و جوهرها »³. ففي كلامه إشارة

¹ - أسامة محمد أبو نحل: نشأة منظمة التحرير الفلسطينية بين المصالح العربية و الطموح الفلسطيني، قراءة جديدة، "مجلة جامعة الأزهر"، ع. خ، 2009، ص 79.

² - أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء، المصدر السابق، ص 229.

³ - صلاح خلف أبو إياد، المصدر السابق، ص 47.

واضحة على توجهه العلماني و ربما هذا التوجه أثر فيما بعد على اختيار تونس كبلد لجوء لهم.

كما سنلاحظ في موقع آخر يتحدث عن ضرورة الحل السلمي إذ يقول: « إن مؤسسي فتح استشفوا منذ البداية إمكانية إقامة دولة ديمقراطية في كامل فلسطين يعيش فيها اليهود و المسيحيون و المسلمون متساوين، غير أن عوامل ذات طابع سياسي كانت تمنعنا من أن نجاهر قبل عام 1968 بالعرض الذي ينبغي أن نقدمه لليهود الإسرائيليين»¹. على الرغم من أن طرحه لا يعبر عن قبول قرار التقسيم و لكن يقبل أن يعيش المسلمون و اليهود الإسرائيليون في دولة واحدة و هي دلالة على ضرورة حل القضية سلميا مثل الذي دعا إليه بورقية في مقترحه.

لكن اختيار الكفاح المسلح في نظر أبو إياد و المنظمة كان وحده القادر على التسامي على التباينات الإيديولوجية ليصبح وسيطا للوحدة².

و يمكن أن نضيف في ذات السياق شهادة تاريخية مهمة توضح انفتاحه على قبول التقسيم و الخيار المرحلي، فيذكر أبو إياد أنه منذ شهر جويلية أي بعد الهزيمة العربية سنة 1967 تقدم فاروق القدومي³ من اللجنة المركزية في فتح بتقرير سياسي يعرض فيه الإستراتيجية التي يجب أن تتبناها الحركة و اقترح عليهم أن يعلنوا تأييدهم لقيام دولة في الضفة الغربية و غزة في حال إعادة إسرائيل لهذه الأراضي التي احتلتها، و أكد أن هذا الهدف يستجيب لتحليل موضوعي للظروف، و علق أبو إياد على هذا: « بالفعل إنه كائنا ما كانت انطلاقة و يأس حرب العصابات ضد الدولة الصهيونية، فإنها تظل دولة لا تقهر لهذا. إن عدم توقع المرور بمراحل مؤدية إلى الهدف الاستراتيجي الذي هو إقامة دولة ديمقراطية على كامل فلسطين يكون أمرا من قبيل الوهم و الخيال»⁴.

¹ - صلاح خلف أبو إياد، المصدر السابق، ص 64.

² - نفسه، ص 69.

³ - فاروق القدومي (1931-) : ملقب بأبو اللطف، سياسي فلسطيني يبلغ من العمر 91 سنة، أحد مؤسسي حركة فتح، و الأمين العام للجنة المركزية في الحركة من 1969 إلى 2009، و رئيس الدائرة السياسية في منظمة التحرير الفلسطينية عام 1973، عارض اتفاقيات أوسلو و رفض العودة مع قيادات م.ت.ف و ظل يقيم في تونس. "مركز رؤية للتنمية السياسية"، فاروق القدومي، 14 ديسمبر 2020.

⁴ - صلاح خلف أبو إياد، المصدر السابق، ص ص 219-220.

حسب أبو إياد أنه بالرغم من واقعية تقرير القدومي خاصة في الجزء المتعلق بالدولة فإنه اصطدم بمعارضة حادة داخل الأجهزة القيادية في فتح، فلم تكن لديهم قواعد شعبية على قدر من الاتساع تكفي لعرض الوثيقة على الأطر و الكوادر الوسطى في الحركة، فقرروا إحالة تقرير القدومي إلى المحفوظات بانتظار مجيء أيام أفضل¹.

و سنرى في الفصل اللاحق كيف أن تسارع و تطور الأحداث ساهم في الجنوح أكثر لسياسة المراحل التي دعا إليها بورقية، و فيها تجاوز بعض قيادات م. ت. ف كل القرارات المعلنة التي تم الاتفاق عليها.

5.1/الحاج أمين الحسيني :

الحسيني هو الآخر لم يبد موقفا رسميا تجاه ما قاله بورقية، لكن عبّر عن رأيه فيما يخص قرار التقسيم بعد صدوره بمدة قصيرة و قبل أن تنشب الحرب العربية الإسرائيلية الأولى، و ذلك حسب ما أشار إليه الصحفي اللبناني يوسف بشير²، إذ ذكر أحد محرري جريدة "الأهرام" المصرية في لقاء مع الحسيني أنه طرح عليه مجموعة من الأسئلة حول قرار التقسيم³ كان أبرزها: «ألا تظن أن موافقة الدول العربية على قرار التقسيم يشكل إساءة كبرى لقضية فلسطين العادلة؟». فأجاب المفتي: «قضيتنا بالطبع عادلة، كان من الجائر أن يطلب منا التعويض عن تلك الجريمة (يقصد المحرقة اليهودية التي قام بها الألمان) التي لا يد لنا فيها، لكن المطالبة بالحق لا تكفي، الدول العربية حديثة الولادة و حديثة الاستقلال، جيوشها لا يزال يديرها الأوروبيون الذين وافقوا جميعا على التقسيم، علاقاتها الاقتصادية و التعليمية هي معهم، أبعد من هذا هناك التوافق العالمي على قرار التقسيم من موسكو إلى واشنطن، إنني أتفهم تماما امتناع الحكومات العربية عن الوقوف ضد الإجماع العالمي الجديد، و لو فعلوا غير هذا و عارضوا التقسيم لبدوا أول المعطلين لسلام ما بعد الحرب

¹ - صلاح خلف أبو إياد ، المصدر السابق ، ص220.

² - يوسف بشير: كاتب و صحفي لبناني ألف كتاب حين حدث ما لم يحدث يحتوي على مجموعة المقالات التي تؤرخ لجملة من الأحداث في التاريخ السياسي العربي القريب و الراهن، و يسرد فيه تفاصيل عن بعض الشخصيات العربية.

³ - حين صدر قرار التقسيم في 29 نوفمبر 1947 و لم يكن قد مضى غير أشهر على دخول الحسيني إلى مصر، طلبت أسرة الأهرام من أحد محرريها التوجه لمنزله لإجراء مقابلة معه، و تساءل المحرر عن إمكانية اختراق هذه السرية التي يعيش فيها فضلا عن تشدد الحكومة المصرية في الحرص على هذه السرية، فأجابه رئيس التحرير (أنطون الجميل) أن الحسيني نفسه يريد أن يتحدث. ينظر: يوسف بشير، حين حدث ما لم يحدث، دار الساقي، بيروت، 2019، ص57.

العالمية الثانية. ثم إن الشعوب العربية و قد استقلت أخيرا لها أن تعيش بشيء من الاستقرار و أن تحظى بتقدم و هذا لا يتحصل إلا بالانفتاح على العالم¹.

و على حد تعبير الحسيني توقع أن يكون هناك شبه إجماع عربي على مستوى الحكومات على قبول قرار التقسيم، كما أبدى تفهما إذا ما قبلت تلك الدول القرار بالنظر إلى الأوضاع التي كانت تمر بها. غير أن الدول العربية بشكل رسمي وقفت ضد التقسيم، و دخلت في حرب مع القوات الصهيونية عام 1948 م كل طرف حسب مصالحه.

أما بالنسبة للسؤال الآخر الذي طُرح على الحسيني من طرف المحرر في محاولة منه لمعرفة موقف الفلسطينيين من القرار، قال: « إذا تفهمنا أوضاع الدول العربية ماذا عنكم أنتم الفلسطينيون؟ لماذا توافقون على قرار التقسيم؟ ». فأجاب لقد فعلنا كل ما في وسعنا؛ عقدنا المؤتمرات التي حضرها أعيان و سياسيون و مفكرون من البلدان المسلمة وصولا إلى الهند و أندونيسيا، خضنا حربا ضد الإنجليز و الصهاينة، لكن إلى ماذا انتهينا، انتهينا إلى حرب ضروس بين الفلسطينيين و الفلسطينيين هذه الحرب دمرت نسيج وحدتنا الوطنية، بتنا ضعفاء فكيف نقاوم الإنجليز و التنظيمات الصهيونية الحديثة التدريب و التسليح².

كما أن رفض خطة التقسيم حسب الحسيني و اختيار القتال قد يؤدي إلى هزيمة عسكرية ستستدعي تدخلا عربيا لن ينجح في تعديل توازنات القوى مع اليهود، لكن يؤدي إلى تناهش أجزاء من فلسطين بحيث لا تنشأ دولة فلسطينية كالتى ضمنها التقسيم، فالأردن الذي صار مملكة قبل عام سيمد يده إلى قسم من فلسطين لتوسيع مملكته الصغيرة، في الوقت نفسه كانت الدولة اليهودية، هي الأخرى كانت ستقضم جزءا كبيرا من الدولة الفلسطينية³.

و كأن الحسيني تتبأ مسبقا بما ستؤول إليه الأوضاع في فلسطين. و يمكن أن نستشف أيضا من هذه التصريحات أن الحسيني كان يفضل قرار التقسيم (رغم أن شارك في

¹ - يوسف بشير، المرجع السابق ، ص ص 59-60.

² - نفسه، ص ص 61-62.

³ - نفسه، ص ص 62-63.

الحرب ضد القوات الصهيونية) على الحرب التي ستنتهي بخسارة العرب و فقدان المزيد من الأراضي الفلسطينية و تقسيمها على الأطراف الفاعلة في هذا الصراع.

هذا و قد طرح أبو إياد سؤالا على الأمين الحسيني عام 1974 قبل وفاته بثلاثة أشهر، سؤال يتعلق بموقفه من الحل المرحلي قائلا له: « لماذا لم يقبل القادة الفلسطينيون حلا مؤقتا يكون قوامه تأسيس دولة على جزء من الإقليم الوطني الذي أسندته إليهم الأمم المتحدة، فأجاب الحسيني: « إن الدول العربية المعنية أعاقت من تلقاء نفسها أو تحت ضغط الإنجليز تأسيس دولة في الضفة و غزة، فالملك عبد الله لم يكن يؤيد إقامة كيان فلسطيني لأنه كان ينوي ضم الضفة إلى مملكته، أما الملك فاروق لم يسع إلى إلحاق غزة بمصر لكن سمح بإقامة حكومة يقودها حلمي باشا. غير أن الحكومة المصرية منعت حتى من الإقامة في غزة بحجة أن الجيش الإسرائيلي سيستفزه بذلك و يحتل القطاع، فبات على الحكومة أن تقيم في القاهرة. الأمر الثالث أنه بعد أن خانت الدول العربية تخلى عنه أغلب القادة الفلسطينيين الذين انقسموا بين مصر و الأردن»¹.

كما يذكر بوشعالة أنه في سنة 1965 م خلال زيارته الرسمية إلى لبنان، أبقى بورقيبة إلا أن يؤدي زيارة مجاملة إلى صديقه أبا الحسن محمد علي الطاهر بشقته ببيروت، و في سنة 1966 م استضاف بورقيبة صديقه الفلسطيني في تونس و كرمه، ثم كلف عبد الله كاتب الدولة لدى الوزير الأول بالسفر إلى لبنان حيث يقيم أبا الحسن و قلده وسام الاستقلال بحضور المفتي الأمين الحسيني². و حسب اعتقادنا وجود الحسيني في هذا اللقاء يعني أن العلاقات لا يشوبها أي توتر يذكر خاصة و أنها جاءت بعد فترة قصيرة من خطاب أريحا.

6.1 / موقف المناضل بهجت أبو غربية³:

¹ - صلاح خلف أبو إياد، المصدر السابق، ص 219

² - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص 79.

³ - بهجت أبو غربية (1916-2012م): مناضل فلسطيني، عمل في الصحافة (1937) وكيلا و مراسلا في جريدة الجامعة الإسلامية بالقدس، شارك في ثورة 1936م، كان أحد قادة جيش الجهاد المقدس، و عضو المجلس الوطني الفلسطيني، والمجلس المركزي لم. ت. ف (1964-1991)، ثم استقال بعد موافقة المجلس الوطني على قرار 242 الذي يعترف بالكيان الصهيوني إسرائيل و الدخول في مفاوضات معها. للمزيد عن حياته ينظر: شريط وثائقي، شاهد على العصر، بهجت أبو غربية، قناة الجزيرة، تاريخ البث 2000/5/20، تاريخ المشاهدة 2020/5/5. على الرابط: <https://www.youtube.com/watch?v=luFY2mgZ6xQ>

كان موقف بهجت رافضاً لمقترحات بورقية و وصفها بالخيانة ، و قد عبّر عن موقفه قائلاً : « ناصحاً الفلسطينيين (يقصد بورقية) بالأخذ بمبدأ خذ و طالب و قبول قيام الدولة اليهودية، و لما كان ذلك يتعارض مع ميثاق منظمة التحرير الفلسطينية و لأن مبدأ خذ و طالب الذي تعامل به بورقية مع فرنسا في القضية التونسية لا ينطبق على القضية الفلسطينية، و لكون الحركة الصهيونية حركة استعمار استيطاني فإن ما كان يواجهه شعب فلسطين تنازلاً ثم تنازلاً و ليس خذ و طالب، و لما كانت م.ت.ف قد شكلت حديثاً و أحبط تشكيلها بمخاوف و احتمالات جرها إلى تصفية القضية الفلسطينية فقد شعرنا بخطر هذه التصريحات و أخذت زمام المبادرة في الرد عليها فور صدورها و لم يكن الشقيري موجوداً في الأردن»¹.

كما أشار أبو غربية إلى رفض بعض الأطراف الفلسطينية و الأردنية على تشكيل مظاهرات شعبية ضد ما قاله بورقية، فيذكر : « اتصلت بشفيق الحوت² مدير مكتب المنظمة في بيروت و طلبت منه توزيع تصريح لي على الصحافة العربية و الأجنبية أرد فيه على تصريحات بورقية رافضاً لها، معتبراً الإدلاء بها خيانة عظمى للقضية الفلسطينية، ثم اجتمعت فوراً مع من حضر من اللجنة التنفيذية في القدس و طلبت منهم أن تشكل مظاهرة جماهيرية تشجب تصريحات بورقية، فلم يوافقني زملائي. و في اليوم الموالي طلب مني محافظ مدينة القدس داود أبو غزالة أنه لا يجوز لي بعد أن أصبحت عضواً في اللجنة التنفيذية لم.ت.ف أن أعبر علناً عن آرائي و موقفي من خلال مظاهرة في الشارع، و أجبت أنه من حقي أن أقود مظاهرات عندما يتعلق الأمر بجوهر القضية». و عندما قابل وصفي النل كرر له ما نقله له محافظ القدس، و أجابه بأنه سيقود المظاهرات كلما اقتضى الأمر³.

¹ - بهجت أبو غربية، من مذكرات بهجت أبو غربية من النكبة إلى الانتفاضة (1949-2000)، 2004، ص 278.

² - شفيق الحوت (1932-2009): سياسي فلسطيني التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت عام 1948، عمل في الصحافة مديراً لمجلة الحوادث اللبنانية، ساهم في تأسيس جهة التحرير الفلسطينية سنة 1963، وشارك في المؤتمر التأسيسي لم.ت.ف 1964، ثم عين ممثلاً للمنظمة في لبنان، و اختير عضواً في اللجنة التنفيذية للمنظمة بين عامي 1966-1968، عاصر كافة مراحل الوجود الفلسطيني في لبنان. للمزيد عن هذه الشخصية ينظر: برنامج "شاهد على العصر"، شفيق الحوت، تقديم أحمد منصور، قناة الجزيرة، 2003/1/5، نشر من طرف قناة أحمد منصور بتاريخ 2021/6/11. على الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=qmo1AOaSe4g>

³ - بهجت أبو غربية ، المصدر السابق، ص ص 278-279.

7.1/ قوات العاصفة¹:

الجناح العسكري لحركة فتح و التي كانت تتخذ من دمشق مقرا لها، في بيان لها تحت عنوان " نعمة الواقعية السياسية" تصريحات بورقية، جاء فيه: «لقد حملت لنا الأيام الأخيرة نعمة خيانة جديدة سماها أصحابها الواقعية السياسية، ما هي في الحقيقة إلا سياسة الأمر الواقع التي عملت الصهيونية على تكريسها بمساندة الاستعمار العالمي خلال 17 عاما من عمر النكبة. و يخطئ كائنا من يكون أن هذه النعمة التي حملتها رياح غربية عميلة كانت وليدة الصدفة أو اجتهاد فردي أو واقعية سياسية كما طرحت أمام الجماهير التي تطالب بسحق الخونة المارقين»².

8.1/ بعض النخب السياسية (محمد علي الطاهر، فايز صايغ³):

بعث الصديق الحميم لبورقية محمد علي الطاهر لصاحب مجلة المبكي السورية (كحالة حبيب) عندما سأله عن موقفه من تصريحات بورقية، و للإشارة كان بورقية قد زار محمد علي الطاهر في لبنان أثناء جولته المشرقية. جاء في تلك الرسالة(أرسلها في أبريل 1965 لكنها لم تنشر في سوريا) و التي توضح بشكل مباشر دفاع محمد علي الطاهر عن بورقية و تصريحاته: « إن الرئيس يعرف جيدا فلسطين، و يدرك أهمية قضيتها، و قد اطلع على أسرار نكبتها بنفسه عندما زارها قبل النكبة بعامين. فهذا الرئيس السياسي و المتخرج من أرقى جامعة أوروبا(السررون) رأى بعينه كيف أن نكبة فلسطين تظافرت عليها عوامل الخيانة و الغدر الدبلوماسي، و لما اطلع على حالها سنة 1965 ازداد حزنه عليهم، فاستد سخطه على الخونة عند ذلك لم يسعه إلا أن يضع حدا للتصويب الذي ضاعت فيه فلسطين(...) ظلت الدول العربية تتظاهر برفض ذلك القرار، ففي هذا الجو خطر لبورقية أن يفضح الذين يدجلون على الفلسطينيين»⁴.

¹ - قوات العاصفة: تسمية تطلق على الجناح العسكري لحركة فتح، يقول عرفات أن إسم العاصفة كان الحل المثالي لعدم المغامرة باسم فتح و لتلافي تحطيمها إذا انطلق العمل الفدائي المسلح و لم يحقق أهدافه ليجنب الفدائيين الملاحقات العربية. محمد أشتية، موسوعة المصطلحات و المفاهيم الفلسطينية، دار الجليل، عمان، 2011، ص363.

² - إدريس رائسي، المرجع السابق، ج1، ص 515، 517.

³ - فايز صايغ (1922-1980 م): مناضل سياسي و أكاديمي فلسطيني، عين في مكتب الانباء العامة(1950-1952)، و كتاب الشؤون الاجتماعية(1954-1955) التابعين لهيئة الأمم، اختير عضوا في المجلس الوطني الفلسطيني، و اللجنة التنفيذية لم. ت. ف و مؤسس مركز الأبحاث الفلسطيني. الموسوعة الفلسطينية الرقمية، فايز صايغ. على الرابط

<https://www.palestinapedia.net/%D9%81%D8%A7%D9%8A%D8%B2-%D8%B5%D8%A7%D9%8A%D8%BA-922-1-1980>

⁴ - محمد علي الطاهر، المصدر السابق، ص 334 - 335.

أما ابنه الحسن الطاهر فكانت وجهة نظره حول خطاب أريحا شبيهة بما ذكره والده حيث قال: « خطاب أريحا كان موزونا، و لكن عرب المشرق لا يحبون تلك المواقف و إن كانت أفضل مما هم معتادون عليه¹.

كان من بين السياسيين الفلسطينيين الذين رفضوا مقترح بورقية فايز صايع الذي رد على هذه التصريحات بقوله: « إننا نقول لا لإسرائيل لأننا نقول نعم لفلسطين، لأننا في قرارة نفوسنا نبدي تعلقا إيجابيا بحقوقنا القومية المشروعة، و أن النعم التي ينطقون بها هي رفض للحقوق العربية و لكل مبادئ النظام الدولي السليم. كما أن وجه التشويه في السياسة المرحلية التي نودي بها مرحلة مغلقة، المرحلة الأولى فيها تنفي المراحل اللاحقة و تبطلها. إنها ليست مرحلية التخطيط و إنما مرحلية التفريط، و فيما يخص اتباع الواقعية فإن المحافظة على البقاء و الدفاع عن النفس لا تخضعان لحساب الواقعية².

فكانت هذه بعض ردود الفعل و المواقف الفلسطينية التي أبدت بشكل رسمي، و كذا المواقف التي لم تبد بشكل رسمي و لكن لُمح أو أشير إليها بطريقة غير مباشرة. و غالبية المواقف اتسمت بالرفض لما اقترحه بورقية.

2/الموقف العربي من مقترحات بورقية.

1.2/موقف الجامعة العربية:

قدمت العديد من الدراسات العربية ردود الفعل العربية على خطاب أريحا على أنها حقائق مطلقة و أن كل القادة العرب رفضوا حلول بورقية بشكل قاطع. غير أن بعض الدراسات الأخرى ذكرت عكس ذلك.

بالنسبة لموقف الجامعة، كتب أديب صالح اللهيبي نقلا عن جريدة "الجمهورية" العراقية (في عددها 470 الصادر في 24 أبريل 1965 م) مقالا ذكر فيه أن الأمين العام لجامعة الدول العربية عبد الخالق حسونة في رده على تصريحات بورقية بين أن الدول العربية ملتزمة بمقررات مؤتمر القمة العربيين لكونهما السبيل الأمثل لحل القضية

¹ - حوار افتراضي مع الحسن الطاهر، بتاريخ 5/ 2022.

² - فايز صايع، حفنة من ضباب، بحث في مفاهيم البورقية و شعاراتها، مركز الأبحاث، بيروت، 1966، ص ص4، 6، 8.

الفلسطينية¹. أما في كتاب الكاتب التونسي (إدريس رائسي) "الحقائق الكبرى حول مشاريع السلام لحل الصراع العربي الإسرائيلي"، الذي صدر عام 2014، ذكر أن أول رد للجامعة جاء على لسان أمينها العام عبد الخالق حسونة في مؤتمر صحفي عقده في عمان بتاريخ 23 أبريل 1965م قال فيه: «إن كل ممثل يحق له أن يقدم آراءه و آراء حكومته في أي موضوع يشاء»².

أول ما نلاحظه على هذا التصريح هو تاريخ إعلانه، إذ يوضح تأخر الجامعة العربية إلى شهر أبريل لإبداء موقفها من تصريحات بورقية رغم أنه قد طرحها في بدايات شهر مارس الأمر الذي يبعث بطرح العديد من التساؤلات حول هذا التأخر. أما مضمون التصريح، فيشير إلى أن الجامعة أبدت موقفا معتدلا تجاهها لا رفضا و لا قبولا، رغم أنه و استنادا للتصريح الأول قد أبدى التزامه بمقررات القمتين العربيتين ما يعني أن الجامعة ترفض ما جاء به بورقية مبدئيا.

و حسب وكالة التلغراف اليهودية في عددها الصادر في أبريل 1965م أنه على الرغم من وجود تقارير صحفية تفيد بأن الجامعة العربية قد تطرد تونس من الجامعة، إلا أن متحدثا باسم الجامعة قال أن لا دولة من الدول الأعضاء أثارت هذه القضية³.

في السياق نفسه كتبت جريدة "الإتحاد" الشيوعية الإسرائيلية في إحدى أعمدتها الصحفية أنه على ضوء الموقف الرسمي الإسرائيلي (و الذي رفض مقترح بورقية كما سنتطرق له لاحقا) الذي سد الأبواب أمام أي تجاوب ايجابي للبلدان العربية مع اقتراحات بورقية، جاء الرد العربي بعد انتظار أسابيع للتيقن من تجاوب إسرائيلي ايجابي. و كانت الحكومات العربية خلال هذه الفترة لا تتعرض لتصريحات بورقية حول القضية الفلسطينية، و إذا ما انتقدته فذلك لموقفه من العلاقات مع بون، و كثيرا من المراقبين فسروا هذا الموقف على أنه انتظار رد فعل إسرائيلي⁴. أي أن تأخر الجامعة و الدول العربية في الرد على مقترح بورقية، سببه انتظار الرد الإسرائيلي حول تلك المقترحات.

¹ - أديب صالح ألهيبي، الموقف العربي من مشروع التونسي الحبيب بورقية لحل القضية الفلسطينية 1965، "مجلة التربية و العلم"، م. 20، ع. 1، 2013، ص 22.

² - إدريس رائسي، المرجع السابق، ج 1، ص 519.

³ - J T A, no.84, 30/4/1965, p1.

⁴ - "الإتحاد"، م. 21، ع. 101، 1965/4/30، ص 2.

كان بورقية قد أكد في اجتماع صحفي عقده يوم 11 مارس 1965م قبيل مغادرته بيروت إلى الكويت، أن حكومته تعارض فرض المقاطعة الاقتصادية على ألمانيا الغربية، و أضاف أن بون لن تموت بسبب هذه المقاطعة، و أن الضرر سيلحق بالعرب وحدهم. كما و تحدث عن قضية فلسطين و قال إن اقتراحاته التي ذكرها في القدس قد لقيت الترحيب الحماسي من اللاجئين، و لكنه وجد آنذاك أناسا في البلاد العربية أكثر تحمسا من الفلسطينيين أنفسهم¹.

كما ذكرت جريدة الاتحاد أنه بعد اتضاح موقف حكومة إسرائيل و بعد أن أخذ بورقية يتخذ هذه القضية (إمساك المسؤولين العرب عن مهاجمته إلا بعد وضوح الموقف الإسرائيلي) ستارا لتبرير معارضته في قطع العلاقات مع ألمانيا الغربية، فإنهم شنوا هجوما على مواقفه من قضية فلسطين و قرروا بحثها في مؤتمر رؤساء الحكومات العربية². و عليه إن موقف الجامعة استنادا لما ذكر سابقا كان خاضعا للموقف الإسرائيلي تجاه تلك التصريحات.

2.2/ رؤساء وزراء العرب:

في القاهرة، اتخذ ممثلو الرؤساء و الملوك العرب³ قرارا يعلن تمسك حكوماتهم بمقررات مؤتمر القمة العربية بشأن قضية فلسطين، و أعلن هؤلاء الممثلون قرارا اتخذه بالإجماع أنهم يرفضون كل دعوة للاعتراف بإسرائيل أو المصالحة معها. و يعتبرون مثل هذه الدعوة خروجاً على مقررات الأقطاب العرب و على ميثاق الجامعة العربية. هذا و قد ألقى أحمد الشقيري بيانا في اجتماع الممثلين الشخصيين أعلن فيه عن رفض مقترحات بورقية و طالب بطرد ممثل تونس من الجامعة العربية، و رفض اشتراك بورقية في مؤتمر

¹ - "الاتحاد"، م. 21، ع. 87، 12/3/1965، ص 1.

² - "الاتحاد"، م. 22، ع. 5، 28/5/1965، ص 2.

³ - عقد المؤتمر في القاهرة بتاريخ 28 أبريل 1965م، و أرسل بورقية سفير تونس في القاهرة محمد بدره ليحضر المؤتمر ممثلاً عنه، و معه رسالة شخصية إلى الرئيس عبد الناصر، لكن الأخير رفض مقابلته، و استدعي بدره من طرف أمين الجامعة عبد الخالق حسونة لشرح وجهة النظر التونسية، لكن عند بدء الاجتماع لم يحضر السفير. و حسب بعض الروايات التونسية أن السفير لم يحضر لأن السفارة كانت محاصرة من طرف المتظاهرين المصريين إبان انعقاد الاجتماع و ليس تهرياً منه. إدريس رائسي، المرجع السابق، ج 1، ص 520.

الذروة العربي المقبل¹. و بالنسبة للقراءات التونسية لهذا الموقف العربي فإنها رأت أن الاجتماع كان تحت ضغط المظاهرات و احتجاجات الجماهير المصرية الغاضبة فقط².

3.2/مجلس رؤساء الحكومات العربية :

انعقد المجلس³ من 26 إلى 30 ماي 1965 م في القاهرة و كانت تصريحات بورقية الأهم على جدول الأعمال. و قد كرر الشقيري في هذا المجلس مطلبه بفصل تونس من الجامعة. و على حد تعبيره أفضى رؤساء الحكومات العربية إلى الصحافة بتصريحات هائلة تتدد بموقف بورقية، لكن في أروقة الجامعة كانت هناك اتصالات جانبية بين الرؤساء امتدت إليه، منها أن الرئيس الفلاني (دون أن يذكر اسمه) يقول: « نحن موافقون على اقتراحك و لكن الجزائر لا تريد لأن لها مصالح مع تونس، و القاهرة لا تريد كل ما تريده حملة إعلامية، سوريا لا يهمها إلا المزايدات الكلامية». و كان أن أفضى الاجتماع إلى قرارات أهمها:

- الرفض التام للمقترحات التي انفرد بها رئيس جمهورية تونس بإعلانها خروجاً عن الإجماع العربي الحكومي و الشعبي، و نقضاً للالتزام القومي و الرسمي بالعمل لتحرير الوطن العربي.
- التأكيد بتمسك الدول العربية المشتركة في الاجتماع بمقررات مؤتمري القمة الأول و الثاني، و تصميمها على تنفيذهما. و أعلن الشقيري: « إن منظمة التحرير لا توافق على هذا القرار الهزيل، و أن لا سبيل أمامنا إلا الانسحاب من الجلسة». و عندما سأله الصحفيون عن السبب قال إن رؤساء الحكومات يصرحون لكم في الخارج على النقيض مما يقولون في الداخل⁴.

¹ - مؤتمر الذروة يقصد به مؤتمر القمة العربي الثالث الذي عقد في مدينة الدار البيضاء في شهر سبتمبر 1965. و ذكر عبد الخالق حسونة أن عقد المؤتمر في المغرب العربي له عدة دلالات، و هي وحدة العالم العربي و تبديد المؤامرات الاستعمارية لفصل المشرق عن المغرب. "الاتحاد"، م. 22، ع. 34، 1965/9/7، ص 4.

² - إدريس رئيسي، المرجع السابق، ج 1، ص 521.

³ - حضر المجلس العقيد هواري بومدين (الجزائر)، زكريا محي الدين (مصر)، طاهر يحيى (العراق)، نور الدين الأتاسي (سوريا)، حسين العويني (لبنان)، الأمير فهد بن عبد العزيز (السعودية)، محمد أحمد محجوب (السودان)، وصفي التل (الأردن)، الطيب بن هيمة (المغرب)، و غيرهم. ينظر: أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك و الرؤساء، المصدر السابق، ص 246.

⁴ - أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك و الرؤساء، المصدر السابق، ص 246-248.

و عرض (محمود رياض) وزير الخارجية في الجمهورية العربية بيانا باسم حكومته هاجم فيه بورقية بشدة، و قال إن العالم العربي قد أذهلته تصريحات بورقية خصوصا في هذا الجو الذي يتحالف فيه الإستعمار و الصهيونية لقبر القضية الفلسطينية، و تساءل محمود رياض لماذا لم يصبر بورقية و يقدم اقتراحاته في مؤتمر القمة العربي الثالث¹. و قد تغيبت تونس عن مجلس رؤساء الحكومات العربية بعد أن أعلن بورقية مقاطعة حكومته الاجتماع².

4.2/الموقف المصري:

اتسم الموقف الرسمي المصري بالرفض و الاستنكار لتصريحات بورقية، و قد جاء على لسان الرئيس جمال عبد الناصر: « إن بورقية طلب أن يزور مصر، فأتى إلينا و تكلم أمانا و استقبلناه في كل مكان بكل ترحاب(...) و بعدما غادر بورقية دهشنا من التصريحات التي أدلى بها عن قضية فلسطين، مقترحاته لحلها صدمة عنيفة للأمة العربية في الوقت الذي تمر فيه قضية فلسطين بمرحلة حاسمة. الشعوب العربية تجد نفسها إزاء تجمع استعماري صهيوني يستهدف تصفية قضية فلسطين في الوقت الذي تزود فيه إسرائيل بالسلاح»³.

ذكر عبد الناصر أن بورقية ارتبط بقرارات مؤتمر القمة الثاني الذي حدد الهدف العربي بأنه هدف نهائي و هو تحرير فلسطين من الاستعمار الصهيونية، و ارتبط بقرارات مؤتمر عدم الانحياز الذي اشتركت فيه 57 دولة أعلنت تأييد استعادة حقوق شعب فلسطين في وطنه، و تأييد الشعب العربي له في كفاحه للتحرر من الاستعمار و الصهيونية. و أن مقترحاته تنص على التعايش السلمي مع إسرائيل و الاعتراف بها، و كذا مطالبة الدول العربية بإقامة علاقات اقتصادية معها. و أكد عبد الناصر أنها في المقابل ستضعف من

¹ - "الإتحاد"، م.21، ع 101، 1965/4/30، ص1.

² - "الإتحاد"، م.22، ع.5، 1965/5/28، ص1. و حسب ما أورده زكريا محي الدين (رئيس وفد الجمهورية العربية المتحدة و رئيس الدورة المنعقدة) أن غياب بورقية هو ادعاءه من أنه يخاف على حياته إذا جاء إلى القاهرة، فكان رد زكريا أن القاهرة أصبحت ملتقى المؤتمرات الدولية، و الحكومة العربية المتحدة تضمن عدم الاعتداء على حياة المشتركين. "الإتحاد"، م.22، ع.5، 1965/5/28، ص6.

³ - هدى جمال عبد الناصر، المجموعة الكاملة لخطب و تصريحات الرئيس جمال عبد الناصر (13جانفي1964-31ديسمبر1965)، م.4، المكتبة الأكاديمية، 2007، ص670.

قضية فلسطين بالرغم من أن كل الشعب العربي رفضها، و أن منطق بورقية لا يخدم القضية العربية و لكنه يخدم قضية إسرائيل و الاستعمار¹.

لكن حسب صحيفة الاتحاد ذكرت أن عبد الناصر صرح لمجلة (Réalités) الفرنسية بأن العرب (و كان من ضمن القادة الذين حضروا المؤتمر) أيدوا مؤتمر باندونغ سنة 1955 م الذي دعا إلى تنفيذ قرارات ه. أ. م حول القضية الفلسطينية، و هذا مضمونه قبول التقسيم و الاعتراف بإسرائيل².

أما الصحفي المصري حسنين هيكل فقد عبّر عن موقفه في مقال له "بصراحة" حيث قال: « كانت هناك مسألتان ثارت حولهما الضجة فيما أدلى به سي الحبيب، المسألة الأولى هي ما فهم من كلام سي الحبيب من أنه يتصور إمكانية التعايش السلمي بين الشعوب العربية و إسرائيل، و في هذه المسألة أميل إلى قبول التصحيح الذي حاول به سي الحبيب أن يتدارك أثر ما فهم من كلامه، كان التصحيح الذي أصدره و رده عن حزبه في تونس و وزير خارجيته المنجي سليم في القاهرة هو أنه كان يقصد إمكانية العيش بين الشعوب العربية و أقلية يهودية تسكن بينهم، بعد القضاء على إسرائيل، تلك وجهة نظر تقبل المناقشة على أية حال بعد تصفية إسرائيل، و إذا كنت أميل لقبول تصحيح بورقية لما فهم عنه فعن اعتبارين: أولهما لا أظن عربيا مهما كان يتصور إمكانية التعايش السلمي بين الشعوب العربية و إسرائيل. و من ناحية أخرى لماذا نصرّ على تكذيب الرجل إذا ما قال هذا ما كنت أعنيه و غيره سوء تعبير مني أو سوء فهم عني»³.

و نتيجة لتصريحات بورقية عقد في القاهرة في أول من أبريل 1965م ندوة فلسطين العالمية، حضرتها شخصيات سياسية و صحافية من جميع أنحاء العالم، و دارت مناقشات واسعة حول طرق حل القضية الفلسطينية و في إشارة غير مباشرة إلى تصريحات بورقية حيث قال الأمين العام المساعد للجامعة آنذاك (سيد نوفل) في كلمته: « إن التقسيم قام على أساس ديني عنصري، في الوقت الذي تتكثّل الجهود فيه جهود العالم لمحاربة التفرقة و العنصرية، و إن إسرائيل احتلت وطنا عربيا و استقدمت حثالة البشر لتكوين دولة

¹ - هدى جمال عبد الناصر، المجموعة الكاملة لخطب ...، المصدر السابق، ص 671.

² - "الاتحاد"، م. 21، ع. 101، 1965/4/30، ص 2.

³ - إدريس رئيسي، المرجع السابق، ج 1، ص 508.

عنصرية». لكن وزير الدولة البريطاني السابق (أنتوني ناتنغ) اعتبر الدول العربية المسؤولة الأولى عن ضياع فلسطين و ذلك بإخفاق الدبلوماسية العربية، و عدم نجاعة خطابها السياسي في الدفاع عن القضية في المحافل الدولية، نظرا لانتهاجها الأسلوب الثوري المشحون بالعاطفة حيث قال: « إن هناك شيء واحد لحل مشكلة فلسطين و هو محاولة العرب تسويتها عن طريق السلاح، إن المتحدثين باسمكم في الغرب كثيرا ما يقدمون التهديدات بدلا من المناقشات الهادفة، لا يعرفون كيف يكسبون الغرب إلى صفهم على عكس الصهيونيين»¹.

اعتبرت أطراف أخرى هذه الندوة هي محاولة من القاهرة لحشد الرأي العام ضد بورقية نظرا للدور الذي يمكن أن يلعبه المثقفون و السياسيون في توجيه الشعوب أثناء الأزمات، حيث أصدرت توصياتها في 6 أبريل 1965م التي جاء فيها أن قرار تقسيم فلسطين قرار باطل من أساسه فقد صدر في غياب مجموعة كبرى من الدول الأفرو آسيوية و قرار صدر تحت الضغط الاستعماري².

كتبت جريدة "الأهرام" أن الجمهورية العربية المتحدة ستثير تصريحات بورقية في مؤتمر رؤساء الحكومات العربية الذي سيعقد في أوائل ماي المقبل، و إذا لم يتضح الأمر فإن الجمهورية العربية لن تشترك في مؤتمر القمة العربي الذي سيعقد في سبتمبر المقبل بالمغرب إذا اشترك فيه بورقية، و قالت إن القاهرة لن تشترك في محادثات سياسية معه و لا يمكنها أن تضع في يديه أسراراً عسكرية و لا سيما في هذه المرحلة³.

لكن رغم تصريحات الرفض هذه إلا أن هناك من يأخذ على الموقف المصري بأن رده جاء متأخرا نسبيا، لكون بورقية أطلق تصريحه في بدايات مارس، أما مصر فقد خرجت عن صمتها في شهر أبريل فصدرت الأهرام بتاريخ 23 أبريل 1965م في صدر صفحتها" موقفنا من المؤامرة. تصريحات خطيرة للرئيس التونسي بورقية تكشف كل شيء بوضوح"، و ذلك على خلفية الخطاب الذي ألقاه في تونس يوم 21 أبريل 1965م أمام المكتب القومي للطلبة الاشتراكيين الدستوريين و الذي قال فيه: «إنني أقترح مفاوضات مباشرة بين

¹ - إدريس رئيسي، المرجع السابق، ج1، ص509.

² - نفسه، ص510.

³ - "الإتحاد"، م21، ع.100، 27/4/1965، ص1

الإسرائيليين و الفلسطينيين في عاصمة محايدة في حالة ما قبلت إسرائيل قرارات الأمم المتحدة و أعرب العرب عن تحبيذهم لإيجاد حل»¹.

5.2/الموقف الأردني:

في خطاب له في عيد الاستقلال في 25 ماي 1965م أعلن الملك الحسين رفضه لمواقف الدول التي دعت إلى الصلح أو المفاوضة أو المساومة مع إسرائيل، و الانحرافات الرامية إلى قبول الواقع و ذلك ردا على مبادرة الحبيب بورقية². و أعلن رئيس الحكومة الأردنية وصفي التل أن الأردن لا يعترف بأنصاف الحلول و جوابه هو تقوية المشروع العام للدول العربية و استعادة كامل حقوق العرب في فلسطين³.

لكن تشير بعض الأعلام التونسية إلى أن هذه الانتقادات راضخة للدعاية المصرية، و دليلها في ذلك ما عبر عنه رئيس الوزراء وصفي التل في موضع آخر: « إن الأردن لا جواب لديه عن مثل هذه التصريحات و أنصاف الحلول سوى الإصرار و الاستماتة في دعم الخطة العربية الجماعية التي لم تستهدف أنصاف الحلول و إنما استهدفت استعادة الحق السليب كاملا إلى أهله»⁴. و يلاحظ على هذا التصريح أنه يتميز بكثير من الاعتدال و المرونة وعدم إبداء رأي واضح و بأسلوب مباشر.

ترجع تحفظات الأردن على مقترحات بورقية حسب ما توصلت إليه الدراسات التونسية إلى أسباب داخلية متعلقة بالنظام العام، نظرا لأن الأردن بطبيعته في حالة عداة مع مصر بعد ضم الضفة الغربية، إضافة إلى أن حوالي نصف مواطنيه من أصول فلسطينية وما تماشيه مع الدعوة المصرية إلا محاولة منه لسحب البساط من كل من يحاول التشكيك في شرعيته على القدس و الضفة⁵.

يمكن أن نضيف لهذه الأسباب أن النظام الأردني لم يرفض قرار التقسيم (دون المجاهرة بهذا الرفض) سابقا لأنه كانت لديه مطامح في الجزء العربي الذي خصصته هيئة

¹ - إدريس رائسي، المرجع السابق، ج1، ص510.

² - عصام محمد علي عدوان، فلسطين في خطابات الملك حسين بن طلال 1964-1967، مجلة التاريخية الفلسطينية، غزة، ص37.

³ - "الإتحاد"، م21، ع100، 1965/4/27، ص1. أنظر الملحق رقم: 14.

⁴ - إدريس رائسي، المرجع السابق، ج1، ص517.

⁵ - نفسه، ص518.

الأمم للفلسطينيين، و بالتالي لن يرفض مقترحا كان يبدي تجاهه نوعا من القبول فيما مضى، غير أن الضغط الشعبي و الإجماع العربي على رفض ما جاء به بورقية جعله يبدي موقفا معتدلا إلى حد ما تجاه تلك المقترحات.

6.2/ لبنان:

أدلى رئيس حكومة لبنان (حسين العويني) بتصريح قال فيه: « إن لبنان يرفض أنصاف الحلول و أنه لن يعترف بإسرائيل بل سينفذ قرارات مؤتمر القمة العربية»¹. و قد كادت هذه التصريحات أن تكلف حياة بورقية في لبنان، إذ تصف الصحفية التونسية جلييلة حفصية (كانت ضمن الوفد المرافق له في جولته) الأوضاع بها عند مجيء بورقية و كانت شاهد عيان في تلك الفترة قائلة: «في لبنان تعرض بورقية لمحاولة اغتيال بعد الخطاب الذي ألقاه في فلسطين و الشرطة هي التي منعت من الموت، كان هناك فوضى كبيرة في لبنان، وقتها كان بورقية يقيم في قصر لكن بعد الحادثة قدم له رياض الصلح بيته، و توجه بتوبيخ صارخ للحكومة اللبنانية قائلا إما أن تكثف الحراسة، أو أني سأغادر»². و قد أكد هذه الحادثة الشاذلي القليبي الذي ذكر أنه أطلقت فرق كوماندوس أثناء زيارته للبنان لاغتياله، و بعدها أبلغته دمشق و بغداد أنها غير قادرة على حمايته³. كما وضعت في بيروت حراسة مشددة على دار السفارة التونسية و حول المؤسسات التونسية لحمايتها من غضبة الجماهير الشعبية على تصريحات بورقية التي أثارت الاستنكار و الاحتجاج الشديدين لدى الحكومة و النواب و الهيئات الشعبية في بيروت⁴.

من بين الأحزاب اللبنانية التي استنكرت تصريحات بورقية الحزب التقدمي الاشتراكي و ذلك من خلال البيان الذي أصدره كمال جنبلاط رئيس الحزب آنذاك: « الذي يؤسف له أن تصريحات بورقية قد أسهمت في التضليل العام و أغلب الظن أن الرئيس لم يدرك التفاصيل الرئيسية للقضية الفلسطينية و لم يستوعب أهميتها بالنسبة للمصير العربي، و كان على لبنان الشعبي أن يتظاهر ليمحي آثار التصريحات المؤسفة»⁵.

¹ - الإتحاد، م 21، ع. 27، 100/4/1965، ص 4.

² - شريط وثائقي، برنامج كبارنا، تاريخ البث 3/ 1/2014.

³ - الشاذلي القليبي، أضواء من الذاكرة، المصدر السابق، ص 172.

⁴ - "النضال" (دمشق)، 26/1/1965.

⁵ - إدريس رائسي، المرجع السابق، ج 1، ص 515.

غير أن جريدة الصباح ذكرت أن زيارته تمت دون أي صعوبات تذكر، فقد جاء فيها: « أكد مبعوث وكالة أنباء تونس أنه لا توجد مشاكل بين تونس و لبنان و أن علاقتهما دوما حسنة و تعرض الرئيسان شارل الحلو و بورقيبة إلى القضية الفلسطينية و سيصدر بلاغ مشترك إثر نهاية الزيارة»¹.

جاء في البيان المشترك: « استعرض الرئيسان الأوضاع السياسية العربية و أكد عزمهما على العمل من أجل توحيد الكلمة وبذل المزيد من الجهد في الدفاع عن القضايا العربية و منهم قضية فلسطين». و بناء على هذا البيان المشترك كان قد عزم عدد من النواب اللبنانيين على إعداد سؤال نيابي لتقديمه للحكومة يستهدف معرفة ما إذا كان بورقيبة قد عرض أفكاره و مقترحاته على الجانب اللبناني في المباحثات الرسمية بين الجانبين و بالتالي معرفة موقف لبنان بهذا الشأن².

أما في بيروت نشرت صحيفة "الحوار" رسما كاريكاتوريا يصور بورقيبة على أنه يهودا يحمل 30 قطعة من الفضة بينما تموت فلسطين على الصليب، لكن صحيفة بيروت المستقلة ذكرت أن بورقيبة لم يدخل أي عنصر جديد على القضية³.

و عن التحفظ و شبه الرفض اللبناني تجاه المقترح فإن مرده أن لبنان بدوره كان في صراع بين القوى السياسية، كما كان يحتفظ بنسبة هامة من اللاجئين الفلسطينيين الذين كانوا يقومون بعمليات فدائية ضد إسرائيل انطلاقا من الأراضي اللبنانية مدعومين من حركة فتح، و بالتالي يبدو أن الرفض اللبناني حسب بعض الرؤى التونسية كان استجابة للضغوط الداخلية من أجل محاولة لجم العمليات الفدائية و السيطرة عليها بالاتفاق مع القاهرة⁴. و في اعتقادنا أن الضغط الشعبي (و هو القوة غير الممكن تجاهلها) الذي كان موقفه أعنف من موقف النظام كان سببا مباشرا في تبني هذا الأخير موقفا رافضا لما صرح به بورقيبة.

في إشارة منه إلى أن السياسة البورقيبية لا يمكن تطبيقها في قضية فلسطين قال محرر افتتاحيات الصحيفة اليومية اللبنانية "لوريون" (rené aggiori) أن بورقيبة أساء

¹ - "الصباح"، ع.3923، 1965/3/9، ص3.

² - "الأحد" (لبنانية)، 1965/3/14.

³ - J T A, tunisian embassy in cairos stond; protest bourguiba's call for peace, 26/4/1965, p3.

⁴ - إدريس رائسي، المرجع السابق، ج1، ص518.

تقدير القوى في الشرق، ومحاولة اتخاذ البورقية كمبدأ لسياسة العرب إزاء القضية الفلسطينية محكوم عليها بالفشل نظرا لعدم توفر الشروط الداخلية¹، بورقية و البورقية لا وجود لهما إلا في تونس².

7.2/ حركة القوميين العرب:

اعتبرت حركة القوميين العرب تصريحات بورقية بشأن ما أسماه حل القضية الفلسطينية مناقضة جملة و تفصيلا لمطامح الشعب الفلسطيني و استتكرت بشدة الطعنة التي وجهتها هذه التصريحات إلى الموقف العربي في معركته الحاسمة مع الإستعمار و هي مرحلة كانت تستدعي أن يصرح الرئيس بورقية بتصريحات تدفعها إلى الأمام، و ليس تصريحات تخدم طموح الصهيونية في افتعال التناقض و الصدام داخل الموقف العربي³.

8.2/ موقف العراق :

أعلن رئيس الحكومة العراقية (طاهر يحيى) أن العراق يرفض كل مساومات في قضية فلسطين، و يرفض أي مفاوضات مع إسرائيل⁴. و عدّ رئيس الجمهورية العراقية (عبد السلام عارف) المشروع خروجاً عن الموقف العربي الموحد و لا يمكن القبول به، و قوبل الموقف العراقي المعارض بغضب كبير في تونس، حيث تعرضت السفارة العراقية في تونس إلى اعتداء مما دفع الحكومة في 5 ماي 1965م إلى سحب سفيرها سليم النصيب⁵.

9.2/ موقف دمشق :

اتهمت الصحف في دمشق بورقية بالخيانة و دعت جماهير الشعب التونسي إلى قيام بهبة شعبية للإطاحة بحكمه⁶. و تم استدعاء القائم بالأعمال السوري في تونس يوم 26 أفريل 1965 للتشاور معه بشأن التصريحات، و استتكر الرئيس (أمين الحافظ) في خطاب

¹ - حسب بورقية أن تنفيذ سياسته بحاجة لقيادة نيرة و رأس مدبر يحكم تنظيم الكفاح، لكن الصراع مع عبد الناصر لم يساعد على توفير الشرط السياسي الداخلي، و منه وحدة العرب و تطابق مصالحهم. روف فيرنر، المرجع السابق، ص351.

² - روف فيرنر، المرجع السابق، ص351.

³ - الحرية (لبنانية)، 1965/3/15.

⁴ - "الإتحاد"، م. 21، ع. 100، 27/4/1965، ص4.

⁵ - اللهبي أديب صالح، المرجع السابق، ص22-23.

⁶ - "الإتحاد"، م. 21، ع. 100، 27/4/1965، ص4.

له من مدينة حمص مشروع بورقية واصفا إياه بالمؤامرة التي تسعى إلى تصفية قضية فلسطين¹.

لم يستطع بورقية مواصلة جولته لسوريا و العراق و اعتذرت السلطات العراقية عن ذلك متعلة بأنها غير قادرة و الحال هذه على استقبال بورقية، بحجة أنها عاجزة عن حفظ أمنه خاصة بعد محاولة الاغتيال التي تعرض لها في بيروت².

أصدرت القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي بيانا بتاريخ 27 أبريل 1965 مما جاء فيه: « إن الدعوة التي وجهها بورقية للأقطار العربية للتفاوض مع الصهيونيين حول قرار التقسيم هي حلقة من سلسلة بدأت تحاك خيوطها قبل زيارة الرئيس التونسي لعدد من الأقطار العربية في المشرق، و إن الزيارة لم تكن مجرد جولة دعائية لإعادة الاعتبار للرئيس و تقوية مركزه الشخصي على الصعيد المحلي و الخارجي، بل إن القضية الفلسطينية كانت نقطة أساسية في برنامج الرحلة، إن بورقية ليس ساذجا في مواقفه السياسية، و إن كان يعتمد في كثير من المواقف على الأسلوب المسرحي فخطبه و تصريحاته تعبر عن خطة مؤقتة محكمة»³.

كما ردت مواقفه إلى التخاذل العربي في معالجة القضية مما جعلها محل جذب بين مختلف الدول العربية التي كانت تسعى كل واحدة منها لخدمة مصالحها الذاتية، من خلال المزايدات والشعارات المنمقة دون مراعاة مصالح الشعب الفلسطيني و إن بورقية لم يكن ليجرؤ على هذا الموقف الخائن لشعب فلسطين لو لم يجد أن الموقف العربي الرسمي مليء بالثغرات التي تفتح المجال أمام هذه التطورات⁴. كما وصفت صحيفة البعث الناطق بلسان حزب البعث العربي الاشتراكي تصريحات بورقية بأنها آراء خطيرة لا يمكن السكوت عنها⁵. فيما نددت بعض الأعلام السورية بسياسة التقارب العربي الإسرائيلي حيث ذكر الكاتب السوري هادي دانيال: « إن كل خطوة عربية رسمية أو شبه رسمية باتجاه التطبيع مع إسرائيل تعزز الاحتلال و تبعد الفلسطينيين عن نيل حقوقهم و تعطل تنفيذ مشروعهم،

1 - اللهبي أديب صالح، المرجع السابق، ص23.

2 - محمد مزالي، المصدر السابق، ص260.

3 - إدريس رائسي، المرجع السابق، ج1، ص517.

4 - نفسه، ص517.

5 - 1/الأحد" (لبنانية)، 1965/3/14.

ذلك أن تبادل الوفود السياسية و الاقتصادية و الثقافية و الدينية بين تل أبيب و بعض العواصم العربية يضعف الموقف الفلسطيني الذي يجد في المقاطعة العربية لإسرائيل سلاحاً ضاعطاً للانصياع لقرارات الشرعية الدولية. إن كل تطبيع عربي مع إسرائيل خنجر صدئ في ظهر القضية الفلسطينية»¹.

10.2/اليمن:

أعلن رئيس جمهورية اليمن (عبد الله السلال) أن تصريحات بورقية كانت أشد طعنة في ظهر الأمة العربية طعنة لم يقم بها أعداؤها².

11.2/الكويت:

عبر مجلس الأمة الكويتي عن استنكاره لمقترحات بورقية و ذلك بإصداره بياناً جاء فيه: «إن مجلس الأمة الكويتي يستنكر التصريحات التي أدلى بها بورقية و يعلن أن منطق أنصاف الحلول هو منطق استعماري صهيوني لا يمكن لأي عربي صادق أن يقبله»³. حسب رأينا إذا سلمنا بما قاله بورقية و تداولته الصحف من أن الرفض للمقترح رفض ظاهري فقط، فلماذا أراد العرب قبول المقترح و ما الهدف من ذلك؟ هل تتصلا من المسؤولية؟ و لماذا تأخرت الدول العربية في الرد على مقترحات بورقية عكس حكومة إسرائيل؟

في اعتقادنا أن هناك سببين، إما أن الحكومات العربية توافق على مقترحات بورقية و بالتالي تحاشت أي تصريح من شأنه أن يفشل المقترح، مع انتظار الرد الإسرائيلي. أو أن الضغط الشعبي و تخوف الرؤساء من المصير المجهول كالاغتيال مثلاً جعلهم يتخوفون من عواقب قبولهم مشروع بورقية، ففي 15 جويلية 1951 اغتيل رياض الصلح رئيس الوزراء اللبناني. و في 20 من الشهر ذاته اغتيل عبد الله⁴.

¹ - هادي دانيال، مؤامرة الربيع العربي، القضية الفلسطينية، دار بيرم، تونس، 2014، ص 275.

² - "الإتحاد"، م. 21، ع. 100، 1965/4/27.

³ - إدريس رائسي، المرجع السابق، ج 1، ص 519.

⁴ - آفي شلايم، أسد الأردن، حياة الملك الحسين في الحرب و السلام، المرجع السابق، ص 60.

و حسب المعلومات التي قدمها aman¹ أن القادة العرب في غالب الأحيان يميلون إلى اتخاذ القرارات بشكل جماعي و يتأثرون بالرأي العام في بلدانهم، فضلا عن الضغوط الداخلية و الخارجية التي تكون سببا حاسما في مواقفهم². و عليه لا جرم أن يتفق العرب ظاهريا وفقا للاعتبارات السابق ذكرها³.

كما أبدى بعض الكتاب و السياسيين العرب منهم مجدي حماد موقفهم من نهج التسوية الذي دعا إليه بورقية، حيث قال: « إن تبرير خيار التسوية بالواقعية، تقودنا بعيدا عن الواقع و التاريخ، و يمكن القول أن هناك موقفين كلاهما خطأ، الأول أن نتحدث عن الواقع و ننسى الحقيقة التاريخية و الثاني نتحدث عن الحقيقة و ننسى الواقع، فليست هناك واقعية معادية للتاريخ و ليس هناك تاريخ ينكر الواقع، و ماذا يمكن للذين عقدوا اتفاقيات مع إسرائيل أن يقدموا لها أكثر مما قدموا تحت شعار الواقعية، و لكن حتى هذا الكثير عاجز أن يلقي استجابة حقيقية من إسرائيل»⁴.

12.2/ موقف بعض الصحف العربية :

أ/ جريدة المحرر اللبنانية:

نشرت مقالا لمناضل تونسي كشف النقاب عن الوجه الآخر للبورقية على الصعيد العربي، حيث ذكر أن البورقية لعبت دورا في حملة الاغتيالات التي أودت بعدد كبير من قادة الثورة الجزائرية منهم عباس لغرور و الأزهر الشريط و الطالب العربي (الذين دفنوا في الأراضي التونسية)، إضافة إلى التصفيات الدموية التي قامت بها البورقية في صفوف المناضلين التونسيين بالداخل، و سجّل هذه المعلومات في نطاق الكشف عن الأسباب التي دفعت بورقية إلى إعلان مواقفه من قضية فلسطين⁵.

ب/ صوت العروبة:

¹ - جهاز مسؤول عن تزويد الحكومة بالتقييمات الاستراتيجية التي على أساسها تتم صياغة السياسات العامة للدولة، و aman هي الاختصار الشائع لاسمه العبري شعبة الاستخبارات العسكرية.

² - Michael M. laskier، "israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s;egypt and Tunisia through israelé lenses"، op.cit,p17.

³ - أنظر الملحق رقم: 9.

⁴ - مجدي حماد، خبرة التسويات القائمة و الجارية، العرب ومواجهة إسرائيل، احتمالات المستقبل، ج1، "مركز الوحدة العربية"، بيروت، 2000، ص ص 120 - 121.

⁵ - "المحرر" (لبنانية)، 1965/4/ 1.

كتبت جريدة صوت العروبة أن كل شيء في سلسلة الزيارات التي يقوم بها الرئيس بورقيبة يدل على وجود خطة خفية بشأن التكتل العربي (كتلة حيادية في المجموعة العربية) من ناحية، و قضية فلسطين من ناحية أخرى، و أن التجربة التي تدرس بها الرئيس الضيف في بلده تونس تختلف منطقاً و محتوى و زخماً عن تجربتهم مع الإستعمار الصهيوني و حلفائه في الدوائر الإستعمارية¹.

ج/ الجريدة:

جاء في أحد أعمدها: « إن نظرة الواقعية لمعضلة المشرق العربي على سياسة خذ و طالب قد تكون جديرة بالاهتمام بعد تبني بورقيبة لها. لكن لو أن هذه الدول سلمت أمر القضية لأبناء فلسطين، و أن هؤلاء قبلوا بهذا الحل. فمن يقنع إسرائيل بقبوله، أو يبلغ حسن النية بنا أننا نتصور أن الصهيونية العالمية تقبل بأن تصبح إسرائيل فلسطين عربية يهودية حيادية(...) إن الو. م. أ، و حكومات أوروبا الغربية أعجز من أن ترغم إسرائيل على تطبيق مقررات هيئة الأمم المتحدة، فكيف ترغمها على التضحية بسيادتها و بأحلامها الرامية إلى السيطرة على الشرق الأوسط. إن الواقعية نجحت في تونس لأنها انطلقت من قواعد أصيلة و الرئيس بورقيبة نفسه لم يقبل أثناء المفاوضات أن يكون الفرنسي المقيم في تونس (أطول مما أقام اليهودي في إسرائيل) مواطناً كالتونسي العربي. الواقعية و سياسة خذ و طالب لا بأس من اللجوء إليها أمام عقم الحلول الجذرية. لكن لماذا على العرب أن يدفعوا وحدهم الثمن؟ أو لم يكن منطق الواقعية واردا بالنسبة للجزائر فلماذا لم يقبل به الجزائريون؟»²

د/جريدة المشرق:

جاء في أحد المقالات التي نشرتها جريدة المشرق بقلم حماد فريد أن الكثير من المراقبين و الشخصيات الوطنية في لبنان و الدول العربية الأخرى وضعوا تساؤلات خطيرة حول الهدف الذي يرمي إليه الرئيس بورقيبة، و المهمة الحقيقية التي اضطلع بها خلال جولته لدول المشرق. و الشيء الذي لاحظته كل مراقب أن الأوساط التي تحمست كثيراً لزيارته و إحاطتها بهالة من الدعاية، هي أوساط معروفة بعلاقاتها بدول الغرب التي تقف مواقف عدائية من القضايا العربية. و سعت هذه الأوساط على إبراز بورقيبة كزعيم كبير³.

هـ/ جريدة النضال:

¹ - صوت العروبة، 12/3/1965.

² - الجريدة (لبنانية)، 9/3/1965.

³ - المشرق (لبنانية)، 14/3/1965.

كتبت جريدة النضال: « شكرا ل "لو" يا بورقية. تمنى بورقية لو كان فلسطينيا، ليدخل مع اليهود في مفاوضات مباشرة لحل قضية فلسطين، و قال لو كنت فلسطينيا لما ترددت في الاجتماع إلى اليهود. و للعلم نقول أنه برغم سنوات التشرد و الجوع و الظلم لم يجرؤ أي فلسطيني على الاجتماع باليهود، لأن في ذلك الاجتماع خيانة. إن أبناء فلسطين حيث كانوا لا يجدون مبررا لاستفزازهم بهذا الشكل. و لا يرون سببا لإثارة حفيظتهم و إهانتهم بهذه الطريقة التي تفضل بها بورقية حين دعاهم إلى مفاوضة اليهود في محاولة لاستدرا عطف اليهود عساهم يعيدوهم إلى ديارهم السليبية»¹.

3/موقف دول المغرب العربي :

1.3/الموقف التونسي.

1.1.3/موقف بورقية.

بعد المعارضة الواسعة التي لقيها مقترح بورقية لتسوية قضية فلسطين، جاء رد بورقية سريعا على حملة الانتقادات²، و هو لم يمه رحلته الشرقية بعد. فخلال الندوة الصحفية³ المنعقدة في 11 مارس 1965م و التي ختم بها بورقية نشاطه في بيروت قبل تنقله إلى الكويت⁴، حلّ للشعب العربي ملابسات قضية فلسطين في سبيل الخروج منها من طور الحماس العقيم إلى النضال العملي مثلما جاء في أحد العناوين البارزة في جريدة الصباح.

ابتدأ هذه الندوة بحديثه عن كفاح تونس و ما لقيه من سوء فهم بعض الصحف في لبنان ومصر وغيرها من بلدان الشرق الأوسط، و ذكر: «ما إن قبلنا سنة 1956 اتفاقيات

¹ - "النضال" (دمشق)، 1965/4/26.

² - انظر الملحق رقم: 10.

³ - حسب جريدة الصباح حضر هذه الندوة ما يفوق 300 صحفي بين عرب و أجانب. "الصباح"، ع.3926، 1965/3/12، ص.3.

⁴ - من الوفد المرافق له: الطبيب سحباني مدير ديوان رئاسة الجمهورية، بورقية الابن وزير الدولة للشؤون الخارجية، الدكتور عمر الشاذلي، فتحي زهير وزير الدولة للصحة العامة، المهندس عصمان بحري، الحبيب بولعراس مسؤول الصحافة بمديرية الأمن العام، و

الصحفي الحبيب الشطي. ينظر: Amor chadli, op.cit,p158

الحكم الذاتي¹ حتى أثّرت ضدنا حملة شعواء، و معلوم أن هذه الحملة كانت بإيعاز من بعض العناصر التونسية التي وجدت صدرا رحبا في بعض البلاد العربية، و نادى المتطرفون بأنه ليس من حقنا أن نقبل حلا دون الاستقلال التام².

هذا و قد طرح عليه سؤال يتعلق بقضية فلسطين، فكان رده للصحفيين أنه قد بسط رأيه في القضية منذ 20 سنة، و عرض حلا ينسجم و طريقته في الكفاح³، و أضاف قائلا: « إن كانت هذه الطريقة لم تصادف هوى بعض النفوس فأنا لا أسعى إلى فرضها، و غاية ما في الأمر أن قضية فلسطين تهمني و هذا ما يدعوني إلى المساهمة في حلها، لذلك عرضت تجربة تونس، على أنني لا أتردد قط في ضم جهودي إلى جهود إخواني لتطبيق أي خطة يتم الاتفاق عليها». و قد برّر بورقية سبب طرحه لمقترحه هذا أمام جموع الفلسطينيين و كافة الشعب العربي بقوله: « ما كنا لنبدى هذا الرأي لولا أن اتضح للجميع أن طريقة الكل أو لا شيء لم تؤد إلى أي نتيجة. على أنني لا أمانع التمسك بها إذا كانت لنا القوة التي تمكننا من الهجوم على إسرائيل و القضاء عليها». و أشار في هذا الصدد إلى أن الوضع العربي و العالمي لا يترك أي مجال لنجاح طريقة الكل أو لا شيء، و أنه من السهل عليه أن يكرر الكلمات المتداولة "عائدون" و "سنعود" لكنه رأى أن المسألة أبعد ما تكون عن الكلام الأجوف، لذلك نادى بقبول الحلول المنقوصة لتدعيم الموقف العربي و الحصول على رصيد من العطف الأممي⁴.

في أبريل 1965م كشف بورقية أن القادة المصريين يعرفون و يوافقون على نية نشر آراءه علنا، ففي إشارة إلى زيارته الأخيرة للقاهرة قال: «أخبرت القاهرة أنني أنوي نشر آرائي

¹ - يقول بورقية عن هذه الاتفاقيات: « إنها تمثل انقلابا في نظرة الرأي العام الفرنسي إلى تونس، حتى إننا كنا متخوفين من نكوص فرنسا و تراجعها فيما وعدت به، ذلك أنه لم يكن من الهين أن تصبح الجالية الفرنسية التي كانت أقوى من فرنسا ذاتها لا حق لها حتى في المفاوضات التي تهم البلاد التونسية». "الصباح"، ع. 3926، 1965/3/12، ص3.

² - "الصباح"، ع. 3926، 1965/3/12، ص3.

³ - يذكر بورقية عن هذه الطريقة: «لقد أطلق بعضهم على هذه الطريقة لقب البورقيبية، ويظهر أن بعض الصحفيين تضايقوا من هذه اللفظة التي لم ابتدئها أنا، فإن إخوانا من لبنان أبدوا معارضتهم لها، لهذا يمكن لمن لا يقبلون هذه التسمية للدلالة على تلك الطريقة أن يسموها طريقة الكفاح التونسي أو طريقة الحزب الدستوري و لا أريد أن أفرضها أو اعتبرها صالحة لكل زمان و مكان». "الصباح"، ع. 3926، 1965/3/12، ص3.

⁴ - "الصباح"، ع. 3926، 1965/3/12، ص3.

على الملأ بشرط ألا أتهم بخيانة القضية العربية و اتفق الجميع، على أن هناك بعض الاختلافات في التقييم و لكن لا توجد اضطرابات خطيرة»¹.

و ذكر أيضا أن الرئيس المصري عبد الناصر في مقابلة مع مجلة "realities" الفرنسية عن أفكار لا تختلف كثيرا عن أفكاره الخاصة، و أكد أنه كان لديه سبب للاعتقاد بأن رئيس يوغوسلافيا تيتو لم يدعم العداء المستمر للقادة العرب ضد إسرائيل، و ألمح إلى أن محادثاته الأخيرة مع تيتو جعلته يعتقد أن الأخير أحد أفضل أصدقاء العرب بشكل عام و عبد الناصر بشكل خاص، يشعر بأن التعايش العربي اليهودي يمكن أن يتحقق. و أكد بورقيبة لعبد الناصر و مستشاريه أن الوقت قد حان للتعبير بصوت عال عما يفكر به الجميع في الدوائر الحاكمة في الشرق الأوسط سرا، و يجب أن تكون هناك مقترحات و مقترحات مضادة².

كما يمكننا أن نورد في هذا الصدد ما قاله أحمد بن صالح كاتب الدولة للتخطيط و الاقتصاد الوطني آنذاك و الذي رافق بورقيبة في زيارته للجمهورية العربية المتحدة و المملكة العربية السعودية: «نقول نحن سعداء بتوثيق علاقاتنا مع مصر و السعودية على أساس الفهم الصحيح لجهاد تونس»³. فكلامه إن دل على شيء يدل على أن بورقيبة ناقش مسألة الكفاح المرحلي مع هؤلاء و تفهموا ذلك.

رغم شدة الاستنكار، بقي بورقيبة ثابتا و لم ير أي داع للتراجع بل إن الأحداث المتطابقة كانت تقره على رأيه، و أذنت حرب 1967 بنهاية نموذج الوحدة و كان بورقيبة أول من فضح تلك الأوهام. و تمكنت تونس بفضل ذلك من أن تتسج بصورة محكمة مساهمتها في الدبلوماسية العربية، فكان إدماج الدبلوماسية التونسية من جديد في العمل الدبلوماسي العربي بمثابة الاعتراف الضمني بوجاهة أطروحاتها⁴.

هذا و قد طرحت العديد من الكتابات تساؤلات حول ما إذا كان بورقيبة كان ينوي من وراء مقترحه مصالحة بين العرب و إسرائيل. حيث طرح على بورقيبة سؤال يتعلق بإمكانية

¹ - "american jewish world", arab must resolve israel differences bourguiba, vol.53, no.34, 23/4/1965, p16.

² - J TA, bourguiba say Nasser. Tito knew of his Israel arab peace stand, no.74, 16 /4/1965, p5.

³ - "الصباح"، ع.3918، 1965/3/3، ص1.

⁴ - أندري بوتار، المرجع السابق، ص181.

إبرام معاهدة سلام، فرد بورقيبة: «لا، لا أتصور ذلك. ما أعتقد هو أن إبرام اتفاقية سلام مع إسرائيل يعني بالنسبة لي نفس الشيء كما لو أنني تصالحت مع جنوب إفريقيا»¹. و هذا ينفي أن تونس كانت تريد التوصل إلى صلح بين العرب و إسرائيل.

بالرغم من الهجمة الإعلامية إلا أن بورقيبة أكد وجوده مرة أخرى في مؤتمر القمة العربي بالدار البيضاء 1965 بإرساله مذكرة تاريخية لرؤساء الدول العربية كرر فيها موقفه: « إن أنجع وسيلة لكسب المناصرة الإيجابية للقضية الفلسطينية أن نستند إلى قرارات ه. أ. م و تكون خطتنا تستهدف أمرين: إما أن ترسخ إسرائيل لقرارات المنظمة الدولية، فتسمح بعودة اللاجئين و تنتازل عن قسم من الأرض المحتلة و تشهد قيام دولة فلسطينية، و إما أن تصر على الرفض فيضعف موقفها في المجال الدولي و يتخاذل أنصارها بخروجها عن شرعية هيئة الأمم، و هذه ليست إلا خطة سياسية تهدف إلى تحريك القضية»².

كان بورقيبة قد توجه ببيان إلى مجلس القمة العربية السالف ذكرها من قرطاج المنعقدة في 13 سبتمبر 1965م، ذكر فيه العرب بمجريات مؤتمر القاهرة 1964م، حيث قال إن السبب الذي دعاهم لعقد ندوة جانفي هو تأليب إسرائيل لإحياء صحراء النقب بتحويل المياه العربية و الإستثمار بها، و قال إن الاعتقاد السائد عند الوفود العربية سواء في قمة القاهرة أو الإسكندرية أن تحرر فلسطين لن يأتي بصورة عاجلة، و أنه صراع ينبغي أن تتضافر فيه الطاقات السياسية و العسكرية، كذلك تقرر إنشاء منظمة كفاحية تتكفل بتنظيم الطاقات الفلسطينية لتمكينها من القيام بدورها، بينما تقوم الدول الأعضاء في الجامعة بحملة سياسية واسعة النطاق للدعوة للقضية، و مادام احتمال حرب تشنها الدول على إسرائيل في العاجل مستبعدا لعدم تأهبها لذلك و اعتبارا للظروف العالمية، و هذا ما يقره أغلب الأعضاء، فإن المرحلة الأولى التي كان عليهم مواجهتها هي المرحلة السياسية و كان الهدف هو عزل العدو لدى الرأي العام³.

أكد بورقيبة أن الموقف التونسي لم يكن بأي صورة خروجا على الإجماع العربي الذي ظهر في مقررات المؤتمرين (القاهرة و الإسكندرية)، فكلاهما حدّد الهدف و أشار إلى أن

¹ - فيرنر روف، المرجع السابق، ص 342.

² - الطاهر بلخوجة، سيرة زعيم شهادة على عصر، ط1، الدار الثقافية، القاهرة، 1999، ص ص 21-22.

³ - الحبيب بورقيبة، الخطب، ج 20، 1965، نشرات وزارة الإعلام، جوان 1981، ص ص 50-51.

الوسائل من أنواع ثلاثة، اقتصادية و سياسية و عسكرية. لكنه جعل الوسائل العسكرية في المرتبة الأخيرة إذا لم تتحقق النتائج المطلوبة، فمقررات الندوتين مقررات إدارية تعين الاتجاه و لا تحدد التفاصيل، و الذي نادى به على حد تعبيره ليس إلا خطة سياسية تهدف إلى تحريك القضية و يكسبها قوة القانون الدولي الذي يشكل في ظروفنا الراهنة أقوى سلاح. و عن قول البعض أن من واجب الرئيس اطلاع مجلس الملوك و الرؤساء قبل إعلان آرائه، قال بورقية: «لقد فعلت ذلك في المناقشات أو في الخطاب الذي ألقيته في مستهل أشغال ندوة القاهرة فحواه أن الوضع في فلسطين شبيه بأوضاع البلاد المستعمرة و أنه ينبغي توخي الطرائق الكفاحية التي اعتمدتها»¹.

أما عن مسألة الإنفراد بالإعلان عن هذا الموقف و هو أحد المآخذ الواردة في قرار رؤساء الحكومات، فقد ذكر بورقية أنه غير مطابق للواقع في شيء و هو محض جهل، ذلك أن ما وصفوه بالخروج عن الإجماع القومي هو عين الموقف العربي الرسمي منذ سنين، و لم يزل يطالب به العرب في المحافل الدولية، حيث قال المتكلم بلسان فلسطين (الشقيري) في اجتماع اللجنة السياسية العامة في 26 نوفمبر 1952 إننا نلزم بمقررات الأمم المتحدة. ، و قد أعلن أيضا أمام اللجنة السياسية الخاصة في جلستها المنعقدة في 14 ديسمبر 1962: «إنني أقبل نداء زميلنا في فولتا العليا² لتنفيذ قرارات ه. أ. م و نحن لا نختار قرارا منها أو نؤثره على أي قرار آخر، فإن كنتم تريدون تنفيذ قرارات ه. أ. م تلك التي تظنون أنها ضدنا أو لصالحنا فإننا نعلن قبولها». و إذ ينكر اليوم ذلك المتكلم نفسه إمكانية التفاوض على أساس المقررات الدولية، فهل ينسى ما كان يطالب به في الدورات المتتالية لجمعية الأمم المتحدة. في 1952 قال الشقيري: «إني أود أن أعلن بصراحة أننا نقبل المباحثات المباشرة، بل إنني مستعد أن أتفاوض مع أي شخص يحترم الميثاق و مقررات الجمعية، إن رغائب ه. أ. م هي رغائب العالم بأسره، فكيف نتجاهلها و لا نحترمها، لنعمل جميعنا من أجل السلام»³.

¹ - الحبيب بورقية، الخطب، المصدر السابق، ص ص53-54.

² - بوركينافاسو حاليا.

³ - الحبيب بورقية، الخطب، المصدر السابق، ص ص56-57.

و أردف بورقيبة قائلاً أن الشقيري كان يجتهد في إقناع إسرائيل بضرورة الاعتراف بالمقررات الدولية قبل التفاوض، إذ بدون ذلك لا يبقى لدولة إسرائيل كيان شرعي، فقد قال الشقيري مخاطباً إسرائيل: « فإذا جئتم للمفاوضة و هذه القرارات معكم فإنكم تمثلون إسرائيل و نحن سنتباحث معكم، و لكن إذا أردتم تجاهل هذه المقررات فلن تكونوا ممثلين لشيء اسمه إسرائيل بل ممثلين ليهود فلسطين، و نحن مستعدون للتباحث مع ممثلي سكان فلسطين اليهود الشرعيين». فحسب بورقيبة الذي نطقه الشقيري لرؤساء الحكومات انفراد و شق للإجماع العربي، و أن كل المواقف كادت تصبح تقليدية. فمن مقررات باندونغ الذي اشتركت فيه الجمهورية المصرية: « تعلن الندوة الإفريقية الآسيوية تأييدها لحقوق الشعب العربي بفلسطين و تطالب بتطبيق مقررات ه. أ. م و بتحقيق حل سلمي للمشكل»¹.

و تساءل بورقيبة: « قد يتبادر إلى الذهن أن الموقف العربي تغير منذ تلك التصريحات، و أن مقررات الهيئة الأممية لم تعد تناسب الظروف و قد قال قائل هذا باب طرقناه مرارا بلا جدوى، فلم الرجوع إليه». و الجواب يقول بورقيبة عند عبد الناصر، ففي تصريح الرئيس المصري لمجلة "realities" في عددها الصادر في أبريل 1965 أجاب عن سؤال يتعلق بمنظمة التحرير: « نعم على الفلسطينيين أنفسهم أن يقوموا بتحقيق رغباتهم و البلدان العربية مؤيدة لما ستقوم به هذه المنظمة، و عندما تستكمل استعدادها سوف تشرع في العمل من أجل تطبيق مقررات هيئة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين». و ردا على سؤال آخر، ذكر عبد الناصر: «إن أمة تسعى إلى فرض مقررات هيئة الأمم لا يمكن أن تنعت بأنها معتدية». فيقول بورقيبة ردا على ما صرح به عبد الناصر: « و هو بذلك يعلن الخطوة التي أعلنت عنها و التي ترمي إلى جعل القانون الدولي إلى جانب القضية»².

بشيء من التفصيل يشرح بورقيبة ما قاله عبد الناصر و يبين مقاصد تصريحاته فذكر: « في تصريحات عبد الناصر نقاط جديرة بأن يلفت إليها النظر. معنى كلامه «عندما تستكمل المنظمة...» أن عبد الناصر ينفرد برأيه و بدون استشارة سابقة يحدد مهمة المنظمة بأن يجعلها تهدف إلى تطبيق مقررات ه. أ. م. و لئن ذهبت أنا (أي بورقيبة) إلى اعتبار

¹ - الحبيب بورقيبة، الخطب، المصدر السابق، ص 58.

² - نفسه، ص 57-58.

تطبيق تلك المقررات مرحلة نحو الحل النهائي، فإن المفهوم من تصريحات عبد الناصر أن المقررات الدولية تمثل أقصى ما يمكن أن يطالب به العرب الفلسطينيون من حقوق»¹.

ذكر بورقيبة في حديثه عن تلك التصريحات بأنه قد يفهم منها أو ما يعنيه عبد الناصر هو أنه عندما يتحدثون عن مقررات الهيئة فإنهم يريدون من هذه القرارات ما تعلق بعودة اللاجئين و ليس التقسيم. لكن الصحفي ممثل المجلة تظن لهذه النقطة و سأل عبد الناصر قائلاً: « لنفرض لحظة واحدة و إن كان ذلك غير واقعي، أن إسرائيل تقبل رجوع اللاجئين العرب، و أن مقررات ه. أ. م يمكن تطبيقها، فإنه يبقى لا محالة كيان لدولة إسرائيل فهل تقبلون هذا الوضع؟ فكان جواب عبد الناصر: « إن الأمم الإفريقية و الآسيوية قالت في باندونغ أنها ترضى بتطبيق مقررات الأمم و الدول العربية متفقة معها»².

حسب ما أشار إليه بورقيبة، أنه بالرغم من أن عبد الناصر لم يتلفظ مباشرة بموافقته على بقاء إسرائيل في صورة تقسيم التراب الفلسطيني، فإن الكلمات لم تكن كافية لتغطية الحقائق. و ما صرح به هو عين ما ذهب إليه بورقيبة في مختلف تصريحاته. و أن كل الوثائق التي أشار إليها (مؤتمر باندونغ و تصريحات عبد الناصر و الشقيري)، كان من النزاهة أن تحال إلى نظر رؤساء الحكومات حتى يقع درسها إلى جانب تصريحاته، و حتى تتخذ القرارات بشأنها جميعاً³.

يذكر بورقيبة في ذات السياق: «لا بد أن أضيف إلى الملف شهادة، ذلك أن في إحدى جلساتنا الخاصة مع عبد الناصر ذاكرته عن مسألة قرارات ه. أ. م ، فأجابني في نبذة من الأسف أنه مقتنع بذلك، و أنه كان قد صرح به في ندوة باندونغ فاستهدف آنذاك لحملة من الاستنكار فقلت له: «قد أعيد أن الكرة في هذا الموضوع و أضفت مازحا و أملتي ألا تهاجمني أبواق القاهرة، و ضحكنا». و كنت أبعد ما أكون عن أتوقع من مصر ما لم أشير إلى احتماله إلا من باب المزح. فلما هنا تهاجم تونس عندما تقول أن الحل الكامل غير ممكن في الوقت الحاضر، في حين أن عبد الناصر صرح بذلك في مناسبات عديدة، لماذا يتهم الرئيس التونسي بينما يتنفس الكثير الصعداء عندما يقول الرئيس المصري: «ينبغي أن

¹ - الحبيب بورقيبة، الخطب، ج20، المصدر السابق ، ص.60

² - نفسه ، ص60.

³ - نفسه، ص60.

يعزز العرب أوضاعهم الداخلية قبل كل شيء ثم يهتموا بإسرائيل عندما تسمح الظروف الدولية». و أكد بورقيبة أن الظرف الذي انطلقت فيه حملات الشتم كانت إذ ذاك أزمة ألمانيا الغربية¹. يذكر بورقيبة هذه الأزمة و دورها في الهجوم العربي و خاصة المصري على تصريحاته، و ليس بسبب قضية فلسطين كما تناقلته الكثير من الصحف. فعلى حد تعبيره اندلعت الأزمة بين البلدان العربية و ألمانيا الغربية بسبب قضية الأسلحة المهداة إلى إسرائيل، و كانت إذ ذاك الأزمة في طريقها للانفراج إثر إعلان ألمانيا عن قطعها المدد. لكن جانبا متفرعا عن القضية لا يزال يعظم و يتطور إلى مشكلة ثنائية بين ألمانيا الغربية و مصر، حين وجهت مصر إلى زعيم ألمانيا الشرقية (أولبريخت) دعوة اعتبرت بها بون صفقة. و لم تلبث أن دعت تونس في نطاق الجامعة إلى التضامن مع الدولة الشقيقة، و ذلك بقطع العلاقات مع ألمانيا. لكن بورقيبة رفض الانصياع للأمر، فيما لم تقع استشارته فيه و قد يمس مصالح تونس الوطنية دون أن يلحق ضررا بإسرائيل. فلما يئست القاهرة من امتثال تونس، بدأت الحملة عليه لا في مسألة التضامن فقط بل في قضية التصريحات المتعلقة بفلسطين، و كانت حتى ذلك التاريخ أحجمت عن المهاجمة الصريحة و اكتفت بالإيعازات الخفية².

كما أكد بورقيبة أن مسألة التضامن هي التي أثارت مصر قائلا: «و من الأدلة على أن موقفنا من قضية التضامن هو الذي أثار عبد الناصر، أنه استقبل ممثلي الشخصي بعد التصريحات التي أعلنتها في الأردن و لبنان، و إبان التصويت في الجامعة عن مسألة التضامن، و كان الحديث وديا للغاية و أظهر تفهما للآراء التي أدلينا بها، و أنحى باللائمة على الصحفيين اللبنانيين الذين قاموا برد فعل لا يشرف أخلاقهم قائلا: «و هل صحافة بيروت جديرة بمثل هذه الندوات». كما استغرب بورقيبة الموقف المصري من قضية السلاح المهداة، ذلك أن هذه الأخيرة كانت معروفة قبل اندلاع أزمتها بسنتين و تعرضت لها الصحافة الأمريكية، فلماذا لم تولها القاهرة عنايتها إلا مؤخرا. و أثناء الاجتماعات التي عقدها السفراء العرب ببون كان من أكثر الناس اعتدالا في معالجة المشكل السفير

¹ - الحبيب بورقيبة، الخطب، ج20، المصدر السابق، ص ص 60-61.

² - نفسه، ص ص 60 - 61.

المصري، فلماذا انتقلت القاهرة من الاعتدال إلى التطرف (بورقيبة متساءلا)؟¹ لماذا أحجمت القاهرة عن استشارة الدول العربية في قرار انفردت به (يقصد بورقيبة قرار دعوتها أولبريخت)، ثم طالبت تضامنهم فيما نتج عن ذلك بعد أن أمنت مصالحها الوطنية بأن أبرمت مع ألمانيا الشرقية اتفاقا يعوض عنها ما خسرت من جراء قطع المعونة التي كانت تأخذها من بون؟² و عليه فضح بورقيبة كل السياسات العربية التي كان تجهلها شعوبها، و أكد أن مواقفهم الرسمية من تصريحاته لا تعبر بتاتا عن مواقفهم الحقيقية.

لكن في حديث جمال عبد الناصر مع الصحف و التلفزيون الألماني الغربي حول موقف مصر من هدية السلاح الألمانية لإسرائيل في 20 مارس 1965 قال: «إن هذه الصفقة لم تقتصر على الأسلحة الصغيرة و إنما شملت الدبابات و الطائرات و السيارات المصفحة و لا يمكن لأحد أن يرى وجهها للمقارنة بين دعوة أولبريخت إلى مصر و بين معونة الأسلحة الألمانية لإسرائيل، كما أن الجمهورية شعرت بالدهشة و الألم حين علمت أن بن غريون و مستشار ألمانيا السابق (كونرتر اديناورد) اتفقا على شحن 200 دبابة و 50 طائرة و 200 سيارة استطلاع مصفحة و مئات المدافع لقتلنا و هو أمر عدواني بالنسبة لنا»³. و إن تقديم تعويضات سنوية ضخمة لإسرائيل هو عمل موجه ضد الأمة العربية⁴. و حقيقة إن التعويضات ستكون ذات فائدة كبيرة بالنسبة لإسرائيل مثلما أشرنا سابقا، كونها ستعزز الاقتصاد الوطني و القوة العسكرية، و بالمقابل ستضعف الجبهة العربية.

و قد برّر بورقيبة موقفه من قضية صفقة السلاح الألمانية قائلا: «بلغنا إرسال الأسلحة إلى إسرائيل بمقتضى اتفاق سري و قد تضايقنا بطبيعة الحال من هذا الأمر، و عندما علمنا أن ألمانيا أوقفت إرسال السلاح شعرنا بالارتياح رغم إدراكنا أن السلاح سيأتيها من جهات أخرى و في هذا التراجع انتصار للعرب، و لقد لاحظت عندما كنت في مصر أن الصحافة هناك تتفخ في نار الحقد، و تعتمد إلى تهويل هزيمة ألمانيا الغربية و انتصار العرب، و هذا موقف محرج لا داعي له خصوصا و أن هذه الدولة ربما كانت أبعد الدول

¹ - الحبيب بورقيبة، الخطب، ج20، المصدر السابق، ص63.

² - نفسه، ص64.

³ - هدى جمال عبد الناصر، جمال عبد الناصر في مواجهة الصحافة، ج2، المصدر السابق، ص697-698.

⁴ - حسب ما ذكره جمال عبد الناصر للصحافة الألمانية الغربية إن هذه التعويضات تزيد قيمتها عن ألف مليون مارك، أي نحو 90 مليون جنيه أسترليني، و هي تستخدم في تدعيم مركز إسرائيل في العالم العربي. نفسه، ص698.

الغربية عن إسرائيل و اليهود. و أن موقفها منهم ليس حبا فيهم و إنما لأنها مغلوبة على أمرها و لأن بلادها محتلة وحكومتها تعاني تركة ثقيلة، إذ ورثت الهزيمة و الفضائع النازية التي اتخذ منها اليهود وسيلة لتعويض كل جثة من جثثهم بما يساويها من المال»¹. و منه رأى بورقية أن وضعية تلك الدولة التي تعد من الدول العظمى في أوروبا لا تحسد عليها، و مصلحة العرب لا تقتضي أن يرحلوا ألمانيا الغربية و يهينوها حتى لا يدفعوا بها إلى أحضان إسرائيل، و وجب عليهم أن يفهموا أن الألمان إذا كانوا حريصين على إرضاء الجانب العربي فهم أيضا حريصون على إرضاء الجانب الإسرائيلي و من ورائه أمريكا، و قد وقعت دعوة الرؤساء و الملوك العرب أو ممثلهم الشخصيين للتشاور في الأمر، و اتخاذ موقف موحد مع اعتبار ظروف و ملابسات كل دولة عربية، لأن هذه الدول لا تزال مستقلة و لكل منها ملابساتها و ظروفها الخاصة التي قد تختلف عن ظروف الدول الأخرى².

لكن حسب الدراسات الإسرائيلية أن استجابة بورقية لدعوة عبد الناصر كان من شأنه فقدان كل الآمال في إعادة بناء اقتصاد تونس الهش، كما أن متابعة تعاون بورقية مع الكتلة الشيوعية سيعني وجها فاضحا لبورقية المؤيد للغرب بشكل أساسي و كان سيشكل ركوعا أمام عبد الناصر، أما (الطاهر بلخوجة) وزير داخلية تونس سابقا أشار إلى أن الرئيس التونسي فضل التعاون مع العالم الحر على السوفييت على الرغم من سياسة عدم الانحياز، و كان هناك سبب آخر لرغبة بورقية في التعاون مع الغرب و كان لا علاقة له بمصر فقط بل بالجزائر أيضا، حيث كان لكل من المغرب و تونس نزاعات حدودية مع الجزائر، و كلاهما يخشى أن تحاول الجزائر الهيمنة على المنطقة المغاربية، و هذه المواقف تنسب إلى سباق التسلح المغاربي حيث تتلقى الجزائر كميات كبيرة من الأسلحة السوفياتية و كانت تونس تخطط للحصول على مساعدات عسكرية من الغرب خاصة أمريكا³.

فلحسابات وطنية ضيقة وقف بورقية موقفا محايدا من قضية السلاح المهداة لإسرائيل التي اعتبرت مسألة مهمة و في غاية الخطورة، كون هذا الدعم العسكري الذي

¹ - الصباح، ع. 3926، 1965/3/12، ص3.

² - نفسه، ص3.

³ - Michael M. laskier, "israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s", op.cit, p20.

تتلقاه إسرائيل من ألمانيا الغربية يساعد على تكثيف القمع العسكري ضد الفلسطينيين بدرجة أولى.

و في المقابل أكدت تونس وقوفها إلى جانب الكفاح المسلح الفلسطيني و اطلاع الرأي العام عن الصعوبات التي يلاقونها، فاغتنمت جريدة العمل لسان الحزب الاشتراكي الدستوري الفرصة بعدما تعرضت قوات العاصفة للملاحقة في مختلف الدول العربية بنشر مذكرة فتح إلى رؤساء و ملوك الدول العربية في ندوة الدار البيضاء 1965 إنارة للرأي العام حتى يطلع على المصاعب التي يلاقوها المجاهدون في كفاحهم¹. و هذا دليل على الاهتمام بما تقوم به م.ت.ف من نشاطات، علما بأن الصحافة التونسية في تلك الفترة كانت تحت رقابة الحكومة.

2.1.3/اللجنة المركزية لج. د. ج:

أصدرت اللجنة بيانا رحبت فيه بمقترحات بورقيبة، و في الوقت نفسه نفت "العمل" لسان حال الج. د. ج أن بورقيبة سعى للاتصال بممثلين إسرائيليين بشأن خطة التسوية بين العرب و إسرائيل. و أكدت أن مثل هذه التقارير صادرة عن دوائر صهيونية، معلنة أنه لا يمكن لأي زعيم عربي أن يتدخل بدلا عن عرب فلسطين الذين يجب أن يختاروا أسلوبهم في تحرير أنفسهم².

عند احتدام الصراع بين تونس و م.ت.ف حذف الحزب الاشتراكي الدستوري التونسي إسم م. ت. ف من قائمة الحركات الثورية التي تتمتع بإعانتة المادية و الأدبية، و أن ذلك الإجراء قد اتخذ تعبيرا عما يعتقد الديوان السياسي للحزب أن المنظمة المذكورة التي بُعثت لتحرير فلسطين فقدت كل حرية و صارت أداة للهيمنة المصرية³.

3.1.3/موقف بعض النخبة و رجال الساسة التونسيين.

- الشاذلي القليبي.

جاء تصريح الأمين العام السابق للجامعة العربية موافقا لمقترحات بورقيبة حيث صرح قائلاً: « ينبغي أن نفهم الكفاح على أنه حركة إيجابية و قوة منطلقة و زحف منظم

¹ - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص135.

² - J T A , bourguiba's stand on arab-israel conflict backed by his party, 26/4/1965.

³ - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص119.

نحو الهدف، و جدلية صارمة في مبادئها ولكنها حية مرنة تعتمد إلى تذليل الصعاب بنسف معاقل القوة المعادية معقلا بعد معقل لفتح الطريق نحو الهدف النهائي(...) فلا بد من التمييز بين الحلول المنقوصة الإيجابية الثورية التي تساعد على السير و تزيد في قوة الكفاح، و بين الحلول المغشوشة التي تعرقل السير و توصل الأبواب. إن سياسة المراحل ليست في نظر رئيس الدولة التونسية مبدأ يدعو للتمسك به لجماله و إنما هي وسيلة يمكن طرقها»¹.

في دفاعه عن بورقيبة و تصريحه قال القليبي: « لم يكن من همّ الرئيس أن يقترح حلا و ليس من شأنه أن يقوم بمثل هذا العمل، الشيء الذي نصح به بورقيبة إخواننا العرب في المشرق إنما هو تغيير طريقة الكفاح، و لكي يعين العرب على تصور طرائق أخرى غير التي هم منهمكون فيها استشهد بالتجربة التونسية، لعلها تفتح الأعين و توحى بضرورة إعمال الرأي»². و أكد أن مقترحه هو مرحلة للوصول الى الهدف المنشود قائلا: « رفض الإخوة في المشرق سياسة بورقيبة و توجسوا منه مخافة أن يؤول إلى نوع من الاستسلام، فنؤكد للإخوة أن قبول الحل المنقوص ليس حتما وقوفا عنده، بل هو في الخطة البورقيبية ينبغي أن يكون ثوريا، أي أن يضمن قوى الكفاح بصورة أوفر، و كل مرحلة يفضي إليها الحل -المنقوص الثوري- إنما هي كإحدى درجات السلم»³.

- محمد مزالي:

في تلك الفترة كان محمد مزالي قد سمي على رأس الإذاعة و التلفزة التونسية في وقت كانت فيه علاقات تونس مع بعض بلدان المشرق العربي على غاية من التأزم، و كان له دور بارز في الرد على اتهامات العرب لبورقيبة، استهدف فيه إذاعة "صوت العرب" و إذاعة "القاهرة" التي كانت تحت إشراف المذيع أحمد سعيد، و في هذا السياق ذكر مزالي: « لقد كنت مطالبا بتنظيم الحملة المضادة و الرد الشافي على الافتراءات التي كانت تكيلها

¹ - الشاذلي القليبي، العرب أمام قضية فلسطين، سلسلة مقالات نشرت بجريدة العمل من 1 إلى 10 سبتمبر 1967، الدار التونسية للنشر، تونس، 1967، ص 33- 34.

² - نفسه، ص 94.

³ - الشاذلي القليبي، العرب أمام قضية فلسطين، المصدر السابق، ص 100.

إذاعة صوت العرب لبورقية، و مواقفه الجادة من الخلاف العربي الإسرائيلي بمساعدة صحفيين أكفاء منهم محمد المحرزي و الهادي الغالي»¹.

حسب مزالي و الذي أمكنه حضور المحادثات السياسية التي وقعت في قصر القبة بالقاهرة مع بقية أعضاء الوفد التونسي منهم أحمد بن صالح و الشاذلي القليبي و الحبيب الابن، و كان عبد الناصر محاطا بالمشير عبد الحكيم عامر و أنور السادات، أن بورقية شرح كيف أن العرب ظلوا يخسرون المعارك في حين كانت إسرائيل تريحها موسعة رقعتها، و قال بورقية لهم أن العرب ارتكبوا العرب خطأ فادحا حين رفضوا التقسيم الذي عرضته الهيئة الأممية سنة 1947م، في حين كان لبن غريون من الذكاء السياسي ما جعله يقبله². و قد لاحظ بورقية أن هذا التقسيم المضمون من المؤسسة الدولية من شأنه أن يعطي للدولة الفلسطينية الجديدة أكثر من 50% من أراضي فلسطين التاريخية. بحيث أن حيفا و عكا و أجزاء من النقب ستكون جزءا من فلسطين العربية. و اعتقد أنه من واجب الفلسطينيين الاعتراف بالشرعية الدولية أي الحدود المضبوطة في نوفمبر 1947م. و أن يتولوا المقاومة بأنفسهم من أجل استقلالهم، و من واجب الجيوش العربية ألا تتدخل أبدا لأن العالم يعتبر ذلك اعتداء مرفوضا، و أجاب عبد الناصر بصورة غير منتظرة: «هذا عظيم إنه مخطط رائع»³.

كما ذكر مزالي أن بورقية فاتح عبد الناصر في مسألة قبوله لقرار هيئة الأمم قائلا: « إنك أدليت أخيرا لصحيفة أوروبية بتصريح أكدت فيه وجوب أخذ قرار هـ. أ. م الخاص بالشرق الأوسط بعين الاعتبار». فأجاب عبد الناصر: «نعم طبعاً و هل بإمكاننا أن نقوم بغير ذلك». فرد بورقية: «لكني لاحظت أن تصريحاتك لم تنقلها الصحافة المصرية»، فأجاب عبد الناصر بأن الرأي العام في المنطقة لم يتهياً بعد لقبول ذلك. و أضاف بورقية: «هل ترى مانعا في أن أطرح بنفسى هذا المخطط». قال عبد الناصر: «هذا عظيم»، فرد بورقية: «سأكون في الأردن بعد أيام و سأطرح هذه الأفكار و لن يكون ذلك في أستوديو إذاعة و لكن أمام الفلسطينيين أنفسهم، و علق ضاحكا أمل ألا تهاجمني وسائل إعلامك

¹ - محمد مزالي، نصيبي من الحقيقة، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2007، ص255.

² - نفسه، ص ص255-256.

³ - محمد مزالي، المصدر السابق، ص257.

القوية». و يصف مزالي المأزق الذي وقع فيه العرب قائلا: «طالب بورقية الاعتراف بحدود نوفمبر 1947م فرفض العرب ذلك، و اليوم يطالب العرب بحدود 1967 و ترفض إسرائيل ذلك»¹.

و قد روى له (سعيد كمال) أحد المناضلين الفلسطينيين أثناء لقاء جمعه به في القاهرة عام 2001، أنه شارك في الأعمال العدوانية التي شنت ضد تصريحات بورقية متأثرا مثل مئات الشباب بالدعاية المصرية و أنه عَنَّفَ القائم بالأعمال الدبلوماسي الشاذلي زوكار، و اعترف بخطئه السياسي و قال ليت القادة العرب استمعوا يومها إلى بورقية².

- الباهي الأدغم:

الأمين العام للحزب الاشتراكي الدستوري و الوزير في الديوان الرئاسي و وزير الدفاع الباهي الأدغم وقتها ذكر بأن تونس بينت بكل وضوح أن عمليات تقوم بها عصابات على نطاق واسع ضرورية لتحرير فلسطين، غير أن مثل هذه العمليات سوف لن تكون ممكنة إلا بعد عودة العرب الفلسطينيين إلى إسرائيل، لأن القوة العدوية للعرب الذين يعيشون في إسرائيل غير كافية، فبمجرد حصول اعتداءات و حوادث بأكثر كثافة سيكون الوقت مواتيا لإشعار الرأي العام العالمي بالخطر الذي يتهدد السلم في الشرق الأوسط. و بتقديم الدليل على أن النزاعات الحالية هي نتيجة لانتهاك إسرائيل للقانون، يمكن التوصل إلى حلول وسط بين إسرائيل و العرب الفلسطينيين تحت تأثير الرأي العام الدولي، و خلق وضع يستطيع العرب تفويض دولة إسرائيل من الداخل، و مهمة الدول العربية هي مساندة المقاومة و التأثير على الرأي العام الدولي³.

- المصمودي.

في سؤال طرحه عليه أحد الصحفيين حول علاقات تونس مع ج. د. ع قال المصمودي: «أريد بهذه المناسبة أن أصلح خطأ كثيرا ما وجدته في الصحافة خاصة في جريدة "لوموند". لم يقع إقصاؤنا عن الجامعة، بل قررنا من أنفسنا الإمساك عن حضور بعض الاجتماعات، إلا أننا واصلنا النضال داخل الأسرة العربية، أما فيما يخص إسرائيل فقد

¹ - محمد مزالي، المصدر السابق، ص 257.

² - نفسه، ص 261.

³ - روف فيرنر، المرجع السابق، ص 339-340.

أوضح بورقية موقف تونس (...) فنحن نرى أنه لا يمكن حل مشكلة المشردين اليهود بتشريد أناس آخرين، و نحن نشهر بما عمدت إليه إسرائيل من استغلال تصريحات بورقية فموقفنا معقول و معتدل بكل وضوح»¹.

- الاتجاه الزيتوني:

رأى الزيتونيون أن تصريحات بورقية ليست بجديدة فهي تعتبر نتيجة منطقية و مسارا طبيعيا لخط تكوينه الفكري و لقناعات عبر عنها في أكثر من مناسبة في موقفه من القضية².

4.1.3/مواقف بعض الصحف التونسية :

- جريدة الصباح:

ذكرت أن قضية فلسطين يرددها الخطباء و لكنها لم تدخل طور العمل، و أكدت أن الرئيس بورقية لم يتردد في مضايقة قسم من الرأي العام في الشرق الأوسط. و هو يرمي إلى هدف واضح و هو إخراج المأساة الفلسطينية من إطارها العاطفي، و أن هذا الكلام الجديد الذي فاه به الرئيس في معسكر أريحا موجه أولا و بالذات إلى المعنيين أي الفلسطينيين، كما توجه إلى الرؤساء و الشعوب العربية ليقول أن الفلسطينيين بحاجة إلى إعانة مادية أكثر مما يحتاجون إلى الخطب. هكذا بقي الفلسطينيون في انتظار قدوم المهدي الذي سيحررهم، ثم ذكرت الجريدة الظروف المأساوية التي يعيشونها في البلاد العربية³.

- وكالة تونس إفريقيا للأنباء:

حسب جريدة الصباح نشرت وكالة تونس إفريقيا بمناسبة زيارة بورقية لمعسكرات العائدين الفلسطينيين بالأردن تحليلا عن وضعية العائدين و موقف بورقية من هذه القضية، و كانت لغته حسب عبارة أحد الملاحظين لغة المنطق المجرد عن العاطفة⁴.

5.1.3/موقف بعض القوى اليسارية التونسية :

- الحزب الشيوعي التونسي.

¹ - "الصباح"، ع.3936، 1965/3/24، ص3.

² - الحسين بن عيسى، البورقية و الهوية صراع مشاريع، المرجع السابق، ص261.

³ - "الصباح"، ع.3921، 1965/3/6، ص3.

⁴ - نفسه، ص1.

ينسجم موقفه مع موقف الأحزاب الشيوعية العربية التي تبنت تقسيم فلسطين من جانب هـ. أ. م، و اعتبر هذا القرار ضربة قاصمة للإمبريالية البريطانية و حلفائها العرب¹، و بالتالي إن موقفه ينسجم كليا مع ما طرحه بورقية في أريحا.

- تجمع آفاق.

تأسس هذا التنظيم في باريس صيف 1963م ينتمي أعضاؤه إلى تيارات عدة ماركسية و ناصرية و غيرها. و قام التجمع بإصدار مجلة آفاق تونسية أخذت على عاتقها مهمة التصدي لسياسات النظام البورقيبي و لسياسة ضرب الحريات².

تعتبر أولى المناسبات التي فتحت المجال لحوار حول فلسطين داخل حركة آفاق هي خطاب بورقية 1965 م و قد أشار محمد شرفي اليساري التونسي، أنه تم الاتفاق داخل المجموعة على أن أغلب الحكام العرب يستعملون القضية الفلسطينية لأجل أغراض سياسية داخلية، و أنه رغم احترامهم لعبد الناصر و مواقفه ضد الإمبريالية لكنهم اختاروا موقف بورقية الواقعي، و توج هذا الحوار داخل المجموعة بالاتفاق على عدم نقد خطاب بورقية في نشرية آفاق. و كانت النشرة في أعدادها الصادرة من 1963 إلى 1967 م خالية تماما من الإشارة للقضية الفلسطينية و الصراع العربي الصهيوني مقابل التركيز على القضايا الداخلية لتونس³.

و ذكر (نور الدين بن خضر) في ذات السياق: « إن قضية فلسطين لم تسكنا إلا ابتداء من أواخر 1966 م، و كانت قضية الفيتنام هي التي ملأت الدنيا، و كان الإخوان البعثيون و القوميون يعيبون علينا بشدة تقاعسنا نحو هذه القضية، وفي الواقع أنا مقتنع الآن أننا كنا نحمل فعلا بعض النقائص في مجال اهتمامنا بالقضايا العربية⁴.

هذا و نشرت آفاق قبيل حرب جوان 1967م مقالا بعنوان "تونس أمام أزمة الشرق الأوسط"، قالت فيه: «إن النضال ضد إسرائيل التي نجدها أمام طريقنا في كل مبادرة تقدمية، لا يمكن أن يكون إلا نضالا متواصلا يدخل في إطار النضال ضد الإمبريالية، و

¹ - توفيق المديني، المرجع السابق، ص 169.

² - نفسه، ص 169.

³ - رضا مقني، اليسار التونسي و القضية الفلسطينية (1947-1988)، ط1، دار حشاد للنشر، تونس، 2018، ص 141.

⁴ - توفيق المديني و آخرون، الأحزاب و الحركات اليسارية، ج2، المركز العربي للدراسات، دمشق، د.س، ص 476.

عليه النضال ضد هذه الأنظمة و من بينها النظام التونسي المرتبطة بالإمبريالية يجب أن تكون من الثوابت النضالية ضد اليسار»¹.

6.1.3/ موقف بعض المنظمات الوطنية التونسية :

- مجلس إدارات إتحاد الطلبة التونسيين.

كان موقفه يتوافق مع الرؤية البورقبيية حيث قال: « إن مجلس إدارات الاتحاد العام لطلبة تونس المنعقد بالعاصمة 24 مارس 1965م يعتقد أن الطريقة الموضوعية التي قدمها المجاهد الأكبر لحل قضية فلسطين هي الطريقة الوحيدة الناجعة التي تؤدي إلى استرجاع الوطن السليب، و يستنكر التشويه الذي قامت به بعض العناصر الطائشة لتصريحات الرئيس ولموقف تونس الإيجابي، كما يؤكد تأييد الطلبة الكامل لموقف فخامة الرئيس بورقية و الحزب الإشتراكي الدستوري في كل الميادين و عزمهم على تسخير إمكانياتهم لصالح أهدافنا القومية العليا»².

- الإتحاد التونسي للصناعة و التجارة:

بعث ببرقية للرئيس بورقية جاء فيها: « باسم التجار و الصنایعية و رجال الأعمال التونسيين المنتبعين لنشاط فخامتكم الموفق ببلدان المشرق العربي، و لما عبرتم عنه من آراء سديدة لتحرير أرض العروبة المغتصبة فلسطين، يعبر لكم الاتحاد التونسي للصناعة و التجارة عن كامل تأييده لمواقفكم الإيجابية المبنية على تجارب كفاحكم الطويل و يؤكد لكم تعلقه بمنهاجكم لدعم الوحدة العربية»³.

نفس الموقف اتخذه اتحاد المزارعين، و الاتحاد القومي النسائي التونسي و هو التأييد المطلق لمواقف بورقية المطبوعة بالصراحة المبنية على الواقع على حد تعبيرهم⁴.

كما ثمن ثلة من المؤرخين التونسيين اقتراح بورقية معتبرين أنه ليس استثناء، فالهدنة العربية مع الدولة الصهيونية كانت بمثابة اعتراف ضمني من النظام العربي بالدولة العبرية

¹ - توفيق المديني و آخرون، المرجع السابق، ص 477-478.

² - "الصباح"، ع. 3939، 1965/3/27، ص 5.

³ - "الصباح"، ع. 3930، 1965/3/18، ص 1.

⁴ - نفسه، ص 3.

نتيجة سياسة الأمر الواقع التي فرضتها آنذاك على العرب، و أن آراء بورقية ذات بعد استراتيجي لما يمثله من أهمية بالنسبة للعالم الحر¹.

يرى البعض الآخر أن تصريحات بورقية نابعة من قناعاته السياسية من بينهم الباحث و المؤرخ التونسي عبد الجليل التميمي، الذي ذكر أن تصريحات بورقية بأريحا و القدس و عمان أعلنت موقفه المفاجئ من هذا الملف و لكن الثابت و المعتقدات السياسية التي حسمت منذ زمن بعيد حددت موقفه من القضية الفلسطينية. و هي تشكل في نظره امتدادا طبيعيا لخط تكوينه الفكري بباريس، و عبر عن نفس القناعات عام 1952 بوجود الإعراف بإسرائيل. و اختيار هذا الحل حسب التميمي هو وجود و تجذر فكرة التعايش السلمي في بداية مشواره السياسي، فبعد حصول بورقية على الإجازة في الحقوق من جامعة باريس انخرط لإجراء أول تربص لدى تونسي يهودي هو (أندي شمامة)، بعد ذلك الأستاذ (سبو) حيث كان كاتبه الشخصي أحد التونسيين اليهود، و نظرا للمناخ الطيب مدّد لدى الأخير تربصا بأربع سنوات. و هو ما يترجم الانسجام المطلق في هذا الجو الإسلامي. و أثناء حبسه يوم 3 سبتمبر 1934 أخذ بورقية كزعيم للحزب الدستوري الجديد موقفا ضد المظاهرات اللاسامية الأمر الذي أدى بأنصاره أن يتحركوا و يقوموا بمظاهرات مضادة منادين بأن اليهود إخواننا².

كما أنه كان على علاقات ودية ببعض الشخصيات اليهودية مثل التاجرين (أندي باروش) و (فكتور برانس)، و اعتقالا مع بورقية في معتقل "رماده" في أقصى الجنوب التونسي، فكانت لديه قناعة سياسية بتجريد الصراع اليهودي العربي من الصبغة اليهودية³. و ذكر التميمي: « إن بورقية يستحق دون منازع جائزة نوبل للسلام قبل انور السادات و عرفات و رابين حتما، و لو أن الهيئة العليا للجائزة حلت بعرق الدور الفاعل و المباشر الذي أداه بورقية في عملية السلام لسارعت إلى تأييد الفكرة، إنها مظلمة كبيرة في حق رجل دول استثنائي⁴ ».

¹ - إدريس رائسي، المرجع السابق، ج1، ص494.

² - عبد الجليل التميمي، الحبيب بورقية مؤسس الدولة التونسية الحديثة و نهاية الأسطورة، منشورات مؤسسة التميمي، تونس، 2012، ص ص123-124.

³ - عبد الجليل التميمي، الحبيب بورقية مؤسس الدولة التونسية الحديثة ...، المرجع السابق، ص128.

⁴ - نفسه، ص138.

ما يلاحظ على هذه المواقف التونسية أنها تتفق إلى حد بعيد مع ما طرحه بورقية و توافق على سياساته إما انحيازاً تاماً له أو اتخاذ موقف معتدل، في مقابل ذلك هناك شبه غياب لمواقف تونسية ضد ما قاله بورقية، و لعل التفسير الوحيد الذي بين أيدينا عما إذا كانت هناك أصوات تونسية لا توافق الطرح البورقيبي في تلك الفترة و لماذا لم تبد رأيها ما قاله السياسي الأمريكي Richard e. undeland: « على الرغم من أن العديد من المواد الصحفية التونسية هاجمت إسرائيل و لاحظت قربنا منها، لكن لم يتم السماح لهذه المقالات و التعليقات بالخروج. إن حرية الصحافة لم تكن أبداً سمة مميزة في تونس، و لا أقصد أن التونسيين كانوا غافلين عن إسرائيل بشكل عام، بل شاركوا مشاعر العرب و لكن أقل قوة. و بعيداً عن قلب الوطن العربي أدركوا أنهم لن يكونوا على هامش المخاوف التي يتعرض لها العرب في الشرق الأوسط¹. عرفنا أن هذا لم يكن موقف الشعب التونسي (قبوله لما صرح به بورقية) الذي شعر بإيجابية تجاه إسرائيل، و لكن لأن هذا كان موقف بورقية و الذي كان سبباً كافياً لمرافقته².

كما أكد فاتح والي على سياسة التضييق على حرية التعبير و الصحافة في عهد بورقية ، حيث ذكر: « كانت كل كلمة و كل حركة و كل مبادرة ممنوعة محرمة و كانت الساحة مفتوحة لصحافة محمومة و أقلام مرتزقة انتهازية فحسب³. و عليه إن المواقف التونسية المسايرة لما طرحه بورقية وفق تلك الاعتبارات كانت أمراً طبيعياً.

2.3/ موقف المغرب :

لم يبد المغرب موقفاً رسمياً غير أنه عبر عنه بطريقة غير مباشرة، حيث رفض المغرب سياسة الشقيري المساندة لعبد الناصر خلال الأزمة العربية الألمانية، و استاء المغاربة من الانتقادات اللاذعة التي وجهها الشقيري للرئيس بورقية، و لما طالب الشقيري بشدة طرد تونس رد المغرب بأن أي تصرف من هذا الشأن ستكون له انعكاسات خطيرة. و بقيت سياسة المغرب تتوخى الحذر في القضية حفاظاً على علاقاتها العربية، و اعتباراً لما

¹ - charles stuart kennedy, interview with richard eundeland, op.cit, p48.

² - ibid, p29.

³ - فاتح والي، المصدر السابق، ص165.

بين هذه الدول من صراع حول الوصاية على الفلسطينيين جعلته يتروى في اتخاذ أي موقف سياسي¹.

و أشارت بعض الدراسات إلى أن سياسة الحسن الثاني تجاه إسرائيل أقرب إلى سياسة بورقية منها إلى سياسة عبد الناصر، و مثله مثل بورقية رفض اتباع الدول العربية التي قاطعت بون بعد اقامتها علاقات دبلوماسية مع تل أبيب، و حافظ الحسن على علاقاته مع بون التي كانت تقدم لبلاده مساعدات اقتصادية و استثمارات كبيرة².

حتى إنه في مؤتمر الدار البيضاء سنة 1965 م لم يستجب المغرب لطلبات الوفد الفلسطيني التي تقدم بها الشقيري إليه مثل التنظيم الشعبي و العسكري للفلسطينيين في الأردن، و تحصيل الجباية المالية لفائدة الصندوق القومي للمنظمة و تحصين القرى الأممية. و ذهب البعض إلى التأكيد على أن المغرب يتحمل المسؤولية في تهميش القضية الفلسطينية في المؤتمر³. و هذا البرود الدبلوماسي تجاه القضية الفلسطينية، و عدم إبداء رأي واضح تجاه ما صرح به بورقية خاصة أنه جاء بعد أشهر قليلة من خطاب أريحا يوحى بعدم الرغبة في تورطه في السياسة الداخلية العربية، و كذا عدم توتير الأجواء في النطاق المغاربي اعتبارا من الأزمة التي كانت قائمة آنذاك بينه و بين الجزائر، و تبني موقف معارض لتونس قد يولد ضغطا سياسيا آخر على المغرب.

3.3/ موقف الجزائر.

ذكرت بعض الكتابات الغربية أن رئيس الجزائر أحمد بن بلة رغم اشتهاه بمواجهة إسرائيل، إذ أن تصريحاته في مؤتمر القمة العربية في القاهرة 1964، و في اجتماع دول عدم الانحياز في أكتوبر من نفس السنة كانت جد معادية للصهيونية⁴، إلا أنه في محاولة منه في ذلك الوقت لإصلاح العلاقات مع الملك المغربي الحسن الثاني و بورقية للسعي نحو اتحاد مغاربي، رفض أن يكون جزءا من مبادرة من شأنها أن تؤدي إلى طرد تونس من الجامعة العربية. و قد كان بن بلة متساهلا بشكل مفاجئ مع بورقية عند مقارنته برود

¹ - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص 120-121.

² - Mohemmed Bahri, conflit israélo-arab vu du maghreb, "revue francaise de science politique", vol.16, no.4, 1966, pp781-782.

³ - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص 122.

⁴ - Arnold mandel, algeria, "the american jewish year book", vol.66, 1965, p 479.

الفعل العربية الأخرى. ففي خطابه الأول من ماي 1965 رفض نداءات السلام مع إسرائيل و قال إن الحل الوحيد لمشكلة فلسطين هو القضاء على إسرائيل دون الإشارة إلى بورقية على وجه التحديد، و أكد أن تدمير إسرائيل لا يمكن تحقيقه إلا من خلال استخدام القوة، و الحديث غير المسؤول عن تسوية مع إسرائيل ساهم أكثر من أي شيء آخر في الشقاق العربي حول فلسطين و لن تمد الجزائر يدها لتقسيم العالم العربي¹. و ذكرت مصادر أخرى أن بن بلة خلافا لغيره من رؤساء الدول العربية لم يدن بورقية و أبدى تحفظات تجاه تصريحاته قائلا: «صمتنا لا يعني أننا نوافق على موقف معين. ليس لدينا الحق في تقسيم صفوفنا و إدامة خلافاتنا»².

أما J.T.A ذكرت أن بن بلة قد صرح أنه يفضل حلا سلميا بشرط أن يعني هذا الحل اختفاء إسرائيل، و أنه إذا لزم الأمر فإن الجزائر ستخوض حربا لتحرير فلسطين³. في مقابل ذلك أشارت جريد الاتحاد أن بن بلة صرح لمجلة "جون افريك" التونسية أنه يأمل في عدم اتساع الخلاف بين الدول العربية في اعقاب تصريحات بورقية و ردود الفعل العربية، مؤكدا أنه ليس في مصلحة القضية العربية، و قال أنه يبذل الجهود في فتح صفحة جديدة من العلاقات، و تمنى أن لا يفهم كلامه على أنه يؤيد هذا الموقف أو ذاك⁴. هاجمت إذاعة الجزائر تونس قائلة: «إنها تأسف لحقيقة أن بعض القادة العرب يضعون المصالح الوطنية قصيرة الأجل فوق مصالح الأمة العربية». و مع ذلك لم تشجع الحكومة الجزائرية مظاهرات ضد بون⁵.

و حسب بعض الدراسات الغربية أن الجزائر كانت تأمل في تجنب الصراع مع تونس و غرب ألمانيا، حيث قال وزير الخارجية آنذاك عبد العزيز بوتفليقة عندما أعلن قرار الجزائر بدعم القرارات التي تم تمريرها في القاهرة: «إن عدم وجود توافق بين الدول العربية حول الموضوع يثبت أن كل دولة يمكن أن تعبر عن نفسها من حيث المصالح الأمنية

¹ - Michael M. Laskier, "Israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s; Egypt and Tunisia through israeli lenses", p24-25.

² - Mohammed Bahri, op.cit , p784.

³ - J T A, vol.32, no.85, 5/8/1965, p1.

⁴ - "الإتحاد"، م. 22، ع. 2، 1965/5/18، ص. 4.

⁵ - Jacob Abadi, Algeria's policy toward Israel; pragmatism and rhetoric, "Middle East Journal", autumn 2002, vol.56, no.4, p623.

طويلة المدى». لكنه امتنع عن مهاجمة الموقف التونسي، و علقت صحيفة لوموند الفرنسية على سلوك الجزائر: « إن المظاهرات المزمعة للفلسطينيين و التونسيين في الجزائر ضد سفارة ألمانيا و بورقية المقرر إجراؤها في 18 مارس 1965 لم تتحقق، و هذا يثبت رغبة الحكومة في عدم افتعال أي شيء من شأنه أن يضر بعلاقاتها مع تونس»¹.

و عندما سأل صحفيون أجنب مدير إدارة الشؤون السياسية في وزارة الخارجية (مولود قاسم) عن قبول قرار التقسيم قال: «إن بلاده لن تفعل ذلك حتى لو فعلت كل الدول العربية ذلك، لأن بن غريون اقترح ذات مرة على ديغول تقسيم الجزائر». و أبدى بن بلة موقفه بصورة غير مباشرة دون التعرض لشخص بورقية في خطاب حاشد يوم 20 مارس 1965 م بقوله إن العرب لن يقبلوا بإسرائيل كأمر واقع، و إن الإمبرياليين لن ينجحوا أبدا في فرض الوجود الأبدي لإسرائيل على العرب. و ذهب لحد القول أنه مستعد لإرسال 100 ألف جندي لتحريرها². و يؤكد بعض المحللين السياسيين الغربيين أنه نادرا ما كان خطاب الجزائر حول إسرائيل مطابقا لأفعالها. و قد أظهر السياسيون الجزائريون ميولا براغماتية و لم يسمحوا بتأثر مصالحهم الوطنية سلبا بسياساتهم المتعلقة رسميا تجاه إسرائيل³.

4/الموقف الإسرائيلي من مقترحات بورقية.

بحسب أطراف إسرائيلية فقد نظر إلى المعركة التي كانت دائرة في العالم العربي ضد مواقف بورقية على أنها معركة ضد مواقفه المهادنة للاستعمار و سياسته الرامية إلى المحافظة على مواقع الاستعمار في العالم العربي و ضد محاولاته تفسيخ الجبهة العربية⁴. و قد حاولت الأوساط الرجعية في إسرائيل اتخاذ هجوم الدول العربية و الرأي العام المعادي للاستعمار⁵، ذريعة للدعاء بأن الدول العربية تقتل كل فكرة لتسوية العلاقات الإسرائيلية العربية⁶.

1.4 / مجلس الوزراء الإسرائيلي :

¹ - jacob abadi, op.cit, p623.

² - ibid, p624.

³ - ibid, p622.

⁴ - "الإتحاد"، م. 22، ع. 5، 1965/5/28، ص. 2.

⁵ - أنظر الملحق رقم: 12 و 13.

⁶ - "الإتحاد"، م. 22، ع. 5، 1965/5/28، ص. 2.

ناقش مجلس الوزراء الإسرائيلي في اجتماعه الأسبوعي الدوري مقترحات التقارب العربي الإسرائيلي و محادثات السلام التي قدمها بورقيبة، في حين لم يتم الإعلان عن أي بيان حكومي بشأن هذه القضية و تم تجنب التعليق المباشر على هذه المقترحات، و رأى بعض المسؤولين الإسرائيليين أن ربط محادثات السلام العربية الإسرائيلية بقبول إسرائيل بالحدود التي حددتها ه. أ. م لا يدفع إلى الأمام قضية التسوية السلمية. و قد قال نائب رئيس الوزراء (أبا اييان) عبر إذاعة "col israel" أنه لا مجال للعودة إلى حدود عام 1947، و أن إسرائيل ترفض فكرة التنازل عن أراضيها على النحو الذي إقترحه بورقيبة¹. كما صرح لمجلة "جوبش أوبزرفر" اللندنية أن اقتراحات بورقيبة ليست بجديدة فالعرب قد اقترحوا حلولاً بموجب قرارات هيئة الأمم أكثر من مرة في اجتماعات الهيئة و إسرائيل كانت ترفضها². و لأن إسرائيل ترفض أي تنازلات ذات مغزى و غير مستعدة لإعادة حشود من اللاجئين العرب الذين قد يصبحون طابورا خامسا، فقد أشار نائب رئيس الوزراء بازدرء إلى أن خطة الأمم المتحدة للتقسيم عام 1947 هي بيضة كسرت قبل 18 عام، و لا يمكن إعادة تجميعها مرة أخرى³.

2.4/ غولدا مائير:

تذكر بعض الجرائد الإسرائيلية أن غولدا مائير وزيرة الخارجية أبدت استهتارا كبيرا تجاه تصريحات بورقيبة، و ذلك بطلبها الساخر من أعضاء الكنيست الذين ذكروها بتصريحاته أن يذهبوا لتونس و يحضروا بورقيبة⁴ إلى تل أبيب للاستفسار عن مقترحاته⁵. لكن حسب ما أورده الشقيري أن غولدا مائير أعلنت في مأدبة غداء أقامتها في نادي الصحافة في تل أبيب عن ابتهاجها بأنه وجد زعيم عربي لا يتحدث عن الحرب و عن تصفية إسرائيل، بل يدعو للسلام و التعايش معها. و قد نشرت جريدة "جوريسلم بوست"

¹ - JT A, israel cabinet discusses bourguiba's call for arab- israel peace talks, vol.32,no.80,26/4/1965, p2.

² - "الاتحاد"، م. 21، ع. 101، 1965/4/30، ص 2.

³ - "Time"، middle east: a man to anger Nasser, 7/5/1965.

⁴ - حسب جريدة الاتحاد أن محرر جريدة the christen science monitor قابل بورقيبة و سألته عن رأيه في دعوة وزيرة خارجية إسرائيل غولدا مائير في المجيء لإسرائيل، فأجابته أنه رفض الدعوة و قال إن الشعب الفلسطيني هو صاحب الصلاحية لإجراء مفاوضات حول مصيره. "الاتحاد"، م. 21، ع. 100، 1965/4/27، ص 1.

⁵ - "الاتحاد"، م. 21، ع. 101، 1965/4/30، ص 2.

برقية من رئيس بلدية عكا يطالب فيها من الرئيس بورقيبة أن يزور إسرائيل ليتحقق بنفسه كيف يسود التعايش الأخوي بين اليهود و المسلمين و المسيحيين تحت علم إسرائيل¹.

3.4/ ليفي إشكول.

قال رئيس الحكومة (ليفي إشكول) إن اشتراط العودة إلى قرارات ه. أ. م سنة 1947 كأساس للمفاوضات ليس فيه ما يقدم إمكانية المحادثات، و أن الحل البنائي الإيجابي لقضية اللاجئين العرب هو توطينهم في أرجاء المنطقة العربية الكبيرة بين إخوانهم في الدين والثقافة واللغة و البيئة، و كان الرد الرسمي الإسرائيلي رفض تصريحات بورقيبة². و أضاف إشكول أن إسرائيل ترحب بالسلام و تغيير في العلاقات و ليس الخارطة³. و قد نظر ليفي إشكول و أبا ايان لبورقيبة باعتباره الشخص الذي يساهم في خلق الفوضى بين العرب، خاصة أن معظم صانعي السياسة الإسرائيلية في الستينات أقل من الراغبين في الدخول في المفاوضات⁴.

4.4/ ناحوم غولدمان :

حث ناحوم غولدمان إسرائيل على تجنيد يهود العالم في جهد مشترك لاستخدام اختراق جدار السياسة العربية الذي خلفته تصريحات بورقيبة، و ذكر أن أهمية المقترحات ربما كانت تاريخية لأنه للمرة الأولى يتخذ زعيم عربي معترف به موقفا يتوخى تسوية سلمية. و اقترح غولدمان أن يتم تطوير مثل هذه الخطة لتعمل في الاتجاه الذي حدده تقييم بورقيبة، و خلق جو يؤدي إلى محادثات مباشرة بين إسرائيل و العرب خاصة و أن بورقيبة دائما يظهر تفهما كبيرا⁵.

¹ - أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك و الرؤساء، المصدر السابق، ص240.

² - "الاتحاد"، م21، ع.100، 1965/4/27، ص1.

³ - نفسه، ص1. أنظر الملحق رقم: 15.

⁴ - Michael. m. laskier, "israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s", op.cit, p31.

⁵ - J T A, "goldmann urges israel to enlist world jewry on bourguiba proposal", 7/5/1965, p2.

و في مقابل ذلك هناك من الإسرائيليين من توجس خيفة من قرار بورقية و قد أخرجت إسرائيل لدرجة أن بعضا من وزرائها قدموا إلى الحكومة الإسرائيلية و عبروا عن قلقهم لو قبل العرب خطة بورقية. و أقاموا الدليل على أن إسرائيل تخرق الشرعية الدولية. بينما حتى ذلك الحين، كان العرب هم الذين لم يقبلوا الشرعية الدولية و إذا قبلوها تصبح إسرائيل هي خارقة للشرعية الدولية¹.

5.4/ اللجنة العربية اليهودية :

عقدت في بيت (هلو تسوت) بدعوة من اللجنة العربية اليهودية ندوة حول تصريحات بورقية تكلم في الندوة (شموئيل ميرلين) المحرر في جريدة "haaretz" اليهودية و الدكتور (شرشفسكي) أحد زعماء منظمة "إيحد" و (إميل توما) محرر جريدة "الإتحاد". و التي سادها شبه إجماع على رفض السياسة الإسرائيلية السلبية تجاه مقترحات الرئيس بورقية. بالنسبة لإميل توما استعرض مراحل تطور القضية الفلسطينية مؤكدا أن فلسطين قد تحولت خلال التطور التاريخي إلى وطن لشعبين، و قال إن الاستعمار و الرجعية اليهودية و العربية قد عملوا على زرع الكراهية بين الشعبين، و أن الدول العربية وافقت على مقررات باندونغ الواضحة بشأن الحل السلمي، و لكن حكام إسرائيل هم الذين رفضوا، و عبد الناصر صرح أكثر من مرة أن الحل يجب أن يكون حسب قرارات هيئة الأمم، و رفضت إسرائيل ذلك بقولهم لا لاجئ و لا شبر أرض، و أضاف أن تصريحات بورقية هي جزء من الجو العام الذي يتطور في العالم العربي، و أن من واجبهم كإسرائيليين هنا هو تشديد النضال لتغيير السياسة الإسرائيلية².

أما شموئيل ميرلين قال: « إن كل إنسان مطلع يمكنه أن يعرف أن تصريحات بورقية ليست الأولى من نوعها في العالم العربي، فقبله أطلق عبد الناصر مثل هذه التصريحات و نحن نسمع من بن بلة تصريحات حول ضرورة الحل السياسي(...) إن إشكول و بن غريون كلاهما يتحدث عن السلام بدون الاستعداد لدفع ثمنه و يكتفون بالثرثرة، و إن حق العرب الفلسطينيين في وطنهم حق ثابت و يجب الاعتراف به»³.

¹ - محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ج3+4، ص264.

² - "الإتحاد"، م.22، ع.2، 1965/5/18، ص4.

³ - نفسه، ص4.

في مقال له في جريدة هارتس نقلته جريدة الاتحاد ذكر ميرلين: « إن الخلاص لا يأتي من بورقية بل سيأتي من الجهود المستمرة لصوغ برنامج إسرائيلي للسلام، و على هذا يجب على الجمهور الإسرائيلي أن يتحرر من الرأي القائل أن كل الشعوب العربية تفكر في الإبادة، و الحقيقة أن الرغبة في إبادة إسرائيل و محونا من سطح الكرة موجودة، و هي أخطر ما في نفوس العرب، و مع ذلك ليست هي الأمر الوحيد، و إن تقدم قضية السلام مع الأقطار العربية المجاورة مرهون بتغيير السياسة الإسرائيلية الرسمية الفاشلة»¹.

و ذكر شرشفسكي: « إن الحكام هنا يخفون الحقائق عن الشعب اليهودي لذلك الرأي العام في بلادنا لا يعي كل الحقائق، إن الحرب لم تبطل حق العرب و منهم حق اللاجئين، كما أن جرائم النازية لم تبطل حق اليهود في ألمانيا، و يمكن حل النزاع الإسرائيلي العربي على أساس التفاهم و الاحترام مع ضرورة تغيير الرأي العام الإسرائيلي من اللامبالاة إلى الاهتمام بقضية السلام»².

6.4/ موقف جريدة الاتحاد لسان حال الحزب الشيوعي الإسرائيلي.

اتهمت جريدة الاتحاد الأوساط الحاكمة في إسرائيل و سياستها المتتكررة لحقوق الشعب الفلسطيني و سياسة خدمة الاستعمار ضد الشعوب العربية، و هو ما منع أي تطور سلمي للعلاقات الإسرائيلية العربية، و قد قبلت تصريحات بورقية بالتجاهل. و أكدت الجريدة أن التقدم نحو الحل السلمي العادل للقضية يتطلب أن تكون إسرائيل البائدة في الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني و حقوق اللاجئين. و ذكرت أن بورقية رفع شعار الحل السلمي العادل للقضية كجزء من معركته ضد القوى التحررية المتقدمة في العالم العربي، و هذا يؤكد ان لا نتيجة لأي حل يأتي من مصادر متهادنة مع الاستعمار³.

و أشارت ذات الجريدة أن المعركة الدائرة في العالم العربي ضد مواقف بورقية تمتاز أكثر بأنها معركة ضد مواقفه المهادنة للاستعمار و ضد سياسته الرامية للمحافظة على مواقع الاستعمار في الوطن العربي، و ضد محاولاته تفسيح الجبهة العربية⁴.

¹ - "الاتحاد"، م. 21، ع. 89، 1965/3/19، ص. 2.

² - "الاتحاد"، م. 22، ع. 2، 1965/5/18، ص. 4.

³ - "الاتحاد"، م. 21، ع. 101، 1965/4/30، ص. 2، 7.

⁴ - "الاتحاد"، م. 22، ع. 5، 1965/5/28، ص. 2.

نقلا عن جريدة "le yedioth ahronoth" كتبت جريدة "combat" الفرنسية أن بورقية مثل كل العرب الآخرين لا يبحث إلا عن أفضل السبل لتدمير إسرائيل، يجب علينا أن نكون سعداء لأن خطة بورقية رفضت من قبل القادة العرب، خطة الزيارة هذه وضعتنا في مواجهة معضلة. إذا ما قبلتها إسرائيل فإن هذه الخطة ستمهد الطريق، كما يشير بورقية بوضوح، إلى التصفية النهائية لهذه الدولة، و عليه إن رفضها سيضعف موقفه الدولي¹. و خلاص aman إلى أنه لا ينبغي تجاهل بورقية أو الاستهانة بما قاله: « إن انفصالنا المادي عن العالم العربي لا يمكننا من الشعور بالكراهية السائدة في جميع دوائر الرأي العام العربي تجاه إسرائيل، لذلك يصعب علينا تقدير مدى الجرأة و الديناميكية الثورية التي تجسدهما البورقيبية»².

و قد أشاد لاسكير بما قام به بورقية و اعتبر أن مساهمته الوحيدة و الفريدة هي تصميمه على الوصول إلى الجمهور العربي، إذ أن القادة العرب تحدثوا عن حلول خارج بلدانهم، أما في الداخل استمروا في المطالبة بتدمير إسرائيل على عكس بورقية الذي دعا إلى التخلي عن الخيار العسكري. و في اعتقاده تحدث بورقية من خلال مقترحه عن تسوية شاملة و أن يكون الفلسطينيون هم الطرف الرئيسي في ذلك. كما رجّح أنه من الممكن أن بورقية روج لفكرة السلام من أجل تفكيك إسرائيل. حيث ستضطر إسرائيل أولا للتخلي عن ثلث أراضيها تماشيا مع خطة التقسيم، ثم إعادة اللاجئين الفلسطينيين، و أخيرا بعد أن تضعفهم هذه التنازلات ستكون تحت مواجهة حرب عربية شاملة³. و رغم أن بورقية لم يشر صراحة في مقترحه إلى تفكيك إسرائيل و إزالتها إلا أنه حسب شهادة عمر الشاذلي أراد بورقية السلام مع إسرائيل مع استمرار المقاومة ضدها⁴.

كما جاء في حديث صحفي أدلاه بورقية لصحيفة "نوفال أوبسارفاتور" الفرنسية يوم 15 أبريل 1965، يوضح أسلوب المرواغة الذي كان يتمتع به لإبعاد الشبهات عن مبادرته في أريحا، حيث طرح عليه أحد الصحفيين سؤالا ملغما: « إذا كنتُ (أي الصحفي) قد أدركتُ مراميكم فأنتم تقترحون طريقة مختلفة لإدراك الهدف. إن سياستكم القائمة على المراحل من

¹ - "Combat", no.6.488, 3/5/1965, p5.

² - Michael.m. laskier, "israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s", op.cit, p17.

³ - ibid, p17.

⁴ - Amor chadli, op.cit, p164.

شأنها أن تؤدي إلى القضاء على إسرائيل، كما أدى الحكم الذاتي بتونس إلى الاستقلال؟» فأجاب بورقية بشكل من الدهاء و الغموض الذي يجعل من الصعب فهم مدارك هذا التصريح، حيث قال: « ليس من المؤكد، و لكن كل شيء أحسن من الوضع الحالي، و يجب أن تتحرك القضية، و من الضروري خلق وضع جديد يضطر بفضل الرأي العام إلى اعتماد مقاييس جديدة. و الذي أقوله لا داعي للمناداة بطرد اليهود، إذا كان ذلك غير مستطاع، و الإمساك عن التلفظ به هو نفسه يساعد على إيجاد طريقة للتعايش، و الأهم من كل شيء هو الظفر بتعويضات للاجئين بناءً على توصيات هيئة الأمم»¹.

من جهة أخرى، قلة من المسؤولين الحكوميين الإسرائيليين اعتقدوا أن أفكاره ستجذب الدعم الفوري في العالم العربي، مع ذلك كانوا يأملون أن جهوده ستؤدي إلى تقاوم الانقسامات السياسية العميقة التي تعاني منها السياسة العربية، و هو ما سيكون في صالح إسرائيل، كما اعتقد إسرائيليون أن نفوذ بورقية في أوساط زعماء دول إفريقيا جنوب الصحراء يمكن أن يخدم المصالح الإسرائيلية باعتباره سفيرا عربيا للنوايا الحسنة².

رغم الرفض الإسرائيلي الواضح لما اقترحه بورقية، إلا أنه و تلميعا لصورة إسرائيل و إبداء نوع من المجاملة لما قاله بورقية و لتثمين جهوده في السلام، سعت وزارة الخارجية الإسرائيلية للترويج لترشيح بورقية لجائزة نوبل للسلام عام 1966 رغبة في تجنبه الحرج الذي وقع فيه. و هكذا اختار الأستاذ في الجامعة العبرية (نathan rosenzweig) بالتعاون مع سفير إسرائيل في واشنطن ترشيح بورقية للجائزة، لكن لم يحصل بورقية على الجائزة لأنه تم تقديمها لأفراد قاموا بالفعل بحل النزاعات. و كما لاحظ أحد مسؤولي وزارة الخارجية الإسرائيلية كان من المهم جدا أن تتمكن إسرائيل من لفت انتباه بورقية إلى أنها تدعم مبادرته³.

و عليه تباينت المواقف و القراءات الإسرائيلية لتصريحات بورقية غير أن أغلبها كانت تصب في قالب الرفض و التجاهل.

¹ - الحبيب بورقية، تونس و قضية فلسطين (1937-1965)، المصدر السابق، ص110.

² - Michael M. laskier: "israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s, op.cit,p17.

³ - Michael M. laskier: israel and the maghreb at the height of the arab-israel conflict(1950-1970), op.cit,p99.

5/الموقف الدولي:

1.5/الموقف الأمريكي.

أيدت أمريكا مقترحات بورقية و لكن بدون الإدلاء ببيان رسمي يقر هذا التأيد. و قد صرح دين راسك أن وزارة الخارجية الأمريكية كانت تعلق أهمية كبيرة على مقترحات بورقية، و لكنها قررت عدم إصدار بيان رسمي بهذا الشأن خوفا من أن يستغل أعداء بورقية ذلك فيصفوه بأنه عميل أمريكي. و أعلن ديك راسك أن وزارته قد أبلغت المسؤولين في تونس هذا الموقف¹. لكن هذا السبب في اعتقادنا يحمل الكثير من المجاملة في محاولة للمحافظة على صورة بورقية في العالم العربي ظاهريا. فالحياد الأمريكي كانت تتحكم فيه ارتباطاتها الهامة مع الطرف الإسرائيلي، و بالتالي كان من الضروري عدم إبداء رأي يرفضه هذا الأخير.

2.5/ موقف الإتحاد السوفياتي.

رحبت جريدة "أزفستيا" الناطق الرسمي باسم الإتحاد السوفياتي بالسياسة الواقعية التي أعلنها بورقية و دعوته إلى إجراء مفاوضات سلمية مع إسرائيل².

3.5/ موقف بريطانيا.

في عام 1967 أعلن النائب البريطاني العمالي و عضو مجلس العموم البريطاني من حزب العمال ماركوس أن البريطانيين يثقون في بورقية لواقعيته، و الدور الذي يمكن أن تقوم به تونس لاستتباب الأمن و السلم في العالم بفضل ما للرئيس بورقية من تأثير من شأنه أن يعين على حل بعض المشاكل، ذلك أنه أقام الدليل على مدى استقلال نشاطه فيما يتعلق بالتقارب بين الشرق و الغرب، و بين أوروبا و إفريقيا، و تمنى ماركوس أن يساهم تأثيره في حل بعض مشاكل الشرق الأوسط³.

5/بورقية و إشكالية الاستثناء في قضية فلسطين ما قبل خطاب أريحا و بعده.

تروج الكثير من الأدبيات الغربية و العربية على حد سواء أن لبورقية كعربي السبق في قضية الدعوة لقبول قرار التقسيم الأممي و الاعتراف بإسرائيل كأمر واقع، غير أنه هناك

¹ - "الإتحاد"، م. 21 ع. 100، 1965/4/27، ص 1.

² - أحمد الشقيري، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء، المصدر السابق، ص 240.

³ - "الصباح"، ع. 4497، 1967/1/10، ص 1.

وجهات نظر تخالف هذا الرأي و من خلالها يمكن إخراج بورقية من دائرة الاستثناء التي لازمتها لفترة طويلة و بأنه صاحب المبادرة الأول.

بداية يمكن أن نستدل في ذلك بما طرحته بعض الأعلام الإسرائيلية. فنقلا عن جريدة "هارتس" اليهودية نشرت الإتحاد مقالا يعلن فيه كاتبه (شموئيل ميرلين) أن بورقية لم يكن الأول (كما أشرنا سابقا)، و القول أن تصريحاته في القدس القديمة هي الوحيدة لا يطابق الواقع التاريخي في شيء، و حسب شموئيل أن أسباب عدم رد الأوساط الحاكمة على ما قاله بورقية هو أنه بدلا من الرد يكفي فقط تحذير الجمهور من مغبة الأوهام، و أن يبذر المعلقون بذور الشك و الإخلاص في تصريحات بورقية و قيمتها، و يواصل موجهو الرأي العام الإسرائيلي نشر دعواهم بأن لا قيمة للحديث عن تسوية سلمية¹.

كما يذكر شموئيل أنه في الوقت الذي لم يُسمع فيه بين جمهور المثقفين العرب أصوات الاتزان و الوعي و ضرورة تسوية الوضع بالطرق السلمية، فإن هناك من الحكام العرب من ينحرفون بين المرة و الأخرى عن طريقهم المعلن و يدلون بتصريحات تتناقض مع نوايا الحرب، و أنهم يفعلون ذلك في أحيان قليلة و مع ذلك يعودون و يكررون ذلك ببطئ و انتظام. و أكد أن هذا ما أدلى به حكام مصر و الأردن و لبنان، و من المشكوك أن حكام السعودية و سوريا و العراق قد أدلوا بتصريحات مماثلة في فحواها و لهجتها و فيها خطوط مشتركة بمثابة الإطار. و يستدل شموئيل في دعم أطروحاته بتصريحات عبد الناصر للمجلة الأمريكية "News week" في 25 ماي 1955م التي قال فيها: « و إنني واثق من إمكانية التحسين في العلاقات العربية الإسرائيلية شريطة أن تبدي إسرائيل الرغبة في سلام عادل، إننا لا نطلب سلاما وفق شروطنا و لكن نصرّ على أن تثبت إسرائيل رغبة طيبة في قبول قرار هيئة الأمم التي ترفضها حتى الآن». و ردا على سؤال أحد الصحفيين عما إذا كان لمصر نوايا عدوانية اتجاه إسرائيل فأجاب عبد الناصر: « بالطبع ليس لدينا أي نوايا و لقد رأيت بوصفي جنديا ماذا تعني الحرب و كزعيم لبلادي أدرك أن الازدهار و السلام يرتبطان ببعضهما»².

¹ - "الاتحاد"، م. 21، ع. 89، 1965/3/19، ص. 2.

² - "الاتحاد"، م. 21، ع. 89، 1965/3/19، ص. 2.

عودة إلى مضامين و قرارات المؤتمرات الدولية التي تطرقت لقضية فلسطين بحضور رؤساء الدول العربية، و حتى بعض الزعامات الفلسطينية، نجد أنها دعت لحل القضية سلميا حتى قبل أن يطرح بورقية مشروعه، منها مؤتمر باندونغ¹. حيث جاء في الفقرة الخامسة، النقطة رقم 3: « نظرا للتوتر السائد في الشرق الأوسط بسبب الوضع المتردي القائم في فلسطين، و نظرا للخطر الذي يشكله هذا التوتر على السلام العالمي، أعلن المؤتمر الآسيوي الإفريقي تأييده لحقوق شعب فلسطين العربي، و دعا إلى تنفيذ قرارات هيئة الأمم المتعلقة بفلسطين، و إلى إيجاد حل سلمي للقضية الفلسطينية»². و من الدول العربية التي حضرت المؤتمر العراق، الأردن، مصر، السعودية، لبنان، اليمن، ليبيا، و حضر وفد فلسطيني³ بصفة مراقب من بينهم الحاج الأمين الحسيني⁴. و من الثابت أن في مثل هذه المؤتمرات يمنع دخول الصحافة و يتم الحفاظ على سرية المناقشات. و عليه لا يمكن الجزم في مسألة أي الدول عربية التي نادت بدعم قرار التقسيم أو التي رفضته في هذا المؤتمر. غير أن ما تتفق عليه المصادر التاريخية أن الحاضرين تبنا بالإجماع قرارا مناهضا لإسرائيل، دعوا فيه إلى تنفيذ قرارات الأمم المتحدة (و التي تعني تقسيم فلسطين إلى دولتين) و تحقيق تسوية سلمية لقضية فلسطين. و بالنسبة لقرارات هيئة الأمم، فتتمثل في تنازل إسرائيل على مناطق حدودية معينة و موافقة إسرائيل على عودة اللاجئين إلى ديارهم. و قد حث رئيس الوزراء الهندي (جواهر لال نهرو) في هذا المؤتمر العرب على التفاوض مع إسرائيل⁵.

¹ - مؤتمر باندونغ بأندونيسيا، عقد في الفترة ما بين 18 إلى 24 أبريل 1955 بحضور 29 دولة.

² - ليلي سليم القاضي، القضية الفلسطينية في ثلاثة و ثلاثين مؤتمرا دوليا من 1954 إلى 1966، مركز الأبحاث، بيروت، 1966، ص 8.

³ - جاء الحسيني مع كلا من محمد إسحاق درويش و إميل الغوري، و استطاع حضور جلسات المؤتمر بالاشتراك في الوفد اليمني برئاسة الأمير سيف الإسلام حسن، و قام بتقديم مذكرة باسم الهيئة العربية العليا إلى الوفود المشاركة طالبا التأييد في العدول عن أنصاف الحلول كالتقسيم أو ما شابهه. ينظر: عصام الغريب، المرجع السابق، ص 273.

⁴ - ينظر الملحق رقم: 11.

⁵ - حسب وكالة التلغراف اليهودية أن إسرائيل كانت ستدعى لحضور هذا المؤتمر لكن التهديدات العربية بمقاطعته إذا دعيت إليه إسرائيل جعلت هذه الأخيرة خارجه، ينظر:

- JTA, anti-israel resolution adopted at bandunng;red china supports arabs, vol.22,no.80,22/4/1955,p1.

ما يلاحظ على القرار الذي خرج به مؤتمر باندونغ فيما يخص قضية فلسطين اعتداله الواضح تجاهها، و ضرورة حلها سلميا، و الابتعاد عن كل الألفاظ التي تدين إسرائيل أو حتى قرارات ه. أ. م غير العادلة من بينها قرار التقسيم، و في اعتقادنا هو اعتراف ضمني أقل ما يقال عنه أنه يتوافق إلى حد بعيد مع رؤية ه. أ. م و إسرائيل، و ليس مطالب الشعب الفلسطيني.

كما عقت وكالة التلغراف اليهودية عن المؤتمر بعد أن لاحظت الارتياح العربي تجاه مقررات باندونغ و قبولها بقولها: « رغم أن الانتصار السياسي و الدعائي للعرب في مؤتمر باندونغ لا يستهان به، إلا أن أهميته غير مبالغ فيها. و يلاحظ أن الإعلان الذي تبناه المؤتمر حول فلسطين غامض في شروطه و مفتوح لتفسيرات مختلفة»¹.

كما تبني مؤتمر الدار البيضاء المنعقد من 3 إلى 7 جانفي 1961 م² نفس القرار الذي اتخذ في مؤتمر باندونغ، فقد جاء في القرار الأول: « إن المؤتمر يحذر من التهديد الكامن وراء هذه الوضعية في فلسطين بالنسبة للسلام في الشرق الأوسط، و يلح على ضرورة حل المشكلة حلا عادلا طبقا لقرارات هيئة الأمم و المؤتمر الآسيوي في باندونغ»³. و نفس الأمر بالنسبة للمؤتمر الأول للبلدان غير المنحازة في بلغراد عام 1961، حيث أعلن تأييده لإعادة حقوق الشعب العربي في فلسطين وفقا لقرارات الأمم المتحدة⁴.

كما لا تنفي بعض الدراسات الغربية و حتى العربية أن القادة العرب الأوائل مثل الأمير فيصل قد ناقشوا مع الصهاينة إمكانية التعاون العربي اليهودي في الشرق الأوسط، حيث انضم عدد قليل من وجهاء العرب المسلمين و المسيحيين إلى المفكرين اليهود في

¹ - JTA, arabs pleased with statement on palestine adpoted at bandung, vol.22, NO.80, 26/4/1955, p1.

² - استضاف محمد الخامس ملك المغرب مؤتمر الدار البيضاء، حضره ممثلوا جمهورية مصر عبد الناصر، غانا، غينيا، و جبهة التحرير الجزائرية، و تمت دعوة بورقيبة للحضور لكنه قاطع المؤتمر و يرجع ذلك جزئيا حسب لاسكير إلى حضور عبد الناصر. ينظر:

- Michael M.laskier, israel and the maghreb from statehood to oslo, university press of florida, united states, 2004, p90.

³ - ليلى سليم القاضي، المرجع السابق، ص 12.

⁴ - ليلى سليم القاضي، المرجع السابق، نفس المرجع، ص 15.

منظمات مكرسة للتفاهم المتبادل، لكن مركزية اليهودية في الصهيونية حالت دون أي مساهمة عربية ذات مغزى في القومية اليهودية¹.

هذا و كتبت جريدة الصباح أن محطة عمان أذاعت تسجيلاً صوتياً لمقابلة إذاعية بين مراسل إذاعة "كولومبيا" الأمريكية و الرئيس عبد الناصر دارت باللغة الإنجليزية، وكان السؤال الذي طُرح عليه في هذا اللقاء: «هل توافق على أن تبقى إسرائيل و أن يتوصلوا إلى تسوية مرضية، أم تعتقد بوجوب إلغاء إسرائيل؟ فكانت إجابته أنه قد بسط وجهة نظره في مؤتمر باندونغ، و وافقت الدول العربية في المؤتمر الأول على تطبيق مقررات الأمم المتحدة 1947 المتعلقة بالتقسيم².

صرّح (جلبرت كلايتون) المستشار السياسي بمكتب الشرق الأوسط البريطاني في القاهرة فترة الخمسينات، أن عددا كبيرا من رجال الحكومات العربية كانوا لا يعارضون التقسيم في دخائل أنفسهم رغم أنهم لم يساندوه صراحة³. و قد ذكر المحلل السياسي في الجامعة العبرانية في القدس (موشيه ماعوز) أن القائد القومي المتشدد و الداعم للفلسطينيين (على حد تعبيره) شكري القوتلي، قام بمحادثات رسمية مع ممثلين صهاينة في صيف 1936 في بلودان⁴، و في هذا اللقاء قال القوتلي للممثلين الصهاينة: «نحن نأمل بإخلاص في التوصل إلى تفاهم معكم طوعا و دون إكراه بدلا من طريق المدفع و النار». و اقترح على القادة الصهاينة مساعدة السوريين بكل السبل لتحقيق ذلك، و أكد أنه إذا حصلت سوريا على الإستقلال فسوف توجه اهتمامها للتحالف العربي اليهودي مشترطا على الحركة الصهيونية عدم جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود، و عرض البحث عن حل مقبول لدى الطرفين. و بقي القوتلي ملتزما بالقضية لاعتبارات سياسية و ليس لقناعات إيديولوجية⁵.

و قد اتخذ العقيد حسني الزعيم أيضا مواقف واقعية و معتدلة جاء إسرائيل شبيهة بالواقعية التي نادى بها بورقية، و سعيا إلى تحقيق تسوية سياسية مع الدولة اليهودية بدلا

¹ - mark a. tessler، the identity religious minorities in non-secular states: jews in Tunisia and morocco and arabs in Israel,"Cambridge university press", jul 1978,vol.20, no.3,p364.

² - "الصباح"، ع. 4515، 1967/2/1، ص3.

³ - أحمد عبد الرحيم مصطفى، المرجع السابق، ص48.

⁴ - منطقة تقع في غرب شمال دمشق.

⁵ - موشيه ماعوز، سوريا و إسرائيل من الحرب إلى صناعة السلام، تر. لينا وهيب، دار الجليل، عمان، 1998، ص26.

من محاربتها، فقد اقترح خلال مفاوضات الهدنة سنة 1949 م أن توقع سوريا معاهدة سلام كاملة مع إسرائيل بدلا من اتفاقية الهدنة، تتضمن فتح الحدود و تبادل فوري للسفراء و التعاون في المجالين العسكري و الاقتصادي و توطين بين 250000 إلى 300000 لاجئ فلسطيني في منطقة الجزيرة في سوريا، و أن تقدم إسرائيل تنازلات إقليمية، لكن بن غريون رفض الالتقاء بالزعيم و لم يوقعا معاهدة السلام، و تم التوصل إلى هدنة 20 جويلية 1949¹.

و هو الأمر الذي أكده الباحث (آفي شلايم)، حيث ذكر أن حسني الزعيم صرح بعد الإنقلاب العسكري بكل انفتاح أنه يطمح لأن يكون أول زعيم عربي يقيم السلام مع إسرائيل، و أن الزعم بأنه لم يتوافر أي واحد من الجانب العربي لإجراء مباحثات هو بكل بساطة غير صحيح².

كما أن لجنة الوساطة الدولية بعد أن اندلعت حرب 1948م، دعت الحكومات العربية إلى الاجتماع في بيروت من 21 مارس إلى 5 أفريل 1949م للبحث في مسألة القدس و اللاجئين، ثم انتقلت إلى إسرائيل، و منها إلى لوزان و فيها قبل العرب التباحث مع إسرائيل حول الشؤون السياسية، و لو أن المحادثات لم تتم بصورة مباشرة بل عن طريق لجنة الوساطة. و كانت مشكلة اللاجئين³ هي التي عرقلت التسوية، حيث سعت الوفود أن تحصل على حدة على مكاسب خاصة. كما و أنه في أثناء المحادثات وافق العرب للمرة الأولى على مبدأ التقسيم، و كان هذا نتيجة عقد اتفاقيات الهدنة التي منحت إسرائيل أقاليم أوسع مما خصص لها، مما جعلهم يطالبون بالعودة إلى قرار التقسيم عام 1947⁴.

و انتقالا إلى الأردن، كان الملك عبد الله قبل وفاته قد التقى بمسؤولين إسرائيليين منهم (إلياس ساسون). و كان في واحدة من اللقاءات، أن توجه الأخير بالسؤال إلى عبد

¹ - موشيه ماعوز، المرجع السابق، ص35.

² - آفي شلايم، أسد الأردن، حياة الملك الحسين في الحرب و السلام، المرجع السابق، ص73.

³ - برزت مسألة اللاجئين كقضية عاجلة يهتم لها الرأي العام العالمي، فكانت نظرية العرب عودة اللاجئين إلى المنطقة المخصصة لهم و ردت إسرائيل أنه لا يمكن بحث القضية منفصلة عن الصلح، فإنه حسب القرار 194 لا بد أن يعيشوا مع جيرانهم في سلام و هذا لا يتم إلا بالصلح مع العرب. و اقترحت حلا آخر و هو ترك قطاع غزة مقابل التكفل باللاجئين. على أن الوفود العربية رأت أن الحل يعني على الأقل العودة لحدود التقسيم، و للمرة الأولى صار العرب يطالبون بتنفيذ قرار الأمم المتحدة الذي احتجوا عليه عام 1947. ينظر صلاح العقاد، المرجع السابق، ص143.

⁴ - صلاح العقاد، المرجع السابق، ص142.

الله: «لماذا تريد إبرام سلام مع إسرائيل؟، فرد الملك: أردت إقامة سلام مع إسرائيل لا لأنني أصبحت صهيونيا أو لأن سعادة إسرائيل تهمني، بل لأن ذلك يصب في مصلحة شعبي. و إنني لعلّى قناعة بأننا إن لم نعقد السلام معكم فستندلع حرب أخرى، و لذا فإن المصلحة العليا للأمة العربية هي في عقد سلام معكم». و وصف ساسون غياب عبد الله (بعد اغتياله) عن المشهد السياسي بالخسارة الكبيرة لإسرائيل حيث قال: «كان الملك عبد الله رجل السياسة العربي الوحيد الذي أبدى تفهما لانبعاثنا القومي موقفا واقعيا من مطالبنا، و عرف كيف ينظر إلى الأحداث بعين متبصرة¹. فكان بورقيبة الرجل التالي و ليس الأول الذي كان ينظر أيضا للأحداث في الشرق الأوسط بعين متبصرة و نظرة واقعية (مثلا يحب أن يصف به نفسه)، و بالتالي لم يشكل الحالة الأولى أو الفريدة من نوعها.

أما على الصعيد الفلسطيني، فقد وجد بين الفلسطينيين من انتهج الواقعية السياسية في مجابهة الصهيونية، فحسب بعض الدراسات أن الحسيني مثلا أدرك أن انجاز مشروع التحرير والاستقلال الوطني يتطلب خطة مدروسة توازن بين العداء الشديد للصهيونية و عدم الانجرار وراء المهاترات، فأبدى رغبة للمشاركة في المعركة العسكرية و الجهادية ضد الانجليز و اليهود قناعة منه أن العمل السياسي و الدبلوماسي لا تكفي لدحر هذه القوة².

و هناك من يعتقد أن م. ت. ف بقيادة عرفات تبنت النهج المرحلي (مثل الذي نادى به بورقيبة)، و قد لجأت إلى أسلوب المناورة و عدم كشف حقيقة موقفها في بداية طروحاتها حول التسوية بسبب وجود خلافات داخلها، و بينها و بين الفصائل الأخرى. و مستغلة استقلالية القرار الفلسطيني، بدأت قيادة عرفات تروج لفكرة الدولة الديمقراطية و المرحلية منذ تأسيسها، و تبلور في ذهن قيادة عرفات وجوب رفع شعار استقلالية القرار الفلسطيني حتى تتمكن من اتخاذ الموقف الذي تراه دون الالتزام بثوابت النضال الفلسطيني. و قد بدأت ملامح التغييرات الجديدة على سياسة م. ت. ف بقيادة عرفات تظهر حول الموقف من الدولة الديمقراطية³، حيث أعلن عرفات أنه لا يعارض أية وسيلة سياسية لمحاولة إنهاء الصراع

¹ - آفي شلايم، أسد الأرين، حياة الملك الحسين في الحرب و السلام، المرجع السابق، ص72.

² - أيمن يوسف: الحاج أمين الحسيني بين العقائدية التقليدية و الواقعية السياسية، دراسة حالة النخبة السياسية الفلسطينية، م. 21، "مجلة جامعة النجاح للأبحاث"، 2007، ص556.

³ - و معناها أن يعيش فيها الفلسطينيون بكل طوائفهم مسلمين و مسيحيين و يهود في مجتمع ديمقراطي تقدمي.

القائم، و أضاف أنه إذا أصبح العمل السياسي فعالا بصورة كافية لإعادة الأراضي الفلسطينية و المحافظة على حقوق الفلسطينيين فإنه سيرحب بمثل هذا الحل السياسي¹. فياسر عرفات قاد العمل العسكري منذ نهاية الستينات، و بعد الخروج من بيروت لم يتورع عن الالتجاء إلى العمل الدبلوماسي مستغلا علاقاته الدولية².

فبورقية لم يشكل استثناء إذا ما وضعنا تصريحاته في إطار التصريحات التي قدمها الرؤساء و الملوك العرب في المشرق قبله، و حتى في تصريحات ممثل الشعب الفلسطيني م.ت.ف.

أما على الصعيد المغاربي، فلم يشكل بورقية بلقاءاته مع الصهاينة و تصريحاته أي استثناء يمكن أن ينفرد به شخصه، و هو ما يبرر أن سياسته تجاه إسرائيل و القضية الفلسطينية وراءها أغراض إستراتيجية تخدم مصالح بلده.

فبالعودة إلى مرحلة النضال المغاربي، كانت الحركة الوطنية المغاربية خاصة سنوات الخمسينات ذات زخم ثوري كبير، و جهود دبلوماسية مكثفة اتسمت بربط علاقات مع أطراف صهيونية عديدة. إذ كشفت بعض الدراسات المغربية أن في المغرب مثلا كان هناك من الوطنيين المغاربة من اتبع نفس النهج البورقيبي، حيث انتبه هؤلاء على اختلاف إنتمائاتهم الحزبية إلى أن سبيل الإستقلال سيمر عبر تدويل القضية في ه. أ. م ، و بما أن الجهات المهيمنة على هذه الهيئة تنتمي إلى المعسكر الذي تتزعمه أمريكا، الأمر الذي استدعى بالضرورة تكثيف الجهود لإقناع و استمالة ذوي النصيب الأوفر في التأثير على صناع القرار في أمريكا، أو ما يطلق عليهم باللوبيات³.

فكانت خطتهم في ذلك أن يتم الانفتاح على المؤتمر اليهودي العالمي، و كان لهم ذلك عند مستهل 1955 م. و من بين جملة الأهداف التي أرادوا تحقيقها التأثير على اليهود المغاربة و كسبهم لصالح القضية المغربية، و كسب تأييد الرأي العام الفرنسي عبر التأثير على السياسيين اليهود الفرنسيين و المتعاطفين معهم و التأثير على صانعي القرار في أمريكا. فعقد الوطنيون المغاربة آمالا كبيرة على المؤتمر اليهودي لتمهيد السبل أمام إجراء

¹ - حسين غازي، الفكر السياسي الفلسطيني (1963-1988)، دار دانية، دمشق، 1993، ص ص 156-157، 159.

² - أيمن يوسف، المرجع السابق، ص 554.

³ - محمد حاتمي، المؤتمر اليهودي العالمي والوطنيون المغاربة (1944-1955)، "hespérís tamuda"، 2016، ص 89.

اتصالات مع شخصيات أمريكية نافذة داخل اللوبيات المؤثرة. و هناك من آمن بأن مستقبل المغرب مرتبط بتحسين وضع اليهود المغاربة و أنه في وضع الاستقلال سيقومون بأدوار مهمة للحفاظ على التوازنات الاقتصادية و تأمين قطاع الخدمات¹. كما و اهتم الطرفان بمواضيع كثيرة أهمها الموقف من جامعة الدول العربية و العلاقات مع مصر الناصرية، فأكد الوطنيون أن موقفهم شبيه بزملائهم التونسيين، إذ أنه في حال الانخراط في الجامعة فإن هذا الانخراط سيتم وفق شروط تراعي الخصوصيات المغربية، و وضع صياغة تجعل الدولة المغربية لا تلتزم بالقرارات التي تتنافى و المصالح الوطنية العليا².

في نظرنا، رغم أن هذه العلاقات بنيت أساسا لتلبية المصالح المتبادلة، إلا أنها تعبر بشكل ضمني و غير مباشر على الاعتراف بالوجود الإسرائيلي لأنها أقيمت مع المؤتمر اليهودي العالمي الذي هو مؤيد للحركة الصهيونية التي تولت بدورها إقامة الكيان الصهيوني.

و الحال نفسه إذا انتقلنا إلى فترة الكفاح الجزائري، ففي هذا الشأن يقول الباحث لاسكير: « في سبتمبر 1957 م وعد فرحات عباس في جنيف أن اليهود في الجزائر ذات السيادة سيحصلون على المساواة مع المسلمين، بينما سيتم احترام حقهم في الهجرة إلى إسرائيل». و قد تم نشر هذا البيان قبل وقت قصير من انعقاد مؤتمر الأمم المتحدة للتداول حول مستقبل الجزائر السياسي، حيث كانت جبهة التحرير تدرك تماما اعتماد إسرائيل على فرنسا و سجلها الانتخابي المؤيد لفرنسا، و من خلال عرض معاملة يهود الجزائر معاملة إيجابية، كان عباس يأمل في الحصول من إسرائيل على تصويت مؤيد للجزائر أو على الأقل الامتناع عن التصويت³. حتى إن جبهة التحرير الجزائرية في ردها في جوان 1958 م على استفسار المجلس الأمريكي لليهودية حول وضع اليهود في الجزائر في المستقبل ذكرت: «إن الجزائر ستكون دولة ديمقراطية اشتراكية تقضي على كل أنواع التمييز العنصري و الديني»⁴.

¹ - محمد حاتمي، المرجع السابق، ص ص89-91.

² - نفسه ، ص93.

³ - Michael laskeir, iseal and Algeria amid French colonialism the arab-israel conflict(1954-1978), "Israel studies", summer2001, vol.6, no.2, p3.

⁴ - فوزي سعد الله، المرجع السابق، ص250.

تصريحات فرحات عباس منها دعمه لحق هجرة اليهود لإسرائيل و كذا الاعتماد على إسرائيل في دعم استقلال الجزائر توحى أن هناك شبه اعتراف بمقررات هيئة الأمم حول تقسيم فلسطين و قبول إسرائيل كأمر واقع، و هو ما دعا إليه بورقية فيما بعد. و في المؤتمر المتوسطي الذي عقد في فلورنسا أكتوبر 1958 م، و الذي تم تنظيمه تحت رعاية المؤتمر اليهودي العالمي، ضم مفكرين عرب و إسرائيليين لمناقشة جوانب التعايش السلمي في الشرق الأوسط و إفريقيا، من بينهم (أحمد بومنجل) محامي أسرى جبهة التحرير الوطني الجزائرية¹، لكنه كان متخفيا دون المشاركة في الندوة (حسب ما ذكره لاسكير في دراسته). و أخبر (المهدي بن بركة) نظرائهم الإسرائيليين أن شمال إفريقيا كان مقدرا لها أن تلعب دور الوسيط الحاسم بين العالم العربي و إسرائيل، و بينما أكدوا أن المغرب سيصبح جزءا من العالم العربي فقد وعدوا بإتباع موقف محايد اتجاه إسرائيل داخل الجامعة².

لكن بالرغم من الارتقاء المغاربي تجاه المؤتمر اليهودي العالمي، إلا أنه في الواقع كانت إسرائيل ملتزمة بشدة بالمصالح الفرنسية (مصلحتها تتجلى أساسا في بقاء الوضع الاستعماري الفرنسي في بلاد المغرب) لدرجة أنها لم تعترف بالسيادة المغربية و التونسية إلا بعد أن منحت فرنسا هذه الدول الاستقلال الكامل³.

¹ - هذا و بعد أن شكلت القيادة الجزائرية حكومتها في القاهرة ثم نقل مقرها إلى تونس، تكثفت اللقاءات بين أعضاء الهيئة و النشطاء الإسرائيليين شالوم كوهين و إسرائيل نيومان من صحيفة davar اليومية، حيث التقى شالوم بقيادة GPRA في نيويورك أول مرة، قدمه عبد القادر شندرلي ممثل جبهة التحرير الوطني في الأمم المتحدة إلى أحمد بومنجل مدير إدارة الشؤون السياسية بوزارة الإعلام و تحدثوا عن سجل التصويت السلبي لإسرائيل في الجزائر. **iseal and Algeria amid French**, op.cit,p6-7.

² - Michael M laskeir, **iseal and Algeria amid French**, op.cit, p5.

³ - ibid, p3.

استنتاج جزئي:

- عمل بورقية بعد استقلال تونس على تسهيل هجرة يهود تونس إلى إسرائيل.
- في مؤتمر العربية جانفي 1964م، طرح بورقية وجهة نظره في القضية و دعا إلى انتهاج حرب العصابات و شن حرب سياسية بهدف عزل العدو في الميدان الدولي.
- بذل بورقية جهودا دبلوماسية على الصعيد الإفريقي لفائدة القضية الفلسطينية.
- في جولته المشرقية دعا بورقية الفلسطينيين من خلال خطابه في أريحا إلى قبول قرار التقسيم الأممي الصادر عام 1947م، و كان لهذا الخطاب صدى واسع على الصعيد العربي و الغربي، و خلف ردود فعل اختلفت حدتها، غير أن دعوته هذه لم تشكل استثناء، بل دعت لمثل هذه الآراء عناصر عربية من قادة و مسؤولين سياسيين.

الفصل الرابع :

بورقية و القضية الفلسطينية (1965-1973)

أولاً: قضية فلسطين في خضم حرب جوان 1967 و موقف
بورقية منها

ثانياً: بورقية و قضية فلسطين في مؤتمر الخرطوم 1967
ثالثاً: بورقية و النزاعات العربية الفلسطينية (الصراع الأردني
الفلسطيني - النشاط الفدائي الفلسطيني في لبنان)

رابعاً: بورقية و مشاريع السلام الأجنبية (مشروع
روجرز 1970)

خامساً: حرب أكتوبر 1973 م و دور بورقية فيها

أولا/ قضية فلسطين في خضم حرب جوان 1967 و موقف بورقية منها.

إذا كانت الحرب العربية الإسرائيلية الثانية عام 1967 م محطة هامة تخللت التطور التاريخي و السياسي للقضية الفلسطينية و شكلت بنتائجها ضربة قاسية لها و للعرب، إلا أنها في مقابل ذلك أثبتت أن تقديرات بورقية لواقع الهزيمة استنادا لتفاوت موازين القوى كانت إلى حد ما صحيحة. لكن قبل الدخول في مجريات هذه الحرب و انعكاساتها و دور تونس فيها هناك محطات مهمة سبقت الحدث، و هي تصب في إطار تطور العلاقات التونسية الإسرائيلية بعد خطاب أريحا 1965 م. حيث ستظهر أبعاد هذا الخطاب على الصعيد الاقتصادي أكثر من أي شيء آخر، و سيتضح أن تحقيق المصالح الخاصة بتونس أهم من أي قضية أخرى. رغم الرفض الذي لقيه الطرح البورقيي من قبل الحكومة الإسرائيلية، إلا أن ذلك لم يمنع استمرار العلاقات البينية و تكثيفها، خاصة و إن علمنا أن علاقة بورقية بالدول العربية قد تدهورت إلى حد ما بعد الخطاب. فهل سيكون لهذه العلاقات تأثير على موقفه من تطورات القضية الفلسطينية، و دوره التفاعلي في الصراع العربي الإسرائيلي فيما بعد؟

يذكر لاسكير أنه ابتداء من 1966م بدأ سفير إسرائيل في فرنسا والت رايتان (walt) rayten بمساعدة الموساد محادثات سرية في أوروبا مع محمد المصمودي سفير تونس في باريس، و بمباركة الحبيب بورقية. حيث حافظ الأخير على اتصاله الشخصي مع إسرائيل بشكل غير مباشر من خلال ايسترمان، فنظرا لأن وزارة الخارجية الإسرائيلية لا يمكن أن يكون لها خط تواصل مباشر مع بورقية، فقد استمروا في الاعتماد على ايسترمان¹. و تمحورت الاتصالات السرية أو مداولات القناة الخلفية كما عبر عنها لاسكير على خمسة عناصر أساسية:

أول تلك العناصر هو إبلاغ التونسيين بأن الإسرائيليين قدروا تحدي بورقية للناصرية حتى لو عارضوا (أي الإسرائيليين) قرارات الأمم المتحدة عام 1947م التي اعتمد عليها في مقترح السلام. ففي مارس 1966م في اجتماع بتونس العاصمة مع بورقية و ابنه ذكر ايسترمان أن²: « وزير الخارجية أبا اييان سمح له بالثناء على بورقية لما بذله من جهود حكيمة نحو

¹ - Michae M.Laskier, israel and the maghreb at the height of the arab-israel conflict(1950-1970) ,op.cit , p99-

² - ينظر الملحق رقم:16.

طرح مقارنة جديدة للسلام في الشرق الأوسط، و من أجل الكفاح لوضع حد لسياسة ناصر و الغوغائية التي قد تؤدي لتدمير إسرائيل. و ذكر بورقية أن العديد من القادة العرب كانوا يعلمون أن آرائه كانت سليمة لكنهم لم يمتلكوا الشجاعة لدعمه فكانوا لا يزالون مهووسون بخيال القوة الناصرية»¹.

هذا و قد كان بورقية على استعداد لقبول الاتصال من أجل تعاون رفيع المستوى، لكنه رفض القيام بأي شيء ينطوي بشكل مباشر أو غير مباشر على الدخول في علاقات دبلوماسية مع إسرائيل². و هنا يمكن أن نستشف أن بورقية كان حذرا في علاقته مع الإسرائيليين بشكل لا يؤدي إلى تعزيز علاقته بالعرب و خاصة الفلسطينيين، لذلك رفض رسمية العلاقات مع إسرائيل.

أما العنصر الثاني الذي تم تداوله في تلك النقاشات السرية، ففي اجتماعه مع ايستمران في باريس 4 أكتوبر 1966م أوصى المصمودي بتيسير الاتصالات الاقتصادية بين تونس و إسرائيل بواسطة يهود غربيين لهم مناصب حيوية في التمويل، مما يؤمن تونس و إسرائيل من أي هجوم من قبل أعدائهم، و استفادة كليهما اقتصاديا من العناصر اليهودية غير الإسرائيلية³. و في هذا الشأن اتصل (محمد صفر) بالإسرائيليين في باريس للنقاش حول الاستثمارات اليهودية، و لم يخبر مديري البنوك التونسية و الصناعيين أن الاستثمارات اليهودية المعتمدة التي يمثلها هي مستوحاة من إسرائيل، لأن المشاركة المباشرة لإسرائيل بحاجة إلى تمويه. و قد تضمنت المشاريع التي تمت مناقشتها مع صفر بناء فندق في المهدية كمشروع تعاوني معه و شركة مملوكة لإسرائيل و للبارون (إدموند دي روتشليد)، و تطوير مصنع للزجاج في تونس، و تأثيث معدات الفنادق من قبل إسرائيل عبر شركة بريطانية⁴.

و ثالثا، توقع التونسيون أن تضغط إسرائيل على الفرنسيين لتحسين العلاقات الفرنسية التونسية التي كانت متدهورة، و التأثير على الولايات المتحدة و ألمانيا الغربية لمنح تونس

¹ - Michael M. Laskier, israel and the maghreb at the height of the arab-israel conflict(1950-1970), op.cit, p99.

² - Michael M. Laskier, "israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s, op.cit p27.

³ - ibid, p27.

⁴ - Michael M. Laskier, israel and the Maghreb at the height of the arab-israel conflict (1950-1970), op.cit, p99.

المساعدات الاقتصادية والعسكرية. و رابعا في تلك المناقشات السرية لم تخف تونس رغبتها في توسيع السياحة. فكان أن حثت غولدا مائير التي كانت في الأشهر الأخيرة من ولايتها في وزارة الخارجية سفير إسرائيل في واشنطن على حشد الدعم اليهودي الأمريكي من خلال مطالبة المجتمعات المحلية بإضافة تونس إلى قائمة مناطق الجذب السياحي¹.

و قد قيل للمصمودي بأنه في حال نجاح هذه المساعي سيجد المسؤولون الإسرائيليون طريقة لإبلاغ التونسيين بأن العمليات التي بدؤوها هي رمز لحسن النية. كما أخبر ايستمران بورقية الابن أن إسرائيل مستعدة لتقديم مهاراتها في مجال السياحة، و أن الاتجاه المتزايد للسفر لتونس بين يهود العالم و خاصة اليهود الأمريكيين يمكن أن يكون ذا إمكانات مالية مهمة لحركة السياحة التونسية. و كانت المساعدة في التنمية الزراعية هي الأخرى موضوعا للنقاش، إذ أخبر ايستمران بورقية الابن أن إسرائيل معروفة عالميا بتطوير الصناعات الزراعية و أن الحكومة الإسرائيلية أكثر استعدادا لوضع خبرتها خدمة لتونس².

لا نملك أي معلومات حول ما إذا كانت قد تحققت هذه المقترحات و التوصيات أم لا، لكن الواضح من هذه المحادثات أن حاجة تونس إلى رؤوس أموال و كذا مشاريع اقتصادية و غيرها (خاصة في تلك الفترة الهامة من بناء الدولة) للنهوض بالبلاد التونسية، أملت بالضرورة البحث عن قوى يمكن أن تؤمن لها هذه المصالح، فوجدت في تمتين علاقاتها مع إسرائيل ما يمكن أن يسد الثغرات التي يعاني منها الاقتصاد التونسي الهش، و بالمقابل ستكون هناك بالضرورة مصالح إسرائيلية تنتظر إسرائيل تحقيقها من هذه العلاقات.

أما في الشأن العربي، لم يتوقف بورقية عند مقترحه في أريحا أو عند الانتقادات التي تعرض لها، بل استأنف جهوده الدبلوماسية و عاد من جديد للخوض في القضية الفلسطينية. فحسب جريدة "the detroit jewish news" في عددها الصادر في جانفي 1966 م، أن مصادر سياسية في نيودلهي أفادت أن بورقية كان يستكشف إمكانيات عقد مؤتمر عربي إسرائيلي على غرار وقف إطلاق النار بين الهند و باكستان، و ارتبطت التقارير بالاجتماع الذي دار بين المنجي سليم الممثل الشخصي لبورقية و رئيس وزراء الهند (أنديرا غاندي). و

¹ - Michael M. Laskier, israel and the maghreb at the height of the arab-israel conflict(1950-1970), op.cit, p100.

²- ibid, p100.

قد زار المنجي بالفعل باكستان و اتجه إلى إيران لنفس المهمة، و قالت بعض المصادر أنه طالما نجحت اتفاقية طشقند¹ فهناك احتمال أن تتجه الهند مع الدول الآسيوية و الإفريقية إلى إجراء محادثات مماثلة بين الدول العربية و إسرائيل². غير أن نشوب الحرب (1967) بين العرب و إسرائيل زاد من تعقيد الوضع و فعالية خيار المفاوضات و السلام.

كُتب الكثير عن هذه الحرب التي تورط فيها العرب، و خسرت فيها فلسطين أجزاءً أخرى من أراضيها، و أعادت القضية خطوة إلى الوراء. لكن ما يهمننا في هذا الشأن صدق هذه الحرب في تونس، و مدى المساهمة التونسية في دعم العرب في هذه الحرب، و تأثير هذه الأخيرة على مواقف بورقية بشأن تسوية القضية الفلسطينية و مسألة السلام العربي الإسرائيلي.

كغيرها من الدول العربية الأخرى، عاشت تونس أصداء هذه الحرب رغم بعدها الجغرافي عن ميدان المعركة. فيصف الشقيري الأحداث هناك خلال اندلاعها بقوله: « في تونس تحرك الشعب أولاً ثم الرئيس المجاهد ثانياً، ففي 5 جوان و ما إن انتشرت أخبار العدوان الإسرائيلي بين صفوف الشعب حتى انطلقت التظاهرات تملأ شوارع العاصمة، و اقتحموا السفارتين الأمريكية و البريطانية، و وصلت غضبة الشعب إلى بورقية فلم يسعه إلا أن ينادي بما نادى الشعب. فخطب في 5 جوان خطاباً ثورياً لو شاء الفلسطينيون أن يأتوا بمثله لما استطاعوا، و قد جاء فيه: « و ها قد أخذ الكفاح طوره الجدي من أجل الحق و العدل و السلم، ستقف تونس شعباً و حكومة في صف شقيقاتها (...) و قد وضعنا الجيش من الآن على أهبة الاستعداد للاستجابة لكل ما يصدر إلينا من إخواننا العرب إن كان الأمر يتعلق بالرجال أو العتاد»³.

لكن التساؤل الذي يتبادر إلى ذهننا لماذا اختار بورقية أن يقف وراء عبد الناصر في هذه الحرب رغم أن مواقفه كانت واضحة بشأن ضرورة الحل السلمي و المفاوضات و استبعاد خيار الحرب، و كون علاقته بعبد الناصر و العرب كانت متوترة خاصة بعد خطابه في أريحا؟ فهل كان الضغط الشعبي وحده كاف لذلك؟ أم أن هناك أسباب أخرى؟

¹ - اتفاقية طشقند: اتفاقية تم توقيعها في 10 جانفي 1966 بين رئيس الوزراء الهندي لال بهادور شاستري، و الرئيس الباكستاني أيوب خان، أنهت الحرب التي استمرت بين الهند و باكستان 17 يوما (من أوت إلى سبتمبر 1965). ينظر الرابط: <https://www.britannica.com/event/Tashkent-Agreement>

² - "the detroit jewish news", 28/1/1966, p12.

³ - أحمد الشقيري، الهزيمة الكبرى مع الملوك والرؤساء، من بيت عبد الناصر إلى غرفة العمليات، ج 2، 2005، ص ص 20-

يمكن أن نجد جزءاً من الإجابة في إحدى البرقيات الأمريكية التي تذكر أسباب دعم بورقيبة للعرب. ففي برقية من وزارة الخارجية الأمريكية إلى السفارة الأمريكية في تونس في جوان 1967 جاء فيها: « لم يكن أمام تونس أي خيار، كان عليها التعبير عن دعمها للقضية العربية لسببين: أولهما الحفاظ على سمعتها و مصداقيتها لدى الدول العربية، و ثانياً الاستمرار في إثبات أنها بقيت عضواً في المجتمع العربي. كما لم يكن العمل الصبور الذي قام به بورقيبة (أي مواقفه المعتدلة) في تونس على مدى 12 عاماً كافياً لمنع تفشي مشاعر التضامن و التنديد»¹. فاستناداً على هذه البرقية يمكن القول أنه لاعتبارات قومية و كذا داخلية (الضغط الشعبي) تدخل بورقيبة إلى جانب العرب في هذه الحرب.

فكان أن سار بورقيبة خطوة أخرى على طريق المعركة، حيث أمسك بالهاتف و تحدث إلى الرئيس عبد الناصر معرباً عن تأييده باسم تونس حكومة و شعباً لموقف الجمهورية العربية المتحدة². أما بورقيبة الابن وزير خارجية تونس فبعد اجتماعه مع دين راسك وزير خارجية الو. م. أ، اعتذر عن التظاهرات التي قام بها الشعب التونسي، و أكد له أن المشاغبين سيقدمون إلى المحكمة العسكرية³.

انتقالاً إلى الآثار التي خلفتها الحرب في تونس، فقد أشارت بعض الأعلام اليهودية التونسية إلى بعضها كنقطة سلبية في عهد بورقيبة، منها ما كتبه الصحفية صوفي بسيس بأنه في صباح 5 جوان 1967م كان اليهود هدفاً للمتظاهرين الغاضبين، و كانت هذه الأحداث قد قوضت السردية الوطنية حول الدولة القوية الحامية لجميع مواطنيها دون تمييز، كما أحدثت شرخاً كبيراً في تونس البورقيبية.

و أشارت بسيس أنه في تلك الفترة بدأ أقول نجم بورقيبة لأنه بلغ من المرض و السن مبلغاً. فنظر اليهود إلى ضعف بورقيبة على أنه ينطوي على العديد من المخاطر خاصة أنهم يرون في حماية النظام القوي الضمانة الوحيدة لأمنهم. و أكدت أنه رغم أن براغماتية بورقيبة المتسامحة تجاه اليهود التي حالت دون إبعادهم قسراً إلى المشرق، إلا أنها لم تكن قادرة على

¹ - F.R.U.S, telegram from the department of state to the embassy in tunisia, vol.24, 8/6/1967, doc172.

² - أحمد الشقيري، الهزيمة الكبرى مع الملوك و الرؤساء...، ج2، المصدر السابق، ص21.

³ - نفسه، ص21.

فصل تونس عن محيطها العربي فاجتاح تونس المد القادم من الشرق. و صدمت أعمال الشغب المعادية لليهود بورقيبة نفسه، فقد أفزعته رؤية التونسيون تحركهم نفس الأحقاد المدمرة التي كان يملكها لدى المشاركة، فما كان له إلا أن يوصلهم إلى مساواة حقيقية عبر إرساء جمهورية علمانية¹. و منه كان من أصداء هذه الحرب في تونس هو اهتزاز مكانة بورقيبة و نظامه لدى اليهود الذين رأوا أن حياتهم تتعرض للخطر في خضم الأحداث التي كان يعيشها العرب في المشرق.

و عليه لم تكن تونس بمنأى عما كان يجري في المشرق، فكانت كل نكسة تصيب الشرق الأوسط يقع صداها في تونس. و في اعتقادنا أنه بالرغم من قيام مظاهرات معادية لليهود في تونس، إلا أن هذا لا ينقص من قيمتها في مناصرة الشعب الفلسطيني، طالما أن الشعب التونسي لا يملك وسيلة أخرى يعبر بها عن رفضه للتواجد اليهودي الصهيوني بفلسطين، و منه إن تسليط أقصى العقوبات ضد المتظاهرين هو عمل موجه ضد التضامن العربي.

ظهر بورقيبة في الإذاعة و التلفزيون التونسي ليوجه تحذيرا شديدا للهجة ضد الغوغاء في مواقع اليهود و الممتلكات اليهودية في تونس، و ندّد بالأحداث التي وقعت، و أصر على ضرورة التوقف عن التظاهر مؤكدا أن كل هذه المظاهرات ستوقف بكل الوسائل المتاحة لسلطة الدولة².

في مقابل ذلك و في إطار الجهود الرامية لتقصي الآثار التي خلفتها تلك المظاهرات على اليهود، تحول وفد من الحكومة و الحزب برئاسة الباهي الأدغم (كان إذ ذاك كاتب الدولة للرئاسة) يوم 6 جوان إلى الأماكن التي لحقها الضرر بسبب مظاهرات يوم 5 جوان و أكد للمتضررين عطف الدولة و عزم الحكومة على تعويضهم. ثم زار السفارة البريطانية، ثم بيعة اليهود³ الكبرى، و اطلع على الأضرار الحاصلة بها و تحدث مع كبير الأخبار و الأعيان اليهود و قال لهم: « إن ما قامت به بعض العناصر المفسدة لا يشرف تونس، و أنا عازم على معاقبة المفسدين، و أن قضية فلسطين التي نناصرها شيء و اليهود التونسيون شيء

¹ - Sofi basis, cette matinée incandescente qui a scellé le destin des juifs de tunisie, "orient xxi", 15/6/2017.

² - "the sentinel", bourguiba warns tunisians against attacks on jews, 15/6/1967, p2.

³ - معبد اليهود.

آخر»، ثم زار محلات لليهود و أكد لهم تعويض ذلك، و اختتم الزيارة بالسفارة الأمريكية التي تضررت أيضا¹.

و كان أن أرسل الـ WJC برقية تقدير إلى بورقيبة لإدانتها للغضب العام ضد مواطنيه اليهود الذين يعتمدون في الحماية على إحساسه (أي بورقيبة) بالعدالة، و نيته الواضحة في معاقبة جميع الجناة².

هذا عن أصداء الحرب في تونس، أما فيما تعلق بالمساهمة التونسية فحسب ما ذكر الشقيري سارت وحدات من الجيش التونسي في شوارع العاصمة ليثبت بورقيبة أنه جاد في خوض المعركة، و انتهجت الجماهير و تحركت الوحدة التونسية تجاه الحدود. و في 9 جوان أصدر مجلس الأمن قراره بوقف إطلاق النار. فعادت القوات التونسية من الحدود، و أعلن بورقيبة موافقته على وقف إطلاق النار قبل أن يبدأ إطلاق النار³.

لكن لماذا تحفظ و تردد بورقيبة في إرسال جيشه و تأخره إلى اليوم الرابع من الحرب؟ في اعتقادنا ربما كان يريد تحاشي إقحام جيشه في حرب كان يتوقع نتائجها، و أن إقحامهم سيزيد من غضب اليهود التونسيين، و ربما أن الأوضاع التي كان قد عاشها المتطوعون التونسيون في حرب 1948 جعلته يتردد في ذلك⁴. فتلك الانزلاقات و إمكانية التورط في الشأن الداخلي لدول الطوق ربما من الأمور التي جعلت بورقيبة يتحاشى تعريض جيشه لمثل هذه المواقف.

في إطار الدعم المادي على إثر الأخبار التي بلغت إلى بورقيبة عن الأضرار الفادحة التي لحقت ببعض المناطق الأردنية، أمر باتخاذ الإجراءات لإسعاف اللاجئين العرب و ضحايا العدوان. و بأمر منه تكونت لجنة قومية خاصة لإسعاف ضحايا العدوان الإسرائيلي. كما سافر الأمين العام لهيئة الهلال الأحمر التونسي (صالح بولكباش) يوم 9 جوان إلى جنيف لإجراء

¹ - الصباح"، ع. 4624، 1967/6/7، ص 2.

² - "the sentinel", bourguiba warns tunisians against attacks on jews, 15/6/1967, p2.

³ - أحمد الشقيري، الهزيمة الكبرى مع الملوك و الرؤساء...، ج 2، المصدر السابق، ص 21.

⁴ - في تلك الفترة (حرب 1948) لما كانت سوريا تعاني من مشاكل سياسية و كان القائد للجيش حسني الزعيم هو المسؤول عن فوج المغاربة، قرر قيادة انقلاب عسكري، و من ثم قام بإقحام هذا الفوج في الانقلاب، نجح الزعيم و تم تكليفهم بحماية الأمن في دمشق، و كانوا يعيشون تعاسة حقيقية لأن قيادة الجيش انشغلت بالمشاكل السياسية، إلى أن تم الانقلاب الثاني لسامي الحناوي. ينظر: نور الدين بالطيب، المصدر السابق، ص 19.

الاتصالات اللازمة مع هيئة الصليب الأحمر الدولي لضبط نوع الإعفاءات المتأكد تقديمها للضحايا و أحسن طرق إبلاغ تلك الإمدادات و بأسرع وقت¹.

كما أقيم جسر جوي بين تونس و القاهرة، و عمان و كذا دمشق لإسعاف الضحايا. حيث و في نطاق نشاط اللجنة القومية لإغاثة الضحايا أقلت أربع طائرات قاصدة الجمهورية العربية المتحدة حاملة كمية من الأدوية و الأغذية و الملابس، و تقرر أن تغادر أربع طائرات أخرى حسب الرزنامة الآتية:

- 17 جوان 1967 قاصدة الأردن تحمل 5 أطنان من الأغذية و 5 أطنان من الملابس والأغذية.
- 19 جوان 1967 قاصدة سوريا وتحمل طنين من الأدوية وثمانية أطنان من الأغذية.
- 20 جوان 1967 قاصدة الأردن وتحمل 10 أطنان من الأغذية و الملابس.
- 21 جوان 1967 قاصدة سوريا وتحمل نفس الحمولة².

أما على الصعيد الدبلوماسي فقد كثف بورقية جهوده لحشد الدعم الدبلوماسي الإفريقي لنصرة القضية الفلسطينية. و كما أشرنا إليه في الفصل السابق أن الدول الإفريقية تأخرت كثيرا في دعم قضية فلسطين، لكن في سنة 1967 غيرت الدول الإفريقية رأيها تجاه القضية، و اعتبر البعض تلك السنة عام التفاعل الرسمي الدولي الإفريقي مع الصراع العربي الإسرائيلي، حيث صرح الرئيس السنغالي (ليوبولد سنغور) قائلا: « إن تداخل العلاقات الإسرائيلية في إفريقيا كان كبيرا جدا و ذلك بسبب المساعدات الإسرائيلية لإفريقيا في مختلف القطاعات، و لكن حرب جوان 1967 أوقفت امتداد و اتساع هذه العلاقات. و اتخذ فيه الحكام الأفارقة مواقف أكثر تأييد للجانب العربي»³.

فكان أن دعا بورقية في 17 جوان 1967 سفراء الدول الإفريقية المعتمدين بتونس⁴ و أدلى ببيان أشار فيه أن البلدان الإفريقية معنية بالفاجعة التي حلت بالشرق الأوسط، مذكرا أن المغرب جزء من القارة الإفريقية، و أن الجمهورية العربية المتحدة التي كان ترابها ميدان

¹ - الصباح"، ع. 4627، 10/6/1967، ص1.

² - الصباح"، ع. 4633، 16/6/1967، ص2.

³ - محمد بوعشة، المرجع السابق، ص179.

⁴ - حضر المقابلة الباهي الأدغم كاتب الدولة للرئاسة، سليم بن غازي مدير الشؤون السياسية بكتابة الدولة الخارجية، و عمر مصدق مدير الأخبار، و حمد بن فضل رئيس ديوان فخامة الرئيس، و الحبيب الشطي سفير تونس بالرباط. ينظر: "الصباح"، ع. 4635، 18/6/1967، ص1.

للمعارك العسكرية هي بلاد إفريقية. و تعرض إلى روديسيا و قضية جنوب إفريقيا المنكوبين بالميز العنصري، مؤكداً أن بينهما و بين فلسطين تشابها سبق له أن عالجه في مؤتمر القمة الإفريقية الثاني المنعقد في القاهرة. و أنه لئن كان فيهم من يبدي بعض التردد بدعوى أن إسرائيل دولة قائمة الذات فإن هذا المنطق يقتضي أيضا الاعتراف بأن النظام العنصري بروديسيا هو أيضا قائم الذات، و أبدى أسفه لتأخر منظمة الوحدة الإفريقية عن مناصرة قضية فلسطين. و دعا في نهاية بيانه بأن تقف الوفود الإفريقية و العربية صفا واحدا في الجمعية العمومية الأمم المتحدة لنصرة القيم الأخلاقية و الصداقة¹.

كما رفضت تونس منح إسرائيل أية إعانة من البرنامج الأممي للتنمية، حيث رفضت وفود تونس و الجزائر و العراق المصادقة على برنامج الإعانة الخاص بإسرائيل و الذي يدخل في نطاق البرنامج العادي للإعانة الفنية الأممية خلال سنة 1968، و ذلك في الاجتماع الذي عقد في 14 جوان 1967 م بمقر مجلس البرنامج الأممي للتنمية بسويسرا، و صرح (أحمد شطورو)²: « إن الصهيونية الدولية اعتدت مرة أخرى على الدول العربية متسببة في سلسلة من المآسي، لذلك فإن بلاده لن تقبل أن تمنح أية إعانة من البرنامج الأممي للمعتدين لأن في ذلك تشجيع لهم»³.

بعد نهاية الحرب، بينما حث العرب على لعب ورقة السلام لفصح التعتت الإسرائيلي، حث بورقية الإسرائيليين على الكف عن التصرف كمحتلين. و عن طريق سفيره في لندن أطلع بورقية إيسترمان في أكتوبر 1967 على أن القادة العرب سيتفاوضون في نهاية المطاف مع إسرائيل، و أظهر بعض التفهم لقرار إسرائيل بمهاجمة مصر سوريا و الأردن لاعتبارات أمنية، لكن أكد أن السلام الدائم لا يمكن تحقيقه طالما أصرت إسرائيل على مبدأ « ما غزيناہ نتمسك به». كما أسر بورقية لا إيسترمان بأنه شعر أن هناك نقص تقدير من جانب يهود العالم و إسرائيل لنضاله ضد العداء، و كان الجوهر السياسي الذي نادى به هو الاعتراف الفعلي بإسرائيل حتى تتبلور علاقة أكثر رسمية و دائمة، و كنتيجة للحرب كان مقتنعا بأن تصريحاته

¹ - "الصباح"، ع.4635، 1967/6/18، ص 1، 3.

² - حسب جريدة الصباح كان شطورو آنذاك الوزير المفوض لدى البعثة الدبلوماسية التونسية بنيويورك و ممثل تونس بهذه الهيئة.

³ - "الصباح"، ع.4638، 1967/6/22، ص 1.

ستحظى بالتأييد من طرف القادة العرب¹.

ثانيا/بورقية و قضية فلسطين في مؤتمر الخرطوم 1967.

كان من نتائج الحرب أن أدت إلى خسائر إقليمية مست بدرجة أولى الأراضي الفلسطينية، حيث استطاعت إسرائيل أن تظفر بالضفة الغربية و قطاع غزة، و تستولي أيضا على أجزاء من مصر و سوريا. فكان على العرب الاجتماع مرة أخرى لتدارك آثارها و الخروج بحل للقضية.

بادر رئيس السودان (إسماعيل الأزهرى) و رئيس وزرائه (محمد أحمد محجوب) إلى دعوة وزراء الخارجية العرب لعقد اجتماع في العاصمة السودانية في 1 أوت 1967، تمهيدا لعقد مؤتمر قمة يحضره الملوك و الرؤساء. و بتكليف من رئيس اللجنة التنفيذية لم. ت. ف أحمد الشقيري توجه شفيق الحوت ممثل المنظمة في لبنان إلى الخرطوم للمشاركة في هذا الاجتماع، حيث وصف شفيق الحوت انطباعه عن هذا الاجتماع قائلا: « فقدت براءتي السياسية و أيقنت استحالة وجود الأبيض و الأسود، و أن الرمادي هو اللون المفضل، و أحسست بما كان بين الدول من أحقاد»².

و سنجد أنفسنا مضطرين إلى التطرق للنقاشات الهامشية التي كانت تدور في الاجتماعات العربية (حيث كانت تونس طرفا فيها) بعد الحرب، و السجلات السياسية التي كان لها تأثير مباشر على مسار علاقات بورقية بالقضية و ممثلها م. ت. ف. فيذكر شفيق الحوت عن تهميش منظمة التحرير في الاجتماعات التي سبقت القمة قائلا: « جاء دور انعقاد اجتماع وزراء الخارجية لتحضير أعمال القمة و ذهلنا في م. ت. ف. بعدم تلقي الدعوة للمشاركة، فعقدت اللجنة التنفيذية اجتماعا طارئا وقررت إفادي مرة ثانية للخرطوم»³.

و عندما سأل شفيق محمد أحمد محجوب عن سر عدم توجيه الدعوة إلى رئيس المنظمة للمشاركة في أعمال القمة، فرد الأخير: « المنجي سليم (...) تونس غاضبة من الشقيري و خطباته، و هناك حكام آخرون لا يريدون سماع صاحبك (أي الشقيري) »، فأجاب شفيق:

¹ – Michael M. Laskier, "israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960s, op.cit, pp28-29.

² – شفيق الحوت، عشرون عاما في منظمة التحرير الفلسطينية (1964-1984)، دار الإستقلال، بيروت، 1986، ص116.

³ – نفسه، ص113.

لتونس رأيها و هذا حقها و لكن يبقى صوت تونس واحد من بين مجموعة أصوات، ثم من يعطي أي دولة حق الفيتو على ممثل أي دولة أو شعب آخر، ثم هل يعقل بحث قضية فلسطين في غياب أهلها؟». و بعد نقاش حاد قبل محجوب توجيه دعوة للشقيري¹. و يمكن أن نستشف من هذا النقاش أن بورقية رفض اللقاء برئيس م.ت.ف في مثل هذه الاجتماعات، و هو ما يعني أنه لم يطو بعد ما جرى في خطاب أريحا، و سيكون لهذا الموقف تأثير على مجرى العلاقات الفلسطينية التونسية في هاته الفترة.

تم عقد مؤتمر وزراء خارجية الدول العربية في الخرطوم بالسودان تمهيدا لمؤتمر القمة العربي، حيث اجتمع وزراء الخارجية العرب في 26 أوت 1967 (كانت الجلسات مغلقة و لا تعطى أخبار الاجتماعات إلى الصحف بصورة علنية و رسمية). و اقترح المنجي سليم رئيس الوفد التونسي أن يكون البند الأول على جدول الأعمال دراسة أسباب النكبة، و كان يريد من وراء هذا الاقتراح حسب الشقيري أن يثبت أن بورقية كان على صواب في الدعوة للتعايش مع إسرائيل و أن الحرب فكرة خاطئة. ثم توالى الاقتراحات من وزراء الخارجية، و قدم الشقيري باسم الشعب الفلسطيني مجموعة من المقترحات السياسية و الإعلامية و العسكرية لتكون أساسا لخطة عربية شاملة، و لم يكد ينتهي من مقترحات المنظمة حتى قال المنجي سليم: «أعتقد أننا اتفقنا في اجتماعات وزراء الخارجية في نيويورك أن تكون هذه الاجتماعات قاصرة على وزراء خارجية الدول العربية». فذكر الشقيري: «كنت أن المقصود بهذا الاقتراح»، و بدا حسب اعتقاد الشقيري أنه كان هناك شبه اتفاق بين الوفود على عدم حضوره الاجتماع. و كان رد رئيس المنظمة على ما قاله المنجي سليم أنه ليس فضوليا و أن الشعب الفلسطيني هو فريق أصيل في هذا الاجتماع. و سألهم عما إذا كان اجتماعهم لإزالة آثار العدوان أم لإزالة منظمة التحرير. و أشار الشقيري أن الرغبة في التخلص من رئيس المنظمة ليست سرا فهناك وثائق في ملفات الجامعة تثبت أن الملك فيصل و بورقية و الملك حسين يريدون خلعه من رئاسة المنظمة².

و كان أن قدم المنجي سليم دليلا محسوسا على أنه نفذ تعليمات الرئيس بورقية،

¹ - شفيق الحوت، المصدر السابق، ص 117.

² - أحمد الشقيري، الهزيمة الكبرى مع الملوك و الرؤساء...، ج2، المصدر السابق، ص 120-127.

فأصدر بيانا بعد انتهاء الجلسة وزعه على الصحفيين العرب و الأجانب قال فيه: « إن رأي الحكومة التونسية كان و لا زال أن لا مبرر لحضور الشقيري بعد أن اتضح أنه لا يقف عند حدود المسؤولية التي تقتضيها الظروف». و علق الشقيري على البيان قائلاً: « أصدرت المحكمة العسكرية التونسية الخاصة أحكاما تصل إلى 20 عاما على 54 تونسيا بتهمة الاشتراك في التظاهرات التي عمت تونس في جوان الماضي (يقصد بها حرب جوان)، و مهاجمة المنشآت الأمريكية و اليهودية، هذه تونس الدولة لا تونس الشعب»¹.

فتوترت العلاقات التونسية الفلسطينية بعد هذا المؤتمر إثر المشادات الكلامية و الخلافات الجانبية بين رئيس منظمة التحرير الشقيري و الوفد التونسي المشارك في المؤتمر (الذي يمثل حكومة تونس).

و قد اعتبر شفيق الحوت الذي كان يحتل موقعا سياسيا داخل م. ت. ف ، أن هذه الأحداث شكلت عقبة في مسار المنظمة. فعلى حد تعبيره كان على الشقيري خارج ساحة فلسطين مجابهة عدد من هموم الساحة العربية، و كان لعدد من الدول مآخذها على الشقيري بالذات و لأسباب لا علاقة لها بالقضية ذاتها منها تونس التي لم يكن رئيسها يكن ودا لرئيس المنظمة².

بعدها اجتمع العرب في القمة العربية الرابعة بالخرطوم يوم 29 أوت إلى غاية 1 سبتمبر 1967 م، و فيها أصدر العرب اللاءات الثلاثة الشهيرة³ أنه لا سلام مع إسرائيل و لا اعتراف بالدولة اليهودية و لا مفاوضات، و يجب أن تتسحب إسرائيل من كل الأراضي التي استولت عليها دون شرط⁴.

في هذه القمة كان الباهي الأدغم ممثلا عن تونس، في حين تخلف بورقيبة عنها و اختار أن يخاطب مؤتمر القمة من تونس، و كان أن خطب في 26 أوت 1967 في اجتماع شعبي كبير، دعا فيه العرب أن يعترفوا بوجود إسرائيل و أن يمتنعوا عن التهديد بمسحها، و

1 - أحمد الشقيري، الهزيمة الكبرى مع الملوك و الرؤساء...، ج2، المصدر السابق، ص128.

2 - شفيق الحوت المصدر السابق، ص88.

3 - أما شفيق الحوت يقول إنه مؤتمر اللاتات الأربع، لا صلح، لا تعايش، لا تفاوض، لا انفراد لأية دولة بقبول أي حل لقضية فلسطين. و اللاء الأخيرة تم حذفها من البيان الختامي. شفيق الحوت ، ص109.

4 - غولدا مائير، المصدر السابق، ص276.

طالب الدول العربية أن تنتهي حالة العداء¹.

أما الباهي الأدغم فقد صرح في تلك القمة قائلا: « أريد أن أؤكد أننا نتفق جميعا على الغاية، و هي استرجاع الحق العربي السليب وتحرير الوطن الذي وقع عليه العدوان (...) و في رأينا و من تجربتنا الخاصة هناك حولا منقوصة يمكن القبول بها، و استعمالها كمنطلق لخلق أجواء جديدة لتضييق الخناق على الإستعمار تمهيدا للحلول الكاملة. و إن تونس مع ذلك، تؤمن أن الدول المعتدى عليها هي صاحبة الرأي الأول و الأخير، و نحن ليس لدينا حلول و مستعدون أن نساند ما نتفقون عليه»².

أما الشقيري فقد طالب بصفته رئيسا لم. ت. ف بإقامة وحدة عسكرية بين الدول العربية، و كان أن خاطبه المنجي سليم قائلا: «نحن لسنا في حاجة للإقناع بشأن الوحدة العربية، و لكن الظروف تفرض علينا أن نركز تفكيرنا على الجهود السياسية، فأجابه الشقيري: «إنني سعيد أن الوزير التونسي مؤمن بالوحدة»، فرد المنجي: « ليس هذا موقفي الشخصي إنه موقف الشعب التونسي و موقف فخامة الرئيس بورقية، فرد الشقيري: « أنا لا أشك في موقف الشعب التونسي و لكن لبورقية رأي آخر». ثم أخرج الشقيري الرسالة الشهيرة³ التي أرسلها لبورقية إلى مؤتمر القمة العربي الثالث في الدار البيضاء قائلا: « أبيع لنفسي و في مؤتمر الخرطوم أن أقرأ عليكم بعض آراء بورقية منها: «إن الوحدة العربية لم تكن إلا فترات قليلة و لا نجد أنها عمرت، لذلك ينبغي أن نخلص مفهوم الوحدة من العاطفة، و أن نطهرها من هذه المسحة القدسية التي تجعلنا نخون من يناقش فيها (...) و يجب على مصر أن تقلع عن المنوال الوحدوي الذي تنادي به مدعية أنها مهبط الوحي الثوري ومنبع الوعي القومي»⁴. و عليه برز تكثيف الجهود الدبلوماسية و السياسية لقبول القرار الأممي 1947م مرة أخرى من أجل حل القضية الفلسطينية و تبعاتها كمطلب أساسي في موقف تونس في مؤتمر الخرطوم الذي عقب حرب جوان 1967.

1 - أحمد الشقيري، الهزيمة الكبرى مع الملوك و الرؤساء، ج2، المصدر السابق، ص188.

2 - شفيق الحوت، عشرون عاما...، المصدر السابق، ص142.

3 - أرسل بها بورقية إلى الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، لعرضها على مؤتمر القمة العربي، و حينما عرض الأمر على وزراء خارجية الدول العربية للنظر في جدول أعمال المؤتمر قرروا عدم إبلاغها إلى الملوك و الرؤساء، و عدم توزيعها على الوفود المشاركة.

أحمد الشقيري، حوار و أسرار مع الملوك و الرؤساء، دار العودة، بيروت، 2005، ص312.

4 - أحمد الشقيري، حوار و أسرار مع الملوك و الرؤساء، المصدر السابق، ص 305-314.

أما عبد الناصر و الملك الحسين فتكلما أيضا بلغة الواقع التي استخدمها بورقية قبل عامين، فمصر اجتاحتها انتفاضات الهزيمة و انهالت عليها الاتهامات و المؤامرات، و غدا البلد بعد أن حرم من عائدات قناة السويس و سلب نفط سيناء مهددا بأزمة اقتصادية حادة، و لم تعد تملك الوسائل لمواجهة صدام جديد. أما وضع الأردن فكان أسوأ من ذلك، فقد تدفق عليه مئتي 200000 لاجئ، لذلك قررا اعتماد قرار عاقل مثل الذي نصح به الماريشال تيتو، أي أن تتصاع الدول العربية إلى قرار الأمم المتحدة الذي يضمن سلامة الحدود، و تقبل بحرية الملاحة في خليج العقبة مقابل تحرير الأراضي المحتلة. و قد وافق الجميع على صيغة المؤتمر المعتدلة ما عدا السوريين الذين انسحبوا منه و الجزائريين و الشقيري. و لكن جاء البيان النهائي مفاجئا لما نوقش في المؤتمر، إذ تضمن عدم الاعتراف بالكيان الصهيوني و رفض أي تفاوض أو سلم و التأكيد على حقوق الفلسطينيين في وطنهم¹. و يمكن أن نلاحظ الهوة الشاسعة بين القرارات التي تصدر داخل قاعات المؤتمر و بين القرارات التي تعطى للصحافة و الشعب من أجل التمويه.

على الرغم من نتائج الخرطوم لا سلام و لا اعتراف و لا تفاوض، فإن قرار الأمم المتحدة رقم 242 الصادر في 22 نوفمبر 1967م، و الذي دعا إسرائيل للانسحاب من الأراضي المحتلة مقابل السلام، جعل قرارات 1947 م بالية².

و قد عبر بورقية عن سداد رأيه بعد أن صدرت تصريحات عربية تدعو إلى الموافقة على قرار مجلس الأمن الدولي رقم 242 الذي أكد على الاعتراف بإسرائيل و حماية حدودها و إنهاء حالة الحرب معها³.

دبت الخلافات من جديد بين بورقية و رئيس المنظمة، و حسب الضابط الفلسطيني حسن أبو رقبة، تعرض الشقيري بعد موقفه الحازم في مؤتمر الخرطوم لأزمة سياسية كبيرة أجبرته على الاستقالة، و كان من جملة الأسباب مواقف الملك الحسين و الملك فيصل و

¹ - فراس البيطار، الموسوعة السياسية و العسكرية، ج2، دار أسامة للنشر، عمان، 2003، ص588.

² - Michael.m. Laskier, "israel an active spectator in the arab cold war of the 1950s and 1960", op.cit, pp28-29.

³ - إشراق نوري عبد بخيت السامرائي، المرجع السابق، ص100.

الرئيس بورقيبة لعدم انشراحهم للتعاون معه¹.

في مقابل ذلك تكثفت الجهود الدبلوماسية التونسية و التصريحات السياسية لايجاد حل سلمي للقضية الفلسطينية و تبعات تلك الحرب. فقد صرّح بورقيبة في 15 سبتمبر 1967 في مقابلة أجرتها معه الإذاعة الفرنسية بشأن أزمة الشرق الأوسط قائلا: «على الدول العربية قبول قرار 1967، لأن إسرائيل سترفض هذا الاقتراح، و حين إذن إذا أردنا أن نخوض الحرب سنخوضها و معنا قرار الأمم المتحدة بينما تكون إسرائيل ضد القرار». و علق الشقيري على هذا القول: «نحمد الله أن الرئيس بورقيبة لم يتبع مثل هذه الخطة بالنسبة للكفاح التونسي، فقد خاض التونسيون معارك بأسلة ضد الاحتلال و لم يكن قرار الأمم المتحدة معه»².

لكن في عام 1968م في مقابلة تلفزيونية نقلت أنباءها "جوريسلم بوست" تغيرت مواقف بورقيبة بتوجيه انتقاد حاد لإسرائيل و سياستها قائلا: «إن القضية في إسرائيل قضية استيطان استعماري من الخارج». و ساوى بورقيبة بين الاستيطان الصهيوني في فلسطين و الفرنسي في تونس، و دعا إلى تسوية مقبولة كأن تقوم دولة يهودية عربية، أو دولتان بموجب قرار هيئة الأمم 1947م، و دعا إلى جلاء القوات الإسرائيلية من المناطق العربية التي تحتلها³.

سنلاحظ أيضا تعالي صيحات بورقيبة من أجل انتهاء حرب العصابات في الصراع مع إسرائيل، ففي أسبوع فلسطين يوم 5 مارس 1969 م في تونس خطب قائلا: «أنا من طبعي أحب أن تعاون الدبلوماسية الحرب، و الحرب الدبلوماسية، و في الحرب هناك حرب سياسية تهدف إلى عزل العدو في الميدان الدولي لإظهاره بمظهر المتعنت، و هو الذي ضد هيئة الأمم (...). موقفي أنا من قضية فلسطين هو الابتعاد عن الحرب الكلاسيكية و الدخول في حرب العصابات إلى ما لا نهاية له حتى يرجع العدو إلى رشده. لا للحرب، فالجيوش الكلاسيكية لا تقدر على ذلك، و فعلا رأينا ماذا حصل، ففي ستة أيام ذهب كل شيء. و ليس لجيوشنا الوقت الكافي للوصول إلى الجبهة، فليس هناك إلا حرب العصابات هي التي يمكن أن تتغلب على الفارق الموجود ما بين الجيوش النظامية. فلا تترقبوا، فالجزائريون و التونسيون و المغاربة لم يترقبوا أن يأتيهم المدد من الخارج، و لا أن ترسل الجامعة العربية خطة لكفاحهم»⁴. و عليه بدا الموقف التونسي أمام التعنت الإسرائيلي شديد اللهجة بحيث دعا بورقيبة إلى حرب غير

¹ - أبو رقية حسن، المصدر السابق، ص 107.

² - أحمد الشقيري، الهزيمة الكبرى مع الملوك و الرؤساء...، ج2، المصدر السابق، ص 257.

³ - "الاتحاد"، ع. 2، السنة 25، 1968/5/21، ص 4.

⁴ - محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ص 267.

تقليدية متمثلة في حرب العصابات كأسلوب يمكن أن يحدث farkا في هذا الصراع. ربما هذا التغير الطفيف في اتخاذ مواقف أكثر حزما و ثورية من طرف بورقية في اعتقادنا ساهم في تحسن العلاقات التونسية الفلسطينية. حيث تم افتتاح مكتب لم. ت. ف الذي تأخر افتتاحه في تونس إلى عام 1969م بسبب الخلاف بين الشقيري و بورقية. و بدعوة من الديوان السياسي للحزب الاشتراكي الدستوري قدم وفد من اللجنة التنفيذية لم. ت. ف بزيارة تونس من 17 إلى 20 جوان 1968¹. حيث أكد أعضاء الديوان السياسي لهم وجوب اطلاع الشعب بكامل مسؤولياته و صلاحياته في ممارسة قضية تحرير وطنه، و أن يكون العمل الفلسطيني مستقلا عن جميع التأثيرات الخارجية². و برئاسة (إبراهيم بكر) نائب رئيس المنظمة زار وفد فلسطيني أيضا تونس في 16 جوان 1969م مما أثر في تحسن العلاقات بين تونس و المنظمة، حيث منحت الحكومة التونسية مبلغ 190 ألف دولار إلى المنظمة لدعم المقاومة³.

لكن في نطاق الفكر البورقيبي العميق، لا يمكن أن نفهم تغير المواقف إما صعودا أو انحدارا بعيدا عن دائرة الأوضاع الداخلية لتونس، و بعيدا عن المضمار الدولي الذي كثيرا ما يتحكم في مثل هذه المواقف. لذلك لا بد أن نتطرق للأوضاع الداخلية التي كانت تمر بها تونس في تلك الفترة.

حسب المذكرة الإعلامية من المساعد الخاص للرئيس (روستو) إلى الرئيس الأمريكي (جونسون) سنة 1968 م كانت تونس تعاني كثيرا من مشكلة الأمن، إذ أن تراكم الأسلحة السوفياتية في الجزائر من جانب، و قوة عبد الناصر في ليبيا جعل التونسيين يشعرون بالضعف الشديد، و ذكر روستو أن بورقية و ابنه كانا يتحدثان لعدة سنوات عن إمكانية وجود ضمان أمريكي، حيث سيتعين على تونس الاعتماد على المساعدة الخارجية إذا تعرضت للهجوم. و للحصول على بعض التأكيدات بشأن المساعدة، ذهب بورقية إلى حد أن عرض عليهم (أي لروستو و بعض المسؤولين الأمريكيين) سرا استخدام قاعدته البحرية في بنزرت

¹ - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص 187.

² - نفسه، ص 187.

³ - إشراق نوري عبد بخيت السامرائي، المرجع السابق، ص 100.

مقابل هذا التأكيد¹.

و قد أفصحت هذه المذكرة أيضا عن وقوف بورقية ضد إسرائيل فقد جاء فيها: «على الرغم من أن بورقية اتخذ موقفا معتدلا بشأن حق إسرائيل في الوجود إلا أنه يشعر بعمق شديد تجاه الظلم الذي عانى منه الفلسطينيون، بل إنه أدلى بتصريحات مؤخرا مبطنة لصالح الإرهاب² العربي باعتباره السبيل الوحيد لإجبار إسرائيل على الانسحاب»³.

فالأمر الواضح هو أن تونس كانت تعاني من مشاكل أمنية و تنمية في تلك الفترة. ومن وجهة نظرنا إن تشجيع قيام حرب كلاسيكية نظامية لإجبار إسرائيل على الانسحاب من الأراضي المحتلة، قد يجر إليها النظام التونسي (الذي هو في غنى عنها) أمر خطر على تونس، و منه كانت دعوة بورقية الفلسطينيين و العرب إلى حرب عصابات و بذل جهود دبلوماسية قد تخرج بحل للقضية. فكان موقفه المعتدل إلى حد ما هو إرضاء لأطراف عربية (خاصة الجزائر و مصر اللتان كان يعتبرهما خطرا على أمن تونس) و الهيئة الدولية (التي تضم القوى الغربية).

كما أن تقدم بورقية في السن و تدهور حالته الصحية أصبحا يمنعانه من ممارسة سلطته الكاملة سواء على الحكومة أو الحزب، فقد عانى من هجوم تاجي ضخم عام 1967 حيث أصبحت الشؤون العامة للبلاد إلى حد كبير من مسؤولية رئيس الوزراء الهادي نويرة المؤيد لسياسة تونس الخارجية المعتدلة و الموالية للغرب⁴.

كذلك بعد جريمة إسرائيل بحرق المسجد الأقصى في جويلية 1969م تراجعت تونس عن موقفها بشأن مقاطعة اجتماعات الجامعة، فشاركت في اجتماعات وزراء الخارجية العرب الذي عقد في القاهرة عام 1969م، ثم شاركت في مؤتمر القمة العربية الخامس 21 ديسمبر 1969م في الرباط، و قد مثل تونس في هذه القمة الطيب سليم مستشار الرئيس بورقية. و استمرت اللقاءات بين بورقية و بعض مسؤولي المنظمة (خاصة بعد استقالة

¹ - F.R.U.S, information memorandum from the president's special assistant (rustow) to president Johnson, vol.24, 14/5/1968, doc.175.

² - بما أن المذكرة أمريكية فطبيعي أن يطلق على النضال و الكفاح العربي كلمة الإرهاب.

³ - F.R.U.S, nformation memorandum from the president's special assistant (rustow) to president Johnson, vol.24, 14/5/1968, doc.175.

⁴ - F.R.U.S, interagency intelligence memorandum, vol.17, 28/2/1978, doc.196.

الشقيري)، فقد التقى الرئيس في 16 أوت 1970 م وفدا من م.ت.ف في تونس، و نصحهم بإقامة حكومة فلسطينية مؤقتة في المنفى على غرار الحكومة الجزائرية المؤقتة تتخذ من قرار الأمم المتحدة 1947 قاعدة لها، إلا أن المنظمة رفضت ذلك¹.

ثالثا/ بورقية و النزاعات العربية الفلسطينية (الصراع الأردني الفلسطيني-النشاط الفدائي الفلسطيني في لبنان).

بما أن نشاط المنظمات الفدائية و الكفاح المسلح جزء مهم في النضال الوطني الفلسطيني من جهة، و ستكون تونس واحدة من بين الدول التي ستستقبل بعضا من عناصر النضال الفلسطيني من جهة أخرى، فقد كان لزاما علينا أن نتناولها في إطار دراستنا. و في هذا السياق كان بورقية قد أبدى ارتياحا لاستئناف النشاط الفدائي بعد حرب جوان 1967م، ففي ندوة صحفية عقدها في صوفيا العاصمة البلغارية قال فيها: « إن المقاومة و حرب العصابات تشكلان وحدهما أنجع أسلحة الضعفاء الذي يقاومون عدوا منظما، لذلك تلقينا نشاط الفدائيين بتفاؤل و اعتبرناه عنصر إيجابي»².

كان النشاط الفدائي الفلسطيني في أراضي دول الطوق نهاية الستينيات و بداية السبعينيات من القرن العشرين يعاني أزمة حادة بسبب تضيق الخناق عليه. ففي المملكة الأردنية كان الصراع على أشده بين منظمة التحرير و الملك الحسين، و الذي تحول إلى صراع دموي فيما بعد. و قد ذكر شفيق الحوت في السياق ذاته أن طبيعة الأمور كانت تفرض الصدام بين الثورة و الدولة، إذ أن الصدام المسلح ممكن و وارد بين الأشقاء، و أن في استطاعة المصلحة القطرية أو مصلحة النظام أن تشهر السلاح في وجه المصلحة القومية³. استنادا إلى ما طرحته بعض الدراسات يمكن القول أن معركة الكرامة (21 مارس 1968) التي خاضها الفلسطينيون و الأردنيون معا كانت نقطة مفصلية في تاريخ العلاقات بين الطرفين، حيث كان من أبرز نتائجها تزايد شعبية العمل الفدائي و نفوذه على النظام الحاكم، و تغذية المخاوف من خطورة صعود العمل الفدائي على مستقبل الحكم القائم

1 - إشراق نوري عبد بخيت السامرائي، المرجع السابق، ص 101.

2 - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص 187-188.

3 - شفيق الحوت، عشرون عاما...، المصدر السابق، ص 186.

في الأردن¹.

حسب ما رواه أبو إياد حول أسباب الخلاف أن: «الملك الحسين كان يعتقد أن م.ت.ف كانت تسعى إلى سلبه السلطة، خاصة بعد أن سرّ له الملك الحسن الثاني ذات يوم (أي للحسين) بحديث مفاده أن تسلم الفدائيين للسلطة في عمان هو أمر طبيعي. ثم راح الحسين يسأل عرفات بعد ذلك عما إذا كان يطمح حقا إلى الحلّ مكانه، مع إننا لم ننفك نؤكد له أن فتح ألزمت نفسها منذ تأسيسها بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان المضيفة»². أما في الروايات الأردنية التي تروى عن الصراع الأردني الفلسطيني، ما جاء في مذكرات الأمير الأردني (زيد بن شاكر) كما تروىها أرملته، و التي نشرت بعض فصولها "جريدة الشرق الأوسط"، أن الموضوعية و العوامل الواقعية كانت تدفع باتجاه المواجهة بين الدولة و العناصر الفلسطينية لسببين أولهما: كانت هناك شكوك عميقة من كل طرف بنوايا الآخر، و بصورة خاصة من قبل الفصائل الفلسطينية المسلحة. فبالنسبة إليها الملك الحسين متأمر مع الغرب، و سماحه للعمل الفدائي ليس إيمانا منه بضرورة استعادة الضفة بل لأسباب شخصية³.

أما السبب الثاني فيتمثل في أن المنظمة و الفصائل الأخرى كانت ترى نفسها ممثلا ليس للفلسطينيين في الضفة فقط، بل الجميع بمن فيهم الأردنيون من أصول فلسطينية في الأردن، كما رفعت المليشيات (على حد تعبيره) شعارات الأولوية هي تحرير العواصم العربية من الأنظمة الرجعية مثل عمان قبل تحرير القدس و المدن الفلسطينية⁴. فكانت هذه وجهة نظر من جملة وجهات النظر الأردنية حول الأسباب الحقيقية لهذا الصراع.

كما أكد أبو إياد أنه في تلك الفترة كانت المقاومة الفلسطينية تتعرض للخنق ليس من طرف الملك الحسين فقط بل من عبد الناصر أيضا، حيث قال عبد الناصر لعرفات: «كم تظن أنه يلزمكم من السنين كي تدحروا الدولة الصهيونية و تبثوا دولة موحدة على كامل

¹ - محسن محمد صالح: معركة الكرامة 21 مارس 1968 كما تعكسها الوثائق البريطانية، "المجلة العربية للعلوم الإنسانية"، ع83، 2003، ص26.

² - صلاح خلف أبو إياد، المصدر السابق، ص128.

³ - محمد خير الدين رواشدة: سلطة موازية و محاولات اغتيال صعدت الصراع بين الأردن و التنظيمات الفلسطينية (مذكرات الأمير زيد بن شاكر كما تروىها أرملته)، "الشرق الأوسط"، ع.14883، 2019/8/28.

⁴ - محمد خير الدين رواشدة، المرجع السابق.

فلسطين؟ و يذكر أنه كان يأخذ عليهم (أي عبد الناصر) ممارستنا غير الواقعية، و قال أن دولة في الضفة الغربية و غزة خير من لا شيء¹.

و عن الممارسات الفلسطينية التي أثارت حكومة الأردن و من ثم توجيه غضبها ضد العمل الفدائي، يذكر الباحث التونسي إدريس رائسي أن تصرفات بعض الفصائل الفلسطينية في المملكة الأردنية وصلت حداً مأساوياً في نهاية أوت 1970م، بحيث أن ما زاد الوضع تأزماً هو عمليات خطف الطائرات التي تبنتها الجبهة الشعبية بقيادة (جورج حبش) في الفترة ما بين 6 و 9 سبتمبر 1970م، و تحويل وجهتها إلى مطار في الصحراء الأردنية و احتجاز ركبها²، الأمر الذي أخرج الحكومة الأردنية. و هناك من يأخذ على الفدائيين الفلسطينيين بأنهم صاروا يتصرفون في الأردن و كأنهم أصحاب القرار، حيث خرجوا من مخيماتهم و من معاقلم الطبيعية و انتشروا في المدن و تغلغلوا في الأزقة و الأحياء حاملين سلاحهم على نواصي الشوارع، و هو ما أدى إلى وقوع صدام بينهم وبين الجيش و الشرطة الأردنيين³.

و قد أشير لذلك في مذكرات زيد بن شاكر بحيث أن ردود الفعل الإسرائيلية على ما يقوم به الفدائيون كانت تدفع بهم و قياداتهم إلى الخروج من القواعد و التخلي عنها و التوجه نحو المدن، فكان انتقال المعسكرات إلى المدن أولى محطات الاحتكاك الحقيقية التي أُنذرت بما هو أسوأ⁴.

وصف رائسي هذا الوضع قائلاً: « إن المنظمات الفلسطينية أصبحت تعيش حالة من التطرف السياسي أو المراهقة السياسية، و تنبذ العمل السياسي أسوة بفتح التي كانت شعاراتها معادية للعمل السياسي، و تقدر البندقية و الكفاح المسلح»⁵.

لتدارك الأوضاع، أصدرت الحكومة الأردنية قراراً بمنع إطلاق النار في المدن، و منع التجول بالسلاح، و منع جميع المظاهرات و التجمعات و جميع النشرات و المطبوعات الصادرة خلافاً للأصول المرعية، و على إثر ذلك صدر بيان حمل توقيع 11 منظمة فدائية يرفض

¹ - صلاح خلف أبو إياد، المصدر السابق، ص 135.

² - في 6 سبتمبر 1970 قامت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بخطف طائرات تجارية نافثة سويسرية و أمريكية، ثم أرغمتها على التوجه إلى مطار جوسون في الصحراء الأردنية. إدريس رائسي، المرجع السابق، ج 2، ص 667.

³ - إدريس رائسي، المرجع السابق، ج 2، ص 655.

⁴ - محمد خير الدين رواشدة، المرجع السابق.

⁵ - إدريس رائسي، المرجع السابق، ج 2، ص 655، 658.

قرارات الحكومة ويحذر الشعب مما يبيت للمقاومة¹.

ذكر رئيسي أن تجاوزات المنظمات الفدائية ما بين 1967 و1971 وصلت 31 ألف حالة تجاوز، منها قذف قنابل يدوية و القتل العمدي، تصفية بعض الضباط. و وصل الخطاب السياسي المتطرف لدى بعض المنظمات الفدائية إلى مرحلة متقدمة باستثناء فتح، إذ أصبحت تتبنى علنا إسقاط النظام تحت شعار لا سلطة فوق سلطة المقاومة، الأمر الذي حدا بالملك إلى التلويح بورقة الشرعية و ضبط النظام و إنهاء حالة الفوضى².

بعد أحداث أخرى، اندلعت مواجهة دموية بين النظام الأردني و المقاومة الفلسطينية، انتهت بتمكن الأردن من السيطرة على مجمل البلاد و تراجع المقاومة.

و صف ناجي علوش وضع المقاومة الفلسطينية في الأردن في تلك الفترة قائلا:

« ظلت المقاومة الفلسطينية تعاني من نقائص أساسية، فلم تستطع أن تبني جبهة وطنية موحدة تضم كل القوى الوطنية المعادية للصهيونية، و ظلت محاولات بناء الجبهة تصطدم بضيق الأفق و النظرة الذاتية و العقلية الفردية و الارتباطات العربية، و لم تستطع أن تضرب بجذورها في الأرض العربية. و كانت تتحول إلى قوة سياسية و عسكرية متناقضة مع واقع العجز و الخضوع، و كان الواقع العربي مشدودا إلى عجزه، و كان أن خسرت بخسارة الأردن قاعدتها الارتكازية و موقع الاتصال مع جماهيرها في الداخل»³.

لكن لم يقف الأمر عند هذا الحد بل حاول رجال المقاومة الانتقام من النظام الأردني، فهزيمة أحداث سبتمبر مثلت للفلسطينيين منعرجا حاسما. و كان وصفي التل محل النقمة لدوره الذي اعتبروه حاسما في بسط نفوذ الحكومة إبان المواجهات⁴. فتم اغتياله في فندق شيراتون بالقاهرة و بذلك تم الاقتصاص و أعدم أحد جلادي (كما يوصف بذلك) الشعب الفلسطيني، في توجيه رسالة إلى كافة من يحاولون التضحية بمصالح الشعب الفلسطيني على حد تعبير أبو إياد⁵.

¹ - عبد الله محمود عياش، جيش التحرير الفلسطيني و قوات التحرير الشعبية و دورهما في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي (1964-

1973)، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت، 2014، ص 451.

² - إدريس رئيسي، المرجع السابق، ج 2، ص 660-661.

³ - ناجي علوش، خط النضال و القتال و خط التسوية و التصفية، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1982، ص 16-17-18.

⁴ - إدريس رئيسي، المرجع السابق، ج 2، ص 703.

⁵ - صلاح خلف أبو إياد، المصدر السابق، ص 159.

بالعودة إلى دور تونس في هذه الأحداث، فقد كانت الأخيرة على رأس قائمة الدول التي ساهمت في حل النزاع الأردني الفلسطيني بطرق سلمية، هذا النزاع الذي أطلقت عليه تسميات عديدة منها أيلول الأسود¹. فعند انفجار الوضع في عمان 1970م، ناشد بورقية كلا من الملك الحسين و ياسر عرفات (الذي كان قد سمي على رأس قيادة م.ت.ف) وقف القتال، و تقدمت تونس بمبادرة عملية للملوك و الرؤساء العرب لعقد قمة ندوة عربية لوقف تيار الحرب الأهلية التي عصفت بالأردن و المقاومة².

في 26 سبتمبر 1970م، أجرى الرؤساء العرب مشاورات بحضور عرفات³، توصلوا فيها إلى إقرار مشروع اتفاق بين الحكومة الأردنية و المقاومة الفلسطينية ينص على تشكيل لجنة عليا برئاسة الباهي الأدغم، و ممثل عن الحكومة الأردنية و آخر عن المقاومة و ثلاث لجان عسكرية من ضباط حرب للإشراف على وقف إطلاق النار، و تنفيذ الاتفاق الذي عرف باتفاق القاهرة⁴.

أبرق الرئيس جمال عبد الناصر فور انتهاء الاجتماع إلى الرئيس بورقية يقول له: «لقد توصلت اجتماعاتنا في القاهرة إلى نتيجة مرضية، و قد نصت الاتفاقية على تكوين لجنة خاصة لمتابعة التنفيذ و استقر رأينا جميعا على استئذانكم لاختيار الأخ الباهي الأدغم⁵ رئيس وزراءكم لرئاسة هذه اللجنة، و إني باسم الملوك والرؤساء المجتمعين في القاهرة، أرجو الموافقة على هذا الاختيار، و يشجعنا أن الفكرة في عقد المؤتمر كانت نابذة منكم، و لكم أصدق

¹ - أبو إياد يقول أنها لم تكن منظمة إرهابية بل تعرف كرديف ملحق بالمقاومة، في حين الذي لم يكن بوسع هذه الأخيرة أن تضطلع بمهامها العسكرية و السياسية كاملة و قد أكد أعضاؤها أنهم ليس لهم صلة بفتح أو حركة التحرير الفلسطينية. نفسه، ص160.

² - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص219.

³ - كان هناك الملك الحسين و أعضاء الوفد الذي أرسله رؤساء الدول العربية من القاهرة للتوصل إلى وقف المعارك، كان يقود الوفد الرئيس السوداني جعفر النميري، رئيس الوزراء التونسي الباهي الأدغم، و وزير الدفاع الكويتي سعد العبد الله، رئيس المكتب الثاني المصري الفريق صادق. صلاح خلف أبو إياد، المصدر السابق، ص144.

⁴ - عبد الله محمود عياش، المرجع السابق، ص466.

⁵ - و يشيد السياسي الفلسطيني أكرم زعيتر في كتابه "سنوات الأزمة" عن دور الباهي الأدغم في الوفاق بين الأردن و حركة المقاومة الفلسطينية و حنكته السياسية، حيث قال: «إن الباهي الأدغم قال في اجتماع القاهرة أن منطقة الشرق الأوسط ستري تحولا جذريا إذا تركت الأمور دون معالجة، و أوما إلى أن عزل الأردن من شأنه أن يجلب هذا الخطر، فقلت إني أعرف الباهي الأدغم و هو من انضج رجالات تفكيراً و أسلمهم تدبيراً». ينظر: أكرم زعيتر، يوميات أكرم زعيتر سنوات الأزمة (1967-1970)، المركز العربي للأبحاث و دراسة السياسات، بيروت، 2019.

التحية»¹.

أبدى ياسر عرفات هو الآخر ارتياحا للجهود المبذولة في حل النزاع قائلا: « لقد سرني ما لمستته لدى إخواني القادة من حرص على مصلحة بلدنا ومصير أمتنا، و ما تجسد من توفير أسباب النجاح للاتفاق المبارك و ذلك باختيار الأخ السيد الباهي الأدغم لرئاسة اللجنة العليا للإشراف على تنفيذ الاتفاق و وقف إطلاق النار». و قد نشرت في تونس برقية من الرئيس بورقية يجيب فيها على برقية الرئيس جمال عبد الناصر وفيها يقترح أن تتألف اللجنة من ثلاثة من نواب رؤساء الدول العربية بسبب ضخامة المسؤولية الملقاة على اللجنة، غير أنها أخذت على نفسها تطبيق الاتفاقية والحيلولة دون تفاقم الوضع².

في 27 سبتمبر وصل الأدغم إلى عمان و عقد سلسلة من الاجتماعات مع المسؤولين الأردنيين و حركة المقاومة، واستجابة إلى البيان الذي صدر عن اللجنة المتابعة لوقف إطلاق النار و الانسحاب من عمان، بدأ الهدوء ينتشر منذ بدايات شهر أكتوبر إلى أن توقف إطلاق النار³.

كانت شروط الاتفاق بعد أحداث سبتمبر أن تبقى لم. ت. ف حرية عمل واسعة و تسمح لمليشياتها بالبقاء في المدن، لكن كان ثمة بند لم يتقبله الملك الحسين و هو البند الذي يعترف بم. ت. ف كممثل شرعي وحيد للشعب الفلسطيني⁴.

اعترافا منه بالدور الفعال و تقديرا للجهود الدبلوماسية التي قامت بها تونس في هذه الأزمة صرح عرفات: « إن تونس بلد ساهم في حقن الدماء في الأردن، و أعطى من فكره الكثير ليستتب الأمن بها»⁵. و أقر بأن: « دعوة بورقية إلى عقد مؤتمر قمة عندما رأى أن الدم يسيل في عمان كانت جزءا من المشاركة القلبية الوجدانية للحفاظ على مسيرة الثورة الفلسطينية»⁶.

استطاعت تونس من خلال بادرة التوفيق هذه استعادة مكانتها في العالم العربي، و بدأ

1 - أكرم زعيتر ، المصدر السابق.

2 - نفسه.

3 - عبد الله محمود عياش، المرجع السابق، ص466.

4 - صلاح خلف، المصدر السابق، صص144، 150.

5 - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص221.

6 - " الثورة الفلسطينية"، ع.31، جانفي 1971، دمشق، ص5.

العرب يدركون أن بورقية هو صاحب رؤية واقعية¹.

أما بورقية فقد أبدى امتعاضه و غضبه من الممارسات العدوانية التي قام بها الملك الحسين تجاه الفلسطينيين. ففي حديث له مع السفير الأردني 1973م معبرا عن عدم رضاه عن تصرفات الحسين صرح قائلاً: « (...) رغم عدم موافقتي على بعض تصرفاته و منها حوادث 1970 عند قصف اللاجئين الفلسطينيين و الفدائيين بالمدافع وطردهم من الأردن اتقاء رد فعل إسرائيل في صورة تسريحهم لها عن طريق الأردن. لقد قمنا بالواجب إزاء الثورة الجزائرية، فمن الواجب أيضا السماح للفدائيين الفلسطينيين بالتسرب إلى مواقع العدو إلى أن يحمل ذلك العدو في نهاية الأمر على قبول الحل الوسط»².

و تضامنا مع ضحايا الأحداث الدموية في الأردن قرر الحزب الاشتراكي الدستوري و المنظمات القومية التونسية تنظيم أسبوع لجمع التبرعات لفائدة الضحايا و تكوين لجان لهذا الغرض، و ساهمت الحكومة بـ 100 ألف دينار لفائدة المتضررين في حوادث الأردن³.

كما رأى بورقية في حرب المقاومة الفلسطينية في الأردن إثر أحداث سبتمبر إضعافا للموقف الفلسطيني بعد فقدان المقاومة لقاعدتها الارتكازية، و هي مؤشرات كانت بالنسبة إليه محاولة تهدف إلى تصفية القضية الفلسطينية و ضرب مقوماتها الأساسية، كما عد بورقية مشروع المملكة المتحدة⁴ الذي طرحه الملك الأردني بمثابة مصادرة لحقوق الشعب الفلسطيني⁵.
تُجاه أزمة النشاط الفدائي في لبنان سنة 1969م تصدت تونس بكل حزم لمحاولات تقويض المقاومة الفلسطينية هناك. و صرحت بأنه من الواجب على الدول المجاورة لفلسطين أن تمنح كفاح الشعب الفلسطيني المساندة الكاملة مع العمل على تنظيم و حسن تسيير شؤونها. و أن يبرهن الطرفان حسن التفهم، فيقبل البلد المضيف حرية العمل للمقاومين، و

¹ - mohamed haouat, op.cit,p97.

² - إدريس رايسي، المرجع السابق، ج2، ص719.

³ - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص219.

⁴ - بتاريخ 15مارس 1972 أعلن الملك الحسين في مؤتمر قومي بعمان مشروع المملكة المتحدة و صيانة الوحدة الأردنية الفلسطينية على أسس جديدة أهم مرتكزاتها: تصبح المملكة الأردنية مملكة عربية متحدة ستتكون من قطرين الأردن (الضفة الشرقية) و قطر فلسطين (الضفة الغربية) و أي أراضي يتم تحريرها، و عمان العاصمة المركزية للملكة و رئيس الدولة هو الملك. إدريس رايسي، المرجع السابق، ج2، ص687.

⁵ - نفسه، ص707.

هم يحترمون سيادة الدولة و مقتضيات الأمن العمومي. و ما دام الكفاح الفلسطيني لا جدال فيه فإنه مما لا شك فيه أنه لا يكون إلا انطلاقاً من الدول المجاورة و لا سبيل إلى دولة لبنان إلا أن تتاصر قضية فلسطين، و إلا صارت المناصرة الكلامية غير ذي جدوى¹.

يمكن القول أن بورقية كانت له نظرة ثاقبة في نظرنا حين طلب من من م. ت. ف أن تباشر عملها بشكل أساسي من الأراضي الفلسطينية، لأن الأحداث التي جرت في الأردن و في لبنان و التحديات العسيرة التي واجهتها فيما بعد أثبتت مدى صحة رؤيته.

رغم الدور البارز الذي أبدته تونس في فض النزاع الأردني الفلسطيني، إلا أن قيادة المنظمة لم تبد قبولها الرسمي للمرحلية التي نادى بها بورقية. ففي حديث صحفي أجراه ثلة من الصحفيين التونسيين مع ياسر عرفات سنة 1971م (بعد الأحداث التي جرت في الأردن)، نوقشت فيه أزمة الثورة الفلسطينية و كذا المرحلية التي نادى بها بورقية، حيث طرح الإعلامي التونسي (الهادي الغالي) سؤالاً على عرفات جاء فيه: « إن الثورة الفلسطينية دائماً متخوفة من جيرانها، الدول العربية، الأردن و حتى سوريا، إن الثورة الفلسطينية في الظروف الحالية متخوفة من جواربها. كيف تستطيع أن تركز هذا الاطمئنان الذي سيفرض عليها النفس الطويل (طول النضال)، فما هو الحل الذي تتصورونه لحل مشكلة الثورة؟ فكان رد عرفات: « أنت لم تكن تطالب الثورة التونسية أن تتنازل عن جزء من التراب التونسي، نحن ما يقدم الآن لإنشاء الدولة الفلسطينية (المسخ)، يقدم أمام ثمن باهض و هو أن يوقع هذا الجيل و أن توقع الثورة الفلسطينية و الدول العربية بأن بقية الأرض ليست عربية إنما هي أرض إسرائيلية. هذا هو الثمن المفروض مقابل هذه الأرض، من يستطيع أن يرتكب هذا الجرم؟ فرد الغالي: « حديثنا عن المرحلية ليس معناه قبول بالصفة العربية، هنا المرحلية كمبدأ فقط». فأجاب عرفات بأنه في السياسة أو الحرب ليست هناك شعارات ترفع، و لكن هناك ممارسة و هناك قواعد ثابتة لا تستطيع الثورة بالذات أن تتخلى عنها. و هناك نقطة هامة و هي أنه يجب على هذا الجيل أن يضل أناس فيه تقول لن نتنازل عن جزء واحد من هذه الأرض، هذا الجيل هذا الطرف هو الطرف الفلسطيني ربما، و لكن من الجريمة أن هذا الجيل يرتكب جريمتين الأولى أنه غير قادر على التحرير، و الثانية أنه يمضي على عدم التحرير للأجيال القادمة².

و أبدى عرفات موقفاً حازماً من المرحلية التي كان قد نادى بها بورقية قائلاً: « أظن أنه إن كان هذا الجيل ليس قادراً على التحرير، فلا يوقع بالنيابة عن الأجيال القادمة فليدع

¹ - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص 218.

² - "الثورة الفلسطينية"، ع. 31، جانفي 1971، دمشق، ص 5.

لهم تلك الفرصة، إننا نرفض المرحلية التي تؤدي إلى طريق مسدود. و رغم أن تجارب الشعوب تغذي بعضها البعض، لكن لا نستطيع أن نأتي بثورة ثم نضع نسخة تحتها و نأتي بثورة ثانية، فلكل ثورة ظروفها الموضوعية»¹. رغم أن أنه في هذا التصريح لم يشر إلى بورقية صراحة إلا أن الحديث عن المرحلية و الواقعية تؤكد أنه المقصود من هذا الكلام. و عليه إن الأزمة التي عايشتها الثورة الفلسطينية في دول الطوق كانت تدفع ببورقية لطرح الخيار المرحلي من جديد و التأكيد على مدى أهميته في ظل تلك الأوضاع، و إبداء نوع من الانفتاح على مشاريع السلام التي ستطرح فيما بعد.

رابعا/ بورقية و مشاريع السلام الأجنبية (مشروع روجرز 1970).

كانت الأوضاع في المشرق على أشدها بعد حرب 1967 حيث تزايد الصراع العربي الإسرائيلي (حرب الإستنزاف) من أجل استرجاع الأراضي العربي المحتلة، و كان أن تقدمت الوم أ بمبادرة من أجل ايجاد حل لهذا الصراع أطلق عليها مشروع روجرز نسبة إلى صاحبه وزير الخارجية الأمريكي (وليام روجرز) الذي أطلقه لأول مرة في خطاب له يوم 9 ديسمبر 1969م.

من بين النقاط الهامة التي تناولها هذا الخطاب هو انسحاب إسرائيل من الأراضي العربية المحتلة في حرب جوان 1967، مقابل ضمانات عربية للوصول إلى التزام مبرم للسلام، و ادخال تعديلات طفيفة على الحدود يتم الاتفاق عليها من خلال المفاوضات².

كان موقف تونس من هذا الخطاب حسب ما ذكره روجرز في تقرير له عن زيارته لتونس بعد خطابه، و بعد أن تم استقباله هناك بحرارة، شعر أن لدى أمريكا صديقا مخلصا في تونس، و قد وجد روجرز أن التونسيين كانوا منشغلين بالوضع في الشرق الأوسط، و ذكر أنه في نقاش صريح له مع وزير الخارجية بورقية الابن و أعضاء في مجلس الوزراء حول الشرق الأوسط تحدثوا علنا بشكل إيجابي عن خطابه، لكن على غرار المغرب و الجزائر اتخذ

¹ - "الثورة الفلسطينية"، ع. 31، جانفي 1971، دمشق، ص5.

² - مؤسسة الدراسات الفلسطينية، مشروع روجرز، على الرابط:

https://oldwebsite.palestinestudies.org/ar/resources/documents/?field_doc_keywords_tid=%D8%AE%D8%B7%D8%A9%20%D8%B1%D9%88%D8%AC%D8%B1%D8%B2%201969

التونسيون موقفا محابيا للفلسطينيين¹.

في أول ماي 1970 م ألقى عبد الناصر خطابا سياسيا حذر فيه من أن تمادي السياسة الأمريكية في انحيازها المطلق إلى الجانب الإسرائيلي قد بلغ حد التطرف، و طالبها إذا ما كانت تريد السلام في الشرق الأوسط أن تأمر إسرائيل بالانسحاب من الأراضي العربية التي احتلتها بعد حرب جوان، و كان محتوى النداء يشير بوضوح بأنه في حالة عدم استجابة أمريكا له فإن وجودها السياسي و الإستراتيجي سوف يتعرض للدمار في المنطقة². و بعدها أعرب الرئيس الأمريكي نيكسون (Nixon) عن طرح مبادرة سلام في الشرق الأوسط في جوان 1970 وضع صيغتها روجرز³.

فحوى تلك المبادرة هو أن توافق الجمهورية المتحدة و إسرائيل على وقف إطلاق النار لمدة 90 يوما، و أن توافق الدول المعنية على التصريح التالي: أنها بعد أن قبلت بتنفيذ قرار 242 بكل اجزائه فإنها سوف تعين ممثلين لها في المناقشات، بحيث أن الهدف من هذه الأخيرة هو إقامة السلام الدائم مستندا إلى القرار من جانب الأطراف بسيادة الأراضي و الاستقلال السياسي، و الانسحاب من الأراضي المحتلة عام 1967 طبقا لقرار مجلس الأمن 242⁴.

أعلن عبد الناصر موافقته على المقترحات و علل موقفه هذا بأن المشروع لا يختلف عن قرار مجلس الأمن الدولي الصادر في نوفمبر 1967، و أضاف أن القول أننا لن نرد على أمريكا هو أمر يعطي سببا حتى تحصل إسرائيل على الأسلحة من أمريكا، و بحجة أن إسرائيل تريد السلام بينما نريد الحرب، و أعلنت الحكومة الأردنية و الكويت و السودان و لبنان

¹ - F.R.U.S, momorandum from the president's assistant for national security affairs (Kissinger) to president Nixon, vol.5, prt.2, 13/2/1970, doc144.

² - وزارة الثقافة و الإعلام، قضية المصير العربي بين قرار مجلس الأمن الدولي و مشروع روجرز، ايضاح من مصدر مسؤول حول رسالة عبد الناصر، وثيقة رقم 64، لبنان، 1970، ص ص3-4.

³ - من الاقتراحات الهامة التي جاء بها مشروع روجرز جعل الحكومة الأردنية هي الوصية الوحيدة على اللاجئين الفلسطينيين، سواء منهم من هو في رعاية وكالة الغوث الدولية أو كان في ضيافة الأقطار العربية، و بذلك أصبح موضوع اللاجئين من مواضيع الحكومة الأردنية. نفسه، ص14.

⁴ - مؤسسة الدراسات الفلسطينية، مشروع روجرز، على الرابط:

https://oldwebsite.palestinestudies.org/ar/resources/documents/?field_doc_keywords_tid=%D8%AE%D8%B7%D8%A9%20%D8%B1%D9%88%D8%AC%D8%B1%D8%B2%201969

موافقتها¹.

بالنسبة لمشروع روجرز الأمريكي الرسمي أكدت تونس على لسان رئيسها في المؤتمر الثالث لدول عدم الانحياز بأنها تواصل تقديم مساعدتها إلى الإخوان الفلسطينيين الذين لهم وحدهم في النهاية أهلية وضع الخطط. و أنها تتخذ موقفا محددا من أي مشروع عندما يمس قضية فلسطين التي على العرب جميعا أن يفصلوها نهائيا عن قضية تصفية آثار عدوان جوان 1967، و أن تونس الرسمية لا يتطلب منها أن توافق أو لا توافق على مشروع روجرز أو غيره من مشاريع السلام لأن المشروع لا يعني إلا الأطراف المتقابلة في النزاع².

و عليه جاء ذلك التصريح مبهما غير واضح المعالم فلم يبد موافقته أو عدم موافقته على هذا المشروع، و أوضح أن قضية فلسطين شيء و قضية تصفية آثار حرب 1967م شيء آخر. لكن كما هو متداول في الكثير من المصادر التاريخية أن تونس كانت في غالب الأحيان تؤيد مشاريع السلام العالمي خاصة و أن المبادرة جاءت من حليفها أمريكا، غير أن موقفها بدا حياديا و غير منحاز لحليفها التقليدي فما هو السبب وراء ذلك؟

في اعتقادنا إن طبيعة العلاقات بين تونس و أمريكا في تلك الفترة هي من تحكمت في هذا الموقف. ففي مذكرة صادرة في أكتوبر 1970 م من مساعد الرئيس لشؤون الأمن القومي هنري كيسنجر (Kissinger) إلى الرئيس نيكسون ، يريد أن يطلع فيها الوزير روجرز الرئيس نيكسون أن هناك بعض التوترات التي كانت تتطور على مهل مع تونس، حيث جاء فيها: « إن التونسيين قلقين من قدرة أمريكا على تلبية متطلباتهم التنموية و الأمنية، و قد أشرت إلى نجل بورقية، بأننا سنكون قادرين على المساعدة الاقتصادية و العسكرية و هذا ما رفع من معنوياتهم، و مع ذلك أصبح من الواضح أننا لن نكون قادرين على توفير 9 ملايين دولار من مبيعات المواد الغذائية بشروط ميسرة و لا تقديم مساعدة عسكرية إضافية كبيرة لتونس»³.

من وجهة نظرنا و استنادا لتلك المذكرة فإن تشكيك التونسيين في قدرة أمريكا على تقديم الدعم و تماطلها كان عاملا مهما في موقف تونس الرسمي (التي كانت بحاجة ماسة لدعم مشاريعها التنموية) تجاه مبادرة السلام الأمريكية، و ليس كون المبادرة تهم أطراف النزاع

¹ - وزارة الثقافة و الإعلام، قضية المصير العربي ...، المصدر السابق، ص ص 5-6، 8.

² - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص ص 205-206.

³ - F.R.U.S, memorandum from Kissinger to Nixon, vol.5, prt.2, 7/10/1970, doc146.

فقط كما صُرح بذلك أو أنها لا تعالج القضية الرئيسية و هي قضية فلسطين.

لكن رغم هذا إلا أن تونس سعت جاهدة في هذه الفترة إلى البحث عن تسوية للقضية الفلسطينية. ففي مذكرة من هارولد سوندرز (harold saunders) أحد موظفي مجلس الأمن القومي إلى كيسنجر جاء فيها: « لقد أوضح المصمودي بعض النقاط الرئيسية للوزير روجرز أمس (28 أكتوبر 1971) منها: أنه يشعر أن هناك إمكانية تحقيق السلام في الشرق الأوسط لكن كل شيء يعتمد على الو. م. أ و إسرائيل، و سيتعين على الأمريكيين الضغط على الإسرائيليين ليكونوا أكثر استعدادا إذا كانت هناك فرصة للتسوية، و يجب أن تأخذ كل تسوية سلمية في الاعتبار رغبات الفلسطينيين. و يجب على العرب و الإسرائيليين و الو. م. أ الاعتراف بالحقوق المشروعة لهم. و توفير وطن فلسطيني إذا كان لأي تسوية سلمية أن تستمر على المدى الطويل. كما أن تونس مهتمة بانخفاض المساعدة الاقتصادية الأمريكية (كانت لدى تونس قائمة تسوق بقيمة 50 إلى 60 مليون دولار)، لكن المخصصات الكاملة لخطة عمل البحر المتوسط لجميع إفريقيا هي 20 دولار فقط، مع 3 ملايين دولار مبرمجة لتونس»¹.

في اعتقادنا هذا ما زاد من سوء العلاقات مع الو. م. أ و هو ما أثر بشكل مباشر على الموقف التونسي من قضية فلسطين، إذ ازدادت مواقفهم حدة و مواجهة للأمريكيين و الإسرائيليين من أجل النظر بعين الاعتبار لمطالب الفلسطينيين و منها حقهم في وطنهم.

خامسا/ حرب أكتوبر 1973 م و دور بورقية فيها.

قبل نشوب حرب أكتوبر 1973م تواصل النشاط الدبلوماسي لبورقية في مواجهة الساسة الإسرائيليين، و تجددت اللقاءات الفلسطينية التونسية، ففي 17 جانفي 1973م زار رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ياسر عرفات تونس، أين أجرى مباحثات مع بورقية و وزير خارجيته آنذاك محمد المصمودي، تناقشوا في شأن اجتماع وزراء الخارجية و الدفاع العرب الذي كان من المزمع عقده في فيفري 1973. و كان الوضع المتأزم عقب هزيمة 1967م و حالات التفكك التي شابت العلاقات العربية العربية، و القوى الفلسطينية مع بعض الأنظمة العربية التي حاولت تصفية القضية دفعت بورقية لإعادة طرح وجهة نظره تجاه القضية الفلسطينية من جديد².

اعتبارا من ذلك كان بورقية يستغل كل فرصة سانحة للتعبير عن موقفه، فأمام

¹ - F.R.U.S, memorandum from Kissinger to Nixon, vol.5, prt.2, 29 /10/1970, doc147.

² - إدريس رائسي، المرجع السابق، ج2، ص ص 707-708.

الأوضاع العربية المتردية، و وقوف الدول العربية في موقف ضعف وجد بورقيبة أن الظرف سانح لإعادة طرح حله للقضية الفلسطينية.

تحدث بورقيبة للتلفزيون اليوغوسلافي في 23 فيفري 1973 م، و أكد أن الحل الوحيد لمشكلة الشرق الأوسط يتمثل في الاعتراف بحق الشعب الفلسطيني، و السعي إلى إيجاد حل يكون مقبولا من الفلسطينيين و الإسرائيليين، مشيرا إلى أن هناك تغيرا في السياسة العربية التي باتت مستعدة للاعتراف بإسرائيل ضمن الحدود التي سطرها هيئة الأمم، و في صورة ما إذا وافقت الحكومة الصهيونية على المطالب العربية¹.

ثم توالى تصريحات بورقيبة حول ضرورة الحل السلمي استنادا لمقررات هيئة الأمم، فذكر في حديث صحفي لجريدة "كوريري دلاسير" الإيطالية: « اعتمادا على تجربتي في كفاح دام نحو نصف قرن من أجل تحرير بلدي، فقد سبق أن ناديت باسمي الشخصي لا باسم الفلسطينيين أو باسم العرب، بأن أهون الشر قد يكون تقسيم هذه الأرض التي يتنازع عليها شعبان طبقا لرسم الحدود الذي قرره منظمة الأمم المتحدة. أعتقد أن الأمريكيين يمكن أن يتحادثوا مع الفلسطينيين و أن يكفوا على اعتبارهم مجرد لاجئين و عن إهانتهم بتلك الصورة»². كان بورقيبة يرى أن السلام يمكن تحقيقه إذا ما كثفت الو.م.أ من مساعيها الدبلوماسية بطريقة نزيهة دون تمييز، و طلب من الدول الأوروبية أن تمارس ضغطا على أمريكا للتدخل لحل أزمة السلام. و رفض أن يكون الوسيط بين العرب و إسرائيل، مؤكدا أن المفاوضات هي الحل قائلا: « إني لا أبغي أن أزعج بنفسي في مشكلة وساطة لأن الوسيط يلاقي تعنت من الجانبين و فيما يتعلق بالجزئيات التطبيقية فإنه يمكن التناقص»³. غير أن هناك من الروايات التاريخية من تنفي ذلك و تؤكد أن بورقيبة قد أعلن أنه مستعد في أي وقت للمناقشة في أي مكان و أي وقت مع ممثل إسرائيل، إذا كان هذا يمكن أن يؤدي إلى حل وسط على أساس تقسيم هيئة الأمم المتحدة⁴1947.

و قد رد وزير خارجية إسرائيل أبا ايان على مبادرة و دعوة بورقيبة للعودة للحدود التي

¹ - إدريس رائسي، المرجع السابق، ج2 نفسه، ص708.

² - نفسه، ص ص 709-710.

³ - نفسه، ص711.

⁴ - sophie besis, souhayr belhassen, bourguiba un si long règne..., op.cit,p 116.

سظرتها هيئة الأمم خاصة فيما تعلق بقرار 181 سنة 1947، بأن هذا الأخير أصبح لاغيا بالنسبة لإسرائيل، فكان رد بورقية: « إذا كان قرار 181 صار باطل المفعول، فالأحرى أن يكون كذلك في خصوص إنشاء إسرائيل التي لولاه لما كان لها وجود»¹.

بعدها في 19 جوان 1973م و من على منبر الدورة الرابعة و الثمانين لمنظمة العمل الدولية في جنيف، عاد بورقية مدويا إلى مسألة الشرق الأوسط، و كان قبل ذلك بشهر قد استقبل في تونس الرئيس المصري أنور السادات و ابتهج لما أظهره هذا الأخير من مناهضة للسوفيات، و نبذه لميول الهيمنة لدى عبد الناصر، و كرّر له أنه لا يؤمن بفاعلية الحرب الكلاسيكية لحل الصراع في الشرق الأوسط، و أن المقاومة الفلسطينية الحازمة هي وحدها التي يمكن أن تسهل نتيجة الحلول الدبلوماسية، و أن الوقت قد حان لإطلاق مبادرة سلام جديدة².

لكن رغم هذه الجهود إلا أنها قوبلت بتعنت إسرائيلي حاد. فردّا على سؤال مراسل صحيفة "النهار البيروتية" حول تصريحات رئيسة الوزراء إسرائيل غولدا مائير، أجاب بورقية: « إن السيدة مائير قالت إنها مستعدة لمقابلة أي شخص دون شرط مسبق، لكن هذا غير صحيح لأن الشرط المسبق هي التي خلقتة و هو الاستمرار في ضم الأراضي العربية، فهي التي تفرض الشرط المسبق بحيث لا يمكن لأي زعيم عربي أن يتفاوض معها»³.

و قد عبر بورقية عن قتل مبادرته نتيجة تعنت إسرائيل قائلا: « أقول الآن عنها أنها لم تؤد إلى نتيجة بسبب إسرائيل و مركب الغرور، اليوم أقول أن فكري فشلت على أن حلي الوسط هو الحل الأفضل»⁴.

انتقالا إلى دور تونس و بورقية في حرب أكتوبر، فحسب الشهادات التي أدلى بها سعد الدين الشاذلي⁵ في مذكراته أنه قبيل الحرب و استعدادا لها أعد مشروعا يرمي إلى تعبئة

¹ - إدريس رايسي، ج2، المرجع السابق، ص716.

² - sophie bessi, souhayr belhassen, bourguiba un si long règne..., op.cit, p116.

³ - "الاتحاد"، ع. 17-30، 1973/7/10، ص6.

⁴ - إدريس رايسي، ج2، المرجع السابق، ص717.

⁵ - تولى منصب الأمين العام المساعد للجامعة العربية للشؤون العسكرية، و من ثم رئيسا للجنة الاستشارية العسكرية للجامعة العربية و التي تتكون من رؤساء أركان حرب القوات المسلحة في جميع الدول العربية. سعد الدين الشاذلي، مذكرات حرب أكتوبر، دار بحوث الشرق الأوسط الأمريكية، سان فرانسيسكو، 2003، ص193.

الإمكانات العسكرية الفعلية في الدول العربية، ثم قام بزيارة للدول التي أوصى بها القرار بأن تقوم بتدعيم دول المواجهة بالوحدات. و بعد تقييم الدعم من ناحية قوة التأثير تصدرت العراق المركز الأول، ثم تليها الجزائر، ليبيا، الأردن، المغرب، السودان، الكويت، و أخيرا تونس التي قدمت كتية مشاة على الجبهة المصرية. و قد أشار الشاذلي في هذا الصدد أن دول المواجهة لا يعوزها فرق مشاة إنما تعوزها الطائرات و الدبابات و الصواريخ¹. في إشارة منه إلى أن هذا الدعم التونسي كان ضئيلا. و لم يمد دول المواجهة بما تحتاجه فعلا.

في مقابل ذلك نتحدث غولدا عن مساعدة الرئيس الأمريكي نيكسون في الحرب² فنقول: « أرسلت أمريكا طائرات الجلاكسي³، وصلت في اليوم التاسع من الحرب، إن هذا الجسر الجوي لا يمكن تقديره، إنه لم يرفع معنوياتنا فقط و إنما ساهم في توضيح الموقف الأمريكي أمام الاتحاد السوفياتي. كما حملت الجالاكسي بمعدل طائرة كل 15 دقيقة و جاءت بالدبابات و الذخيرة، الإمدادات الطبية و صواريخ الجو»⁴.

نظرا إلى تفاوت موازين القوى بين القوى المتصارعة لم يخف بورقيبة انزعاجه من هذه الحرب و ظل يلوم السادات لعدم استشارته. و على حد تعبير صوفي بسيس كان بورقيبة غاضبا من أن الرئيس المصري قد سرق منه الدور القيادي، و متشككا في نتائج المعركة قائلا: « كنت سأحذر من أن هذه الحرب لا طائل من وراءها مع الو. م. أ، و قد نصحتنا (أي أمريكا) بالعمل مع الرأي العام الأمريكي، و إلى جانب الغياب التام للتضامن و التشاور. هناك صدمة أخرى و هي أن هدف مصر هو استعادة سيناء، لكن الحقيقة الجوهرية للمشكلة هي مصير الشعب الفلسطيني و لا يحق لأي منا أن يتجاهلها»⁵. و عليه كان بورقيبة ناقما على مصر كون هدفها المباشر من هذه الحرب هو استعادة أراضيها و ليس استرجاع الأراضي الفلسطينية المحتلة.

¹ - سعد الدين الشاذلي، المصدر السابق، ص ص228، 231.

² - نفى هذه المساعدة سفير الولايات المتحدة بتونس تالكوت ويليام سيلي حيث صرح لوكالة تونس إفريقيا: «إن أمريكا لم تتدخل و لم يشارك أي عسكري أمريكي أو أية طائرة أمريكية». "الصباح"، ع.7561، 14-15/10/1973، ص1.

³ - واحدة من أكبر الطائرات العسكرية في العالم، تعمل على توفير النقل الجوي الثقيل عبر القارات، استعملها أمريكا لإمداد إسرائيل بالسلاح، بعد أن ترجت غولدا الرئيس الأمريكي نيكسون المساعدة، الأمر الذي حول هزيمة إسرائيل إلى انتصار.

⁴ - غولدا مائير، المصدر السابق، ص ص327-328.

⁵ - sophie besis, souhayr belhassen, *bourguiba un si long règne*, prt2, op.cit, prt2, p116.

من المعلومات المهمة التي قدمها الدبلوماسي الأمريكي (دافيد ماك) و الذي شغل منصب ضابط المكتب التونسي في الفترة ما بين 1973-1975م، أنه في هذه الفترة و قبل بدء حرب أكتوبر 1973 قدمت أمريكا لتونس مدمرة أمريكية فائقة اسمها (جيري)، و اعتبر دافيد ماك هذا الفعل بأنه أحق من الناحية العسكرية، لكن بورقيبة أراد أن يكون له دور رائد في المجال العسكري، و التونسيون لم يكونوا مجهزين تماما لصيانة هذه السفينة. انطلقت المدمرة في سبتمبر و وصلت في أكتوبر، و رأى ماك أنه في الوقت الذي يجب توفير هذه الإمدادات من الأسلحة لإسرائيل، أيضا ستكون لهم مهمة حراسة مدمرة أمريكية تصل إلى ميناء تونس في نفس الوقت¹.

أردنا التطرق إلى تلك الحادثة التي لم تشر إليها العديد من الدراسات، كون وصول المدمرة إلى تونس تزامن مع اندلاع حرب أكتوبر 1973، و في اعتقادنا أن هذه الهدية أو المساعدة العسكرية الأمريكية ربما ستحدد طبيعة المساعدة التي يمكن أن تقدمها تونس لبورقيبة للدول العربية في هذه الحرب.

ما نود الإشارة إليه هنا أن المساعدة الأمريكية لتونس لن تكون بدون مقابل أو حتى الأقل ضمان عدم تدخل تونس في هذه الحرب. و فعلا كانت تونس حسب ماك من بين الدول التي أرسلت قوات رمزية تمثلت في بعثة قوات طبية إلى جبهة السويس².

و عندما سُئل دافيد ماك عن رد فعل التونسيين من هذه الحرب، قال: « كنت على دراية بمواقف الحكومة التونسية، فمن المؤكد أن بورقيبة كان مرعوبا من حجم الخسائر المصرية عندما نجح الإسرائيليون في التصدي للهجوم عبر القناة، و قطع الإمدادات عن الجيش المصري الثالث. و كان التونسيون ممتنين لأن الحرب لم تستمر لفترة أطول، و مع ذلك إن لبورقيبة السياسي الداهية قد فعل شيئا عند إرسال الوحدة الطبية»³.

كما توجه لبورقيبة بخطاب يوم 6 أكتوبر 1973م إلى الشعب التونسي عن طريق الإذاعة وضح فيه موقف تونس من إندلاع المعركة في الشرق الأوسط، اقتبسنا منه بعض الفقرات المهمة و الواضحة في مقاصدها. مما جاء في هذا الخطاب: « بيد أنني أحببت أن أقول للتاريخ

¹ - Charl Stuart Kennedy, interviewed with Ambassador David L.mack, 24/10/1995, p65.

² - ibid, p65.

³ - ibid, p66.

أني غير مرتاح لاندلاع هذه الحرب و لا إلى ما يتوقع من نتائجها النهائية، ثم إن ما أقوله للشعب التونسي أن تونس في هذا الطرف أخذت موقفها بكل شجاعة و صدق، فتحدثت في هذا الصباح مع الرؤساء حافظ الأسد و السادات و معمر القذافي و هواري بومدين، و أكدت لهم جميعا أن تونس تقف ضد المستعمرين الغاصبين و إلى جانب إخوانها العرب (...). ثم إنني نبهت العقيد معمر القذافي إلى أن النجدة التونسية التي لا بد أن تكون مجهزة بالدبابات و المدافع الثقيلة قد تتطلب وقتا لتصل لساحة القتال، بينما بلدكم الشقيق يملك سلاحا جويا سريعا و فعلا يمكنه إدراك مواقع القتال في بضع دقائق و يملك أيضا دبابات مجهزة بالصواريخ لا نملك مثيلا لها في تونس، و قد تسنى لي مشاهدة نماذج من هذه القوة التي تملكها ليبيا أثناء أحد الاستعراضات، و ثمة دول عربية أخرى في المناطق القريبة من ميدان المعركة من بينها السعودية التي اشترت أسلحة من أمريكا، و الكويت التي لديها طائرات و مدافع قوية اشترتها من الكويت أيضا، فهذه الدول بوسعها أن توجه سلاحها للمعركة فتصل للميدان قبل أن تصل النجدة التونسية. غير أنني أريد أن ألفت نظركم إلى موضوع هام، لا أريد أن تقوم في تونس مظاهرات بتعلة إعلان التضامن مع إخواننا العرب كما حصلت عام 1967م، حتى لا تظهر تونس بمظهر غير لائق و صورة تنم عن العنصرية أو لكرهية ضد اليهود، و أنتم تعرفون أن ما أقوم به لا يهدف إلا لفائدة تونس و التونسيين»¹. و مما يتضح من هذا الخطاب أن بورقيبة حث الدول العربية القريبة من ميدان المعركة و التي تملك قوة عسكرية فعالة على التدخل السريع في هذه الحرب، و حذر التونسيين من القيام بمظاهرات تضامنية قد تلوح بالعنصرية ضد اليهود تفاديا لتشويه صورة تونس.

تطبيقا لتعليمات بورقيبة بادرت وزارة الصحة التونسية بالاتصال بعدد من الأطباء الجراحين و المساعدين و الممرضين لمعرفة من يرغب في التطوع للمساعدة في تضييد الجروح، و توجهت يوم 15 أكتوبر بعثة الأطباء مصحوبة بعدد من المساعدين المختصين ليعملوا في المستشفيات المتاخمة لخط النار و ميدان العمليات الحربية، و أرسلت تونس بعثة من 6 أطباء و 15 مساعدا طبيا إلى جبهة القتال في نطاق المساعدة للمقاتلين في كل من سيناء و مرتفعات الجولان².

بعيدا عن المساعدات المختلفة التي تم تقديمها، يمكن أن نشير إلى سلاح مهم اعتمدته

¹ - "الصباح"، ع. 7554، 7-10/8/1973، ص 1-2.

² - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص 250. كما تذكر جريدة الصباح أنه و بإذن من الرئيس بورقيبة قررت وزارة الصحة العمومية إرسال وفد طبي ثاني يوم 17 أكتوبر من أطباء جراحين و ممرضين مختصين و كميات من الأدوية و أدوات الجراحة و كمية من الدم. "الصباح"، ع. 7560، 14/10/1973، ص 1.

الدول العربية في الضغط على إسرائيل و حلفاءها للانسحاب من الأراضي العربية و هو سلاح النفط. فتطبيقا لتوصية منظمة الدول العربية المصدرة للبترول و باجتماعها في 17 أكتوبر 1973م تم إيقاف تصدير البترول و مشتقاته لأمريكا و هولندا و بريطانيا و اليابان و إسبانيا بسبب موقفها المعادي للأمة العربية¹. و على الرغم من أهمية هذا السلاح كأسلوب للضغط إلا أن هناك البعض من الدول العربية لم تدعم هذه المبادرة ومن بينهم تونس ممثلة في رئيسها الحبيب بورقية.

فاستنادا إلى معلومة مهمة وردت في محادثات سرية داخل البيت الأبيض بين كيسنجر وزير الخارجية و مساعد رئيس شؤون الأمن القومي، و جايمس شلنسنجر (James R.schlesinger) وزير الدفاع، و (William colby) مدير المخابرات المركزية بُعيد حرب أكتوبر، تناولت أساسا مسألة حظر النفط الذي استعملته الدول العربية ضد أمريكا، جاء فيها: « إن الحسن و الحسين و بورقية معنا، أما فيصل² فقد طلب مني أن أعطيه القدس مقابل رفع الحظر»³.

و مما يمكن أن نستشفه من هذا الحديث أن هناك انحياز من طرف الحسن ملك المغرب و الحسين ملك الأردن و بورقية للجانب الأمريكي، أما فيصل ملك السعودية فإنه كان يساوم من أجل أن يظفر بالقدس، و هذا الموقف غير المتضامن من طرف الرؤساء و الملوك العرب لاستعمال سلاح النفط في نظرنا لم يكن في صالح القضية الفلسطينية و لا في صالح ترجيح كفة العرب في هذه الحرب.

بعد نهاية الحرب، كرّر بورقية موقفه تجاه القضية الفلسطينية في القمة العربية المنعقدة في 27 نوفمبر 1973م في الجزائر، إذ كان يرى أن مقررات هيئة الأمم بشأن التقسيم قاعدة شرعية لمواصلة المقاومة في أفضل الظروف. و في هذا المؤتمر اتخذ قرار مهم بشأن التمثيل الفلسطيني يقضي بأن تكون م.ت.ف هي الممثل الشرعي و الوحيد للشعب الفلسطيني⁴، و قد أكد أبو اللطف (فاروق القدومي) أن مثل هذه القرارات التي اتخذت من طرف مؤتمر القمة

¹ - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص248.

² - كانت السعودية أكبر الدول إنتاجا للبترول على المستوى العربي.

³ - the national security adviser's, memorandum of conversation; Kissinger, William Colby, James R. Schlesinger, Washington, 29/11/1973, p3

⁴ - أنظر الملحق رقم: 17.

تعتبر خطوة رائدة في رفع القضية من وصاية ثقيلة ظهر عقمها. و لعبت تونس و الجزائر خلال هذه القمة دورا كبيرا في تحقيق هذه الخطوة التي تعيد للشعب الفلسطيني زمام الأمور بيده. و كان هناك ارتياح كبير أوساط الفلسطينيين و إشادة بمجهودات بورقية و محمد المصمودي لاتخاذ هذه الخطوة التي يمكن بفضلها رفع الوصاية عن الشعب الفلسطيني و تمكينه من تحمل مسؤولياته¹.

يمكن النظر إلى عدم تحقيق هذه الخطوة من زاوية السلبيات، فتذهب بعض الأدبيات في أن عدم رفع الوصاية على القضية و الشعب الفلسطيني هو عمل يستهدف الفكر السياسي المتميز لدى الفلسطينيين و يجعلهم يغلبون عربيتهم على فلسطينيتهم، بحيث يؤدي إلى اندماج العمل السياسي الفلسطيني في التيار القومي العربي إلى درجة الذوبان على حساب الهوية الفلسطينية، و قد وصل الأمر إلى اعتبار أي تنظيم أو عمل سياسي فلسطيني منفرد هو خروج على الإجماع الوطني العربي².

فرما أراد بورقية من وراء مقترحه أن ترفع الوصاية عن القضية ليكون للفلسطينيين دولتهم الخاصة، خاصة بعد بروز النوايا الأردنية في ضم الأراضي الفلسطينية. و عليه إن رفع الوصاية عن القضية الفلسطينية يعتبر خطوة هامة خاصة و أنها تضع حدا للأنظمة العربية التي كانت تستغل القضية لمصالحها الوطنية الضيقة.

و قد كان الملك الحسين الرئيس الوحيد العربي الذي امتنع عن المصادقة عن القرار الذي تبنته القمة العربية في الجزائر، و الذي يعترف لأول مرة بمنظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني³.

كما طرح بورقية إمكانية قيام اتحاد بين الدولة الفلسطينية و الدولة اليهودية إلا أن الرؤساء و الملوك لم يأخذوا برأيه و اتخذوا قرارا بالاعتراف بم. ت. ف كمثل شرعي للشعب الفلسطيني⁴.

¹ - الصباح، ع. 7600، 1973/11/28.

² - أسامة محمد أبو نحل: نشأة منظمة التحرير الفلسطينية بين المصالح العربية و الطموح الفلسطيني، قراءة جديدة، مجلة جامعة الأزهر، عدد خاص، 2009، ص 10.

³ - صلاح خلف، المصدر السابق، ص 226.

⁴ - أنور جمعة حرب أبو مور، التطور التاريخي لمشروع الدولة الفلسطينية (1964-1999)، رسالة ماجستير، التاريخ الحديث و المعاصر، غزة، 2014، ص 143.

تواصلت جهود تونس الدبلوماسية لإقرار السلام في الشرق الأوسط على الصعيد الدولي، و ازداد تحدي بورقية للسياسة الأمريكية المنحازة لإسرائيل الأمر الذي أدى إلى تعقيد الوضع في الشرق الأوسط، ففي مؤتمر جنيف¹ 21 ديسمبر 1973م حيث عقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورتها الثامنة و العشرين، و فيها وجّه بورقية رسالة للرئيس نيكسون يقول فيها: « إنني متأثر عميق التأثير للمساعدة المتنوعة و الضخمة التي تمنحها حكومتكم لإسرائيل و نخشى أن تضر ضررا فادحا بسمعة الولايات المتحدة و بمصالحها في العالم العربي. و هي لا تساعد على إقرار السلام إقرارا سريعا، و تضع أصدقائها مثل تونس و السعودية في موقف يصعب معه التدخل بنجاعة لفائدة حلول من شأنها أن تقرّ السلم، و إنني لأهيب بكم من أجل توخي سلوك يضع حدا لهذه المأساة و حل يحظى بقبول الجميع»².

بحلول سنة 1974م، كانت دورة هيئة الأمم التاسعة و العشرون على أبوابها، فطلب عرفات في أوت 1974م من نبيل شعث أن يعد نفسه للسفر إلى نيويورك للعمل من أجل دعوته لحضور هذه الدورة، فطلب له عرفات جوازات سفر دبلوماسية عربية يمكن أن تسهل له الحركة، و من بين العديد من جوازات السفر العربية تم اختيار تونس³ عنوانا دبلوماسيا لحركتهم، فقرر نبيل شعث السفر و زوجته لتونس، و الانتقال منها فور الحصول على جوازات السفر إلى أمريكا. و استطاع الظفر بدعوة لعرفات لحضور أشغال الدورة⁴.

دعي عرفات لأول مرة لإلقاء كلمة أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة، لكنه توقف في تونس للقاء بورقية قبل الذهاب إلى نيويورك، و كان أن أصر بورقية على عرفات أن يعلن للأمم المتحدة أنه مستعد للاعتراف بإسرائيل، و التوقيع على السلام بشرط اعتبار خطة التقسيم لعام 1947م أساسا للمفاوضات، و قائل له بتوسل: « يجب أن تكون أنت من تقول ذلك»،

¹ - استدعي للمؤتمر مصر و سوريا و إسرائيل و الاتحاد السوفياتي و أمريكا، لكنه فشل لأن جدول أعماله لم يتضمن مشروع حل، و عدم حضور جميع أطراف النزاع منها سوريا و منظمة التحرير. أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص265.

² - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص267.

³ - من وجهة نظرنا إن اختيار جواز سفر تونسي هو خيار تكتيكي نظرا لطبيعة العلاقات الأمريكية التونسية و بالتالي تسهيل مهمة الوصول إلى مكان انعقاد الدورة.

⁴ - يذكر نبيل شعث: « في 12 سبتمبر سافرت مع زوجتي صفاء إلى تونس، نزلنا ضيوفا على الحكومة التونسية، و أبلغوني أن سفير تونس لدى الأمم المتحدة الرشيد إدريس سيكون في استقبالنا عند وصولنا لنيويورك، ثم سلمنا حكم بلعوي جوازين دبلوماسيين». نبيل شعث، المصدر السابق، ص946، 956.

لكن عرفات أجابه بأنه لا يستطيع فعل ذلك. فكان بورقيبة يريد اتباع نصيحته ليثبت للعالم أن استراتيجية عرفات مع الخصم لم تكن صالحة، لأنه حدد الهدف النهائي دولة فلسطينية و سلام، لكنه استبعد الطرق التي اعتبرها شديدة الخطورة و المكلفة¹.

أشارت صوفي بسيس إلى أن بورقيبة حاول بإصرار في تلك الفترة فرض الطريق الذي بدا له وحده قادرا على الوصول إلى الهدف، لكن بورقيبة فشل في مجال كان يود أن يكون فيه صانعا للتاريخ، و اكتفى باتباع الاستعدادات لمأساة الشرق الأوسط بخيبة أمل².

بعد حرب أكتوبر كانت أراء بورقيبة التي طرحت عام 1965 تتجسد شيئا فشيئا على أرض الواقع، بحيث تسربت إلى المقاومة الفلسطينية شعارات الواقعية و المرحلية. و كانت طريقة الكل أو لا شيء قد بدأ استبعادها من فكر بعض القادة الفلسطينيين من بينهم عرفات. و لا يمكن الفصل في أن هذا التحول نتاج التأثير البورقبي بدرجة أولى أم أنه نتيجة لتلك الحرب؟ أم أنه نتيجة لقناعات كانت متخفية و آن الوقت لإظهارها؟

أخذت الساحة الفلسطينية في الانقسام إلى موقفين، أحدهما يدعو إلى دراسة و تفهم المتغيرات السياسية و محاولة الاستفادة منها فلسطينيا، عبر برامج براغماتية مثل التي طرحها بورقيبة، و آخر يدعو إلى رفض نهج المرحلية و البرامج المرنة³. الاتجاه الأول براغماتي تزعمه عرفات و طالب بإقامة دولة فلسطينية على أي جزء تتسحب منه إسرائيل و عرف بتيار القبول، تمثله فتح و الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين. و التيار الثاني طالب بتحرير كامل التراب الفلسطيني و عرف بتيار الرفض، تكون من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة جورج حبش، و القيادة العامة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بقيادة أحمد جبريل (1968)⁴، و كذا مجموعات الضغط التي تسيطر عليها كل من سوريا و العراق ، جماعة سوريا عرفت بالصاعقة و التي تشكلت من أعضاء الفرع الفلسطيني من حزب البعث السوري، و جماعة العراق (جبهة التحرير العربية) (1969 ALF)، تشكلت عن طريق فلسطينيين كانوا على صلة

¹ - sophie besis, souhayr belhassen, **bourguiba un si long règne...**, op.cit,p2, ,p116.

² - ibid, op.cit, p2, p116.

³ - محمد أشتية، موسوعة المصطلحات و المفاهيم الفلسطينية، دار الجليل، عمان، 2011، ص175.

⁴ - حسين غازي، المرجع السابق، ص160.

وثيقة بحزب البعث العراقي¹.

حسب ما تطرقت إليه بعض الدراسات أن جبهة الرفض² أواسط السبعينات جاءت بمثابة طعنة أولى لشرعية ياسر عرفات و م. ت. ف، و تذهب حتى إلى التأريخ لأزمة الشرعية في الساحة الفلسطينية بولادة تلك الجبهة المدعومة من العراق ثم من سوريا. و ردا على تبني منظمة التحرير برنامج النقاط العشر الذي سمي بالبرنامج المرحلي³، أنشئت جبهة الصمود و التحدي التي ضمت سوريا و ليبيا الجزائر و اليمن الجنوبي، لكن الخلافات عصفت بالجبهة و قضت عليها⁴.

يذكر أبو إياد عن بدايات طرح ذلك البرنامج أنه تمت محادثات خلال الأشهر الأولى عام 1974 م مع قادة المنظمات الفدائية الأخرى، الصاعقة (المالية لسوريا)، جبهة التحرير العربية (العراقية الولاء). و أفضت مفاوضاتهم إلى إعداد برنامج ذي النقاط العشر تبناه المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في القاهرة، و أعلن ممثلوا كافة الحركات الفدائية إرادتهم في إقامة دولة مستقلة على جزء أو أية أراضي فلسطينية يتم تحريرها. غير أن هذا الإجماع لم يدم فما إن انتهت دورة المجلس حتى انفجرت المزايدات، و انتصر حسب تعبيره المتطرفون على المعتدلين، باستثناء فتح و الجبهة الديمقراطية (نايف حواتمة) فإن كافة الفصائل الأخرى قلبت مواقفها و تحالفوا فيما بينهم داخل جبهة الرفض التي وجدت داخل مخيمات اللاجئين أرضا خصبة لأطروحاتها، منها رفض التفكير في أي تسوية مع إسرائيل و تبني سياسة كل شيء أو لا شيء⁵.

¹ - باتريك سيل، أبو نضال بندقية للإيجار، تقديم أحمد رائف، دار الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، د.س، ص116.

² - تشكلت الجبهة يوم 15 أبريل 1974 ضد البرنامج المرحلي، ضمت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، و الجبهة الشعبية القيادة العامة، و جبهة التحرير العربية، و جبهة النضال الشعبي الفلسطيني. دافعت عن الاستمرار في النضال المسلح. ينظر: محمد أشتية، المرجع السابق، ص175.

³ - نص على أن منظمة التحرير سوف تناضل بكل الوسائل الممكنة بما فيها الكفاح المسلح لتحرير فلسطين، فلم يعد الكفاح المسلح هو الطريق الوحيد للتحرير، و وافق على تجزئة تحرير فلسطين خطوة خطوة و رفض المبدأ السابق الذي يؤكد على شموليته لكافة الأراضي الفلسطينية. للمزيد حول هذا البرنامج ينظر: أمينة رمضان طاهر زيد، نموذج الدولة الواحدة و أثر ذلك على عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2013، ص42.

⁴ - حازم صاغية، الانهيار المديد، الخلفية التاريخية لإنفاذات الشرق الأوسط العربي، دار الساقى، بيروت، 2013، ص188، 199.

⁵ - صلاح خلف أبو إياد، المصدر السابق، ص224.

بالنسبة لدور حرب أكتوبر في التأثير على أسلوب المقاومة الذي كان يعتمد عليه بعض القادة الفلسطينيين، فقد رأى هؤلاء أن تلك الحرب بدلا من أن تشق طريق تحرير الأراضي المحتلة فإنها عززت النفوذ الأمريكي في الشرق الأوسط، و يسرت مؤامرات تصفية المقاومة الفلسطينية، و هو ما أثار في صفوفها وعيا ساعدها على تكيف الأهداف مع الحقائق و على اتخاذ قرارات جريئة كانت مضمرة تضع حدا نهائيا لسياسة كل و لا شيء¹. و عليه اجتمعت عوامل عديدة وراء تبني المقاومة الفلسطينية أسلوب تكتيكي آخر غير الذي كانت تنتهجه و التخلي عن سياسة الكل أو لا شيء. هذه العوامل تضم أساسا دور بورقية المكثف خاصة و أن علاقته قد توطدت إلى حد ما ببعض القادة الفلسطينيين فترة السبعينات، و أيضا تأثيرات حرب أكتوبر، و كذا وجود قناعات ذاتية بوجوب اتباع سياسة المراحل (مثلما تطرقنا إليه سابقا) في فكر بعض الفلسطينيين.

رغم تبني المقاومة الخيار السياسي المرحلي الذي كان قد دعا إليه بورقيبة، إلا أنه كانت له انعكاسات سلبية على الحركة الوطنية الفلسطينية، فقد جوبه هذا القرار بحملة واسعة من الانتقادات، حيث نددت المنظمات الفدائية جبهة الرفض بهذا، و شنت حملة قدح اتهمت فيه فتح بالانهزامية، و وقفت موقفا معاديا من إقامة الدولة في الضفة الغربية و غزة و اعتبروا أنصار التسوية هم خونة². فعرفت بسبب موقفه البراغماتي كان عليه أن يجابه سياسيا و عسكريا العديد من الجبهات الرافضة لهذا الخيار (و هو ما أدخل المقاومة في صراع فلسطيني فلسطيني استنزف مقوماتها)³.

كما يرى البعض أنه لا يمكن لغير الفلسطينيين أن يفهموا بسهولة كيف أن هذا المذهب البراغماتي لا يلقي ترحيبا بين القاعدة العريضة من الجنود فلأنهم كانوا مقتنعين بعدالة قضيتهم فإنهم كانوا رافضين لهذا الخيار، حيث يقول الكاتب البريطاني ديفيد جيلمور: « كيف يمكن أن نتوقع من أي شعب أن يتنازل عن الجزء الأكبر من وطنه، إن الملاك الشرعيين لوطن ما لن يوافقوا أبدا على تقسيمه». لذلك أي كان ما أوصى به عرفات فإن أي تسوية يتم التفاوض عليها مع إسرائيل قد جرححت هؤلاء الفلسطينيين الذي اعتقدوا أن القوة وحدها يمكنها تحرير

¹ - صلاح خلف أبو إياد، المصدر السابق ، ص211.

² - نفسه، ص 222.

³ - باتريك سبيل، المرجع السابق، ص 141.

فلسطين، و الذين كانوا يخشون من أن التنازلات السياسية سوف تؤدي إلى بيع وطن بأكمله، لذلك لم يكونوا مستعدين بعد لقبول الحل الوسط بإقامة دولة صغيرة¹. و عليه إن الطرح البورقبي في اعتقادنا لم يأخذ بعين الاعتبار طبيعة النتائج التي قد تخلفها تلك التنازلات السياسية، و الصراعات الحادة التي قد تنجر عن تبني سياسة مثل التي نادى بها.

استنتاج جزئي:

كحوصلة لهذا الفصل يمكن القول أنه:

- بعد خطاب أريحا استمرت العلاقات التونسية الإسرائيلية، و أقيمت محادثات حول إمكانية التعاون الإقتصادي بينهما. و حين اندلعت حرب جوان 1967 دعمت تونس البورقية العرب م بضغط شعبي و حفاظا على صمعتها، فكان أن قام بورقية بإجراء لإسعاف ضحايا العدوان الإسرائيلي.
- إثر نهاية حرب 1967 ازدادت جهوده الدبلوماسية لصالح خيار السلام و الاستناد إلى قرارات هيئة الأمم المتحدة بخصوص هذه القضية.
- ساهمت تونس في حل أزمة الثورة الفلسطينية في دول الطوق، و بصفة خاصة تدخلها في حل الصراع الأردني الفلسطيني.
- بخصوص حرب أكتوبر 1973 فقد أعلن بورقية موقفه الراض لنشوبها لأنه كان متشككا في نتائجها، و كذا الأهداف التي اندلعت من أجلها، و هي استعادة مصر لأراضيها. غير أنه قدم مساعدات رمزية لصالح العرب في هذه الحرب. و لعب دورا هاما في رفع الوصاية عن القضية الفلسطينية.

¹ - باتريك سيل، المرجع السابق، ص 141.

الفصل الخامس :

بورقبيية و تطورات القضية الفلسطينية (1973-1985)

أولاً: جهود بورقبيية الدبلوماسية في حل النزاعات بين الفصائل الفلسطينية

ثانياً: موقف تونس من الصراع الفلسطيني اللبناني في لبنان 1975م

ثالثاً: بورقبيية و اتفاقيات السلام الإسرائيلية المصرية (كامبد دافيد)

رابعاً: اللجوء الفلسطيني لتونس بين الخيار و الاضطرار

خامساً: منظمة التحرير الفلسطينية في تونس من اللجوء حتى

قصف حمام الشط 1985 (النشاط السياسي، التحديات)

أولا/ جهود بورقية الدبلوماسية في حل النزاعات بين الفصائل الفلسطينية.

كانت النزاعات و الخلافات واحدة من سمات النضال الوطني الفلسطيني الذي تنوعت و اختلفت زعاماته كل حسب أيديولوجيته و انتماءاته و أساليب نضاله. هذا الاختلاف كان سببا في نشوب صراع و تصادم هدد الوحدة الفلسطينية و وقف حجر عثرة أمام مسار القضية. فما هو دور بورقية تجاه هذه الانزلاقات؟

من بين الحوادث التي سجلها التاريخ في مسار العلاقات الفلسطينية التونسية حيث برزت فيها تونس كطرف ساهم في حل بعض النزاعات الفلسطينية حادث اختطاف إحدى الطائرات الأجنبية و التي تورطت فيها بعض الفصائل الفلسطينية. ففي 22 نوفمبر 1974م، أخبر وزير الخارجية المصري (إسماعيل فهمي) أبو إياد الذي كان في مصر أنه تم اختطاف طائرة بوينغ إلى تونس (بعد هبوط اضطراري في دبي)، على يد مجموعة فلسطينية كانت تطالب بإطلاق سراح الفدائيين 15 المعتقلين في مصر¹.

يذكر أبو إياد أن بورقية كان يريد تلافي حدوث مأساة في مطار تونس و ألح عليه أن تلبي مطالب قراصنة الجو. و بينما كان أبو إياد مترددا في القيام بالعمل بنفسه، هاتفه السادات و ألح عليه الذهاب إلى تونس. فتوجه إلى الأخيرة أين استقبله هناك وزير الداخلية الطاهر بلخوجة².

بالنسبة لدور بورقية في هذه الحادثة، فبعد أن سلم الفدائيون سبعة منهم إلى رئيس المجموعة (مروان) و تم تحرير الرهائن، أبلغ مروان أبو إياد أنه يريد هو و رفاقه الحصول على حق اللجوء السياسي في تونس، مع ضمان عدم تسليمهم إلى م.ت.ف، و لم يكن بإمكان أبو إياد أن يقبل هذا الشرط دون الرجوع إلى بورقية الذي رفض رفضا قاطعا أن يستجيب لطلب القراصنة خاصة و أنهم يهددون بتفجير الطائرة التي بقي فيها طاقم الطائرة البريطاني. لكن بورقية استجاب لهذا الشرط و تعهد بتلبية مطالب مغاوير عبد الغفور أحد مناضلي

¹ - خمسة منهم ارتكبوا محاولة مطار روما و هي هجمات قامت بها المقاومة الفلسطينية، و ثمانية مسؤولون عن عملية الخروم ضد سفارة المملكة العربية السعودية، و الاثنان كانا معتقلين في هولندا إثر القيام بعملية فاشلة. و قد كان المسؤولون عن عملية اختطاف الطائرة ينتمون لمجموعة أحمد عبد الغفور (مناضل في حركة فتح) قبل أن يلتحق بجهة الرفض، و كان من أنصار العنف على حد تعبير أبو إياد. ينظر: صلاح خلف أبو إياد، المصدر السابق، ص235.

² - نفسه، ص235.

حركة فتح¹.

تذكر روايات أخرى أن أبو إياد أقنعهم بتسليم أنفسهم مقابل السماح لهم باللجوء إلى أي بلد يختارونه فاختاروا ليبيا. و قد وافقوا على أنهم بمجرد وصولهم إلى ليبيا يتم تسليمهم مكتب م.ت.ف المحلي و لكن تم العكس، فعند وصولهم إلى بن غازي سُمح لهم بالاستيلاء على القنصلية التونسية احتجاجا على معالجة الحكومة التونسية للمسألة و التي كانت علاقتها متوترة مع ليبيا².

بعد الحادثة استقبل بورقية أبا إياد الذي صرح عقب المقابلة و بعد الثناء المستفيض على تونس، أن مجهودات تونس قد أفضت إلى حل مشرف و لولاها لانتهدت هذه العملية بمأساة يقدم عليها و يستغلها العدو في دعايته لتشويه النضال الفلسطيني. و حسب النوري بوشعالة و من خلال مواكبته اللصيقة لمجريات الحوار و التفاوض بين أبو إياد و الطاهر بلخوجة من جهة، و الفدائيين من جهة ثانية كمرافق أممي ذكر أن المهمة كانت جد صعبة و على غاية من الخطورة، و شكلت منعطفا حاسما في مسار العلاقة الفلسطينية التونسية الرسمية³.

هذه الأحداث أدخلت تونس و جرتها عنوة إلى مضمار النشاطات التي كانت تقوم بها المنظمات الفلسطينية، حيث أوضحت الحادثة مدى الضغط و الحرج الذي تعرض له النظام التونسي و خاصة بورقية (الذي كان على علاقة وطيدة بالغرب) لحل و احتواء العمليات التي تقوم بها بعض الأطراف الفلسطينية و معالجتها بطريقة سلمية حقنا للدماء، و حفاظا على صورة النظام التونسي.

ثانيا/ موقف تونس من الصراع الفلسطيني اللبناني في لبنان 1975م.

تعزز الوجود الفلسطيني داخل لبنان بعد أحداث سبتمبر التي وقعت في الأردن سنة 1970، حيث انتقلت أجهزة القيادة الفلسطينية الإدارية إلى بيروت. و منذ وصول (سليمان فرنجية) في أوت 1970 للرئاسة نشبت معارك لبنانية لبنانية و لبنانية فلسطينية. و كانت الأزمات تزداد حدة بين السلطة و المقاومة في أعقاب كل اعتداء صهيوني على الجنوب أو

¹ - صلاح خلف أبو إياد، المصدر السابق، ص238.

² - باتريك سيل، المرجع السابق، ص151.

³ - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص96-97.

ضد مخيمات اللاجئين. و بعد حوادث دامية تصاعدت الهجمة المعلنة من طرف السلطة اللبنانية على الوجود الفلسطيني في لبنان¹.

تجاه الوضع المأساوي الذي كانت تمر به الثورة و المقاومة الفلسطينية أبدت تونس موقفها بكل حزم ضد من يضيّقون الخناق عليها في لبنان، فجاء تصريح الحكومة التونسية المندد بهذه الممارسات : « في الوقت الذي بدأت فيه قضية الشعب الفلسطيني تتقدم، و في هذا الوقت الذي عملت فيه الثورة على تصعيد عملياتها المسلحة داخل الأراضي المحتلة لإثبات وجودها، و أخذت العوامل المذكورة تدخل الفرع في إسرائيل بدأ أعداء الثورة في لبنان يكشفون النقاب عن وجوههم الحقيقة و يصرحون علنا أن ما يقومون به من إرهاب و قتل لا مبرر له سوى رغبتهم في قتل الثورة الفلسطينية»².

فكان أن تدخل الحبيب بورقية لوضع حد بين الأشقاء اللبنانيين و الفلسطينيين حقنا للدماء، حيث كلف سفير تونس في بيروت (صلاح الدين عبد الله) بمهمة توفيقية لدى سليمان فرنجية و عرفات، و تتبع بقلق الحوادث المؤلمة. و بعث ببرقية للرئيس فرنجية يناشده فيها ألا تصوب الأسلحة إلا ضد العدو المشترك، حيث ذكر فيها: « ما برحت المعارك التي اندلعت بين الأشقاء في لبنان و إراقة الدماء العربية مبعثا للحزن و انشغال البال بالنسبة لشخصي و للشعب التونسي، و إن حكمتكم العظيمة و تقاليد التسامح التي عرفت بها بلادكم لتحملني على الأمل في أنك ستبذل كل الجهود للحيلولة دون تجدد مثل هذه الاشتباكات التي لا يستفيد منها إلا العدو الإسرائيلي»³.

كما وجه برقية للرئيس السوري حافظ الأسد قال فيها: « إن التطورات الخطيرة التي جرت على الساحة اللبنانية و تصاعد الصدام بين القوات العربية يدفعني إلى أن أتوجه إليكم بهذا النداء الملح راجيا أن توقفوا نزيف الدماء العربية». و أبرق إلى الملك السعودي خالد و المصري السادات و الكويتي الشيخ الصباح: « في هذا الظرف الخطير الذي تواجهه الثورة أرى لزاما علينا أن نحول دون القضاء عليها بيد عربية فكلنا مسؤول عن بقائها و حمايتها»⁴.

¹ - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص ص275، 276.

² - نفسه، ص 281.

³ - نفسه، ص 282.

⁴ - نفسه، ص 283.

استقبل بورقية في مكتبه بقصر قرطاج وفدا لبنانيا فلسطينيا¹، و أكد لهم وقوف تونس إلى جانب المقاومة و حلفاءها في الساحة اللبنانية. و استقبل السيد (منجي الكحلي) وزير الصحة التونسي محمود عباس (أبو مازن) عضو اللجنة المركزية في منظمة التحرير الفلسطينية حيث بحث معه موضوع الإعانة الطبية التي يمكن أن تقدمها تونس².

من جهة أخرى كانت جهود تونس حثيثة على الصعيد الدولي للاعتراف بم. ت. ف كممثل شرعي و وحيد للشعب الفلسطيني. ففي سنة 1975 دارت محادثات دبلوماسية بين كل من الهادي نويرة الوزير الأول لتونس و الرئيس الأمريكي جيرالد فورد (Gerald r. Ford) و كيسنجر، أبانت على الجهد الكبير الذي قام به نويرة في سبيل الاعتراف بم. ت. ف، غير أنها جوبهت بتعنت و تماطل أمريكي شديد. و يمكن أن نتطرق في هذا الصدد إلى بعض النقاط الهامة التي وردت في هذا الحوار حيث قال (الهادي نويرة): « (...) فيما يتعلق بالشرق الأوسط، فإن حكومتنا تثقف بثبات فيما يتعلق بالشرعية التي يجب أن تسود، و يجب أن يتوقف الجميع عن كسب الأراضي بالقوة، و نعتقد أنه لا يمكن حل المشكلة دون تضمين جميع الأطراف بما في ذلك الفلسطينيين، ألن يكون من الأفضل إشراك الفلسطينيين على الفور في البحث عن حل، الرئيس: « يجب أن نرى كيف تتناسب هذه الحقوق مع الهيكل العام، لذلك لا أعتقد أن نلزم أنفسنا في هذا الوقت. كيسنجر: « لدينا مشكلة داخلية شديدة عندما نتعامل مع الشرق الأوسط، و لا بد أنك لاحظت أن هذا هو أول رئيس على الأقل منذ عام 1956م يتخذ موقفا علنيا من الانفصال عن إسرائيل. إذا تدخلنا الآن في قضية منظمة التحرير في هذه المرحلة فإن ذلك سيقوض جهودنا، لأن المنظمة لا تزال تعتبر منظمة إرهابية هنا، و نحن على و شك الانتخابات ». فأجاب نويرة: «إن منظمة التحرير لا تتكر وجود إسرائيل، و لكن إذا لم تعترف إسرائيل بالمنظمة فلماذا يجب على المنظمة أن تعترف بإسرائيل، الرئيس: يمكن أن أؤكد لكم أننا سننظر بعناية في أفكارك و أن نكون مستعدين للمضي قدما»³. و هذا ما يؤكد أن حكومة تونس كانت تقوم بجهد دبلوماسي و تصعيد سياسي من أجل الظفر باعتراف أمريكي و إسرائيلي بم. ت. ف. و في برقية من السفارة الأمريكية في إيطاليا إلى وزارة الخارجية الأمريكية تضمنت النقاط الرئيسية التي تضمنها النقاش بين رئيس الوزراء آنذاك الهادي نويرة و وكيل وزارة

¹ - يضم السيد محمد زهدي الناشبي أمين سر اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير، و الدكتور خليل أحمد خليل ممثل قيادة الحركة الوطنية في لبنان. ينظر: أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص284.

² - نفسه، ص284.

³ - the national security adviser's, memorandum of conversation; ford, hedi nouira, kisinger, washinton, 1/5/1975, pp 2, 4.

الخارجية الأمريكي (newsom)، حيث شعر نويرة أن على أمريكا تكريس المزيد من الاهتمام للعمل مع المعتدلين العرب بشأن عملية السلام. و أجابه وكيل وزارة الخارجية أنه من المأساة أن تمنع المعارضة العربية مشاركة الفلسطينيين في المفاوضات، و قد يقود هذا الإسرائيليين إلى اعتبار أن مصر انفردت بعملية السلام لذلك لن تقدم إسرائيل تنازلات، و يمكن للفلسطينيين و العرب المعتدلين أن يغيروا وجه السلام من خلال إظهار الرغبة في المشاركة في المفاوضات سواء كانت واقعية من الناحية السياسية أم لا، و اعترف و نويرة بمنطق وكيل الوزارة¹.

فأمام ما كانت تمر به الثورة الفلسطينية من مآسي، كانت تونس تكثف جهودها الدبلوماسية من أجل الاعتراف ب م.ت.ف كمثل شرعي للشعب الفلسطيني، و رفع وصاية الأنظمة العربية عليه و الدفع تجاه تبني خيار السلام.

ثالثا/بورقيبة و اتفاقيات السلام الإسرائيلية المصرية (كامبد دافيد).

قبل توقيع اتفاقيات كامبد دافيد كانت هناك تحركات مصرية من أجل المضي خطوة نحو السلام مع إسرائيل، حيث أقدم السادات على زيارتها يوم 19 نوفمبر 1977م، و أثارت هذه الزيارة ردود فعل عربية مختلفة. بالنسبة للموقف التونسي فقد كان يعوزه الكثير من الاعتدال بحيث تجنب أي تصريح من شأنه أن يكرس التدخل في الشأن الداخلي المصري، فكان أن أدلى (الحبيب الشطي)² وزير خارجية تونس آنذاك لمندوب وكالة تونس إفريقيا للأنباء بتصريح قال فيه: «إن البلدان التي تتعرض للحرب تضعها في موقف خاص، لها الحق في اتخاذ المبادرات التي لا نستطيع الحكم عليها في الحال، و بخصوص موقف تونس نريد فترة تأمل تمكننا من التعمق في دراسة مشكل دقيق جدا لم تقع استشارتنا فيه على أية حال، فهذه قضية ظهرت فجأة قد تكون لها عواقب خطيرة، على أننا ذهبنا بالسرعة التي اتخذ بها القرار، و بما أنه لم تتم استشارتنا و أن الأمر يهم أولا وقبل كل شيء مصر و جيرانها، فإننا نحذ أن نعطي رأينا في الموضوع بعد أن تفصح البلدان التي يهمها الأمر عن آرائها»³.

لكن و بعد اجتماع مجلس الوزراء التونسي و بعد استقبال بورقيبة الحبيب الشطي،

¹ - F.R.U.S, telegram from the embassy in Italy to the department of state ,vol.17, part 3, 19/6/1979, doc203.

² - الحبيب الشطي(1916-1991): سياسي و دبلوماسي تونسي، تولى في عهد بورقيبة حقيبة وزارة الخارجية لفترة قصيرة، و عمل سفيراً في العديد من البلدان العربية، ثم كان الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامي(1979-1985). محمد خير رمضان يوسف، المرجع السابق، ص140.

³ - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص305.

أدلى الأخير بتصريح أكثر حدة من الذي سبقه و إن أظهر فيه استنكاره فإنه استهدف انفراد مصر بهذه المبادرة دون التشاور مع بقية العرب. مما جاء في التصريح: « إن تونس لا توافق على سياسة الأمر الواقع و المقررات المتخذة من جانب واحد، عندما يتعلق الأمر بمسائل تمس المصلحة العليا للشعوب العربية، إننا نعتبر أن كل عمل من جانب واحد في هذا المجال لا يمكن إلا أن يزيد في تقسيم العالم العربي (...) إن الرئيس بورقية يرى أنه لا تضامن عربي و لا إستراتيجية عربية لبعث الدولة الفلسطينية إذا لم تحترم قواعد التشاور. و تونس تأسفت للأزمة التي أثارها زيارة السادات للقدس. إن المبادرة و إن كان الغرض منها إقامة البرهان الساطع على رغبة العرب في السلم، فإنها على النقيض من ذلك أثبتت مرة أخرى الإصرار العنيد من طرف الحكومة الإسرائيلية على إنكار حق الفلسطينيين في وطن و رفضها الجلوس إلى منضدة تفاوض واحدة مع منظمة التحرير»¹.

بعدها استقبل بورقية عرفات للتباحث معه حول تطورات الوضع في العالم العربي بعد زيارة السادات للقدس المحتلة، و أعلمه أن تونس تحترم توصيات مؤتمر وزراء الخارجية العرب الخاصة بتنفيذ قرارات قمتي الرباط و الجزائر².

استمر التجاذب المصري الإسرائيلي إلى أن بلغ ذروته نهاية السبعينات بتوقيع اتفاقيات كامب دافيد في 7 سبتمبر 1978. و سيكون مرة أخرى المغامر العربي الذي سيتزعم الطرف العربي من هذه الاتفاقية هو السادات، الذي و بحسب المعلومات التي كانت متوفرة لدى الاستخبارات العسكرية الإسرائيلية (بداية السبعينات)، كان الانطباع عن هذه الشخصية أنه متبلد الذهن ضيق الأفق، و يفتقر للتفكير السياسي المستقل و موقفه السياسي رمادي يفتقر للون خاص به. و بعيدا عن قدراته الذهنية المحدودة، شدد التقرير مستندا إلى مصادر متعددة على أن السادات يعتبر انتهازيا، و افتقاره للموهبة. و استخلص شيمون شامير³ في تقريره أن السادات شخص لا يتمتع بالمهارات اللازمة لإدارة بلد، و أنه يفتقر للحد الأدنى من المواصفات

¹ - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص306.

² - نفسه، ص307.

³ - بعد وفاة عبد الناصر تم استدعاء الضابط الإسرائيلي شامير شيمون (ضابط احتياطي لدى الفرع السادس مصر، في شعبة أبحاث الاستخبارات العسكرية في ذلك الوقت، لإعطاء ملفات حول المترشحين الذين سيخلفونه، و في مذكرة بتاريخ 6 أكتوبر 1970 لخصت كامل أبحاثه عن المترشحين و منهم السادات، الذي كان شامير في كل مركز يحل به يقول: إن السادات ليس أكثر من مجرد مبعوث لنقل البريد الدبلوماسي. ينظر: جوزيف يوري بار، الملاك، الجاسوس المصري الذي أنقضى إسرائيل، تر. فادي داود، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2017، ص85.

اللازمة لتولي مقاليد الحكم بشكل حقيقي أو ليكون مقبولا في مصر كخلف لعبد الناصر¹. و كان أن حمل هنري كيسنجر منتصف ديسمبر 1973 م من السادات رسالة إلى غولدا مائير جاء فيها: « عندما أتكلم عن السلام الآن فأنا أعني ما أقول، إننا لم نتفاعل من قبل و لكن لدينا جهود الدكتور كيسنجر، فدعينا نستخدم هذه الجهود و نتحدث إلى بعضنا من خلاله». و دار نقاش طويل في الجلسة التي عقدها كيسنجر مع مائير عن الأسباب التي تدعوا السادات إلى الانفراد عن باقي العرب، و مد يده إلى إسرائيل دون أي اعتبارات. ثم تساءل كيسنجر: « لماذا لا يستعمل السادات كل عناصر قوته ليضغط من أجل انسحاب إسرائيلي كامل؟». و يجيب عن سؤاله: «السبب في رأيي أن السادات قد وقع ضحية للضعف الإنساني، إنه في الحالة النفسية يتشوق لأن يرى نفسه سائرا في موكب نصر عبر مدينة السويس»².

أما تحليل موشي دايان لموقف السادات فهو أن الرئيس المصري كان يريد اتفاقا بأي ثمن، فقد كان قلقا من الحالة النفسية للجيش المصري³، و كان يريد أن تكون يداه طليقتين لمواجهة المتشددين العرب. أما هيكمل يرى أن تلك الأسباب غير كافية فعلى حد تعبيره ربما أن الحقيقة كانت إنسانية تتصل برجل، و لا تتصل بمؤامرة، تتصل بإنسان و أحلامه أكثر من اتصالها بأي شيء آخر. و يقر هيكمل أن السادات خرج مقتتعا بعد حرب أكتوبر أنها آخر الحروب، 99 % من أوراق حل أزمة الشرق الأوسط بيد أمريكا، و أن هناك علاقة خاصة يمكن أن تتوثق بين مصر و أمريكا⁴. و هكذا تمت اتفاقيات السلام بين مصر و إسرائيل.

إثر توقيع الاتفاقية كامبد دافيد، عقد مجلس الوزراء التونسي برئاسة الوزير الأول الهادي نويرة اجتماعا استمع فيه إلى شروحات وزير الشؤون الخارجية لتطورات الوضع السياسي في

¹ - جوزيف يوري بار، المرجع السابق، ص 85.

² - منير الحمش، السلام المدان، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1997، ص 173.

³ - حسب سعد الدين الشاذلي أن حصار الجيش الثالث يوم 23 أكتوبر 1973 هو من أجهض انتصارات أكتوبر، و أجهض سلاح البترول و الحصار البحري الذي فرضته مصر على إسرائيل. و جعل القيادة السياسية المصرية ألعبوة في يد إسرائيل و أصبح السادات كالخاتم في يد كيسنجر. سعد الدين الشاذلي، المرجع السابق، ص 311.

⁴ - منير الحمش، المرجع السابق، ص 175.

الشرق الأوسط، و أصدر في 21 سبتمبر 1978 البيان التالي¹: « تتبعت الحكومة التونسية بكامل الاهتمام المحادثات التي دارت بمخيمات داود و ترى من واجبها التذكير بالمبادئ التي ينبني عليها الموقف التونسي إزاء القضية الفلسطينية منها: إحتزام الشرعية الدولية المتمثلة في قرار الأمم المتحدة 1947، و احترام الإجماع الذي سجلته قمة الرباط و القاضي باعتبار م.ت.ف الممثل الشرعي الوحيد للشعب الفلسطيني. و ترى الحكومة التونسية أن النتائج التي أسفرت عنها محادثات مخيم داود لا تستجيب لهذه المبادئ، و لا تحل المشكل الأساسي و هو تمكين الشعب الفلسطيني من تقرير مصيره و إقامة دولته. و في هذه الفترة الحرجة تهيّب الحكومة التونسية بكل الدول العربية أن تجعل قضية فلسطين نصب أعينها»².

و عليه جددت حكومة تونس مرة أخرى مطالبها باحترام قرار هيئة الأمم المتحدة 1947، و أشارت إلى أن اتفاقيات السلام هذه لا تستجيب لمطالب الشعب الفلسطيني.

حسب الشاذلي القليبي عبّر السادات لأحد كبار المسؤولين التونسيين و هو (الصادق المقدم) عن استغرابه الشديد من موقف بورقية الراض لسياسة السلام المصرية، فكان أن رد عليه بورقية بأن هوة سحيقة تفصل بين أفكاره و اتفاقية السلام مع إسرائيل، حيث جاء في تصريحه: « لا يمكن مقارنة الوضع سنة 1965 بذلك الذي ساد بعد حرب 1967. ففي فترة خطاب أريحا لم تكن إسرائيل تحتل القدس الشرقية و لا الضفة و لا غزة. و كان للاعتراف بالدولة العبرية مقابل هو بعث دولة فلسطينية على جزء كبير من الأراضي، و لكن التمشي المصري يضع القضية الفلسطينية و هي لب الصراع العربي الإسرائيلي في وضع مأساوي بعد أن أصبح أكثر من نصف الشعب يعيش تحت الاحتلال، كما أن اتفاقية كامب دافيد أخرجت مصر من المعركة و هي التي تمتلك أكبر جيش عربي، و تركت العالم العربي عاجزا بإثارة اختلافات خطيرة. و هي تعطي انطبعا للرأي الدولي أن مصر تبنت الخيار الصائب، و أن الدول العربية الأخرى تتشبث بموقف راديكالي، و هذا غير صحيح، أما فيما يتعلق بالشعب الفلسطيني فيتهده خطر يتمثل في عدم اكتراث الرأي العام الدولي لمصيره، معتبرا أن عناده هو الذي حرمه من مستقبل أفضل». و ذكر بورقية أن أفكاره سنة 1965 تتصدى لعلاج لب النزاع في حين أن اتفاقيات كامب دافيد لم تحل إلا المشاكل المصرية³.

غير أن شهادة السفير الأمريكي ستيفن باسوورث (stephen bosworth) و الذي تم

¹ - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص 307.

² - مؤسسة الدراسات الفلسطينية، اتفاق كامب ديفيد و أخطاره، المرجع السابق، ص 127.

³ - الشاذلي القليبي، أضواء من الذاكرة، المصدر السابق، ص 175-176.

تعيينه سفيرا للو. م. أ في تونس بعد فترة قصيرة من اتفاقيات كامب دافيد (1979)، تفند مقولة أن بورقية كان رافضا لتلك الاتفاقيات، حيث ذكر السفير: « لقد كان بورقية أكثر قبولاً لوجود إسرائيل من معظم القادة العرب، لكنه مع ذلك كان مؤيدا للفلسطينيين إلى حد ما، أعتقد شخصيا أنه فضل اتفاقيات كامب دافيد، لكنه ببساطة لم يكن قادرا على الوقوف في وجه موجة بقية الدول العربية المعارضة»¹.

أمام هذه التطورات الحاصلة كان لزاما على الدول العربية أن تتخذ موقفا يمكن أن يخفف و لو بشكل نسبي غضب الشعب العربي، فتم عقد قمة عربية في بغداد في نوفمبر 1978، شاركت فيها الدول العربية و منها تونس، و قررت الأخيرة عدم الموافقة على اتفاقيات كامب دافيد و دعت مصر إلى العودة إلى الصف العربي، و حجرت على أية دولة عربية تأييد تسوية دون موافقة قمة عربية تلتئم لهذا الغرض، و حجر البيان السياسي لقمة بغداد على البلدان العربية التدخل في الشؤون الداخلية للمقاومة الفلسطينية².

بعدها أقر المؤتمر الوزاري الاستثنائي العربي الذي عقد في بغداد يوم 27 مارس 1979 م نقل مقر الجامعة العربية من القاهرة إلى تونس³، و كان الاتفاق على نقل مقر الجامعة العربية إلى تونس بعد أن كانت كل الأنظار متجهة نحوها، حيث ذكر في هذا الصدد أمين الجامعة العربية (محمود رياض) لأحد السفراء في حديث خاص: «إن أحسن مكان للحفاظ عليها هو انتقالها إلى تونس التي يرتاح إليها الجميع»⁴.

على الرغم من سرية النقاشات الدائرة بين القادة العرب في القمة العربية، إلا أن أسرار قمة بغداد كانت تناقش في اللقاءات التونسية الأمريكية في تلك الفترة⁵، إذ لم تقوى تونس على إخفاء بعض الأسرار عن حليفها التقليدي. ففي أحد اللقاءات سأل وزير الخارجية الأمريكي كيرس فانس (Cyrus Vance) الوزير الهادي نويرة عن قمة بغداد، فأجابه أن القرار الحقيقي في بغداد هو قرار بعدم اتخاذ أي قرار، كان موقف الانتظار و الترقب، و كانت هناك العديد

¹ - Michael Mahoney, interview with ambassador Stephen Bosworth, A.D.S.F.A.O.H.P, 24/2/2003, p73.

² - أحمد أبو جزر، المرجع السابق، ص308.

³ - في 29 جوان 1979 انعقدت دورة غير عادية لمجلس الجامعة في تونس انتخب فيها الشاذلي القليبي أمينا عاما، و قد اشترطت تونس لقبولها احتضان مقر الجامعة أن يكون الأمين تونسيا. ينظر: محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ص390.

⁴ - نفسه، ص389.

⁵ - انعقدت القمة من 2 إلى 5 نوفمبر 1979، و تم اللقاء التونسي الأمريكي في التاسع و العشرين من الشهر ذاته.

من التحفظات المنطقية، و أن البيان الختامي بدا سلبيا للغاية في هجومه على مصر (أكد البيان أن الاتفاقيات مضرّة بحقوق الشعب الفلسطيني)، و أشار نويّرة إلى وجود ضغوط في بغداد لاتخاذ إجراءات فورية ضد مصر، و أن السعودية عملت بجد لتخفيف هذا النهج، و لعبت تونس¹ دورها و ساعدتها إلى حد ما الأردن و الكويت².

تكمن قيمة و أهمية هذه المعلومات في أنها تصف بشكل غير مباشر العلاقات البينية و مواقف بعض الدول العربية المختلفة من اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية، و التي يمكن أن نعتبرها نقاط ضعف يمكن استغلالها من طرف الأمريكيين و الإسرائيليين، و هو ما يؤدي بالضرورة إلى إضعاف الجبهة العربية التي كانت تبدو متماسكة للعلن. و الادلاء بمثل هذه الأسرار من طرف مسؤول تونسي إلى الحليف الرئيسي لإسرائيل قد نعتبره أمر موجه ضد الأمة العربية و حتى القضية نفسها.

عودة إلى اختيار تونس كمقر للجامعة العربية بعد اتفاقيات كامب ديفيد، فيرى بعض السياسيون أن اختيارها جاء لرد الاعتبار للرئيس بورقيبة الذي كان يوصف و يتهم بأنه صاحب الدعوة إلى المصالحة مع إسرائيل، و الاعتراف بها كدولة إذا ما أعطت للفلسطينيين حقهم في الأرض بما يتفق و قرارات الأمم المتحدة³.

كما جاء في حديث أسره الهادي نويّرة إلى وكيل وزارة الخارجية الأمريكي (newsom) في لقاء لهما يوم 18 جوان 1979 في تونس لتبادل وجهات النظر حول بعض المواضيع و منها العلاقات العربية البينية و دور تونس في الجامعة، قال فيه: « إن تونس لم تسعى إلى أن تكون مقرا لجامعة الدول العربية، لكن بعض الدول العربية أرادت على مضض قبولها، و إن الحكومة التونسية لن تسمح للجامعة بالتأثير على العلاقات التونسية الأمريكية و ستبقى كما هي جغرافيا و سياسيا»⁴.

¹ - يذكر عمرو موسى وزير خارجية مصر سابقا، أنه في اجتماع رؤساء دول و حكومات منظمة الوحدة الإفريقية في دورتها 16 في ليبيا جوان 1979 أن مصر في هذا المؤتمر تعرضت لهجوم عارم بعد توقيع الاتفاقية لكن عرب إفريقيا باستثناء ليبيا كانوا أخف في هجومهم على مصر من عرب آسيا، و يقر: لم تهاجمنا تونس و لا الجزائر، و المغرب كانت مشغولة بقضية الصحراء. ينظر عمرو موسى، كتابيه، النشأة و سنوات الدبلوماسية، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2017، ص121.

² - F.R. U. S, memorandum of conversation(president's meeting with prime minister nouira of tunisia), vol.17,pr.3, north africa, 29/11/1978, doc198.

³ - سالم صالح محمد، المصدر السابق.

⁴ - F.R .U.S, telegram from the embassy in Italy to the department of state ,vol.17,pr.3, 19/6/1979, doc203.

في حين يرى البعض أن سبب الاختيار هو اعتدال و عقلانية الموقف السياسي التونسي و قدرته على التعاون مع الجميع بتوازن قائم على استبعاد الخلافات و الحساسيات. و موقعها في وسط الشمال الإفريقي و قربها و تعاونها مع أوروبا جعلها مناسبة لخلق تعاون عربي أوروبي قد يعوض العلاقات العربية الأمريكية التي بدت غير متوازنة. و أعطى موقعها في القارة الإفريقية بعدا آخرًا سيساعد على إحياء التعاون العربي الإفريقي، و الدول الخليجية لم تسعى لاستضافة الجامعة لأسباب تتعلق بظروفها، كما أنها تشكل منطقة حساسة بالنسبة للعالم (المنتج الأول للنفط العربي)، أما بغداد و دمشق فكانتا مستبعدتين بسبب مواقفهما الإيديولوجية التي لا تتسجم مع مواقف الاعتدال و الإجماع العربي، و عمان كانت مستبعدة أيضا لكونها لا تحظى بالإجماع العربي لأبعاد سياسية و تاريخية. أما المغرب و الجزائر فنظرا لتوتر العلاقة بينهما بسبب قضية الصحراء فكان من المستبعد اختيارهما. و قد فوجئت الحكومة التونسية بقرار اختيارها، و بعد مشاورات قررت الموافقة على هذا الاختيار¹.

نُقل مقر الجامعة العربية إلى تونس إثر اتفاقيات كامب دافيد، و ستتقل القيادات الفلسطينية هي الأخرى إلى تونس إثر التطورات و الأحداث التي أحاطت بالقضية، لتدخل الأخيرة و معها المقاومة طورا جديدا و مرحلة هامة من حياتها بدايات الثمانينات.

رابعا/ اللجوء الفلسطيني لتونس بين الخيار و الاضطرار.

قبل التعرف إلى أسباب و دوافع اللجوء السياسي الفلسطيني لتونس لا بد من إلقاء نظرة على الأوضاع الداخلية و الخارجية التي كانت تمر بها تونس قبيل احتضانها للقيادة الفلسطينية، و كذا أوضاع المنظمة الفلسطينية داخل لبنان.

كانت الأوضاع في تونس يشوبها الكثير من التوتر و عدم الاستقرار السياسي و الاقتصادي و الإجتماعي. ففي نهاية السبعينات حدثت مواجهات دامية بين الحكومة و الاتحاد العام للشغل (UGTT)، حيث تحول الإضراب العام الذي نظمه الاتحاد في 26 جانفي 1978 إلى انفجار شعبي² أدى بالحكومة التونسية إلى دحره بطريقة دموية، و منذ ذلك التاريخ أصبح

¹ - محي الدين المصري، جامعة الدول العربية من كامب ديفيد إلى تونس، الدار المغاربية، تونس، د.س، ص ص 43-44.

² - في 24 جانفي 1978 عقب اعتقال عبد الرزاق غريال الأمين العام للاتحاد الجهوي لصفاقس، دعا الحبيب عاشور الأمين العام للاتحاد التونسي للشغل إلى إضراب عام لأول مرة منذ الاستقلال و صرح أن الشعب هو المجاهد الأكبر. و بعد تجاوزات عديدة حدثت المواجهة بين حكومة نويرة و الاتحاد أدت إلى انتفاضة شعبية تم قمعها بعنف من قبل الجيش و الشرطة، هذه الأحداث التي اتخذت تسمية الخميس الأسود، ينظر: Mohamed larbi haouat, op.cit , p99.

اتحاد الشغالين رمزا للمقاومة للمجتمع المدني ضد السيطرة النظامية التي تفرضها الدولة من خلال الحزب الواحد. و من بين الأحداث التي شهدتها تونس في تلك الفترة أحداث قفصة¹ 1980، و صعود الحركة الإسلامية، إضافة إلى تردي الوضع الإقتصادي، حيث وجدت الدولة نفسها مجبرة تحت وطأة هذا الوضع على تخفيض النفقات العامة و مقاومة مطالب زيادة المرتبات و وضع هذا الحكومة في مأزق².

فكانت تونس عند مقدم الفلسطينيين تمر بوضع حرج للغاية، حيث تدهورت الحالة الاجتماعية و السياسية لإصرار بورقية على الإبقاء على الحزب الواحد رغم تنامي التيارات الفكرية المطالبة بالديمقراطية، و كان التيار الأمني موجها نحو التيار الإسلامي. إضافة إلى تنامي الصراع الداخلي على الحكم في ظل تقدم بورقية في العمر و انهيار صحته³، إذ أن قدراته الجسدية و العقلية لم تعد تمكنه من معالجة الأزمات الحادة التي كانت تعصف بتونس في مرحلة الثمانينات من القرن 20، إلا أن تضخم الأنا السياسية جعلته يتمسك بالحكم حتى النهاية⁴.

حسب شهادة السياسي اليمني سالم صالح محمد أنه في هذه الفترة ما قبل قدوم الفلسطينيين كانت صحة الرئيس بورقية جد متدهورة إذ يقول: « في نوفمبر 1979 كنت في تونس برفقة الرئيس عبد الفتاح إسماعيل لحضور اجتماعات الملوك و الرؤساء العرب، مؤتمر القمة العربي (باستثناء جمهورية مصر)، و أتحت لنا فرصة مقابلة الرئيس بورقية و الذي كان حينها قد بدأ يفقد جزءا من ذاكرته بحكم تقدمه في السن، و عندما دخلنا و سلمنا على الرئيس قال بصوت متهدج: لو انتظرت الجامعة العربية لعملت بنا ما عملت بفلسطين و لكني لم استسلم له عندما قال لي انتظر حتى نحل قضية فلسطين، و قصد من كلامه عبد الرحمان

¹ - يذكر الصافي سعيد، أنه في جانفي 1980 بينما كان بورقية في زيارة نقاهة بواحة نفطة في الجنوب التونسي، حتى استيقظ و معه الشعب التونسي على هجوم مسلح على مدينة قفصة التي تبعد بنحو 90 كلم عن نفطة، و قفصة هي ولاية مهمة من حيث الثروات و تاريخ المقاومة. المهاجمون ينتمون إلى الجماعات التونسية المعارضة في ليبيا، و أعضاء الكمندوس تدربوا ما بين ليبيا و لبنان و تسللوا عبر الأراضي الجزائرية. الصافي سعيد، المرجع السابق، ص 185-186.

² - عبد القادر الزغل، اضطرابات الخبز و أزمة نظام الحزب الواحد في تونس، "دراسات إفريقية عن الحركات الاجتماعية و الديمقراطية في إفريقيا و العالم العربي"، ج 1، ع. 1508، 2010، ص 185، 187.

³ - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص 109.

⁴ - عبد الجليل التميمي، نهاية حكم بورقية و القيادات العربية ...، المرجع السابق، ص 17.

عزام»¹. فكانت هذه بعض الأوضاع التي كانت تمر بها تونس و كذا رئيسها، و التي اتسمت في غالبها بالتوتر.

قبل أن تغادر الفصائل الفلسطينية أراضي لبنان باتجاه تونس، كانت الأخيرة واحدة من بين الدول التي ساهمت في تدريب الفلسطينيين على أساليب القتال و الدفاع²، إذ يذكر النوري بوشعالة في هذا الصدد: « حرصا على مساعدة الفلسطينيين فيما يحتاجونه في تصريف شؤونهم دعينا في الدوائر الأمنية التونسية إلى تدريب فرق أمنية فلسطينية على دورات متتالية، و ذلك في جميع الاختصاصات لا سيما تلك التي تتصل بحماية الشخصيات، و قد كلفت شخصا بالإشراف على تدريب عدة فصائل فلسطينية فيما بين 1979 و 1990م بمدرسة الأمن الوطني بسلامبو في مجال الرماية و غيرها، و في أبريل 1980 أوشكت التدريبات على النهاية فدعيت لإعداد حفل التخرج حضره القائد الفلسطيني (هايل عبد الحميد) الملقب بأبو الهول و ضابط الأمن (طارق أبو رجب)، و (حكم بلعوي) ممثل منظمة التحرير في تونس و العديد من الشخصيات»³. و عليه مثلت تونس نهاية السبعينات و بداية الثمانينات مركزا مهما لتدريب الفلسطينيين على فنون القتال، الأمر الذي أضاف الكثير للمقاومة الفلسطينية.

هذا و كانت تونس قد باشرت نشاطها السياسي داخل الجامعة العربية بعقدها القمة العربية العاشرة في 20 نوفمبر 1979 لمناقشة جوانب الصراع العربي الإسرائيلي و إستراتيجية العمل العربي المشترك. و يذكر في هذا الصدد السياسي الأردني (عدنان أبو عودة) وجود جو من عدم الارتياح كانت تشعر به تونس بعد استضافتها للجامعة العربية و تبعات هذه الاستضافة أن الهادي نويرة قال بأن التونسيين قبلوا بعقد القمة العربية في تونس فقط كونها دولة تستضيف الجامعة العربية لكنهم لا يعتقدون بجذوى القمة الآن ما لم يعد لها سلفا و يحدد بالضبط ماذا يراد التوصل إليه⁴.

و ذكر عودة أنه في تلك اللحظات شعر أنه يريد أن يتصرف أحد الأطراف لإزاحة هذا العبء عنهم. و كانت الصورة بعد قمة تونس شل الحركة العربية على الساحة الدولية

¹ - سالم صالح محمد، المصدر السابق.

² - أنظر الملحق رقم: 18.

³ - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص 101.

⁴ - عدنان أبو عودة، يوميات عدنان أبو عودة (1970-1988)، ط1، المركز العربي للأبحاث و الدراسات، بيروت، 2018.

ضمن العمل في إطار خيار السلام، و ذلك نتيجة عدم التوصل إلى قاعدة محددة و واضحة يمكن أن يعبأ حولها المجتمع الدولي. و بشل إمكانية هذه الحركة بقيت الساحة مفتوحة لتفاعل العناصر الحية، و هي عناصر اتفاقية كامب دافيد، و كذا شل قدرة الفلسطينيين على المناورة السياسية و إبقائهم في دائرة الغموض غير المجدي نتيجة سيطرة السوريين عليهم لحاجة المنظمة لهم في لبنان»¹. في شهادة بن عودة هناك إشارة إلى أن انتقال الجامعة إلى تونس زاد من لجوء القادة العرب إلى خيار السلام.

في هذه القمة عبر بورقيبة عن ثقل المسؤولية التي أُلقيت على عاتقه قائلا: « لئن كان من الطبيعي أن يجتمع رؤساء الدول في بلد المقر فقد كان لكم عندنا يد أسديتموها إذ اخترتم تونس مقرا للجامعة، و بقدر ما يلز لي أن أعد ذلك تقديرا منكم و تكريما، فإنه لا مناص من اعتباره شرفا ثقيلا نأمل أن تتظافر الجهود ليخف حمله»².

كما استغل بورقيبة عقد هذه القمة ليؤكد وجهة نظره من جديد حول القضية الفلسطينية و من اتفاقيات كامب دافيد: « قيل لي عدة مرات: أنت صاحب نظرية المراحل فكيف لا توافق على مرحلية مخيم داود؟ فكان جوابي: لقد فصلت خصائص الحل المرحلي الصحيح و بينت الفرق بينه و بين الحل المغشوش، إن الحل المرحلي الذي ناديت به لم تكن محاوره مدينة القدس و لا مرتفعات الجولان أو صحراء سيناء، و لا غزة و لا الضفة الغربية، إنما دعوت إلى الكفاح ضد الكيان الصهيوني في إطار الحدود التي كانت قبل حرب جوان 1967، قصد الحد من هذا الكيان و تقليص أوضاعه بالتدرج الذي يفرضه تفاوت القوى»³.

لكن في أعقاب كامب دافيد مع تعليق عضوية مصر في الجامعة و قطع العلاقات الدبلوماسية معها، هل لعبت تونس دورا مهما في القضية الفلسطينية في تلك الفترة؟ يذكر السفير الأمريكي ستيفن باسوورث أن التونسيين كانوا قادرين على لعب دور ما داخل المجالس العربية، لكن كانوا يدركون جيدا حجم بلدهم الصغير نسبيا خاصة و أن الدول العربية كانت متشككة في تونس بسبب علاقاتها مع أوروبا، مع انتشار اللغة الفرنسية هناك

¹ - عدنان أبو عودة، المصدر السابق.

² - محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ص 390.

³ - نفسه، ص ص 390، 392.

بشكل واسع¹، و ارتباطها بالو. م. أ، لذلك لم يكونوا فاعلين رئيسيين بأي شكل من الاشكال في قضايا الشرق الأوسط².

على هامش القمة العربية التي عقدت في تونس، يمكن أن نشير إلى حادثة مهمة مست العلاقات التونسية الفلسطينية، و ربما كانت تلك الحادثة قد أثارت التونسيين و بالتالي تأثيرها على طبيعة تعاملهم مع الوجود الفلسطيني فيما بعد.

كانت أجواء التوتر سائدة بين رئيس المنظمة عرفات و الحكومة التونسية على إثر دعوة عرفات لقائد الثورة الايرانية (روح الله الخميني)³ الذي لم يلبي الدعوة و لكن أرسل وفدا يمثله كي يشارك في القمة العربية في تونس 1979. لم يكن عرفات قد نسق الدعوة مع أحد و لا حتى مع المضيفين التونسيين حسب ما ذكره (نبيل عمرو). و إكراما له و بجهد من سفيره حكم بلعوي سمح لوفد الثورة الإسلامية الإيرانية بدخول العاصمة التونسية⁴. لكن حكم بلعوي رفض حضور الوفد الإيراني مجريات القمة لكون التونسيين قد حذروه من أي إخلال بالترتيبات البروتوكولية، و أنه لا أحد يرغب في رؤيتهم داخل القاعة، و لم يطلع بلعوي عرفات على الأزمة الحادة و المكتومة التي أثارها مبادرته و لكنه أنهى الأزمة بتعاون مع السفير الإيراني و القيادة التونسية و الأمانة العامة لجامعة الدول العربية بإيهام الوفد أنهم سينظمون مؤتمرا صحفيا للوفد و لكن في فندق آخر، و طلب بلعوي من عرفات الإذن بنقل الأعضاء حيث سيعقد المؤتمر المزعوم⁵.

¹ - حسب باسورث واجهت تونس مشكلة كبيرة أثناء استضافتها للجامعة و هي اللغة، لأن اللغة العربية التي كان يتحدث بها في تونس لم تكن فصحي مع استعمال اللغة الفرنسية، فكان المشاركة يجدون صعوبة في فهم التونسيين. Michael Mahoney, op.cit. p75.

² - ibid, p73.

³ - يذكر نبيل عمرو القيادي الفلسطيني في منظمة فتح و هيئات منظمة التحرير و أحد الشخصيات اللصيقة بعرفات أنه بعد انتصار ثورة الخميني و الإطاحة بعرش الشاه، و نظرا لما كان لهذه الثورة من امتداد شعبي في العالم العربي، فقد تهادى عرفات في الاندماج في الظاهرة الإيرانية و عمل كل ما استطاعته لجر العرب إليها، حيث بلغ الأمر أن وجه دعوة للخميني لحضور القمة العربية في تونس. ينظر: نبيل عمرو، عرفات و جنون الجغرافيا، دار الشروق، مصر، 2012، ص156.

⁴ - يذكر نبيل عمرو أنه لم تنفع ذرائع بلعوي المتفاهم عليها مع التونسيين لرفض الوفد الإيراني، من ضمنها عدم وجود أماكن لإقامة الوفد، حيث تحتشد وفود القمة و مرافقوها و جيش الصحافيين في الأماكن المتاحة لها، لكن عرفات وجد من يهمس في أذنه بأن منزل السفير الإيراني يقع على مقربة من فندق هيلتون حيث تعقد القمة. ينظر: نبيل عمرو، المصدر السابق، ص156-157.

⁵ - كانت الحجة التي قدمها بلعوي لنقل الوفد إلى مكان آخر أن كلمات طيبة سيقولها الإيرانيون في مصلحة علاقة إيجابية مع مؤسسة القمة ستؤدي لتلطيف الأجواء و سرعة مشاركتهم في القمة. و حين كان يتأهب عرفات للتوجه قاعة القمة سأل عن المؤتمر، فرد عليه عمرو: سيعقدونه على ما يبدو بعد ساعة في الجزائر، فظن عرفات أن فندقا في تونس اسمه الجزائر، فقال: الجزائر، الجزائر، فأجاب

أما في الشأن الخارجي، فقد كانت العلاقات الليبية التونسية مثلاً في أسفل الدرك، إذ يذكر الصحفي التونسي (كمال الشطي) و الذي لازم بورقية في الفترة الأخيرة من حياته أن علاقة بورقية بالقذافي كانت على درجة كبيرة من التوتر، حيث كان الأول يستخف بمبادرات القذافي المرتجلة و تسرعه في اتخاذ القرار إلى حد كبير، كما أن هاجس التخوف من جموح القذافي و سعيه لضم تونس بأي ثمن لم يفارق بورقية طوال حياته، فلم ينس القذافي تراجع بورقية عن اتفاقية جربة (12جانفي1974) فسعى جاهدا إلى اغتنام الفرصة للإساءة للنظام التونسي². و منذ ما عرف بكموندوس قفصة الذي قيل أنه تدرب و جاء من ليبيا للسيطرة على مدينة الفسفاط قفصة في محاولة لخلخلة نظام بورقية-الهادي نويرة ظلت العلاقات شبه مقطوعة و الحدود مغلقة. فكانت تونس و منذ انسحابها من معاهدة جربة حذرة من جهة ليبيا³.

و سيكون لتشنج العلاقات هذه تأثير كبير إن لم يكن تهديدا للوجود الفلسطيني بتونس.

لم تكن القضية الفلسطينية بعيدة عن دائرة اهتمامات تونس في تلك الفترة، ففي سياق الجهود الدبلوماسية من أجل الظفر باعتراف أمريكي بم. ت. ف كممثل شرعي للشعب الفلسطيني، أدى مزالي زيارة في 28 أبريل 1982 رسمية إلى الولايات المتحدة للولايات المتحدة حيث استقبله (Ronald Reagan) كرئيس دولة، و كان معه (صلاح بالي) وزير الدفاع، و (الحبيب بن يحيى) سفير تونس بواشنطن، و (محمد هاشم) المستشار الدبلوماسي لدى الوزارة الأولى، و أخذت القضية الفلسطينية أكثر من نصف الوقت المخصص للمحادثات⁴.

ذكر مزالي أنه قبل سفره إلى واشنطن كان قد تحدث طويلا مع عرفات، و خصوصا مع (عصام السرطاوي) مستشاره الخاص لمحاولة ضبط إستراتيجية من شأنها تسهيل الاعتراف

عمرو: نعم الجزائر بلد المليون ونصف شهيد. ففهم عرفات أنه تم تحويل وجهة الوفد، و منه عدم حضوره القمة. نبيل عمرو، المصدر السابق، ص159.

¹ - Michael Mahoney, op.cit, pp71,72.

² - كمال الشطي، *بورقيبة في عقبة الآخرين*، مذكرات صحفي، شركة البرق، تونس، 2017، ص 69.

³ - الصافي سعيد، القذافي سيرة غير مدنسة، المرجع السابق، ص 299.

4 - محمد مزالي، المصدر السابق، ص 599.

بم. ت. ف من طرف أمريكا التي كانت تعتبره عدوا لدودا. و كان الزعيم الفلسطيني قد التزم بأن يلغي من ميثاق المنظمة الفصل الذي يقر بإزالة إسرائيل و قد أوفى بوعده بمناسبة زيارته لباريس 1982. و التزم أيضا بالاعتراف بدولة إسرائيل علنا مقابل اعتراف أمريكا و إسرائيل بم. ت. ف. « هذا و قد ضبطت المقترحات في نص سلمه عصام السرطاوي إلى مزالي¹.
أقر مزالي بأنه دافع داخل البيت الأبيض أمام ريغان عن الملف الفلسطيني بحماس و صدق لدرجة أن ريغان صرّح بأن هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها مسؤولا عربيا تحدث معه عن الفلسطينيين سرا كما تحدث علنا، لأن أغلب رؤساء الدول أو الحكومات العربية يحذرون في السر مخاطبيهم الأمريكان من تطرف الثوريين الفلسطينيين. لكن هذا التبادل الواعد لم يتم لأن الجيش الإسرائيلي زحف على لبنان و احتل بيروت في جوان 1982م، و أجهضت كل المجهودات².

حسب الصحفي (يوري أفينيري)³ كان ياسر عرفات مستعدا بشكل قاطع للاعتراف بإسرائيل إذا ما اعترفت بم. ت. ف، كما كانت المنظمة تسعى للحصول على اعتراف أمريكي مقابل مغادرة بيروت، لكن الو.م.أ كانت تلتزم بموجب تفاهم عام 1975 مع إسرائيل بعدم فتح اتصال مباشر مع م. ت. ف قبل أن تعترف المنظمة بإسرائيل و قراري 242 و 338. كما عارضت إسرائيل مفهوم الوطن الفلسطيني المنفصل تحت أي ظرف كان، حيث قال وزير الخارجية (إسحاق شامير) لا يوجد شيء في العالم يمكن أن يجبرهم على التفاوض مع منظمة قتلة⁴.

أما فيما يخص أوضاع م. ت. ف، ففي جنوب لبنان لم يستمر الصمود و التضامن بين سكان الجنوب اللبناني و الفلسطينيين إذ أن غضب الناس على المقاومة الفلسطينية في السبعينيات كان يتصاعد، و كان بعض المقاتلين الفلسطينيين يحملون السلاح علنا في قرى و بلدان الجنوب، فتذكر بعض المصادر التاريخية أن الفلسطينيين اتخذوا من الأماكن الآهلة

¹ - محمد مزالي، المصدر السابق ، ص602.

² - نفسه، ص602.

³ - يوري أفينيري: كاتب و صحفي إسرائيلي، صاحب مجلة ها عولام هازيه، تحول تدريجيا إلى رجل سلام و ناقد لآلة الحرب الإسرائيلية، التقى بأبو عمار و شفيق الحوت ببيروت و تفقد الدمار الحاصل بها بعد الاجتياح الإسرائيلي، و عند عودته لإسرائيل تعرض لحملة شرسة، و طالب أعضاء الكنيست بإحالة على المحاكمة بتهمة الخيانة العظمى. نبيل شعث، المصدر السابق، ص1243.

⁴ - trudy rubin, possible us-plo dialogue worries isrelis, "the christen science monitor", 22july1982.

مرايض مدفعية غير عابئين بمصير اللبنانيين و أرزاقهم من رداات الفعل الإسرائيلية. و تكثف وجود المليشيات اليسارية و الفلسطينية حتى وصل حوالي 15 تنظيما في الجنوب عام 1976¹. فكانت هذه التنظيمات المتناقضة بمصادر تمويلها و أهدافها و أيديولوجيتها تتصارع فيما بينها (جماعات موالية للعراق، و أخرى سورية و شيوعية، شيعية، سنية) ما أدى لسقوط ضحايا مدنيين. و حسب ما جاء في بعض الأدبيات كان تصرف بعض المسلحين غير لائق و ألحق ضررا بصمعة القضية الفلسطينية و الأحزاب اللبنانية، و ساهم سلوك المقاتلين الفلسطينيين في الجنوب في شحن مقولة أنه لا يختلف عن جيش الاحتلال. و لم تكن إسرائيل غائبة على الأرض، إذ زرعت مئات العملاء الذي ساهموا في تفاقم الوضع في الجنوب و توسيع الهوة بين السكان و التنظيمات، و كان عملاء إسرائيل ينشرون الإشاعات ضد التنظيمات المسلحة و أن هدف المقاومة ليس تحرير فلسطين بل جعل لبنان وطنا بديلا². على حد تعبير الكاتب و الصحفي اللبناني (جورج فرش) في شهادته الشخصية، كان الوجود الفلسطيني في لبنان بكل مظاهره الثقافية و الإعلامية و الاقتصادية و المسلحة هاجسا من هواجس الرئيس اللبناني (سليمان فرنجية)، و أدرك أن وجود اللاجئين مشكلة كبيرة لأنها ظلم فادح يلحق بشعب شقيق دون ذنب ارتكبه، و لأنها تشكل خطرا على لبنان و أن لبنان ليس عنده القدرة على إعادة اللاجئين إلى وطنهم، و رأى في الفدائيين أنهم خطرا على أمن الدولة (إقامة دولة داخل دولة)³. و منه بدا أن حكام لبنان قد بدأوا يضيّقون ذرعا بالفلسطينيين و بتبعات تواجدهم هناك.

ازداد الوضع الفلسطيني تأزما في لبنان بعد أن قصفت إسرائيل بيروت في 16 جويلية 1981 م، فاجتمع مجلس الدفاع العربي في تونس في 23 جويلية لدراسة السبل الممكنة لوقف هذا الاعتداء⁴. و جاء القذافي إلى تونس ليطلب من بورقية عقد قمة عربية عاجلة حول الملف الفلسطيني اللبناني، لكن الدول العربية كانت غير قادرة على الاتفاق على جدول أعمال

¹ - كمال ديب، أمراء الحرب و تجار الهيكل، خبايا رجال السلطة و المال في لبنان، دار الفرابي، لبنان، 2015، ص 465.

² - نفسه، ص ص 465-466.

³ - جورج فرش، سليمان فرنجية شهادات و ذكريات، ط1، بيروت، 2002، ص ص 89-90.

⁴ - أصدرت وزارة الخارجية الجزائرية بيانا في أوت 1982 أعلنت قبولها لطلب منظمة التحرير إيواء الجزائريين لكتائب المقاتلين. محمد تاملت، المرجع السابق، ص ص 153، 157.

مما حال دون عقدها، في غضون ذلك كان عرفات و قواته يسحقون في بيروت¹. حوَصر الفلسطينيون ببيروت الغربية و اتخذ (شارون) من القصر الرئاسي في بعبداء بيروت مقرا له، يشرف على العمليات من القصر الرئاسي لدولة عربية ذات سيادة، و كان ضغط القوة الدولية المساندة لإسرائيل و المسنود بتأفف اللبنانيين و ضيقهم ذرعا بسبب ما حل بهم من مصائب نتيجة الحرب، الأمر الذي دفع الفلسطينيين إلى القبول بمغادرة لبنان، حيث دام الحصار 88 يوما دون أن يرفعوا الراية البيضاء².

خلف الإجتياح الإسرائيلي للبنان ردود فعل اختلفت في حدتها، و يذكر عضو حركة فتح (حكم بلعاوي) موقف تونس من هذا الاجتياح قائلا: « تحركت الجماهير العربية و أحرار العالم، و اندلعت المظاهرات و أشاعت الاعتزاز في نفوس القادة العرب، و قد شعرت بذلك كله في الاجتماع الذي خصني به بورقية بحضور بعض من أركان حكومته قائلا: إن الشعب الفلسطيني هو عقل و ضمير الأمة و أن البطل عرفات يستحق بجدارة وسام الشجاعة من الوطن العربي، و أعطى بورقية تعليماته بدعم الحركة الوطنية الفلسطينية بإرسال السلاح و المواد الطبية و الغذائية دون تردد، و أعلن عن عملية شعبية للدعم المالي»³.

اشتد الخناق على منظمة التحرير إلى أن خرجت من بيروت في سبتمبر 1982م باتجاه تونس⁴، و لكن عرفات عاد إلى لبنان و تحصن في مخيمي البداوي و البارد الفلسطينيين، و سيطر على طرابلس معتمدا على الدعم السني للقضية الفلسطينية و مراهنا على تحالفه مع حركة التوحيد، و أثارت سيطرة عرفات على طرابلس غضب السوريين نتيجة الخلاف بين حافظ الأسد و عرفات، فصممت دمشق على إزالته و حلفائه من طرابلس. بدأت حرب دموية بين مليشيا التوحيد الإسلامي تدعمها حركة فتح الفلسطينية ضد الجيش السوري، و قد سقط جراء حرب طرابلس 1983 مئات القتلى انتهت بفوز السوريين و خروج عرفات مجددا من لبنان

¹ - Sophie bessis, Souhayr belhassen, op.cit, p193.

² - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص117.

³ - نفسه، ص103.

⁴ - يذكر نبيل شعث تعداد المقاتلين الذين غادروا: 970 مقاتلا إلى تونس، 588 إلى الجزائر، 841 إلى اليمن الشمالي، 1390 إلى اليمن الجنوبي، 448 إلى السودان، 3900 إلى سوريا، 261 إلى الأردن، و 136 إلى العراق. نبيل شعث، المصدر السابق، ص1306.

إلى تونس¹.

احتضن بورقية و بلاده القضية الفلسطينية و القسم الأكبر من قيادتها بعد خروجها من بيروت في استقبال رسمي شعبي، و كان ذلك مبعث ارتياح أوساط الأوروبيين و الأمريكان و الاتجاه الفلسطيني المعتدل². لتبدأ بذلك حركة التحرير الفلسطينية مرحلة جديدة من حياتها. تعددت أسباب اللجوء و تداخلت بحيث أصبح من الصعب إسنادها إلى طرف معين بدرجة أولى، و سنحاول في هذا الصدد أن نفصل تلك الدوافع تبعا لكل طرف، طرف يمثل بورقية، و آخر تمثله زوجته الوسيلة³، و طرف يمثل بعض القادة الفلسطينيين، و آخر متعلق ب. و. م. أ.

لكن قبل التطرق لتلك الأسباب هناك تساؤلات عديدة يثيرها انتقال القيادة الفلسطينية إلى تونس و الظروف التي أحيطت بالحدث أهمها: لماذا جازفت تونس ممثلة في رئيسها بأمنها و سلامة أراضيها بقبولها لجوء القيادة الفلسطينية إليها؟ و لماذا قبل بورقية أن تمارس المنظمة نشاطاتها في تونس و هو الذي أيد سابقا أن تدير المنظمة نشاطها بدرجة أولى في الأراضي الفلسطينية؟ و هل كانت أبعاد هذا التواجد غائبة عن ذهن القادة التونسيين رغم إدراكهم المسبق ما جرى داخل البلدان التي احتضنت المقاومة الفلسطينية (خاصة الأردن و لبنان)، و رغم الشروط التي وضعتها تونس مقابل هذا التواجد؟ و لماذا اختار الفلسطينيون تونس مع علمهم أنه يسهل اختراقها أمنيا؟ و من المستفيد الأول من هذا التواجد؟ و هل اللجوء إلى تونس كان مخططا له منذ فترة طويلة أم أن الظرفية التي كانت تمر بها المقاومة كانت وراء ذلك؟

بالنسبة لدوافع بورقية فتشير بعض الدراسات إلى أن الرئيس التونسي رأى في انتصاب

¹ - كمال ديب، المرجع السابق، ص 344-345.

² - محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ص 396.

³ - الوسيلة بن عمار (1912-1999): الزوجة الثانية للبيب بورقية، كانت تعرف جيدا شخصية بورقية، و مزاجه و بواعث قلق اللحظة لديه. كانت تحرص على أن تؤثر على القرارات الرئاسية من وراء الستار (كمال الشطي، المرجع السابق، ص 61)، و قد كانت الرحلة الشرقية 1965 من العوامل التي أدخلتها إلى مضمار السياسة، فأقامت علاقات وثيقة مع عرفات و أبو إياد، و وسعت نطاق علاقاتها مع دول الجوار الجزائر و ليبيا. (amor chadli, op.cit, p175). و كان لها تأثير كبير في السياسة الخارجية التونسية حيث وقفت ضد الوحدة مع ليبيا 1974 حين اتصلت بالرئيس هواري بومدين لتهديد بورقية بإيقاف هذا المشروع، و هكذا تم التراجع عن الوحدة. (الصافي سعيد، القذافي سيرة غير مدنسة، المرجع السابق، ص 191). كما أقنعت بورقية باحتضان القيادة الفلسطينية في تونس فيما بعد.

القيادة في تونس اعترافا بحكمته و خطه الداعي إلى تغليب لغة الحوار و المساومات مع إسرائيل و سيشكل ذلك الحدث التاريخي المهم ترطيبا للأجواء مع الجارتين الجزائر و ليبيا التي كانت على درجة عالية من التوتر خاصة مع ليبيا، و در استقرار الفلسطينيين في تونس عائدا اقتصاديا مجديا، حيث لم تقل مصاريفهم الشهرية عن 40 مليون دولار. لكن تبرم بورقيبة و معظم مساعديه من العرب بقي يؤثر بقوة في صياغة توجهات تونس الخارجية¹.

إذا أردنا أن نثبت مدى صحة هذه الفرضية فلا بد من العودة إلى الأوضاع التي كانت تمر به تونس، و وفق ما ذكرناه سابقا كانت الدولة المضيفة تمر بضائقة مالية و اقتصادية جد حرجية، الأمر الذي أثار حفيظة الشعب و نقمته على النظام فربما كان هذا التواجد سيخفف من وطأة هذه الضائقة، و عليه لا يمكن أن نستبعد هذا الدافع الذي غيبتة العديد من الدراسات التونسية.

من المبررات الأخرى ما أشار إليه الباحث الحناشي و هو عدم وجود دول عربية من بلدان الطوق كانت على استعداد لاستقبال القيادة الفلسطينية إما بسبب خلافاتها مع المنظمة أو نتيجة لتباين التوجهات و الأطروحات، أو أسباب تتعلق بأمن تلك الدول. كما أن المواقف التقليدية للحكومة التونسية من آفاق حل القضية الفلسطينية و دعم علاقاتها بالمنظمة بعد إقرار برنامجها المرحلي كانت سببا في ذلك².

ما يمكن أن نفترضه و نضيفه إلى دوافع قبول الحكومة التونسية هذا اللجوء و هو أن احتضان القيادة الفلسطينية من شأنه صرف الشعب عن المشاكل الداخلية خاصة و إن علمنا أن الأوضاع التي كانت تمر بها تونس في هذه الفترة كانت جد متأزمة، الأمر جعل هذه الموافقة كخيار تكتيكي لتلميع صورة النظام، و توجيه أنظار الشعب إلى قضية لطالما أثارت عواطفهم. كما كانت الدولة في مواجهة مفتوحة مع قادة التيار الإسلامي في تونس الذي كان يدعم القضية الفلسطينية، لذلك ربما رأت السلطات التونسية ضرورة استقطاب القيادة للحد من تنامي خطر التيار الإسلامي.

من جهة أخرى رأى توفيق المديني أن الأنظمة العربية الأشد رجعية كشفت عن

¹ - الحسين بن عيسى، البورقيبية و الهوية صراع مشاريع، المرجع السابق، ص 266.

² - عبد اللطيف الحناشي، إدارة الأزمات الخارجية في أواخر العهد البورقيبي، الغارة الإسرائيلية أنموذجاً، المؤتمر الخامس حول نهاية حكم بورقيبة و القيادات السياسية العربية بين الصعود و الانحدار، جمع عبد الجليل تميمي، تونس، مارس 2005، ص 140.

مشاركتها في التخطيط لاستثمار المعركة (اجتياح لبنان) في فرض حل سياسي يصفى القضية الفلسطينية، و تحقيق الأهداف الإمبريالية الأمريكية، فضمن هذا السياق استقبل النظام التونسي قيادة م. ت. ف بزعامة عرفات¹.

بالنسبة لدور الوسيلة فتتفق أغلب المصادر و الدراسات التاريخية التي تطرقت لمسألة اللجوء الفلسطيني إلى تونس على أنها لعبت دورا حاسما في إقناع بورقيبة باحتضان القيادة الفلسطينية و دوافعها في ذلك أنه لما كان من الصعب إيجاد اتفاق بين كل الدول العربية حول القضية الفلسطينية و لاسيما حول موضوع احتضان المقاومة بعد الاجتياح الإسرائيلي للبنان، فقد عبرت الوسيلة عن استعداد تونس لقبول الفلسطينيين بحكم علاقاتها الوطيدة بقياداتهم و في مقدمتهم ياسر عرفات، و صلاح خلف و عصام السرطاوي و حكم بلعوي، و الذين يمثلون مصدر معلوماتها في كل ما يحدث في الشرق الأوسط، و بما أن بورقيبة كان شديد الحذر من كل ما يأتي من الشرق فقد أبدى تحفظات تجاه ذلك، و لكن الوسيلة وجدت في أمريكا مؤيدا لها من خلال والتر كيلتر (walter cutler) السفير الأمريكي بتونس الذي أعطى الضوء الأخضر للمشروع، و حرصت بنفسها على التحول إلى مدينة بنزرت لمشاركة التونسيين في حفل استقبال المقاومين الفلسطينيين، و نتيجة لكل هذه الجهود ظل صلاح خلف يردد لاحقا: « إن الزعيم السياسي العربي الأكثر مساعدة لنا هو وسيلة بورقيبة »².

في ذات السياق ذكرت كل من الصحفيتين صوفي بسيس و سهيل بلحسن أن رغبة الوسيلة في احتضان تونس للمقاومة لم تكن ذات دوافع أو لها أغراض خفية تذكر، و جاء ذلك في قولهما: « إن الدراما الفلسطينية³ هي السبب الوحيد الذي تهتز لأجله وسيلة بورقيبة تقريبا دون دوافع خفية، و من دون أن تكون داعية للحرب مثلها مثل بورقيبة، فهي لا تعارض الحوار و موقفها تجاه اليهود لم يتحول أبدا لمعاداة السامية. كان عرفات، السرطاوي، خالد الحسن، أصدقاء مقربون و يمارسون تأثيرا عليها يصل أحيانا لأبعد الحدود »⁴.

¹ - توفيق المديني، المرجع السابق، ص57.

² - عادل بن يوسف: المرأة و السلطة في تونس خلال فترة الحكم البورقيبي، وسيلة بورقيبة نموذجا، المؤتمر الخامس حول نهاية حكم بورقيبة و القيادات العربية بين الصعود و الانحدار، مؤسسة التميمي، تونس، 2005، ص57-58.

³ - لا ندري لماذا ذكرنا كلمة دراما و ليس القضية أو المقاومة الفلسطينية، هل هو تقليد من شأنها و كأن القضية عبارة عن مسرحية دراما تمثيلية؟ مع العلم أن صوفي بسيس تونسية من أصول يهودية.

⁴ - sophie besis, souhayr belhassen, *bourguiba un si long règne*, op.cit, p193.

ما يبرر أن العلاقة بين سيدة تونس الأولى وسيلة و بعض الشخصيات الفلسطينية كانت جد وطيدة و على درجة كبيرة من الود و الترابط هو مشاركة بعضهم النقاشات في القضايا الداخلية لتونس. ففي 16 ديسمبر 1977م نظمت وسيلة مأدبة عشاء بمنزل (الحبيب عاشور) الأمين العام للاتحاد التونسي للشغل، و دعت إليه كل من أبو إياد، و نورية الوزير الأول، و محمد المصمودي و محمد الصياح و الحبيب الشطي...، حيث تم التطرق لإضراب عمال السكة الحديدية المقرر يوم 19 ديسمبر، و قد عبر نورية عن حاجته لعشر مليارات من المليمات لتلبية مطالب الشغالين (لكون البلد كانت تتخبط في أزمة)، أين تدخل أبو إياد ليقول إن المال لا يمثل عائقا و يمكن الحصول عليه من ليبيا¹.

نقلا عن كتاب حكم بلعوي "ذاكرة وطنية" في جزءه الأول يقول بوشعالة حول الود الذي تكنه الوسيلة للشعب الفلسطيني، يذكر بلعوي: « كانت تربطني صلات طيبة مع الماجدة وسيلة بورقيبة² حيث أدركت عمق وفاءها لشعبنا و سماحتها. و قلت لها أريدك أن تحدد لي المقابلة مع السيد الرئيس بعد أن تشرحي له الموضوع الذي قدمت من أجله، إنه يتلخص في أن الرئيس أبا عمار والقيادة الفلسطينية و جزء من مناضليها يرغبون في الوصول إلى تونس رسميا كاستضافة و إقامة سياسية، فتوهجت الماجدة و امتلأت نشوة و مشاعر فياضة (...). إن الرئيس يحبك جدا و يقول لي و لرئيس الوزراء أنك كولده، و إن هذا الموضوع لو طرحه أنت بالذات سيوافق عليه، و نصحتني أنها ستنقل كل ذلك للرئيس و عن موعد مقابله، و أعطتني إشارة إذا رأيته عند مقابلة الرئيس معناها أنه قد وافق على القرار³.

حسب ما ذكرته صوفي بسيس كانت الوسيلة تؤكد لبورقيبة بأنه هو أول عربي دافع فعلا عن القضية الفلسطينية، و سيبقى مخلصا لنفسه من خلال الترحيب بهؤلاء المتجولين الذين لا يريدون أحد بعد الآن. لكن بورقيبة لم يكن مقتنعا تماما غير أنه وجد حليفا غير متوقع و هو الو. م. أ، لأن واشنطن لن تنظر بازدراء إلى تونس المعتدلة لإيواء المنظمة التي لولا ذلك ستضطر للبحث عن ملاذ مع المتعصبين للرفض (أي رفض التفاوض و السلام). و قد أزال التحالف الأمريكي إعراض بورقيبة شريطة نزع سلاح اللاجئين و حصرهم في حدود صارمة⁴.

¹ - عادل بن يوسف، المرجع السابق، ص52.

² - كان اللقاء معها في إحدى الأماكن التابعة للقصر الرئاسي بالمنستير. النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص121.

³ - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص121.

⁴ - sophie besis, souhayr belhassen, *bourguiba un si long règne* pr.2, op.cit, p194.

بالنسبة للطرف الفلسطيني فإن ما توصلنا إليه من خلال بعض الشهادات الفلسطينية و منهم شهادات بعض القادة الذين لجؤوا إلى تونس هو أنه كانت هناك قناعات راسخة شبيهة بالأفكار التي نادى بها بورقية في فكر القادة الفلسطينيين غير أنها ضلت و لفترة طويلة طي الكتمان، و عدم المخاطرة بالإفصاح عنها. و ربما هذا التوافق الفكري (مع الذي نادى به بورقية) في اعتقادنا و تطوره كان سببا في اختيار تونس مكان لجوء.

و يمكن أن نقتبس من تلك الشهادات ما يؤكد وجود أفكار و رؤى مثل التي نادى بها بورقية، فمثلا يذكر أبو إياد عن زيارته للفيتنام سنة 1970 قائلا: « لم أستطع عند ذاك من أن أمنع نفسي عن التفكير بالسفسطة التي كانت تسود العالم العربي، و بالآلف شعار و شعار التي كنا نطلقها دون أن يكون في مقدورنا أن نضع و لو واحدا منها موضع التطبيق، و بالمزايدات الديماغوجية (...) و دفعنا مباحثاتنا مع أعضاء المكتب السياسي في حزب العمل الفيتنامي إلى تفكير أعظم ببرنامجنا، كنا قد صغنا في تلك الحقبة هدفنا الاستراتيجي الذي كان قوامه إنشاء دولة ديمقراطية في مجمل فلسطين، و لكن لم نحسب حساب أي مرحلة انتقالية و لا لأي تسوية مؤقتة، و أوضح محادثينا من أعضاء المكتب السياسي أن الشعب الفيتنامي اضطر للخضوع إلى تنازلات مختلفة كان بعضها أحيانا في حجم تقسيم البلاد إلى دولتين مستقلتين»¹.

يروى أبو إياد واقعة مهمة تتعلق بصيغة البيان المشترك الذي كان ينبغي نشره لدى نهاية زيارته، إذ تأثر بواقعتهم الشديدة حين لاحظ كعضو في اللجنة المكلفة بتحرير النص تردد الفيتناميين أمام اقتراحه بالتدديد بإسرائيل و الصهيونية، و قال له أحدهم أنه يود أن يلجأ إلى عبارات أكثر اعتدالا، بل إلى عبارات غامضة من أجل عدم تكدير اليهود الأمريكيين الذين يناضلون في الحركة المؤيدة للفيتنام. و وافق أبو إياد على الصيغة المخففة فيما يتعلق بمقطع عن إسرائيل². فأمكننا أن نلاحظ أن المنطق البورقبي صار يتجسد بالتدرج في الفكر الفلسطيني و الخط الذي صارت تتبناه القيادة علنا.

نفس الحال مع الزعيم الكوبي (فيدال كاسترو)، حيث رغب في ألا يشمل البيان المشترك على عبارات مهينة للدولة الصهيونية، مفسرا ذلك لأبو إياد أن كوبا على علاقة بأوساط عمالية يهودية نافذة بسبب تجارتها الخارجية، كما أنها تقيم علاقات دبلوماسية مع إسرائيل لا يريد أن

¹ - صلاح خلف أبو إياد، المصدر السابق، ص ص 118-119.

² - نفسه، ص 119.

ينال منها، و صرح له قائلاً: « لكن ثق أنني سأأخذ الإجراءات المناسبة حين يحين الحين »¹. و حسب أبو إياد أن فتح لم تستبعد من اهتماماتها سياسة المراحل التي تعترم جعل المقاومة بأكملها تقبل بها، و لكن أحداث الأردن المأساوية (1970-1971) جاءت تفتح أعين المناضلين على الحقائق، فبعد طرد آخر الفدائيين من المملكة الهاشمية تبين أن الثورة الفلسطينية لا تستطيع الاعتماد على أية بلد عربي لتضمن لنفسها ملاذاً. و رأى أبو إياد أن الفلسطينيين لا بد لهم أن يمضوا قدماً نحو مجتمع ديمقراطي و أن يقيموا دولتهم الخاصة حتى و لو على بوصة من فلسطين. و عليه اتخذت قيادة فتح بعيد حرب أكتوبر قرار إعلان سياستها المرحلية و هدفها التكتيكي².

و تساءل أبو إياد³ مبرراً تفضيل الخيار المرحلي: « هل ما إذا كنا برفضنا لقبول أي شيء آخر غير تحرير فلسطين كاملة، مستعدون لترك جزء من تركتنا إلى فريق ثالث؟ و هل من المعقول أن ندع الملك حسين يتفاوض باسم الفلسطينيين؟ و هل يحق لنا إلا نبالي بمصير أهالي الضفة الغربية و غزة؟ بلدان العالم الثالث يحثوننا على التسوية أو على الأقل على مراعاة المراحل، بن غريون قبل عام 1948 بإقامة دولة إسرائيل على جزء من فلسطين التي يطالبون بها جميعاً، و قادة الثورة الفيتنامية قبلوا أثناء مؤتمر جنيف 1954 تقسيم وطنهم إلى دولتين، علينا أن نميز بين التسوية و التفريط، و أن نأخذ ما يقدم لنا دون أن نتخلى عن هدفنا الإستراتيجي (...). ينبغي لنا أن نتخلص من سلبية الماضي، فال "لا" التقليدية في الحركة الفلسطينية ليست ثورية وجوباً و لا "نعم" شكل من أشكال الخيانة ضرورة⁴.

أكد أبو إياد أن هذه المواقف أفضت إليها مسيرة طويلة و تفكير بدأ مطلع سنوات النضال، فتحليله لسلوك من سلفوه على رأس الحركة الفلسطينية بين له و لنفر من القيادة وجود ضرب من السلبية، و كان خطأهم أنهم يرفضون أخذ أي شيء إذا لم يحصلوا على كل شيء⁵. فكانت تونس البعيدة جغرافياً و القريبة من ناحية الفكر و نهجها المعتدل إلى فكر بعض

¹ - و بعد ثلاث سنوات و من على منبر مؤتمر عدم الانحياز الذي عقد في سبتمبر 1973 م في الجزائر أعلن كاسترو قراره بقطع علاقاته مع إسرائيل. صلاح خلف أبو إياد، المصدر السابق، ص 122.

² - نفسه، ص 222.

³ - النص الأخير مقتبس من خطابه في جامعة بيروت العربية، و كان هو الخطيب الرسمي في تلك الندوة، هاته الأخيرة التي نظمت خصيصاً لمناقشة مزايا و مساوئ اشتراك المقاومة المحتمل في مسيرة السلام التي بدأت غداة حرب أكتوبر إثر دعوة السادات إلى تسوية بين العرب و الإسرائيليين، كانت الهتافات يسقط الحل السلمي و يسقط سلام الاستسلام، غير أن أبو إياد الذي استقبل كبطل رفض أدهش مستمعيه بآراءه الجديدة و الجريئة في تلك الفترة و بخط فتح الذي قرره بالإجماع. صلاح خلف، المصدر السابق، ص 217.

⁴ - صلاح خلف، المصدر السابق، ص 216-217.

⁵ - نفسه، ص 218.

القيادات الفلسطينية ربما سببا في التوجه إليها.

أما في رواية حكم بلعاري، فحسب ما نقله بوشعالة عن كتاب الأخير ذاكرة وطنية في جزءها الأول متداول الأمر مع أبي مازن: « الخروج من لبنان أمر مؤكد (...) علينا تدبير الأمر بحنكة، و طرحت عليه مباشرة ما تشكل في ذاكرتي من لحظة لقائي بالرئيس بورقية نعم الأهم هو الخروج و في رأيي إلى تونس، فقط إلى تونس، حيث إنها مقر الجامعة العربية و مقر المنظمة للتربية و الثقافة و العلوم، كما أن تونس من مبادئها عدم التدخل في أية شؤون الآخرين دولا و أفرادا خارج حدودها، و لا بد من إيصال هذه الفكرة إلى أبو عمار، و رجوت أن يرتب الموضوع بنفسه و أنا سأندبر في الوقت المناسب الموافقة التونسية الرسمية»¹. أما أبو مازن، ففي حديث صحفي أدلاه لجريدة "الشرق الأوسط" في جوان 1995 ذكر فيه: « كان الخروج من بيروت إلى تونس باقتراح مني بعد أن رحبت الحكومة التونسية بقدمنا (...) كان رأيي أن الخروج إلى دمشق مثلا يعني مصادرة القرار الفلسطيني بشكل كامل حيث سيكون وجودنا السياسي مرهونا بالمقر، و تجربة الذين اختاروا دمشق واضحة النتائج لهم قبل غيرهم، لقد وافق عرفات الذي كان محاصرا في العاصمة اللبنانية على اقتراح الذهاب إلى تونس ضد رغبة الإخوة جميعا تقريبا²، و الذين كانوا يريدون منه أن يغادر صوب دمشق و لهم حساباتهم أيضا»³.

و عرج أبو مازن إلى أهمية اختيار تونس كمقر للحفاظ على استقلالية القرار السياسي الفلسطيني، و هذه الميزة هي من جعلتهم يختارونها كبلد يلجؤون إليه فيذكر: « لقد أصبحنا بعد عام 1982 بعشرين آلاف الأميال عن شواطئ فلسطين، و بعشرين عن دول الطوق و لكن قرارنا السياسي بقي بأيدينا و هذا هو المهم، إذ من الممكن أن تخطط لعملية عسكرية في حيفا من تونس إذا ما كان قرارك بيدك، و كان لديك حرية التخطيط دون قيود، و لكن من غير الممكن أن تخطط لعملية عسكرية لضرب مستوطنة تبعد عنك عشرة أميال إذا لم يكن لديك قرار مستقل». و انطلاقا من إدراكه خطورة مصادرة القرار الفلسطيني من الأنظمة العربية

¹ - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص 103-104.

² - حسب نبيل شعث رفض عرفات الخروج إلى سوريا لأنه كان يخشى فرض السيطرة السورية عليه و على الثورة إذا ما ذهب إلى دمشق، فيخسر بذلك استقلال القرار الفلسطيني. نبيل شعث، المصدر السابق، ص 1308.

³ - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص 105.

حيث كانت لديه حساسية كبرى من التدخلات العربية في الشؤون الفلسطينية، أقر أن هذه الاستقلالية في القرار يلقاها الفلسطينيون كاملة في تونس، و قد أيقنت القيادة ذلك فقررت دون تردد التوجه على إثر خروجها القسري من بيروت الذهاب إلى تونس¹.

هذا و اعتبرت م. ت. ف. و خاصة حركة فتح أن الانتقال إلى تونس يضمن لها حرية أوسع لتحركاتها الدبلوماسية و السياسية². الأمر الذي عزز الخيار التونسي كأفضل خيار.

و حسب اعتقادنا إن المواقف التي اتخذتها تونس في حل تبعات النضال الفلسطيني مثل أزمة الثورة الفلسطينية في الأردن و حادثة اختطاف الطائرة البريطانية و غيرها، ربما جعلت القيادات الفلسطينية تعول على تونس كمحطة و قطب يمكن أن يؤدي دورا ايجابيا في القضايا التي تحتاج إلى عمل دبلوماسي فعال خاصة بعد جنوح حركة فتح إلى الأسلوب السياسي كسبيل للنضال.

يُجمل بوشعالة الأسباب اللجوء إلى تونس استنادا لما صرح به بعض المسؤولين الفلسطينيين قائلا : « إن تصريحات كافة المسؤولين الفلسطينيين الذين واكبوا الوجود الفلسطيني بتونس تخطيطا و تنفيذًا و متابعة منذ بداياته تنبئ بأن قدوم القيادة الفلسطينية هو حدث طارئ رهين لحظته، و أن الفلسطينيين اختاروا هذا الأمر عن طيب خاطر، و يؤكد بعض السياسيين التونسيين لاسيما البورقيبيون منهم في مذكراتهم أن الفلسطينيين قرروا المجيء بمحض إرادتهم و لا يخفون حماسهم لهذا التوجه»، و لعل ذلك يعود في اعتقادنا إلى أسباب عدة أبرزها العلاقة القديمة التي كانت تربط بورقية بالمناضل محمد علي الطاهر، و منها العلاقة الوطيدة بين عناصر من القيادة الفلسطينية و صناع القرار التونسي و في مقدمتهم وسيلة بورقية و الطاهر بلخوجة، هذا بالإضافة إلى رغبة قديمة لدى بورقية في أن تتأى القيادة الفلسطينية بنفسها عن الزعامات المشرقية و تأخذ زمام أمورها، و اعتماد المنهج البورقيبي الذي يمزج بين الكفاح المسلح و العمل الدبلوماسي و المرحلية. و لا يستبعد بوشعالة أن يكون هناك طرفا ثالثا في ترتيب أمر قدوم القيادات³.

كما يشير بوشعالة إلى أن جذور هذا الاختيار تعود إلى بداية السبعينات، حيث ذكر

¹ - النوري بوشعالة، المصدر السابق ، ص105.

2 - عبد اللطيف الحناشي، إدارة الأزمات الخارجية في أواخر العهد البورقيبي...، المرجع السابق، ص 141.

³ - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص ص 107-108.

أن ترتيبات حكم بلعاري مع القيادتين التونسية و الفلسطينية لأجل استضافة قيادة المنظمة و أجهزتها بتونس كان خيالا داعب حلم حكم بلعاري إن لم تكن نبوءة تنبأ بها الرجل، حيث أخبره (أي أخبروا بوشعالة) من يثق فيهم من أوائل الفلسطينيين الذين وفدوا إلى تونس للتعلم أن حكما في اجتماع ضم بعض الطلبة بمكتبة في تونس خلال سنة 1973 قال: « لماذا لا تصبح تونس في يوم ما مقر لم. ت. ف »¹.

في مقابل ذلك هناك وجهات نظر أخرى ترجح أن اختيار تونس هو اختيار أمريكي بامتياز، ذلك أن أمريكا هي من طلبت من عرفات اتخاذ تونس مقرا سياسيا للمنظمة، حتى يكون بعيدا عن خطوط المواجهة مع إسرائيل و القوى الوطنية الفلسطينية و اللبنانية و السورية لكي يسهل عليه اتخاذ مواقف جديدة تختلف عن مواقف المنظمة السابقة، و التي ربما تمثل في رأي البعض خروجاً عن مبادئ و منطلقات فتح و م. ت. ف. فاتخاذ تونس كمقر للمنظمة و حركة فتح لم يكن إلا للولوج أكثر فأكثر في التسوية الأمريكية، و ليس كما قال عرفات بسبب القرار الفلسطيني المستقل و ذلك على حد تعبير السياسي الفلسطيني حسين غازي عضو الدائرة السياسية لم. ت. ف بدمشق². و قيل أن اختيار تونس كان خياراً أمريكياً ليضمن عدم إمكانية استئناف الزعيم الفلسطيني لنشاطاته من دولة صغيرة مسالمة و بعيدة³.

و قد أكد ذلك وزير الخارجية الأمريكي في إدارة الرئيس رونالد ريغان جورج شولتز (George.p.Shultz)، فعندما سئل عما إذا كانت الو. م. أ قد لعبت دوراً في إقناع بورقيبة بقبول المنظمة فكانت إجابته: «نعم. كنا نبحث عن مكان يمكن أن يذهبوا إليه هؤلاء و حيث لا يمكن للأسلحة أن تذهب معهم»⁴.

كما رجحت بعض الرؤى التونسية هذا مؤكدة أن الو. م. أ لعبت دوراً كبيراً في إقناع تونس بهذا العرض و إخراج المنظمة من لبنان⁵، و منهم محمد مزالي الذي قال إن الفرنسيين و الأمريكان هم من شجعوا الحكومة التونسية على موقفها في احتضان القيادة⁶. و كان هذا

1 - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص 110.

2 - حسين غازي، الفكر السياسي الفلسطيني المستقل (1963-1988)، دار دانية، دمشق، 1993، ص 160.

3 - محمد تامالت، المرجع السابق، ص 153، 157.

4 - "New York tims", **Shultz says. U.s urged Tunis to take P.L.O**, 4/10/1985.

5 - عبد اللطيف الحناشي، إدارة الأزمات الخارجية في أواخر العهد البورقيبي...، المرجع السابق، ص 140-141.

6 - محمد مزالي، المصدر السابق، ص 602.

اللجوء مبعث ارتياح الأوساط الأوروبية و الأمريكية و هو ما ساعد الاتجاه المعتدل في الأوساط السياسية الفلسطينية و إضعاف الاتجاه المتطرف، و السير خطوة نحو السلام مع إسرائيل¹.

إن الأحداث التي ستعايشها المنظمة فيما بعد في تونس ستثبت أن الدافع الأمريكي من أهم الأسباب التي دحرت المنظمة إلى تونس، و أن وجودها سيرتبط ارتباطا مباشرا بوجهة النظر الأمريكية.

خامسا/ منظمة التحرير الفلسطينية في تونس من اللجوء حتى قصف حمام الشط 1985 (النشاط السياسي، التحديات).

كان التونسيون قد أقروا قبل لجوء القيادة بالالتزام بصون استقلالية القرار الفلسطيني و إن كانوا على أرض تونس، فقد صرح (الباجي قائد السبسي) وزير الشؤون الخارجية آنذاك إلى جمع من الصحافيين بعاصمة النيجر أوت 1982م قائلا: « واجب على الدول العربية أن توازر الكفاح الفلسطيني و هو ما قام به دائما و دعا إليه بورقيبة، و إنه و إن عاد الأمر في النهاية إلى الفلسطينيين ليقرروا الاتجاه الذي يريدونه، فإنه واجب على الدول العربية مؤازرتهم»². فكان أن أصبحت تونس مقرا لم. ت. ف و للعديد من فصائلها. فماذا يمكن أن تقدم تونس ممثلة برئيسها للقضية و أصحابها المتواجدون على أرضها؟ و كيف لها أن تحدث التوازن بين سياستها الخارجية التي تفرض عليها التزامات قد تصل حدا من التناقض أمام الواجب الذي يفرضه التواجد الفلسطيني في أرضها؟ و هل كان الوضع في تونس لصالح المنظمة و نشاطها؟ و ما هي التحديات التي واجهتها؟

وفقا للأسباب التي على إثرها تم اختيار تونس مكان لجوء، كان المتوقع أن تكون الأخيرة المحطة التي يمكن أن يخفف فيها الضغط على المنظمة الفلسطينية و تشهد فيها القضية تطورا ملحوظا طالما أن تونس اعتُبرت المكان المناسب للحفاظ على استقلالية القرار السياسي الفلسطيني بعيدا عن التجاذبات العربية. لكن على الرغم من التفاؤل الذي حمله قدوم القيادة إلى تونس إلا أنه كان في المقابل مبعثا للخوف في نفوس الكثير من التونسيين خاصة إذا ما تعلق الأمر بمشاكل الأمن.

¹ - محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ص 396.

² - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص 107.

لم تخف الحكومة التونسية تخوفها و ريبها من هذا التواجد و هو تصرف ربما أملت الظروف و الوقائع التي كانت قد مرت بها المنظمة الفلسطينية أو حتى التي مرت بها تونس سابقا، ما جعل الأخيرة تتوجس خيفة خاصة فيما تعلق بالتواجد الفلسطيني المسلح. و في اعتقادنا إذا كانت هناك دولة عربية يفوق قلقها على أمنها قلق الدول الأخرى فإن تونس تتصدر القائمة.

لذلك لم تتأخر تونس عن إبداء قلقها من هذه المسألة، فأثناء دخولهم الأراضي التونسية سلم الفلسطينيون أسلحتهم للجيش الوطني التونسي، و لم يبقوا بحوزتهم إلا الأسلحة الخفيفة صالحة فقط للحفاظ على أمن مسؤوليهم¹.

بادرت الحكومة التونسية بوضع مجموعة من الشروط المصاحبة لهذا التواجد²، أهمها استقرار القوات الفلسطينية المسلحة بعيدا عن العاصمة، في حين تستقر القيادة السياسية في منطقة حمام الشط، مع التزامهم بأن يكون هذا النشاط مقتصرا على النشاط السياسي و الاجتماعي و الإنساني³. كما اشترطت تونس ألا تستضيف معسكرات تدريب لم. ت. ف و ألا تكون قاعدة خلفية للعمليات الإرهابية، في مقابل ذلك وافق البلد المضيف على عدم التدخل في الشؤون الداخلية للمنظمة⁴.

يمكن أن نشير في هذا الصدد إلى حادثة سابقة قد تترجم سبب توجس النظام التونسي من تدخل أيادي خارجية في شؤونه الداخلية و اتخاذ موقف الحازم منه، و هي شهادة حسن مرزوق الذي ذكر أنه بعد استقلال تونس كان من بين الذين تم تكليفهم لحماية القادة الجزائريين المقيمين بتونس، و أن بعضهم استغل وجوده لتهديد أمنها، فأتخذت الدولة التونسية قرارا بمنع أي جزائري من البقاء في تونس ما لم يكن مجروحا أو في حاجة إلى الدواء أو الحماية، و من

¹ - محمد مزالي، المصدر السابق، ص 602.

² - في حديث سري بين جورج فرشح و الرئيس اللبناني السابق سليمان فرنجية تنبأ الأخير بالوضع الذي سيؤول إليه اللاجئون بعد خروجهم من لبنان فذكر فرشح: « في 18 جوان 1982 في عز الإجتياح الإسرائيلي للبنان، زرت الرئيس فرنجية و سألته هل سيغادر الفلسطينيون؟. قال، لا أعتقد، لن يعثروا على بيروت أخرى لن يعاملهم أحد كما عاملهم اللبنانيون، بالعكس سيأخذون حذرهم منهم أينما رحلوا و سيفرضون عليهم الإقامة شبه الجبرية في مناطق و أحياء محددة و يرصدون تحركاتهم». جورج فرشح، المصدر السابق، ص 88.

³ - اللطيف الحناشي، إدارة الأزمات الخارجية في أواخر العهد البورقيبي...، المرجع السابق، ص 140.

⁴ - "La libre", (les douze ans d'oscil tunisien de yasser arafat 1982-1994), 3/11/2004.

كان قادرا على حمل السلاح أو كان زعيما سياسيا عليه أن يرحل إلى الجزائر¹. فكانت الحكومة التونسية جد حازمة ضد من يشتبه فيهم في تهديد أمن و سلامة أراضيها، و لم يكن التواجد الفلسطيني بعيدا عن دائرة المخاطر التي كانت تنتبأ الحكومة التونسية بحدوثها.

لكن إذا ما أخذنا مخاوف النظام البورقيبي بعين الاعتبار فهل فعلا حاولت م. ت. ف المساس بالنظام البورقيبي؟ فحسب ما ذكره السفير باسورث في إجابة لسؤال طرح عليه حول ما إذا كان يعتقد أن المنظمة خلال تواجدها بتونس حاولت بأي شكل من الأشكال العمل ضد نظام بورقية أو تقويضه، أم أنهم ركزوا على قضيتهم على الصعيد الدولي، فأجاب بأنهم ركزوا على قضيتهم فقط².

قضية أخرى يمكن إضافتها في هذا السياق و هي علاقة المعارضة التونسية بتيارات المقاومة الفلسطينية في هذا الفترة و التي يمكن من خلالها أن يتمظهر موقف بورقوية تجاه هذا التواجد انطلاقا من دعم قوى المعارضة لنظامه للقضايا القومية، خاصة و إن علمنا أن القضية الفلسطينية شكلت قضية جوهرية بالنسبة للحركات القومية في تونس، فهي لا تعترف بوجود الكيان الصهيوني و تقف ضد عمليات السلام. فيشير توفيق المديني في دراسته عن المعارضة التونسية أن بعض العناصر التونسية المتبنية للفكر القومي الديمقراطي كانت منغوسة في صفوف حركة المقاومة الفلسطينية خلال عقد السبعينات، و ظلت تتحاور فكريا مع التيار القومي الديمقراطي (حركة التحرير الشعبية العربية) داخل حركة فتح بزعامة (ناجي علوش)³.

و لما كانت ح. ت. ش.ع تنظيما يضم أعضاء من أقطار عربية، فقد دأبت على بناء تنظيم في تونس يعمل على استقطاب خيرة المناضلين الثوريين المؤمنين بالخط السياسي للحركة و نشطت سرا في تونس⁴. و لما كانت تتبنى موقفا متشددا من خط التسوية و متناقضة جذريا مع نهج عرفات، فقد نشطت أجهزة الأمن التونسية في أعقاب ظهور حملة تأييد شعبية تونسية للمقاومة الفلسطينية، و للشعبين الفلسطيني و اللبناني في تصديهما للغزو الصهيوني.

¹ - نور الدين بالطيب، المصدر السابق، ص 46.

² - Michael Mahoney, op.cit,p73.

³ - توفيق المديني، المرجع السابق، ص 53.

4 - نفسه، ص 55.

و قامت بمتابعة عدد من الرموز السياسية للحركة في تونس قبل أن تلقي القبض عليهم¹. حسب المديني أن تحقيقات أجهزة الأمن التونسية كشفت أن ناجي علوش قد وضع مبلغ 800000 دولار تحت تصرف تنظيم تونس لتمويل الحركة، و تفجير المركز الثقافي الأمريكي و السعودي بتونس، و ذكر أن سبب تسريب هذه المعلومات هو أن السلطات التونسية كانت تعد حملة إرهابية ضد المعارضة التونسية غير المعلنة، و خاصة المعارضة المنتمية إلى الاتجاه القومي الراديكالي، و منه توجيه رسالة تحذير لعناصر المقاومة الفلسطينية الذي قدموا إلى تونس².

كما كشفت محاكمة أعضاء ح. ت. ش. ع أن الحكومة كانت تعمل على القضاء على كل نفس قومي ديمقراطي في تونس يقول لا لمخطط التسوية، ذلك أن النظام التونسي أراد استثمار وجود المقاومة الفلسطينية في تونس من أجل فرض حل سياسي يصفى القضية الفلسطينية على حد تعبير المديني³.

و نفس الحال بالنسبة للجبهة القومية لتحرير تونس⁴ فقد كانت لها علاقات مع بعض فصائل المقاومة الفلسطينية باستثناء حركة فتح، و كان ممثلها بلعاري مرتبطا بأجهزة المخابرات التونسية، و كان يتعاون معها ضد فصائل الحركة الوطنية التونسية المعارضة، و استقطبت الجبهة القومية لتحرير تونس العديد من العناصر التونسية التي انخرطت مبكرا في صفوف التنظيمات الفلسطينية، و شكلت منهم لجانا ثورية و قامت بتدريبهم عسكريا في معسكرات الجبهة الشعبية القيادة العامة (برئاسة أحمد جبريل) قبل أن تستأنف نشاطها العسكري⁵.

فأمكننا أن نلاحظ أن ارتباط بعض عناصر المعارضة التونسية ببعض الفصائل الفلسطينية كان في نظر النظام التونسي عنصر تهديد مباشر لسيادة الدولة، و هذا ما زاد من تخوفها من التواجد الفلسطيني على أراضيها الذي أصبح قريبا من الناحية الجغرافية من المعارضة التونسية.

¹ - توفيق المديني، المرجع السابق، ص 57.

² - نفسه، ص 58.

³ - نفسه، ص 57.

⁴ - تشكلت من العناصر المتبقية من تيار المعارضة اليوسفية، ثم عززت الجبهة علاقاتها مع النظام الليبي و التونسي و كان هدفها

إسقاط النظام التونسي. نفسه، ص 26.

⁵ - توفيق المديني، المرجع السابق، ص 27.

مسألة أخرى تبدو على غاية من الأهمية تتمثل في وضع يهود تونس في خضم تبعات و تطورات القضية الفلسطينية. إذ يشير لاسكير أنه على الرغم من أن يهود تونس عانوا في بعض الأحيان من الاعتداء الجسدي، إلا أنه منذ عام 1979م تعرض اليهود التونسيون في كثير من الأحيان لمشاعر قوية مؤيدة للفلسطينيين، بما في ذلك التهديدات الخفية للمجتمع و تخوفهم على مستقبلهم الإقتصادي. و قد احتج اليهود على هذه التطورات من خلال الاتصال بالسفارة الأمريكية في باريس و مكاتب WJC الفرنسية. إذ أنهم كانوا يخشون في حال فشلت القوى القومية في التمييز بين يهود إسرائيل و يهود تونس فقد يتم تنفيذ المذابح و غيرها من أعمال العنف، فاليهود سيحاسبون على سياسة إسرائيل اتجاه الفلسطينيين¹.

حتى إن سفير تونس لدى فرنسا (الهادي المبروك) طمأن اليهود محاولا تبديد مخاوفهم حيث نفى خلال لقاءاته مع أرماند قابلان (Armand kablان) من WJC أي مزاعم بالتمييز أو الأخطار التي يتعرض لها يهود تونس، بينما أكد أن تونس تدعم النضال الفلسطيني بكل إخلاص، و رفض فكرة أن نشطاء مناهضين لليهود قد حدث في تونس بعد احتضانها للجامعة². و قد يؤدي تواجد قادة فلسطينيين في ما بعد و بشكل مكثف في تونس إلى مضاعفة مخاوف اليهود.

كتبت جريدة "لوموند" الفرنسية في أحد أعدادها الصادرة في أوت 1982م عن المضاعفات التي يمكن أن تصاحب الوجود الفلسطيني: « وافق التونسيون بالإجماع على قرار بورقيبة لكن البعض منهم مزال يتساءل عن تداعياته داخليا و خارجيا. ألا يخاطر وصول ألف رجل لا يستطيعون البقاء منعزلين إلى أجل غير مسمى في الأماكن المتاحة لهم ببعض الصعوبات مع السكان؟ و ما قد ينجر من احتكاكهم بحركات المعارضة يسارية أو بعثية، و أن يؤدي وجودهم إلى توتير العلاقات المتوترة أساسا مع ليبيا التي تتهم تونس بالخيانة لأنها وافقت على خروج المقاتلين من بيروت و استقبالهم في أراضيها؟»³.

كذلك كانت حركة التجمع القومي العربي في صراع مع النظام التونسي، و في مقابل ذلك كانت تعمل على تعزيز علاقاتها العربية خاصة مع الأنظمة القومية، و أمام هذا النشاط

¹ - Michael laskier, *israel and the maghreb from statehood to oslo*, ob.cit, p248.

² - ibid, p248.

³ - Michel deuri, le président bourguiba accueillera samedi a bizerte un millier de combattants palestiniens, "le monde", 27/8/1982.

قامت الأجهزة التونسية بمطاردة رموز الحركة، و سبق و أن اتخذت الحركة موقفا متشددا إزاء الصراع العربي الصهيوني لا صلح و لا اعتراف و لا تفاوض، و يعتبرون أن من يساوم من الأنظمة العربية على القضية الفلسطينية هو نظام خائن، و المنهج الواجب اتخاذه هو الالتزام بخط الكفاح المسلح¹.

إن هذا التخوف و التهديد الذي يمكن أن يشكله التواجد الفلسطيني على النظام التونسي سيؤدي بالضرورة إلى تكثيف التعقب و الترصد، و فرض قيود على المنظمة و مختلف الفصائل الفلسطينية. فأصبحت جد مقيدة بعد مجيئها لتونس عكس ما كان متصورا.

نفقلا عن كتاب "أعراض قرطاج" لمؤلفه رفيق شلي الإطار الأمني التونسي يقول بوشعالة عن الشروط التي وضعتها تونس مقابل التواجد الفلسطيني على أراضيها: «في سنة 1982م بعد ترحيلها من لبنان، استقرت القيادة بتونس، فهي الدولة الوحيدة التي قبلت باحتضان الفلسطينيين بشرط ألا تقوم بأي عمل عسكري أو أي شيء من هذا القبيل انطلاقا من الأراضي التونسية، و أن تتبنى خيار الحل السياسي لإقناع الرأي العام العالمي»².

ازدادت وتيرة الضغط على التنظيم الفلسطيني في تونس كونه صار يعمل ليس فقط من أجل القضية الفلسطينية و لكن أيضا ضد كل من يتهمه بإدخال تونس إلى منطقة العاصفة (أي دائرة الصراع)، لأن التونسيين لم يوافقوا بالإجماع على هذا الوجود الذي اعتبره الكثيرون مرهقا، فالبعض كان يخشى أن يضر بالصورة المعتدلة للبلاد، لا سيما أن مأساة صبرا و شاتيلا الدموية أثارت مظاهرات في تونس و اتخذت طابعا عنيفا معاديا لليهود في الجنوب. حتى إنه في يوم من الأيام اشتكى (عبد العزيز لصرم) إلى الرئيس قائلا: «كيف تنمي السياحة إذا كان الفلسطينيون يرتدون زي القتال و الكلاشنكوف في أيديهم في معظم الفنادق في الحمامات»³. و منه بات الوجود الفلسطيني يهدد أحد أهم مرتكزات الاقتصاد التونسي و هو السياحة.

لم يخف على الفلسطينيين أن تونس كانت متخوفة من وجودهم، إذ تسربت إليهم مشاعر الريبة التي يحملها الكثير المسؤولون التونسيين تجاههم، حيث ذكر عمرو نبيل: «لأنه شعر

¹ - توفيق المديني، المرجع السابق، ص ص42، 52.

² - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص108.

³ - sophie besis, souhayr belhassen, op.cit, prt.2, p194.

بأن وضعه المستجد لا بد أن يفرض عليه سلوكا مختلفا فقد وضع عرفات جدولا لعمله، و إقامته في تونس، هذه المدينة التي لا تحتل اللباس الكاكي و رائحة زيت السلاح. و بمعاونة سفيره بلعاري ضمن ألا تبلغ تجاوزات وجوده في تونس ما كانت تبلغه في العواصم الأخرى من فوضى و تأثير على الحياة العادية»¹. فأدرك عرفات أن الوجهة التونسية ستكون حلقة صعبة في تاريخ المنظمة.

عودة إلى لحظات وصول المناضلين الفلسطينيين إلى تونس، فقد كانت أجواء استقبال الموكب الفلسطيني القادم من بيروت على أعلى درجات الحميمية مع جماهير الشعب التونسي التي توافدت على ميناء بنزرت² للتعبير عن نصرتها، و حرص بورقية على الحضور بنفسه لموكب الاستقبال مرفوقا بزوجه الوسيلة و الباهي الأدغم، و صرح عصام السرطاوي المستشار السياسي لعرفات: « إن مواقف بورقية و القيادة التونسية كانت دائما و أبدا خير تجسيد للالتزام القومي المسؤول بالقضية الفلسطينية باعتبارها محورا للنضال القومي»³.

كان بورقية في الموعد رغم أن المرض في هذه الفترة قد أنهك جسده، حيث ذكر في هذا الصدد (خالد جميل مسمار) مفوض القوات الفلسطينية المغادرة لتونس: « وصلنا بعد معاناة كبيرة إلى ميناء بنزرت و كم سررنا أن نرى قبل رسونا الرئيس الراحل بورقية على رأس مستقبلينا رغم مرضه»⁴.

يصف القيادي في حركة فتح زياد عبد الفتاح⁵ لحظات الوصول تلك قائلا: « كانت تونس غير بيروت، بعيدة قريبة، بعيدة عن مجالنا الحيوي، و قريبة إذ هي على ضفاف العالم الأوروبي، و كان الطقس مختلفا، فالتونسيون أبعد كثيرا كثيرا لنا من اللبنانيين، و لكنهم عوضوا

¹ - نبيل عمرو، المصدر السابق، ص ص 209-210.

² - حسب جريدة لوموند ليس من قبيل الصدفة أن يتم اختيار بنزرت لهذا الاستقبال الرسمي و الشعبي، بنزرت لها رمزية كبيرة بالنسبة للتونسيين إذ مثلت المرحلة الأخيرة من النضال من أجل الإستقلال الذي اعتبروه غير مكتمل طالما بقي جندي في هذا الإقليم. ينظر: - Michel deuri, op.cit.

³ - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص ص 111-112.

⁴ - نفسه، ص 116.

⁵ - زياد عبد الفتاح (1939 -) : إعلامي و روائي فلسطيني، أحد قادة حركة فتح، عضو المجلس الوطني لم. ت. ف، أول مدير لوكالة الأنباء الفلسطينية "وفا" الناطق الرسمي للمنظمة، و كان ضمن الوفد الفلسطيني المغادر إلى تونس. للمزيد عن هذه الشخصية ينظر لموقعه الرسمي على الرابط: http://www.ziadabdefattah.net/arabic/?action=receive_page&id=1

البعد و ردموا المسافات بالحب، فكانوا يحبون فلسطين و يقدسون القدس»¹.

أما حسنين هيكل فيصف المنفى الجديد للمنظمة في مقارنة مع مقرها السابق بيروت قائلاً: «إن المنظمة وجدت نفسها في تونس، وسط جو يختلف عما عرفته في بيروت. ففي حين كانت بيروت مزدحمة بالناس و الحوادث كانت تونس هادئة. و في حين كانت المنظمة في بيروت تتصرف و كأنها دولة داخل دولة فإنها في تونس أصبحت ضيفا اضطراريا على بيت أبدي استعدادا لاستضافته لكنه وضع أمامه شروط الضيافة. و لم يكن حول المنظمة ذلك الجو المفتوح بالكامل الذي عاشته في بيروت، و إنما كان هناك إحساس بوجود حدود و أن هناك من يراقب الحدود، و لم تكن السلطات التونسية وحدها من تراقب و إنما كانت الرقابة من القوى الدولية كأمریکا (...)، حمولة ضخمة لا يستطيع بلد حجم تونس أن يضعها على كاهله»².

حسب بعض الإحصائيات وصل تونس 550 مقاتلا من جيش التحرير الفلسطيني، و 300 من منظمة فتح، و 50 من المنضوين تحت الجبهة الديمقراطية لتحرير فلسطين، و 100 مقاتل من فصائل مختلفة الذين أرسلت بهم سفينة "صول فرين" يوم 28 أوت 1982. أعدت لهم السلطات التونسية ما يلزم من عربات النقل و سيارات الإسعاف، و هيأت لهم المعسكر الذي سيأويهم بوادي الزرقاء (باجة). و تم تخصيص نزل سلوى للقيادة، و خصصت وسيلة بورقية بعض العمارات حديثة الإنجاز لإيواء العائلات الفلسطينية³.

ساهمت هذه البادرة بشكل جدي في إعادة الاعتبار لبورقية لدى الرأي العام العربي و تثبيت العلاقات العربية التونسية، و كان الوقت مناسباً بعد أن اهتزت مكانته إثر خطاب أريحا⁴. و قبلها ساهم وجود الجامعة العربية في تونس في تسليط الضوء على هذه الأخيرة و أعطى لحكومتها هالة من الأهمية لم تكن تتمتع بها من قبل⁵.

بعد أيام قضاها في ترتيب موجات الرحيل و تأمين سلامة الفلسطينيين المقيمين بالمخيمات على الأرض اللبنانية، و بعد الاطمئنان على وصول المغادرين سالمين، قرر عرفات الالتحاق بتونس. صحبة حوالي خمسين من رفاقه غادر رئيس المنظمة موقع النضال ببيروت يوم 31 أوت 1982 ليصل بحرا في اليوم الموالي إلى اليونان، و منها نقله و صحبه

¹ - عبد الفتاح زياد، ورق حرير، دار ميريت، القاهرة، 2014، ص128.

² - حسنين هيكل، سلام الأوهام، أوصلو ما قبلها و ما بعدها، ط7، دار الشروق، القاهرة، 2001، ص145.

³ - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص113.

⁴ - Mohamed larbi haouat, op.cit, p97.

⁵ - Michael .laskier, israel and the maghreb from statehood to oslo. op.cit, p248.

طائرة خاصة أرسلتها الحكومة التونسية لنقله للعاصمة التونسية التي وصلها يوم 3 سبتمبر 1982 و استقبله بورقية بمطار قرطاج ثم رافقه إلى قصر السعادة بالمرسى (يبعد بضعة أمتار عن القصر الرئاسي بقرطاج) الذي خصص كمقر لضيافته و إقامته، لكن عرفات أصر على الالتحاق بمقاتليه و قضاء ليلته هناك إلى جانبهم في المعسكر، ثم تحول إلى نزل سلوى¹ ليتخذ مكانا لإقامته².

ووصفا تلك الأحداث و حال المناضلين الفلسطينيين يذكر فاتح والي: « كنت أنا و رفاقي في الميناء و جمهور تونسي، كان عرفات و رجال الثورة ينزلون من الباخرة بأيدي فارغة، مجردين من كل سلاح. لم ترضى بقبولهم غير تونس و بشروط مجحفة من بينها ألا يحملوا سلاحا و ألا يغادروا معسكراتهم، و ألا يختلطوا بال جماهير التونسية و العربية، و لئن قبلت تونس بهم فالفضل ليس للحكومة و إنما لزوجته وسيلة»³.

ربما كان بورقية و المسؤولون السياسيون التونسيين يجهلون سبب رفض عرفات الإقامة في قصر رئاسي لكن زياد عبد الفتاح ذكر سبب ذلك قائلا: « رفض عرفات الإقامة في قصر أو دار رئاسية قدمها له بورقية، و أقام مع مقاتليه و الكوادر التي رحلت معه أو رافقته إلى تونس في فندق استأجره، و أصر أن يدفع أجرته ضمن اتفاق انعقد بين مالية فتح و صاحبة النزل، فقد كان عرفات لا يريد أن يسجل في تاريخه أو تاريخ الفلسطينيين، أنه استسلم لحبس أو لحركة تقوده»⁴.

تولدت الحساسية بين الرجلين منذ اللحظات الأولى لوصول عرفات إلى تونس، إذ يذكر زياد عبد الفتاح أن بورقية أمام رفض أبو عمار كل قصر و دار رئاسية شعر مبكرا أنه أمام زعيم بالغ القدرة و الاعتزاز بنفسه و بمقاتليه، و أنه لن يسمح لأحد كائنا ما كان توجيه مساره. و أضاف قائلا: « أظن أن بورقية منذ تلك اللحظة قد بيّتها نفورا من الزعيم الفلسطيني، الذي أفصح عن مقدمات لا تبشر بخير»⁵.

و كان أن تم نقل المقاتلين الفلسطينيين طبقا لتفاهم دولي غير معلن على عدة أقطار

¹ - يقع بالمنطقة السياحية ببرج السدرية و معتمدية حمام الشط من ولاية سيدي ابن عروس.

² - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص 114.

³ - فاتح والي، المصدر السابق، ص 198.

⁴ - زياد عبد الفتاح، المصدر السابق، ص 106.

⁵ - نفسه، ص 106.

عربية (اليمن، سوريا، الجزائر...). و استضافت تونس بمفردها القيادة الفلسطينية قرابة الألف ما بين قياديين و سياسيين و إعلاميين و عسكريين، و يذكر بوشعالة في هذا الصدد: « مواكبة للحدث و تحضيرا لما يستتبعه من استعداد، تقرر إحداث فرقة أمنية خاصة من بين الأمنيين التونسيين لحماية الفلسطينيين، تحددت مهامها بحراسة و حماية نزل سلوى الواقع بالأحواز الجنوبية على بعد 20 كلم من العاصمة. أما العسكريون على بعد 70 كلم شمال غرب العاصمة فقد أنيط أمر حراستهم بعهدة الإدارة العامة للحرس الوطني التي كان يديرها عامر غديرة»¹.

بحسب شهادة بوشعالة² واجه التونسيون العديد من الصعوبات في الأيام الأولى لهذا اللجوء كان أبرزها المشكلة الأمنية (كما كان متوقعا)، و يجمل أسبابها في قوله: « لكون الأمر طارئا و غير مألوف، تبين بعد بضعة أسابيع أن الاستعدادات لم تكن ملائمة لمقتضيات الحال، ما تسبب بنوع من الإرباك للأطر المكلفة بالسهر على إعداد ترتيبات الإيواء، ففحين اقتصر تصور الأطر المشار إليها على توفير آليات حراسة نزل سلوى مقر القيادة فقط، تبين أن الأمر يستدعي إجراءات أكثر من الحراسة، كالمرافقة و الحماية اللصيقة لأفراد القيادة الفلسطينية التي تسوغ معظمها بيوتا في أحواز العاصمة، ما يستوجب أضعاف الأعداد من الأمنيين و ذلك لحراسة البيوت و المكاتب، و كذا مرافقة القيادة في تنقلهم بين منازلهم و مكاتبهم و مقر القيادة في حمام الشط»³.

هذا ما استوجب تكليف (عز الدين جنيح) إطار سام مختص في حماية الشخصيات و المنشآت بالإشراف على الفرقة المستحدثة لحماية الفلسطينيين، و قد ساعدتهم منظمة التحرير الفلسطينية في التجهيزات الخاصة بهذه المهمة، كتزويدهم بالسيارات و الأجهزة اللاسلكية⁴. في الجانب السياسي و الدبلوماسي تواصلت المداولات العربية حول القضية الفلسطينية بعد لجوء القيادة لتونس، حيث عقدت الدول العربية مؤتمر قمة في مدينة فاس من 6 إلى 9 سبتمبر 1982. و هناك من أشار إلى أن بورقية و بعد أن أصبحت تونس مقر القيادة أعاد

¹ - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص 118.

² - في هذه الفترة كان بوشعالة قد تخرج لتوه من دورة الضباط، و نظرا للوضع الخطير عاد إلى إدارة صيانة أمن رئيس الدولة و الشخصيات الرسمية و كلف بالإشراف على مكتب الدراسات الذي قوم بترتيب الزيارات الرسمية، و كذا تكلفه بتنظيم دورة تكوينية في اختصاص حماية الشخصيات لمجموعة من الفلسطينيين، و من ثم التحاقه بالمصلحة الخاصة التي كان يديرها عز الدين جنيح بعد الحاجة الماسة إلى عناصر أخرى مختصة. النوري بوشعالة، المصدر نفسه، ص 119.

³ - النوري بوشعالة، المصدر نفسه، ص 118.

⁴ - نفسه، ص 119.

طرح مشروعه، خاصة و أن أزمة المنظمة قد تدفعها لقبوله، حيث استغل بورقية عقد مؤتمر القمة السابع في فاس، و طرح مشروعه من جديد و دعا إلى اعتماد الشرعية الدولية أساسا لحل القضية، و ناقش الرؤساء و الملوك المشروع و انتهى المؤتمر بتجاهل المشروع التونسي و إقرار مشروع الملك فهد بن عبد العزيز¹. لكن جاء في بعض الروايات التونسية أن قمة فاس أقرت القبول بمبادئ التقسيم الذي نادى بها بورقية و الرجوع إلى حدود 1967². و تقرر لأول مرة على مستوى النظام العربي ككل بالاعتراف ضمنا بإسرائيل بإقرار مبادرة عربية للسلام³. و على غرار أن تونس شكلت ملجأ لقادة م. ت. ف، فإنها اعتبرت أيضا مركزا للقاءات الفلسطينية الصهيونية. فحسب الروايات الإسرائيلية تابعت لجنة عرفات المركزية اتصالاتها مع الإسرائيليين في تونس، حيث أشارت مجلة "هاعولام هازيه" أن ياسر عرفات قد التقى مع وفد من مجلس السلام الإسرائيلي في 18 جانفي 1983 م في العاصمة التونسية، و صدر بيان فيما بعد لكسر الحاجز النفسي عند العرب تجاه الصهاينة و إسرائيل. و يذكر يوري أفنيري⁴ دور عرفات و مساهمته في البيان بإدخال كلمته: «العمل المشترك من أجل السلام»، و بذلك أقر أن أهداف منظمة التحرير تتماشى مع أهداف المجلس الإسرائيلي، المبني على مبدأ السلام الإسرائيلي-الفلسطيني المنطلق من الاعتراف المتبادل بين الدولتين⁵.

كانت الأوساط الحاكمة في إسرائيل تقول أن م. ت. ف لا تريد الاعتراف بإسرائيل أو التفاوض معها، و أن السرطاوي هو الشخص الوحيد الشاذ و هو لا يمثل إلا نفسه. و لكن بعد لقاء عرفات للصهاينة في تونس، و نشر الصور عن هذا اللقاء، بدأت تقتنع أن لجنة عرفات تريد فعلا السلام معها و الاعتراف بها⁶. و في اعتقادنا أنه من الاحتمالات البعيدة أن هذا اللقاء لم يتم دون علم الحكومة التونسية أو على الأقل الأجهزة الأمنية التي كانت ترصد تحركات أعضاء المنظمة، و تشجيعها لمثل هذه اللقاءات، خاصة و أن هذه الأخيرة قد تثمر

¹ - أنور جمعة حرب أبو مور، المرجع السابق، ص 181.

² - محمد الهاشمي عباس، المصدر السابق، ص 396.

³ - محسن عوض و آخرون، المرجع السابق، ص 226.

⁴ - يقول يوري أفنيري عن لقاء تونس: جلست إلى يمين عرفات، و جلس إلى يميني يعقوب إدنون وكيل وزارة سابق، و إلى يمينه أبو مازن عضو لجنة عرفات المركزية، و إلى يسار عرفات ميتا هوا بيلد جنرال احتياط، و إلى جانبه عصام السرطاوي، و إلى جانبه عماد شكور مساعد عرفات للشؤون الإسرائيلية. حسين غازي، المرجع السابق، ص 239.

⁵ - نفسه، ص 239.

⁶ - نفسه، ص ص 239-240.

نتائج إيجابية في مسألة التفاوض و السلام اللذان دعا إليهما بورقيبة.

و عليه يمكن القول أن المقترح البورقيبي سواء في أريحا أو بعد حرب 1967 م و 1973م تم العمل به من طرف الجانب الفلسطيني علنا بعد خروج عرفات من بيروت إلى تونس، و هو ما أعطى دفعا لتبني خيارات مستقلة و وفق خط بورقية. و لنا أن نستند بشكل نسبي و ليس قاطعا على ما قاله الصهيوني يوري أفنيري في لقائه مع عرفات في تونس: « إني أعتقد أن جلاء منظمة التحرير عن لبنان كان خيرا، لأنه مكّن المنظمة من التركيز على مهمتها الحقيقية في إقامة دولة فلسطينية في الضفة و القطاع»¹.

تؤكد بعض الدراسات أنه في العاصمة التونسية و التي كانت مقرا للجامعة آنذاك تشجعت قيادة عرفات في اتصالاتها مع الصهاينة أكثر مما مضى، فقابل عرفات في العاصمة التونسية الإسرائيلي (أمنون كابلوك) عميل المخابرات الإسرائيلية، حيث طلب خلالها كابليوك من عرفات أن يسمح له بحضور دورة المجلس الوطني الفلسطيني في الجزائر، و وافق عرفات و اشترك في هذه الدورة².

انتقد البعض هذه السياسة أي سياسة اللقاءات مع الإسرائيليين المخالفة لقرارات المجلس الوطني الفلسطيني كونها تخدم بالدرجة الأولى المخططين الإمبريالي و الصهيوني في المنطقة العربية و بعض النظم العربية الصديقة للو.م.أ و تلحق ضررا كبيرا بسير النضال الفلسطيني³. و في المقابل كان يُنظر إلى هذه التطورات من طرف الحكومة التونسية، و الطرف الأمريكي و الصهيوني، و قيادة فتح على أنها تطورا إيجابيا طبقا للشروط التي فرضت على التواجد الفلسطيني في تونس. الأمر الذي يمكن أن يخدم قضية فلسطين في إطار عملية السلام الفلسطيني الإسرائيلي. و لا يمكن أن نجزم أن هذه الجهود الرامية للسلام و تبني الخيار السياسي بتأسيس دولة في الضفة و القطاع هي تكريس لقناعات كانت متجذرة في فكر بعض القادة الفلسطينيين و الرضا بما هو متاح أخذه، أم أنها مجرد أسلوب و تكتيك نضالي للانتقال بالقضية خطوة إلى الأمام. فكان هذا هو الخط السياسي التي انتهجته منظمة التحرير بعد لجوءها إلى تونس و هو يتماشى إلى حد بعيد مع الرؤية البورقيبية لحل الصراع العربي

¹ - حسين غازي، المرجع السابق، ص 241.

2 - نفسه، ص 241.

3 - نفسه، ص 249.

الإسرائيلي و القضية الفلسطينية.

عودة إلى وضع القيادة الفلسطينية داخل تونس و تحدياتها، كانت هناك أسئلة كثيرة تراود بعض المسؤولين الأمنيين التونسيين منهم بوشعالة خاصة فيما يتعلق بمسألة الاستعداد الأمني لحماية الفلسطينيين من بينها: « هل نحن مستعدون بما يكفي لحماية الفلسطينيين جنودا و قادة و عسكريين و سياسيين تطاردتهم أعتى قوة عسكرية مدعومة من الغرب؟ و هل يكون مقبولا إيواء قيادة كاملة بنزل على حافة البحر، في بلد مفتوح يدخله بعض الأوروبيون بدون تأشيرة أو جواز سفر (يقتصرون على الاستظهار ببطاقة الهوية فقط)؟ هل تم تقدير الوضع بما يتلاءم مع حجم المسؤولية؟¹. و عليه أشار بوشعالة إلى نقطة هامة و هي إمكانية التهديد الأوروبي خاصة و أن النزل قريب من البحر، و أن الإجراءات التونسية المتساهلة في التعامل مع دخول الأجانب من الأوروبيين قد تزيد من احتمال هذا التهديد.

يقر بوشعالة بأن مسائل التنظيم و التنسيق كانت تنطلق و تنتهي عند أطراف أربعة، وسيلة بن عمار، وزير الداخلية محمد مزالي، المدير العام للسجون و الإصلاح الذي تفرد بسلطات واسعة بموجب علاقته بالرئيس و زوجته. و حكم بلعاري الذي خولت له الفترة الطويلة التي قضاها في هذا الموقع نسج شبكة واسعة من العلاقات مع الدوائر التونسية على عديد المستويات السياسية و الأمنية². و أمكننا أن نلاحظ غياب الرئيس بورقية في هذه المسائل التي تمس أمن الدولة و أمن العناصر الفلسطينية التي تستضيفها على أراضيها. و لا ندري سبب غيابه أهو تهميش لدوره خاصة و أن وضعه الصحي لا يسمح بممارسة كافة صلاحياته؟ أم أنه نأى بنفسه عن مثل هذه المسائل؟ و مهما كان سبب هذا الغياب، إلا أن هذا الأخير هو إشارة و دلالة على تراجع الدور البورقيبي في المسائل الأكثر حساسية على الصعيد الدولي و منها قضية فلسطين.

كما يذكر ذات المصدر بعض الهفوات التي وقع فيها النظام التونسي (بقصد أو بدون قصد) فترة احتضانه للقيادة الفلسطينية خاصة في سنواتها الأولى، و هو ما شكل تحديا لتلك القيادات و صعب من مهمة الأمن التونسي فيقول : «إن أهم ما يلاحظ في هذا المجال، أن القدوم الفلسطيني إلى تونس جاء مفاجئا، فعولجت قضاياها في شيء من الارتجال و التسرع، ثم إن الملف المتعلق

¹ - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص120

² - نفسه، ص120.

باستضافة الفلسطينيين إقامة و تحركا أنيط بالسياسيين دون تشريك فعلي للدوائر الأمنية، فالمسألة بقيت بين يدي حكم بلعوي من الجانب الفلسطيني و الثالث التونسي و تهميش العنصر الأمني. و يمكن القول أن العلاقات الشخصية قد طغت على كل الاعتبارات، و من أمثلة ذلك إصرار بعض الأطر السياسية على نزول القيادة بنزل سلوى رغم أن المكان لا يناسب من الناحية الأمنية إطلاقا وجود القيادة هناك كونه معزولا و بعيدا عن العمران و واقعا على شاطئ مكشوف»¹.

تحدي آخر أشار إليه زياد عبد الفتاح و غيبته شهادة بوشعالة أو أنه لم يكن على علم بها، ظهر كعقبة هددت التواجد الفلسطيني بتونس و كذا مسار القضية الفلسطينية (التي أصبح حلها مرهون إلى حد ما بسياسة المقر الذي يستضيف م.ت.ف) و هو علاقة الحبيب بورقية بالقيادي عرفات فيذكر في هذا الصدد: « تختزن الذاكرة في الرحلة التونسية، أننا جهننا ألا نخرج على تقاليد الضيافة التي تقضي ألا تصفع المضيف أو يصفعك، و أظن علي أن أوضح هنا ما سكت عنه الكثيرون، أو أدلو بشهاداتهم حول تلك الحقبة. كنا ندرك في قيادة وفا أن أي مكان لا يتسع لرمزين، أو قائدين ذوي شهرة أو كاريزما، و أن اجتماعهما في مكان واحد يوقع في الحرج و قد يولد الأزمات. و قد بدا أن وجود ياسر عرفات في بلد بعينه هو تونس مع الحبيب بورقية أمرا بالغ الحساسية و الخروج عن كل نص، كادت الأزمة أن تنشب مبكرا لولا دور الماجدة وسيلة التي كانت على علاقة حميمة و تعاطف مع الفلسطينيين فاق كل التوقعات، و حدث من نشوب أزمة و حاصرت كل المآزق التي لم تظهر»². و يتضح من خلال هذه الشهادة أن الوسيلة كانت تلعب دورا مهما في الحد من التوتر بين الزعيمين، و إبداء تعاطفها مع أصحاب القضية، لكن السؤال الذي يطرح نفسه لماذا كانت التوترات تزداد بين الرجلين علما أنهما كان قد التقيا قبل أن تلتجئ القيادة إلى تونس، و كان أن تبنى عرفات النهج الذي دعا إليه بورقية و أصبحت العلاقات ودية إلى حد ما. فما الذي تغير بعد أن احتضنت تونس المنظمة الفلسطينية؟

من الصعوبات أيضا و التي أشار إليها بوشعالة أن قدوم الفلسطينيين إلى تونس كان قد تزامن مع الموسم السياحي و لم يكن هناك نزل يستوعب العدد الكبير من النزلاء ما عدا نزل سلوى، و لفت بوشعالة الانتباه إلى خطورة إسناد القرار في الشأن الأمني إلى أناس بعيدين عنه، و في اعتقاده كان الطاقم السياسي المكلف بمتابعة شأن الوجود الفلسطيني بتونس يستبعدون من حساباتهم إمكانية قيام إسرائيل بأعمال عدوانية بتونس استنادا إلى مقاربة بورقية

¹ - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص ص121-122.

² - زياد عبد الفتاح، المصدر السابق، ص128.

السلمية و متانة علاقاته بالغرب أو تعهدات أمريكية¹. لكن ما عرف على بورقيبة اتخاذه سياسة جد حذرة إزاء مثل هذه المواقف، خاصة حين يتعلق الأمر بقضية فلسطين التي تعتبر قضية حساسة فلماذا لم يتخذوا الإجراءات الكافية؟ و لماذا أصرت الأطر السياسية على تجميع القيادة في منطقة مكشوفة رغم إدراكها ما قد ينجر عن مثل هذه الإجراءات غير الحازمة؟

أكد ذات المصدر على أن هناك أخطاء و تجاوزات سياسية قامت بها الدوائر السياسية عرضت أمن الفلسطينيين للخطر، فرغم اعتراض الأطر الأمنية التونسية على إسكان القيادة في المنطقة لأسباب أمنية صرفة، فإن الغلبة كانت لرأي المدير العام للسجون الذي اكتفى بتقريب القيادة من العاصمة و إبعادها عن نزل سلوى بكيلومترين ما يعني أنه أبقاها في نفس المنطقة المكشوفة و شبه خالية من السكان، و البعيدة عن كافة المرافق الضرورية و خاصة المطار و مكتب المنظمة، و التي لا يمكن الوصول إليها إلا عن طريق واحد ما يشهد اختناقات مرورية².

فالترتيبات الأمنية التونسية كانت جد مستترة و غير جادة في القيام بكامل مسؤولياتها على أكمل وجه نظرا لأنها بقيت رهينة القرار السياسي كما صرح به بوشعالة، و ليس بين أيدينا من الشهادات ما يبرر هذا التصرف.

و هكذا تراجعت المسألة الأمنية على أهميتها لتحتل مكانها المصالح الذاتية، و بشهادة بوشعالة مكث الفلسطينيون ما يقارب الشهرين بنزل سلوى، فتبين أن النزل لا يمكن أن يستوعب احتياجا هم، الشيء الذي توافق مع رغبة الأطر الأمنية في نقل إقامة الزعيم عرفات إلى إقامة قرب قصر قرطاج، بعد أن قاموا بإعداد دراسة ليستقر الرأي على الإقامة القريبة من القصر الرئاسي، و هي إقامة كانت مخصصة للزوجة الأولى (مفيدة ماتيلدا لوران)، إلا أن المنسق التونسي ضرب هذه الإجراءات عرض الحائط، و قام باستئجار بيوت في ضاحية حمام الشط التي لا تبعد كثيرا عن نزل سلوى رغم المخاطر الأمنية التي نبه إليها الفريق الأمني³.

¹ - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص122.

2 - و الطريق الثاني هو العبارة البحرية التي تربط بين ضاحتي رادس و حلق الواد، و يقع بالقرب منها القصر الرئاسي فلا يمكن اعتمادها نظرا لخطورتها الأمنية. النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص123.

³ - نفسه، ص ص 123-124.

كما يلقي بوشعالة باللوم على القيادة الفلسطينية كونها لم تتفاعل بشكل كبير مع الدوائر الأمنية التونسية فكانت العلاقات معهم تفتقر لجو من الثقة و عدم التعاون¹ إذ يقول: «لم يكن من السهل على الأمنيين التونسيين فهم حقيقة ما يخالغ نفوس الفلسطينيين، حيث كانت تعاملاتهم مع مضيفيهم يسودها الحذر، و نتاجا لذلك لم يكن بمقدور الأجهزة الأمنية فهم الكيفية المثلى التي ينبغي اعتمادها في التعامل مع ضيوفهم رغم حرصهم الشديد على رعايتهم. فالأجهزة الأمنية وجدت نفسها في غالب الأحيان مبعدة عن المعلومة و عن صنع القرار و مثل ذلك أن المخاوف التي كان أبو إياد قد أبلغها لصديقه وزير الداخلية الطاهر بلخوجة بخصوص خشيته من تعرض القيادة إلى هجمة عدوانية في حالة إبقاء مكاتبها مجمعة بضاحية حمام الشط، قد احتفظ بها لنفسه و لعله لو أبلغ أهل الاختصاص في السلك الأمني و العسكري لأمكن تفادي ذلك².

لكن حسب رأينا أن هذا ليس مبررا كافيا لإلقاء مسؤولية الأحداث (قصف حمام الشط مثلا) على الجانب الفلسطيني، و لا يلغي المسؤوليات المنوطة بالأمن التونسي و كذا الأطر السياسية، كون المنظمة الفلسطينية تعرضت فيما مضى في لبنان للعدوان الصهيوني و هو أمر لا يمكن استبعاده في حالة تونس.

لاعتبارات عديدة لم تكن منظمة التحرير بمنأى عن المخاطر المحدقة بها، فتعرض مقر القيادة لغارة جوية إسرائيلية تسببت في سقوط ضحايا فلسطينيين و تونسيين، و تجسدت بذلك المخاوف التي كان قد أباح بها أبو إياد للوزير الطاهر بلخوجة.

قُصِفَ مقر القيادة الفلسطينية ليؤكد مجددا الخطر الذي كان يلاحق أصحاب القضية حتى و إن كانوا بعيدين جغرافيا عن ميدان المعركة. و حسب ما أورده (محمد تامالت) في كتابه "العلاقات الجزائرية الإسرائيلية" أن الطائرات التي قصفت تونس تعرفت على مواقع عرفات من خلال وثائق سلمها الجاسوس اليهودي (جوناثان بولارد)، و الذي كان يشتغل في مخابرات البحرية الأمريكية و تم القبض عليه على أبواب السفارة الإسرائيلية بواشنطن بعد أن

¹ - استنادا للعلاقات القوية التي كانت تربط النظام التونسي بالو. م. أ و التي كان الجانب الفلسطيني على علم بها يمكن أن ننقهم التخوف الفلسطيني و حالة اللارتياح تجاه التونسيين، و حفاظهم قدر الإمكان على سرية مناقشاتهم و قراراتهم و حتى تحركاتهم.

² - يقول بلخوجة بخصوص قصف حمام الشط: «قد سبق لأبي إياد الرجل الثاني في قيادة المنظمة الفلسطينية أن تنبأ بذلك، فأباح لي في بيتي بالحمامات سنة 1983م أن إسرائيل سوف تأتي لتونس لقصف المخيم إذا شددتم على إبقائنا متجمعين في مكان واحد و للأسف لم نصغ لكلامه». في هذا التصريح إشارة واضحة إلى أن هناك ضغط كبير على القرار الفلسطيني و عدم أخذ تخوفاتهم من الجانب التونسي بعين الاعتبار. الطاهر بلخوجة، المصدر السابق، ص23.

طردها¹.

خلفت الحادثة نتائج وخيمة على جميع الأصعدة، فوفقاً للإحصائيات الإسرائيلية خلفت نحو 60 من أعضاء م.ت.ف، بينهم حراس أبو عمار الشخصيون، و عناصر من قوة النخبة الـ 17 التابعة له قد استشهدوا، أما المصادر التونسية قد أشارت إلى أن عدد القتلى هو 56 فلسطينياً و 215 تونسياً، و عدد الجرحى حوالي 100².

لم تكن هناك خسائر بشرية فقط، بل أدى التفجير و ما تلاه إلى تغذية النزاع بين مختلف الفصائل السياسية في تونس التي كانت تسعى إلى ربط ثرواتها بالقضايا الخارجية. و جر تونس إلى حلبة الصراع و التنافس العالمي بين الشرق و الغرب، و عالم المؤامرات العربية³. و كشف القصف عن بعض الثغرات الرئيسية التي لازال يعاني منها نظام الدفاع التونسي، كما تسبب في مشاكل دبلوماسية لحكومة بورقيبة، الذي قال أنه شعر شخصيا بالخيانة من قبل أمريكا، و أجبر الحادث التونسيين على إعادة التفكير في عقيدتهم الاستراتيجية خاصة و أنهم كانوا يفترضون أنهم يعملون تحت مظلة أمريكية⁴.

بالعودة قليلا إلى بعض التفاصيل المهمة التي سبقت الحادثة، و التي تترجم طبيعة العلاقات المغاربية الفلسطينية في تلك الفترة، يروي محمد مزالي أنه قبل ليلة من وقوع القصف (أي في يوم 30 سبتمبر 1985) حوالي الساعة الثامنة، تلقى مكالمة هاتفية من حكم بلعوي ممثل م.ت.ف بتونس يعلمه فيها أن ياسر عرفات عاد من المغرب منذ ساعات و يرغب في مقابلته، و بعد ساعة حل ببيته صحبة زعماء فلسطينيين منهم أبو إياد و (خليل الوزير) أبو جهاد و محمود عباس و حكم بلعوي، و نقل له رسالة شفوية من الحسن الثاني يبلغه فيها أن جنودا ليبين يتهيئون لدخول التراب التونسي بزي الجيش التونسي. و في الغد بينما كنت منشغلا بهذه القضية وصله خبر مفاده أنه وقع قصف حمام الشط»⁵.

¹ - محمد تامالت، المرجع السابق، ص 161.

² - جنکيز تشانداری، أبو عمار كما يتذكره صديق تركي، تر. نائر ديب، "مجلة الدراسات الفلسطينية"، ع. 107، صيف 2016، ص. 88.

³ – louis wisnitzer, tunisia's unity threatend by pro-anti west rivalries, "the christen science monitor", 10/ 29/1985.

⁴ – louise lief, **can Tunisia keep radical neighbors at bay?**, april 14/1987.

⁵ - محمد مزالي، المصدر السابق، ص 573.

أما بالنسبة لشهادة النوري بوشعالة فيذكر فيها: « مساء اليوم السابق للهجوم على مقر القيادة كنت في استقبال الزعيم عرفات، و بعدها اتجه إلى منزل الوزير الأول محمد مزالي لإبلاغه رسالة شفوية عاجلة من الحسن الثاني و من ثم اتجه صوب منزل حكم بلعاري بضاحية قمرت حيث أشرف هناك على بعض الاجتماعات إلى ساعة متأخرة من الليل، و رغم اقتراح بلعاري المبيت عنده، فإن عرفات أصر على المبيت بحمام الشط. و هو في الطريق قرر فجأة الالتحاق صوب مكتب أبي جهاد القريب من بيت حكم و الكائن بضاحية المرسى ليقضي ليلته هناك. و في صبيحة اليوم الموالي توجهت إلى حمام الشط، حيث كان من المقرر أن يشرف يومها أبو عمار على اجتماع للقيادة العسكرية، و بينما أنا في السيارة سمعت من خلال الجهاز اللاسلكي نداءً صادراً عن المسؤول الأمني أن طائرات ليبية تقصف المنطقة، اعتقاداً أن القوات الليبية هي المعتدية بسبب توتر العلاقة بعد عملية قفصة»¹.

ما يسترعي انتباهنا في هاتين الشهادتين هو الحديث الذي أسر به عرفات إلى الوزير محمد مزالي ناقلاً رسالة الملك المغربي من أن جنوداً ليبين سيدخلون التراب التونسي، و الشهادة الثانية قول المسؤول الأمني أن طائرات ليبية تقصف المنطقة. فما هو وجه العلاقة بين المعلومتين؟ و هل كانت الدوائر الأمنية التونسية على علم بأنه سيحدث قصف أو ما شابهه من طرف ليبين؟ و إذا سلمنا أن ما قاله عرفات للوزير الأول تحذيراً من إمكانية دخول ليبين للأراضي التونسية؟ لماذا لم تتخذ السلطات الإجراءات الكافية، بغض النظر عن صاحب الهجوم؟ و لماذا قال المسؤول الأمني في الراديو أن طائرات ليبية هي التي تقصف و ليس طرفاً آخر؟ هل هي الصدفة في أن المخاوف التي قيلت أمس تجسدت اليوم؟ أم أنها غير ذلك؟ و لماذا اختير عرفات بالذات كوسيط لنقل رسالة الملك المغربي إلى المسؤول التونسي؟ في هذا السياق يذكر زياد عبد الفتاح: «ملاحظة غريبة تطرقت لها التقارير التي تحدثت عن تفاصيل العملية، و هي أنه قبل أسابيع قليلة على العملية حدث توتر في العلاقات بين ليبيا و تونس، أدى إلى حالة تأهب في تونس تحسباً لأي عملية عسكرية ليبية محتملة ضد تونس، فهل فعلها العقيد القذافي ليشغل تونس عن مواجهة غارة يعلم الجميع أن القوات التونسية لا تستطيع تفاديها، كانت العلاقات الليبية الفلسطينية تمر بأسوأ حالاتها، و أسفر معمر القذافي بعد الخروج من بيروت عن كره و حقد لعرفات و حركة فتح، فهل فعلها العقيد بالتنسيق مع واشنطن و إسرائيل لتنفيذ الإغارة على حمام الشط، و الفتك بعرفات الذي كان هدفاً لأنظمة و أجهزة مخابرات عدة. تلك الأسئلة ستظل في ذمة التاريخ إلى حين الكشف

¹ - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص 129.

عنها»¹.

كان المستهدف حسب ما أكدته العديد من الدراسات هو عرفات، و قد قدر له النجاة من الموت في هذا القصف، حيث ذكر مزالي في هذا الشأن: « إن عرفات أفلت من الموت بمعجزة، ذلك أنه بعد الاجتماع الليلي الذي تم ببיתי واصل العمل إلى الساعة الثالثة ليلا مع رفاقه ببيت حكم بلعاوي بضاحية قمرت عوضا عن العودة إلى منزله بحمام الشط، و لما شعر بالتعب قرر قضاء الليلة على عين المكان، و في الغد بينما كان يستعد لامتطاء سيارته للالتحاق بمقر إقامته أعلموه بخبر الغارة»².

من بين الأسباب الأخرى الكامنة وراء قصف حمام الشط حسب حكومة الائتلاف الإسرائيلية (peres chamir)³، هي أن تونس مثل الجزائر تغاضت بسهولة عن العمل الإرهابي (حسب ما تطلق عليه) لم. ت. ف ضد إسرائيل. و بحسب زائيف شيف (zeev shiff) و هو مراقب للأحداث العسكرية الإسرائيلية، دفعت تونس ثمن تجاهلها لحقيقة أن الفلسطينيين يتمتعون بملاذ آمن داخل أراضيها، حيث كانوا يعبرون إلى الجزائر، أين يخضعون لتدريبات عسكرية في مدينة تبسة الجزائرية، و أكد زائيف أن إسرائيل ألفت القبض على العديد من هؤلاء المقاتلين الفلسطينيين المدربين في الجزائر، الذين أبحروا بقوارب إلى إسرائيل عبر تونس و اليونان، و مع ذلك إنه إذا احتاج أي بلد إلى استهداف نشاط المنظمة فيجب أن تكون الجزائر⁴.

بالنسبة للمواقف التونسية و الفلسطينية و الدولية من الغارة، فقد قررت تونس رفع شكوى إلى مجلس الأمن قصد الحصول على إدانة لإسرائيل مع المطالبة بتعويضات عن الضرر و وصف الرئيس رونالد ريغن الغارة بأنها عمل مشروع. و اجتمع بورقية بالسفير الأمريكي و استقبله مزالي بحضور الحبيب الابن و محمود المستيري كاتب الدولة الشؤون الخارجية، و طلب من السفير إعلام ريغان أن تونس ترغب في أن تراجع أمريكا موقفها، و قدم مزالي تقريرا من 127 صفحة عن الغارة و نتائجها⁵. غير أن إسرائيل اعتبرت في تصريح

¹ - زياد عبد الفتاح، المصدر السابق، ص 138-139.

² - محمد مزالي، المصدر السابق، ص 575.

³ - حكومة إئتلافية قومية بين شمعون بيرس و إسحاق شامير اللذان توليا بالتناوب حكومة إسرائيل التي أقيمت عام 1984.

⁴ - Michael M.laskier, **israel and the maghreb from statehood to oslo**, ob.cit, p249.

⁵ - محمد مزالي، المصدر السابق، ص 574.

يوم 21 نوفمبر 1985م أن النص في جملته غير مقبول، و استتكرت استعمال عبارات عمل عدواني مسلح. و بقيت القرارات حبرا على ورق¹.

كما أدلى الأمين العام لج. د.ع الشاذلي القليبي (الذي كان متواجدا بالمغرب ابان الغارة) ببيان أكد فيه أن العدوان الإسرائيلي على التراب التونسي يمثل نيلا فادحا من سيادة الجمهورية التونسية، يتعين إدانته بدون تحفظ من قبل المجموعة الدولية كافة، و وجّه برقية تضامن و تأييد إلى رئيس المنظمة ياسر عرفات².

هذا و كتبت جريدة "الرأي" التونسية في أحد أعمدتها أن مدلول هذه العملية الإجرامية هو إصرار إسرائيل على منهجها الإرهابي الذي يجعلها تبني كيائها على حالة الحرب و التوتر الدائم، واقفة ضد كل محاولة سلمية، خاصة في ذلك الظرف الذي بدأت تبرز فيه ملامح الحل السلمي، و هي تؤكد أيضا أن هذا النظام يعيش على هامش الشرعية الدولية، فيدوس القانون الدولي و لا يعبأ بالمؤسسات الدولية³.

و قد كانت هناك مظاهرات حاشدة في العاصمة التونسية و العديد من المدن الأخرى تعبيرا عن إدانة هذه العملية، و عن التلاحم التونسي الفلسطيني في مواجهة الإرهاب. كما ندد زعماء الجالية اليهودية بتونس بالعدوان⁴. في مقابل ذلك اتخذت الحكومة التونسية إجراءات استثنائية و صارمة لحماية اليهود⁵.

كما اجتمعت أحزاب المعارضة في تونس و الحكومة و طالبوا في بيان مشترك قطع العلاقات الدبلوماسية مع أمريكا، و لكن بورقيبة كان رافضا لهذا المطلب، إذ يذكر مزال في هذا الصدد: « قررت استقبال وفود من مجموع أحزاب المعارضة، اقترح علي بعضهم أن أقود مظاهرة أو أشرف على اجتماع شعبي، و كنت موافقا على ذلك في قرارة نفسي و لكنني أبيت إلا أن أجابه بورقيبة الذي كان غير راغب في المضي أكثر من تقديم شكوى أمام مجلس الأمن⁶. و هذا الموقف في اعتقادنا يعتبر هذه خطوة رمزية لا ترقى إلى مستوى المواجهة

¹ - محمد مزال، المصدر السابق، ص 574.

² - العمل، 1985/10/2.

³ - الرأي، 1985/10/4.

⁴ - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص 147.

⁵ - jewish virtual,tunisia .sur le lien- <https://www.jewishvirtuallibrary.org/jews-of-tunisia>

⁶ - محمد مزال، المصدر السابق، ص 575.

الدبلوماسية الجديدة للعدوان الذي وقع على التراب التونسي.

أما عرفات، فقد وصفها بأنها عملية أمريكية أولا و إسرائيلية ثانيا، و أن واشنطن هي التي أعطت الضوء الأخضر إلى تل أبيب. أما أبو جهاد فذكر أن الإرهاب الإسرائيلي لن يؤثر مهما امتد و مهما استخدم سياسة الذراع الطويلة تجاه الثورة في الخارج، و أن هذه الضربة هي محاولة لتخويف الشعب التونسي و جعله يستاء من تواجدهم على أرض تونس. و بالنسبة للموقف الإسرائيلي، فقد أعلنت القيادة العسكرية أنها قامت بهذه الغارة انتقاما لمقتل ثلاثة إسرائيليين بأيدي عناصر من القوة 17 التابعة للزعيم عرفات في قبرص¹.

أصدر مجلس الأمن القرار 573 بتاريخ 4 أكتوبر 1985 يدين العدوان الإسرائيلي على تونس. و قد نظر في الرسالة المؤرخة في 1 أكتوبر 1985 التي قدمت فيها تونس شكوى ضد إسرائيل، و بالنظر إلى أن إسرائيل قد أعلنت مسؤوليتها عن الهجوم:

- يطالب أن تمتنع إسرائيل عن اقتراف أعمال عدوانية مماثلة.
- يرى أنه من حق تونس أن تحصل على تعويضات عن الخسائر في الأرواح و الأضرار المادية. و قد تبني القرار ب14 صوتا في مقابل لا أحد ضد و امتناع أمريكا².
- وصف بوشعالة تلك القرارات بالمجحفة لأنها أنصفت جزئيا تونس التي وقع العدوان على ضيوفاها، و لكنها لم تتصف المقصودين به. مؤكدا أنها إدانة رمزية لعدوان كبير لا مبرر له³.

أما بورقية فقد هدد بقطع العلاقات مع الو. م. أ في صورة استعمالها حق الفيتو ضد مشروع قرار مجلس الأمن الذي يدين الغارة الجوية الإسرائيلية على مقر المنظمة، و قد أدى ذلك إلى تراجع أمريكا عن موقفها، إذ امتنعت عن التصويت على قرار مجلس الأمن الذي يدين إسرائيل⁴، و بذلك تم تمرير القرار⁵.

و ذكر مسؤولون أمريكيون و إسرائيليون أن الأمريكان خففوا من موقفهم عندما أصبح

¹ - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص ص144-146.

² - نفسه، ص148.

³ - نفسه، ص ص149-150.

⁴ - حسب جريدة "La libre" الفرنسية، كانت هذه هي المرة الأولى التي امتنعت فيها الو. م. عن استخدام حق النقض "الفيتو" "La libre", (les douze ans d'oscil tunisien de vasser arafat 1982-1994), 3/11/2004.

⁵ - الطاهر بن يوسف، المرجع السابق، ص162.

من الواضح أن استخدام حق النقض ضد قرار الأمم سيضر بشدة بعلاقات الولايات المتحدة مع العالم العربي، و أعرب بورقيبة عن خيبة أمله في فشل ريغان في إدانة الهجوم الذي اعتبر الغارة عملا مشروعا للدفاع عن النفس¹. و هناك من يرى أنها اتخذت هذا الموقف من باب الاعتراف بعلاقة الصداقة مع بورقيبة التي كان يخون من أجلها، ثم إن وقوع تونس بين الجزائر و ليبيا المحسوبين على الاتحاد السوفياتي كان يفرض على أمريكا التفكير قبل اتخاذ أي قرار استفزازي قد يجرح بورقيبة².

بعيدا عن المواقف المختلفة³ من الغارة كان هناك مسؤوليات وجب القيام بها تجاه ضحايا العدوان. و بشهادة أطراف تونسية أنه في مقابل اهتمام م. ت. ف بمتضرريها من العاملين التونسيين و أسر من استشهد منهم، حيث خصصت لهم المنظمة جريات شهرية تدفع للمتضررين الأحياء و لذوي الشهداء، لزم الجانب التونسي الصمت، إذ لم تول السلطات التونسية عناية بأعوانها المتضررين لا رعاية مادية و لا معنوية و لا اجتماعية⁴. و في اعتقادنا أن إهمال الضحايا نقطة سلبية و هي تحسب على الجانب التونسي لكونه زاد من عبء المسؤولية عن هذه المنظمة بتحميلها تبعات الغارة كليا و إجهادها ماديا، و ربما أرادت تونس وضع كامل هذه المسؤولية على الجانب الفلسطيني لأنه تسبب في ذلك.

رغم هذا لم يخف أبو إياد تقديره لما كانت تقوم به تونس من أجل حماية الوجود الفلسطيني على أراضيها، فردا على سؤال خلال ندوة صحافية نشرتها جريدة "الرأي" التونسية بعددها الصادر يوم 4 أكتوبر 1985م، و يتعلق الأمر بما أعلنه أبو عمار في المؤتمر السابع لجبهة التحرير الفلسطينية حيث قال: « إن أبا إياد أبلغ السيد محمد مزالي رئيس الحكومة أن هناك غارة قد تستهدف تونس. فلماذا لم يكن الاحتياط كافيا؟». فأجاب أبو إياد أنه لا يتهم تونس بالتقصير فقد أخذت الإجراءات حسب الشكل المناسب، و لكن المسألة أكبر من الاستعدادات». و حسب بوشعالة أن هذا الكلام و اعتبارا لاطلاعه العميق، كان مجرد إجابة

¹ - Mary curtius, **israel government divided on how to respond to killings,** "the christen science monitor", 7 /10 /1985.

² - النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص ص 149-150.

³ - للمزيد عن المواقف العربية و الأوروبية من هذه الغارة ينظر لكتاب: المنصف بن فرج، ملحمة النضال التونسي الفلسطيني، من خلال الغارة الاسرائيلية على حمام الشط، تونس، 2007.

⁴ - النورى بوشعالة، المصدر السابق، ص 141.

دبلوماسية و مجاملة للبلد المضيف¹.

في قراءتنا للأسباب التي أدت إلى أزمة المنظمة في تونس وفقا ما توفر لدينا من معلومات، فإنه يمكن التوصل لمجموعة من الفرضيات من بينها: أن التهاون الكبير من طرف الحكومة التونسية سببه العلاقات الودية التي جمعت تونس بأمريكا و إسرائيل التي أبعدت احتمال وقوع أي عدوان، و كذا الشروط التي وضعتها لاستقبال المنظمة، و تقييد نشاطاتها وفق ما يتمشى و سياساتها الداخلية و الخارجية، جعلها تستبعد احتمال القصف و تحييده، و الفرضية الثانية أن الظروف الأمنية هي التي سهلت القيام بالهجوم، لأن الجهاز الأمني كان ضعيفا، مع قلة الإمكانيات لتوفير الحراسة اللازمة أو حتى الاستعداد لمثل هذه العوارض و هي الأمور التي تطرق لها النوري بوشعالة.

و قد أشار أيضا إلى أنه كان هناك صراع على السلطة و بكل السبل و على حساب كل القضايا، حيث ظلت المسألة الأمنية عموما و أمن الفلسطينيين خصوصا على هامش مشاغل النظام، و إن لم يكن الأمر مقصودا في أواخر حكم بورقية حيث كان نظامه يلفظ أنفاسه الأخيرة، و كان للممسك بدواليب الأمن الوطني (زين العابدين بن علي) جهوده في شحن المشهد السياسي². و هو ما كلف حياة أبرز القياديين الفلسطينيين فيما بعد، و حاد بمسار القضية الفلسطينية بعيدا عن أهدافها و مبادئها الأولى.

كما أشار صافي سعيد إلى تهاون الجيش التونسي و موقف مزالي غير الحازم قائلا: « برر مزالي تهاون جيشه و مخابراته على نحو أحرق، و قال للصحافة و كأنه رجل يتحدث في مقهى شعبي لا رجل دولة تعرضت لعدوان خارجي "إن القوة الإسرائيلية تشبه سيارة المرسيدس، أما قوة تونس فهي تشبه سيارة رينو قديمة"»³.

كانت هناك زاوية فلسطينية أخرى نُظر منها لأحداث حمام الشط، و كان هناك رأي آخر عن طبيعة العلاقات بين بورقية و عرفات غير التي كانت تتداول علنا، كشفتها تلك الأحداث.

يذكر زياد عبد الفتاح محطات مهمة عن أحداث حمام الشط و كيف أثرت على مجرى

¹ - النوري بوشعالة، المصدر السابق ، ص125.

² - نفسه، ص184.

³ - الصافي سعيد، بورقية سيرة شبه محرمة، رياض الريس للكتب و النشر، بيروت، 2002، ص370.

العلاقات بين الرجلين قائلاً: « بعد الغارة، بدا الرئيس التونسي بورقيبة مستاء و غاضبا، و ربما اكتشف فيما أزع أنه قد تورط في استضافة الفلسطينيين. لم يبد عليه أنه غاضب للشهداء الذين قضاوا من الفلسطينيين و التونسيين في تلك الغارة، و إنما على ياسر عرفات و منه، فلم يبد تعاطفا و لم يزر أبو عمار في مقر قيادته أو حتى خارجها¹، لقد بدا ذلك بمثابة رسالة أو إشارة تبرم من الوجود الفلسطيني في تونس، ذلك أن غياب رد الفعل مؤثر على الاستياء و ربما الإحساس بالورطة»².

وصف صافي سعيد وضع عرفات بعد أحداث حمام الشط قائلاً: « حين حدث ذلك، كان على أبو عمار أن يتحسس عقله و مسدسه لأن وجوده في تونس لم يكن محل ترحاب من جميع وزراء بورقيبة، حاول البعض أن يدق إسفيناً بين بورقيبة و أبو عمار لكن الوسيلة لعبت دوراً هاماً لتهدأ الخواطر»³.

و يؤكد عبد الفتاح على دور الوسيلة البارز في احتواء تبعات الأحداث تلك للتخفيف من حدة الموقف البورقيبي، في قوله: «على الرغم من ذلك، فلقد زارت الماجدة وسيلة حمام الشط و كذلك الوزير الأول محمد مزالي في محاولة لمحاصرة ما قد يتسلل إلى ياسر عرفات و إلى القيادة الفلسطينية عموما من إحساس بثقل الوجود، في بلد يكاد رئيسته يعلن سخطه على الملاء، لقد قبض النظام التونسي ثمن استضافتنا في تونس، و لكن الشعب التونسي كان أصيلا و ظل على وفائه للفلسطينيين»⁴.

كما أن دعمها لم. ت. ف هو الذي منع بورقيبة من الإصرار على مغادرة المنظمة تونس عام 1985م، بعد انتشار مزاعم تفيد بوجود صلات بين المنظمة و قضية اختطاف السفينة الإيطالية (achille lauro)⁵.

أشاد زياد عبد الفتاح بموقف الشعب التونسي الداعم للقضية و أصحابها إذ ذكر أن

¹ - كان المنصف بن فرج (الكاتب العام للجنة التنسيق الحزبي بين عروس، و كان حاضرا في مكان الغارة بعد وقوعها بـ 10 دقائق) و هو من قدم تقريرا مفصلا لبلدية حول الغارة. المنصف بن فرج، المصدر السابق، ص 261.

² - زياد عبد الفتاح، المصدر السابق، ص 129.

³ - الصافي سعيد، بورقية سيرة شبه محرمة، المرجع السابق، ص 369.

4 - زياد عبد الفتاح، المصدر السابق ، ص129.

⁵ - George joffe, **tunisia and the PLO**, "jornal of Palestine studies, university of California Press on behalf of the institute for Palestine studies", 2019, p182.

الشعب التونسي تعامل مع القضية و مع الفلسطينيين بإجلال و حب لم يقدر عليه سوى اللبنانيين، و أن الحاكم العربي المستبد ظل في كل حين دليل شعبه و بوصلتهم الضالة للمضي نحو كره أو حقد أو غضب على الفلسطينيين (ربما يقصد ما جرى في الأردن و لبنان)، إلا في تونس¹.

و أقر بأن النظام التونسي لم يتدخل في مسألة الإعلام الفلسطيني خاصة في أمور وكالة وفا التي رافقت المنظمة، إذ ذكر أن الحقبة التونسية لم تشهد على الإطلاق تدخلات رسمية أو شبه رسمية في المسار الحر للأبناء و التعليقات و التحليل السياسي للوكالة، بل إن الصحف و الإعلام التونسي بمجمله كان ينقل عن وكالة وفا كل ما يتعلق بالشأن الفلسطيني و كان داعما و عوناً لهم².

في مقابل ذلك، كانت هناك أحداثا مفصلية دامية و فاجعة عصفت بالوجود الفلسطيني في تونس، و خلفت تداعيات كبرى ترددت بعنف في تونس و العالم، و كانت تونس النظام و الشعب و الإعلام في مركزها حسب ما أكده عبد الفتاح. مشيرا إلى أن تلك الأحداث انطوت على أسرار و خيانات و حلقات تجسس، و تسهيلات من أفراد و دول محيطة أو مجاورة لتونس، و أطرافا في الأمن التونسي كانوا على علم، و بذلوا تسهيلات لكي تنجح إسرائيل مرة في قصف حمام الشط، و مرة أخرى بعد ثلاثة أعوام في تنفيذ عملية هي الأخطر و اغتيال القائد خليل الوزير أبو جهاد في مقر إقامته³.

استنادا لما ذكره عبد الفتاح سكتت وكالة وفا الناطق الرسمي باسم المنظمة إلا فيما يتعلق بتفاصيل العدوان فوق الأرض، دون أن تتصدى لمعلومات لا تملك التأكد أو التحقق من مجرياتها، و لقد صممت قيادة المنظمة كذلك عن كل سرد أو تفصيل و لو استند إلى معلومات حتى لا يؤدي إلى مأزق أو أزمة. فقد كان ياسر عرفات الذي تتقاطع عنده المعلومات يدرك أن الاقتراب من الشأن التونسي و بالتالي من الأمن التونسي سيثير حفيظة الحبيب بورقية الذي لم يكن بحاجة إلى إثارة حفيظته، و كذلك صمت النظام و الأمن التونسي، فلم

¹ - زياد عبد الفتاح، المصدر السابق، ص 129 .

² - نفسه، ص 129.

³ - نفسه ، ص 133.

يتصد لفضيحتين من أخطر فضائح العصر¹.

و عليه لم تأخذ قضية قصف حمام الشط نصيبها الكافي من التحقيقات من الجانب التونسي لكشف المتورطين فيها، أو أنه تم السكوت عن حقيقتها عمداً، في المقابل إن القيادة الفلسطينية و احتراماً لتقاليد الضيافة و إرادة البلد المضيف، فإن موقفها اكتفى بالتمديد بهذا العدوان، و لم يتعداه إلى مستوى توجيه أصابع الاتهام للأطراف التي ربما تعاونت مع مقترفيه خوفاً من أن هذا التحدي قد يضر بصورة النظام و الأمن التونسي و يهدد وجودها في البلد.

من الحوادث التاريخية التي تروى عن هذه المرحلة المهمة التي عايشها الفلسطينيون في تونس في عهد بورقية و التي شكلت حجر عثرة أمام عمل م. ت. ف و ألفت بكامل ثقلها على تقدم القضية الفلسطينية، هو الحديث السري الذي جرى بين أبو إياد و بورقية، حيث عبر فيه الأخير عن رفضه لوجود عرفات في تونس، و قد نقل بعض تفاصيل الواقعة زياد عبد الفتاح قائلاً: « إن بلداً واحداً لا يحتمل رمزين، فضلاً عن أن ديبب عرفات كان ثقيلاً لا تحتمله أرض فكيف يحتمله رئيس. لقد ظهر الرئيس على غضب من الرمز عرفات، و ربما بيّت قراراً بطرده من تونس و طرد الفلسطينيين جميعاً، لكنه ظل يخشى رد فعل خارجي مرة و ردود فعل داخلية أعلى بكثير مرة أخرى، لذا إنه مضى بعقل السياسي البراغماتي إلى محاولة تقسيط الموضوع، فسعى إلى مقابلة صلاح خلف أبو إياد دعاه إلى قصر قرطاج، حيث أسمعته مديحاً أفرط فيه قبل أن يذهب إلى الهدف مباشرة»².

و لما لهذا الحديث من أهمية بالغة تمس جانبا من دراستنا فقد أردنا تناوله بشيء من الإسهاب و من دون أي تصرف في الكلمات الواردة فيه. قال بورقية في ذلك اللقاء³ الذي كان يحضره وزيره الأول و وزير أمنه و مدير مخابراته، و لم يكن من فلسطينيين آخرين سوى أبو إياد: « أنت تعلم كم نحبك "بو إياد" منذ كنت في بيروت و قبل ذلك و بعده، أنت على الرحب و السعة كل الذين معك على الرحب و السعة، مرحباً بك في بلدك تونس حتى تحرير فلسطين و العودة، لكن ذلك أبو عمار منحش نراه، مشاكله برشا و كبيرة و وجوده هنا يعقد الوضع على الفلسطينيين، أرجوك أبو إياد افهمني حتى جماعته إلي يحب يضل منهم بتونس معك مرحباً بيهم و تونس مستعدة لاستضافتهم

¹ - عبد الفتاح زياد، المصدر السابق، ص 135.

² - نفسه، ص 142.

³ - لم يذكر تاريخ اللقاء لكن المرجح أن الحديث جرى بعد حادثة حمام الشط لكونها وقعت في أكتوبر 1985، و خروج فصائل المنظمة من تونس كان سنة 1986 باتجاه ليبيا.

1. مهما طال الزمن، الفلسطينيون حبايينا وقضيتهم قضيتنا ومثامش تونسي يتخلى عن فلسطين»¹.

في قصر قرطاج حيث كان أبو إياد يلتقط آخر عبارات بورقيبة و هو يفكر بعمق فيما ينبغي عليه أن يتصرف، قال أبو اياد (بعد أن انتهى بورقيبة حديثه في تلك الجلسة الخاصة المغلقة): « فخامة الرئيس أود أن أشكر من كل قلبي على حبك و انفتاحك على شعبي الذي أقصى ما يتمناه هو العودة إلى أرض الوطن فلسطين، أرجو أن تمنحني وقتا ليس ممتدا و لكن قرابة أسبوع أو عشرة أيام فقط لأتصل أو أذهب إلى الأخ معمر القذافي لأطلب منه إرسال أوتوبيسات و شاحنات، و ربما طائرات لشحن الفلسطينيين جميعا من تونس إلى ليبيا»².

و يمكن أن نتساءل لماذا صرح بورقيبة أبو إياد و لم يصارح عرفات المقصود و المعني بهذا الكلام رغم أنه عرف عليه جرأته و صراحته؟ في اعتقادنا ربما توجه بورقيبة لأبو إياد لكونه أكثر اعتدالا من عرفات، و بالتالي تفهم القرار الذي أسره إليه. غير أن سبب اختيار أبو إياد ليبيا فلا نملك من المعلومات ما يبرر هذا الخيار.

كانت تونس في تلك الفترة (ما بعد قصف حمام الشط) و حسب تقديرات بعض السياسيين الغربيين، عرضة بشكل خاص لوجهات نظر أمريكا بسبب مخاوفها بشأن جارتها ليبيا، و رغبتها في الحصول على دعم دبلوماسي و عسكري أمريكي إذا ما حاول القذافي زعزعة استقرار نظام بورقيبة. حتى إن فرنسا الموالية لفلسطين رسميا و الحليف التقليدي لتونس اقتربت أكثر من الطروحات الأمريكية حول الشرق الأوسط، حيث وصلت حكومة جاك شيراك (Jacques Chirac) اليمينية إلى السلطة. و بعد أن تسقط الوسيلة و مزالى دعاة العلاقة مع العالم العربي لاحقا، سيعاود الرئيس تأكيد هيمنته السياسية و بالتالي لم يبق الكثير لحماية الحركة الفلسطينية في تونس³.

يصف زياد عبد الفتاح موقف بورقيبة بعد أن صارحه أبو إياد بأن الوجهة التالية

¹ - عبد الفتاح زياد، المصدر السابق، ص 143.

2 - يذكر ذات الكاتب أن السبب الذي جعل بورقيبة يتصبب عرقا و هو يودع أبو إياد بعد عن ذكر له أن ليبيا هي وجهة الفلسطينيين، هو أنه كان بين الرجلين بورقيبة و معمر القذافي الجارين اللودين ليس ما صنع حداد واحد و إنما ما صنع كل الحدادين في العالم. لذا إن بورقيبة ما إن سمع بلجوء فتح و المنظمة إلى ليبيا حتى كاد يفقد عقله، فقد كان القذافي يعتبر بورقيبة متخلفا و عقبة في تقدم تونس، و في المقابل كان بورقيبة يزدرى القذافي و يعتبره دخيلا على الرئاسة و صاحب سلطة انقلابية غير شرعية، و أنه يبدد أموال ليبيا و يعيئ شعبها في اتجاه عداء تونس. زياد عبد الفتاح، المصدر السابق، صص 144-145-146.

³ - George joffe, op.cit, p182.

ستكون ليبيا، فذكر: « أصابت المفاجأة عقل الحبيب بورقية حتى كادت تشله، هبط بعد أن وقف لوداع ضيفه مرة واحدة و العرق يتصبب منه، ما كاد أبو إياد يفرغ من مصافحة آخر الحاضرين، حتى أوماً إلى وزير أمنه لإدراك صلاح خلف و إقناعه بأن الرئيس لا يقصد، و إن كان يقصد فإن أركان الدولة التونسية ليسو معه. و لقد أصّر وزير الأمن و هما على باب القصر أن يعطيه أبو إياد وعد بأن لا يعرف عرفات بما دار حتى لا يعلق في نفسه انزعاج أو قلق، و أن يعتبر ما جرى عثرات لسان و ليس عثرة واحدة، و أسر الرجل في تلك اللحظات لأبي إياد بأن الرئيس شاع عليه ألا يأخذ كلامه بحذافيره»¹.

بعدها أدرك أبو إياد عرفات لإخباره ما جرى فلم يكن من الممكن طي حادثة قصر قرطاج بين صلاح خلف و بورقية، كما لم يكن من الممكن الحفاظ على وعد بذله أبو إياد لوزير أمن بورقية بأن لا يعرف عرفات، فقد كان ذلك شأننا أمنيا فلسطينيا لا يملك أمامه صلاح خلف رئيس الأمن الفلسطيني الوقوف مكتوف اليدين، فذهب إلى اجتماع منفرد مع عرفات أبلغه فيه ما دار في قصر قرطاج، و اتفقا على طي ذلك انتظارا للمتغيرات، مع الحذر الشديد و فحص يومي دقيق لكل ما يتعلق بالعلاقة الفلسطينية التونسية².

كما ذكر لا سكير أنه بينما بدا التونسيون في البداية مضيفين ظاهريا لم. ت. ف أصبحوا قلقين بشكل متزايد من أن وجود القادة الفلسطينيين في وسطهم قد يثير المشاكل. لقد فهم بورقية ما يمكن أن يكون على المحك، فقد يشكل التواجد الفلسطيني في تونس تهديدا للاستقرار الداخلي كما كان الحال بالنسبة للأردن و لبنان، و لا يزال بورقية يتذكر حجم الانتقام العسكري و السياسي الفرنسي ضده لأنه سمح بين عامي 1956-1962 م بتمركز جيش جبهة التحرير الجزائرية في تونس³.

في السياق ذاته ذكرت صحيفة "New york times" الأمريكية أنه بعد حادثة قصف حمام الشط و قضية اختطاف السفينة السياحية الإيطالية، برزت بوادر الخلاف بين بورقية و معظم مستشاريه الرئيسيين بشأن السماح لم. ت. ف بالاحتفاظ بمقرها السياسي. و وفقا لدبلوماسيين تونسيين و فلسطينيين، جادل بورقية بأن وجود المنظمة أصبح مصدر متاعب للبلد، مستشهدا بقصف مقر المنظمة و اختطاف السفينة الإيطالية. لكن مجلس وزراءه طالبوا بدلا من ذلك بمقاربة الصف مع العرب، غير أن الحكومة لم تنقل قرارا حازما إلى المنظمة.

¹ - زياد عبد الفتاح، المصدر السابق، ص ص 145-146.

² - نفسه، ص ص 147-148.

³ - Michael M.laskier، **israel and the maghreb from statehood to oslo**, op.cit, p248.

ذكرت ذات الجريدة حسب ما نقلته إليها بعض المصادر في تلك الفترة، أنه لم يكن من المرجح أن يطرد بورقية المنظمة، و يرجع ذلك جزئيا إلى غضب الحكومة التونسية من إدارة ريغان لموقفها السلبي تجاه قصف حمام الشط، و لكن الطرد سيكون نوع من السفر عن طريق التفاوض إلى بلد آخر خلال فترة قد تصل إلى عام لحفظ ماء الوجه¹.

بحسب (Georg Joffe) الباحث الإنجليزي في شؤون الشرق الأوسط و شمال إفريقيا في مقال له صدر أول مرة في جريدة "Middel East International" في عددها الصادر في 10 أكتوبر 1986م، ذكر أنه كانت هناك مرارة كبيرة على الأقل في السرية في الأوساط الفلسطينية إزاء الموقف التونسي². حيث قال بعض المسؤولين الفلسطينيين أن إقامتهم في تونس كانت هشة، و رد فعلهم سيكون عدم لفت الانتباه، حيث قال أحدهم « إنه أمر محزن لكن ماذا يمكننا أن نفعل »³.

لكن المشكلة هي أن تقرر المنظمة أين تذهب الآن. إذ أن العديد من الملاذات تشوبها مخاطر، فالجزائر بعيدة عن الشرق الأوسط و هناك خطر إضافي و هو إمكانية التدخل السياسي، و السودان بعيد و غير مستقر، أما الأردن و ليبيا و سوريا معادين للمنظمة الموالية لعرفات، و لبنان فوضوية و التحرك فيها سيقابل مواجهة الجماعات الشيعية و سوريا و إسرائيل. و مصر لا تزال تعاني من وصمة عار كامب دافيد و خطر الضغط السياسي من حكومة حسني مبارك، و الخليج غير مستقر و حكامها قلقون بشأن تداعيات حرب الخليج، و بقي خيار العراق (لوجود أعضاء المنظمة في بغداد) أو شمال اليمن⁴.

و يصف زياد عبد الفتاح رد فعل عرفات على الموقف البورقبي من وجوده في تونس: « في تلك اللحظات الفاجعة التي راحت التراجيديا فيها تصعد نحو ذروتها، كان عرفات يمضي نحو مطار قرطاج الدولي في طريقه إلى القاهرة، كان بالغ الضيق و الحيرة حيث بدا أن الجغرافية التونسية تضغط عليه بعنف، لم تكن هناك رسائل و لكن ثمة إشارات خفية تحمل معها بوادر أزمة قادمة ».

¹ - Edward schumocher, hostage and hijackers : tunisians reported at odds on letting the p.l.o stay, "New York times", 17/10/1985.

² - George joffe, op.cit,p182

³ - Edward schumocher, op.cit.

⁴ - George joffe, op.cit, p182.

كان السفير الفلسطيني و عدد محدود من الكوادر المتقدمة في حركة فتح ممن تصادف وجودهم في المكتب أو ممن يقتضي البروتوكول تواجدهم في المطار يقومون بوداع عرفات. و أشار عرفات للسفير الذي كان يشرف على الترتيبات الأخيرة لسفره فتقدم نحوه، فأخرج أبو عمار من جيبه جواز سفر دبلوماسي تونسي، حرص على أن يراه كل من كان قريبا بخاصة من الأمن التونسي، لكن أحدا لم يسمع التعليقات ثم الحوار الذي دار بينهما. و قد قال عرفات للسفير: اسمع، هذا الجواز التونسي يعود للدولة التونسية مع الشكر الخالص للمسؤولين لكنني لم أعد بحاجة إليه». و قد علق زياد عبد الفتاح على هذه البادرة بأنها كانت بادرة تلويع أكثر مما كانت خطوة جدية حيث كان عرفات في أشد حالات الضيق و أراد أن يركب مشهدا معبرا لجس النبض¹.

كما أشار Georg Joffe إلى أنه في أحد التقارير الصادرة عن تونس (بعد أشهر قليلة من أحداث حمام الشط)، تم رفض ما لا يقل عن ثلاثين من أعضاء الوفد المرافق للزعيم عرفات عند عودته من قمة عدم الانحياز في مدينة هرر الإثيوبية (عقدت في سبتمبر 1986)، و تقطعت السبل بالعديد من مسؤولي المنظمة في الخارج، و كانت جوازات السفر التونسية الصادرة لأعضاء المنظمة يسمح لها بالمغادرة بمعدل 4 أشخاص في اليوم. و لم يبق للقادة الفلسطينيين أدنى شك في أن هذه الإجراءات التي تعتبر أكثر تقييدا حتى من تلك المفروضة على أعضاء المنظمة في الأردن هي من قبيل الصدفة، فقد ألمحت الدوائر الحكومية بقوة أن فترة الضيافة التونسية قد استمرت الآن لفترة كافية، و أن المنظمة يجب أن تفرق وكالاتها في أي مكان آخر من العالم العربي².

كان نظام الحكم البورقيبي أواسط الثمانينات يلفظ أنفاسه الأخيرة، و كانت الراعي الرسمي لاحتضان الفلسطينيين في تونس الوسيلة بورقية قد وصلت في علاقتها مع بورقية مبلغا خطيرا، إذ بادر الأخير إلى تطبيقها في صائفة 1986م، و بالتالي فقد العنصر الفلسطيني أهم ركيزة كان يعول عليها.

حتى إن George joffe ربط التحركات المناهضة لم. ت. ف بسياسة تونس المهيمنة

¹ - زياد عبد الفتاح، المصدر السابق، ص ص 143-144.

² - George joffe, op.cit, p181.

لا سيما إقالة مزالي كرئيس للوزراء¹ و طلاق الوسيلة، إذ أكد أن الزوجة مارست نفوذا كبيرا على سياسة تونس تجاه العالم العربي و دعمت المنظمة، أما مزالي فقد ساهم في توطيد علاقات تونس مع الشرق الأوسط من خلال دفع سياسة التعريب في التربية الوطنية على حساب اللغة الفرنسية، و تشجيع تطوير تونس كمركز بديل للشؤون العربية عن القاهرة في أعقاب اتفاقيات كامب دافيد².

بالنسبة للأوضاع الداخلية بعد إقالة مزالي و التي ربما كان لها تأثير مباشر على الوجود الفلسطيني، و ازدياد تبعية النظام التونسي للغرب، فقد كتبت جريدة الاتحاد مقالاً بعنوان: "إثر تغيير الوجوه في النظام التونسي: تونس إلى أين؟" جاء فيه: «... إضافة إلى احتدام المواجهة بين الحكومة و الاتحاد التونسي للشغل، فقد ازداد العجز السنوي في ميزان المدفوعات و الذي وصل إلى 360 مليون دولار، و ارتفاع معدل البطالة، و نسبة التضخم، و ازدياد تبعية النظام للو.م.أ، ما عكس فشل النظام على جميع الأصعدة، و في هذا السياق فإن المشكلة التي تواجهها تونس هي أزمة سياسية و اقتصادية متفاقمة نتيجة السياسات الاقتصادية التي أدت إلى إلحاقها بالسوق الغربي»³.

في عام 1986م، جرى اتفاق بين الحكومة و المنظمة خرجت بموجبه الفصائل الفلسطينية من تونس، و اقتصر موقف بورقية على التصريحات الإعلامية⁴.

حسب زياد عبد الفتاح، كانت الغارة الإسرائيلية الأمريكية على مقر القيادة الفلسطينية في حمام الشط و بعدها على مقر خليل الوزير على ضفاف القصر الجمهوري التونسي، دافعا لتفكير جديد بدأ يلقي بضلاله على نفر في القيادة. فالفكرتان حفرتا القيادة الفلسطينية و ياسر عرفات على التفكير في حلول أخرى غير القتال و الكفاح، الذي لم يعد ممكنا بعد أن تشتتت القوى الثورية في جغرافيا العالم العربي.

1 - ألقى بورقيبة محمد مزالي من منصبه الحكومي و الحزبي رئيس الحكومة و أمين عام للحزب الحاكم الحزب الاشتراكي الدستوري، و تم تعيين رشيد صفر رئيسا جديدا للوزراء. ("الاتحاد"، م.48/43، 1986/7/10، ص1). كما قرر بعدها بورقيبة تعيين ثلاثة من أقرب معاونيه و المعروفين بعلاقاتهم مع السفارة الأمريكية كمساعدين للأمين العام و منهم سكرتيره الشخصي منصور صخيري، و طبيبه الخاص عمر الشاذلي، و اللواء زين العابدين بن علي الذي عينه وزيرا للدخالية (1986-1987). ("الاتحاد"، م.56/43، 1986/7/20، ص3).

² - George joffe, op.cit, p181.

³ - "الاتحاد"، م. 56/43، 1986/7/20، ص 3.

4 - إشراق نوري عبد بخيت السامرائي، المرجع السابق، ص 103.

و منه كانت الحقبة التونسية في تاريخ القضية الفلسطينية ذات أبعاد و تطورات مست مسائل جوهريّة، حيث رمت تونس ممثلة برئيسها و نظامها بكامل ثقلها على طبيعة النضال الفلسطيني في تلك الفترة، و زاد لجوء الفلسطينيين إليها من الجنوح أكثر إلى نهج التسوية و ترجيح كفة خيار السلام مع إسرائيل، و من ثم تأسيس دولة على ما تبقى من الأراضي الفلسطينية.

استنتاج جزئي:

- لعب بورقية دورا هاما في حل بعض النزاعات بين الفصائل الفلسطينية بطرق دبلوماسية.
- إثر توقيع اتفاقيات السلام المصرية الإسرائيلية (كامب دافيد) أبدى بورقية موقفه الرسمي الراض لهذه الاتفاقيات، و قبلت تونس نقل مقر الجامعة إليها بعد تعليق عضوية مصر.
- أدى العدوان الإسرائيلي على م. ت. ف في لبنان إلى خروجها و تفرقها في جغرافية الوطن العربي.
- احتضنت تونس القيادة الفلسطينية بعد خروجها الاضطراري من لبنان لأسباب عديدة و بضغط من أطراف متعددة.
- تعرض مقر القيادة الفلسطينية في حمام الشط إلى القصف الإسرائيلي و خلف نتائج وخيمة على الشعبين التونسي و الفلسطيني.
- واجهت م. ت. ف الكثير من التحديات داخل الأراضي التونسية خاصة مع النظام التونسي، و انتهى بها الأمر إلى الإعلان عن قيام الدولة الفلسطينية على ما تبقى من أراضي فلسطين، ثم التوقيع على اتفاقيات السلام أوصلو.

الخاتمة

- في ختام هذه الدراسة توصلنا إلى مجموعة من النتائج يمكن أن نجملها فيما يلي:
- ساند بورقيبة قضية هجرة يهود تونس نحو إسرائيل، فكان أن حقق بذلك أهم هدف في فكر و برامج الهيئات الصهيونية، في مقابل ذلك خلقت مشكلة إنسانية في فلسطين، و مشكلة مالية في تونس.
 - عالج بورقيبة القضية الفلسطينية بطريقة شبيهة بالتّي اتبعها لإنهاء الاستعمار الفرنسي في تونس، و منه كانت البراغماتية و المرحلية و مبدأ خذ و طالب أساسا في حل القضية من وجهة نظره. لكن في نظرنا بورقيبة لم يخطط للأمور السلبية أو النتائج العكسية التي قد تتجر عن تبني الخيار البراغماتي، رغم أنه يعلم أن خطته قد أثارت صراعا داخليا عنيفا في تونس إبان الاستعمار، بحيث أن اتفاقيات الاستقلال الذاتي قد جعلت بورقيبة في مواجهة حقيقية مع التيار اليوسفي و استمرت مرحلة ما بعد الاستقلال. و بالتالي بورقيبة أعطى الحل لكن لم يعرج إلى كيفية تدارك المخاوف و السلبيات التي تحف به، و بالأخص مسألة التفاوت الأيديولوجي.
 - تقدم الكثير من الدراسات التي تناولت موقف بورقيبة من قضية فلسطين و منها دعوته لقبول القرار الأممي الصادر سنة 1947 م كقاعدة لحل القضية، على أن سياسته هذه هي الأولى و الفريدة من نوعها على الصعيد العربي، و لكن حسب ما أكدته بعض المصادر التاريخية الحديثة أن سياسته لم تكن جديدة، فقد طرحها قبله بعض القادة العرب و رفضت.
 - بداية الخمسينات أبدى بورقيبة انفتاحا على قبول الخيار الأممي 1947م، و ذلك ما بينته لقاءاته السرية مع أطراف إسرائيلية، و في المقابل كان هناك فتور و غياب تصريحات أو حملات تضامنية لصالح القضية الفلسطينية في ذات الفترة مقارنة بفترة الأربعينيات، و السبب انشغاله بالوضع الداخلي لتونس و تعرضه للنفي، إضافة إلى تلك اللقاءات السرية التي ربما لعبت دورا فاعلا في هذا الشأن.
 - لم يبرز موقف بورقيبة بشكل علني في خطابه بمدينة أريحا سنة 1965، بل إن موقفه أمام العرب برز لأول مرة خلال مؤتمر القمة العربي في القاهرة جانفي 1964م.

- دبلوماسية بورقية في سبيل حل قضية فلسطين كانت باتجاه العالم الغربي بدرجة أولى، كون التفاهم المسبق على حل مشترك كان مع أطراف أوروبية و إسرائيلية أولا في خمسينيات القرن العشرين، ثم يليها الجانب العربي في الستينيات.
- إن تقصي الأسباب الحقيقية و الظروف المحيطة بمبادرة بورقية في أريحا تسقط عنه الهدف الظاهري من وراء طرحه و المتمثل أساسا في عرض تجربته في الكفاح و التي اعتبرها ناجعة لحل قضية فلسطين، و تبعد دور العقلانية و التبصر الذي كان يتمتع بهما كسبب رئيسي من أسباب مبادرته. فلو كان دعا للحرب و رفض التقسيم ربما ستكلفه هذه الدعوة قطع العلاقات الأمريكية معه، و قد تصبح تونس مستهدفة أيضا من نظام الحكم الإسرائيلي. و هو ما يعني أن القضية الفلسطينية قد استغلت أبشع استغلال في حسابات و مصالح وطنية ضيقة بطريقة غير مباشرة، فكانت مصلحة تونس في تلك الفترة توطين أركان سيادتها.
- لا تكمن ميزة خطاب أريحا في أن بورقية انفرد بالمجاهرة و الدعوة إلى قبول قرار التقسيم، و لكن تداعياته و تبعاته كشفت أن أغلب القيادات الأفروآسيوية بما فيها العربية كانت على وفاق تام في قبول قرار التقسيم الأممي المتحدة 1947.
- إن بورقية باعتباره رجل دولة و سياسي انتهازي متبصر رأى أن مصلحة تونس و الظروف التي كانت تمر بها تقتضي عدم التورط في القضية الفلسطينية، و التعامل معها بحذر شديد في الحدود التي يسمح بها القانون الدولي، و استنادا إلى مقررات هيئة الأمم العالمية. فهناك ارتباط وثيق و مباشر بين ما كانت تمر به و تريد أن تصل إليه تونس، و بين ما يجب أن يتخذ من مواقف تجاه القضية. و منه دعم بورقية قضية فلسطين في حدود إمكانيات تونس أو ما تتطلبه المصلحة العليا لها، و وفق ما تمليه سياسته في التعامل مع القضايا الخارجية.
- حسب ما أكدته بعض المصادر التاريخية أن تدخل بورقية في الصراع الدائر حول القضية الفلسطينية فترة الستينيات كان من أجل إحداث نجاح شخصي على الصعيد الخارجي، خاصة و أن مكانته قد اهتزت في العالم العربي بسبب تداعيات قبول الاستقلال الذاتي، و مطاردة قادة التيار اليوسفي الذي كان يحظى بتأييد كبير في

- المغرب و الشرق، و كذا موقفه من سياسة الجامعة العربية، و خلافاته (إفرازات الثورة الجزائرية و المشاكل الحدودية) مع الجارة الغربية الجزائر.
- إن علاقات بورقية مع القوى العالمية الكبرى على رأسها أمريكا و فرنسا كانت محددا و معيارا لطبيعة تعامله مع القضايا العربية و منها قضية فلسطين. حيث أثبتت قضية الأسلحة الألمانية المهداة لإسرائيل و وقوف بورقية موقفا حياديا مدى ارتباط سياسته بالقوى الغربية، و تفادي الدخول في نزاع معها. و منه إن التزامات بورقية للغرب و الأمريكيين بصفة خاصة جعلته يتخذ مواقف تتفق و طبيعة هذه الالتزامات و تأخذ بعين الاعتبار العلاقات المستقبلية مع تلك القوى.
 - اتسمت الكثير من تصريحات بورقية فيما يتعلق بقضية فلسطين و منها خطابه في أريحا بالغموض و عدم الثبات و التناقض في كثير من الأحيان. فتوظيف بورقية للخطاب و استغلاله في إطار التكتيك السياسي جعل من الصعب معرفة المدارك الحقيقية لهذه التصريحات، و صعب من إمكانية تمييزها فهي متأثرة بالظرف السياسي أم بالمنطلقات الإيديولوجية. فكان تارة يدعو إلى التعايش السلمي و السلام، و تارة أخرى يدعو إلى انتهاج أسلوب حرب العصابات و مواصلة الكفاح حتى التحرير.
 - في ظل الخطاب البورقيبي تجاه القضية الفلسطينية يمكن الحديث عن أن آراءه من أجل أمن و اقتصاد تونس. فالاحتياجات الاستراتيجية دفعت ببورقية للدعوة إلى البراغماتية و الواقعية السياسية في معالجة قضية فلسطين.
 - إن موقف بورقية المعتدل نسبيا و دولة المغرب تجاه قضية فلسطين فترة الستينيات ساعد في عزل الجزائر و كسر شوكتها و الناصرية في بلاد المغرب، و هذا هدف استراتيجي تحقق لإسرائيل للتوغل أكثر في إفريقيا و منه كسب أنصار لها، و ليس أدل على ذلك من قول زئيق شيف من جريدة هارتس: «إن عزل بن بلة يجعل حياتنا أسهل في إفريقيا، لقد جعل بن بلة كراهيته لإسرائيل أيديولوجية، لم تكن مجرد كراهية بل عقيدة تردد صداها».
 - استمر بورقية في طرح أفكاره و مشروعه بخصوص قرار التقسيم حتى بعد الهجمة التي تلقاها بعد خطابه في أريحا، لأنه لم يستطع أن ينأى بتونس عن القضية و

تبعاتها، و رأى أنه لا بد من إقحام تونس لفك العزلة التي كانت مضرية حولها في العالم العربي.

- ساندت تونس بورقية الدول العربية في حروبها ضد الكيان الصهيوني حسب إمكاناتها، حيث أمدتهم بالمال و الدماء و البعثات الطبية، لكن بقيت المساعدات المادية قليلة جدا، تكاد تقتصر فقط على فترات الحروب أو تدريب الفلسطينيين. و كان ضغط الجماهير الشعبية عنصرا فاعلا وراء مشاركة تونس في الحروب العربية الإسرائيلية، إضافة إلى أن السياسة الأمريكية كانت تضغط بقوة على طبيعة و مواقف بورقية تجاه تلك الحروب.

- ساهمت تونس مساهمة قوية في حقن الدماء العربية في الأردن و دعم تواصل العمل الفدائي.

- لعب بورقية دورا هاما في رفع الوصاية العربية عن القضية الفلسطينية. رغم أهمية حظر النفط كأسلوب و سلاح اقتصادي يمكن استعماله للضغط لحل القضية الفلسطينية (خاصة فترة الحروب العربية الإسرائيلية) إلا أن بورقية وقف ضد إشهاره في حرب أكتوبر 1973م.

- إن موقف بورقية تجاه التواجد الصهيوني في فلسطين لم يتوقف فقط على التأييد و التشجيع أو حتى الاعتراف به، بل تعداه إلى تكريس سياسة الدولة الصهيونية و التعامل معها كشريك لتونس المستقلة، و هو الأمر الذي أثبتته المراسلات السرية بينه و بين أطراف إسرائيلية (فترة الستينيات) حول إمكانية التعاون في مختلف المجالات.

- إذا كان دور بورقية تجاه القضية الفلسطينية قبل الاستقلال تحكمت فيه ظروف الاستعمار، حيث بدت سياسته معتدلة من أجل صالح الحركة الوطنية و حشد الدعم لمطلب الاستقلال، فإنه بعد استرجاع السيادة التونسية تحكمت فيه متطلبات بناء الدولة.

- كان إصرار بورقية على معالجة القضية دبلوماسيا و سياسيا أكثر منه على الصعيد العسكري، و هذا راجع لطبيعة تكوينه السياسي، و ضعف تونس في الجانب

- العسكري مقارنة بالدول الأخرى. و منه سجل بورقية حضوره في القضية الفلسطينية على الصعيد الدبلوماسي أكثر منه على الصعيد العسكري.
- القادة العرب في نقدهم لسياسة بورقية تجاه القضية الفلسطينية لم يذهبوا بعيدا، إذ اقتصر ردود فعلهم على الاستنكار و لم تتعداه إلى مستوى تعليق عضوبته أو طرده من المنظمات العربية المشتركة.
 - لا يمكن فهم علاقة بورقية بالنزاع الإسرائيلي الفلسطيني و الموقف منه بعيدا عن دائرة الإرث اليهودي المتجذر بتونس. إذ أن هذا الثقل كان له تأثير مباشر على موقفه من قرار التقسيم، و كذا الحروب العربية الإسرائيلية، و الهجرة اليهودية إلى إسرائيل، و حتى موقفه من وجود منظمة التحرير الفلسطينية على أراضيها فترة الثمانينات.
 - ما غاب عن ذهن التونسيين و حتى بورقية نفسه الذي أدرك متأخرا أنه تم استغلاله، هو أنه في مرحلة ما قبل استقلال تونس كان الصهاينة يعتبرون بورقية أداة عربية قد تدعم مسألة أحقيتهم في فلسطين، لأن سياسته المعتدلة و تقربه منهم جعلهم يدركون أنه سيكون رابط وصل بينهم و بين العرب لتكريس القرار الأممي، في حين أنهم أجهضوا محاولاته في نشر السلام العالمي، و رفضوا العودة إلى حدود 1947 م التي كان قد دعا إليها وفق ما اتفقوا عليه في نقاشاتهم السرية، و قزموا من دوره. و قد اعترف بورقية نفسه بأن مقترحاته لقيت تخاذلا كبيرا من طرف الإسرائيليين.
 - لا يمكن أن نفهم التناقض الصارخ و الازدواجية في تصريحات بورقية بعيدا عن المصالح الوطنية لتونس و الشخصية لبورقية، حتى إن أفكاره مجرد اختيارات قابلة للتغير و قابلة للاستمرار خاصة في قضايا التحرر، و ليست قناعات، فهاته الأخيرة موجودة متجذرة فيما يتعلق بمسائل الدين و الهوية. لكن ما يغفل عنه البعض أن قناعات بورقية قد تصبح حلولا مؤقتة و قد تصبح لا منفعة لها بعد مدة من الزمن.
 - بورقية كان يرى في إسرائيل نموذجا لأنها حققت معجزات في بنيتها التحتية و الزراعية و روحها التقدمية، و هذه الرؤية لدولة تأسست على حساب تشريد شعب و جعلها مثالا يحتذى به في نظرنا هو أمر ينقص من قيمة و عدالة القضية الفلسطينية.

- اتسم الموقف البورقيبي لحل القضية بالتغير و الضبابية، فلا هو يؤكد بشكل قاطع قبوله لقرار التقسيم و وجوب حل الدولتين و من ثم تحقيق السلام، و لا هو يؤكد قطعاً على وجوب إنهاء التواجد الصهيوني في فلسطين و زوال إسرائيل.
- مواقف بورقية تجاه قضية فلسطين و تطوراتها أغلبها ردات فعل و ليست فعل بحد ذاته، لأن مواقفه تتطوّر تحت ضغط، و ترتبط بشكل جوهري بمشاكل تونس الأمنية و الاقتصادية، الأمر الذي يجعله بحاجة لفعل شيء ما لقضاء مصلحة معينة، و عدم البقاء على هامش سياسات الشرق الأوسط. فدعوته العرب لقبول قرار التقسيم سنة 1965 كان نتيجة للوعود التي قدمها لأطراف إسرائيلية و حاجته الماسة لتحسين وضع تونس، كما أن قبوله للجوء الفلسطينيين لتونس كان تحت ضغط زوجته و كذا أطراف أمريكية.
- إن الإغراءات الإسرائيلية في مجال المساعدات الاقتصادية جعلت من القضية الفلسطينية مجالا للمساومة من طرف بورقية.
- بورقية كان يعمل لصالح الطرفين الفلسطينيين و الإسرائيليين و في نفس الوقت حتى وقع في التناقضات. فعدم وضوح بورقية في سياسته و مواقفه أغرقته في وسط النزاع بين الطرفين المتصارعين، فلا إسرائيل اعترفت بمجهوده اعترافاً حقيقياً، و لا هو استطاع أن يبعد تونس عن دائرة الصراع العربي الإسرائيلي.
- وضع بورقية في القضية شبيه بوضع بريطانيا إبان الحرب العالمية الأولى حين قدمت وعوداً متناقضة لليهود و العرب الأمر الذي كلفها الخروج من المنطقة و بخسائر فادحة، أما بورقية فقد أعطى وعوداً للإسرائيليين من أجل إقناع العرب بقبول التقسيم، و في المقابل حث العرب على قبول التقسيم كمرحلة للوصول إلى الهدف و هو تحرير فلسطين، غير أن سياسته قوبلت بخذلان من الطرفين.
- بورقية في مواقفه لحل قضية فلسطين و المسائل المتعلقة بها لم يكن استثناءاً إن كان في إطار الحركة الوطنية التونسية بوصفه مناضلاً سياسياً، أو في إطار مرحلة ما بعد الاستقلال بوصفه رئيس دولة.
- لم يراع بورقية الخصوصية التي تضطلع بها القضية الفلسطينية في طرح سياسته لمعالجتها، رغم وجود نقاط تشترك فيها مع قضايا الاستعمار في المغرب العربي، و

بالتالي واجه مشروعه الكثير من الإنتقاد، حتى إنه على الصعيد التطبيقي بحيث وُجد من الفلسطينيين من عملوا بمشروعه في تلك الفترة، لكن لم تكن هناك أي نتيجة إيجابية. بل تسببت في إحداث شرخ داخل حركة التحرير الفلسطينية. كما أن وضع القضية التونسية (عهد الاستعمار) و القضية الفلسطينية في ميزان واحد و معالجتها بنفس الطريقة هو شيء صعب عمليا، لأن تونس تحوي أقلية يهودية بينما فلسطين تحوي أكثرية تكاد تتساوى مع الأغلبية المسلمة خاصة بعد التهجير القسري للفلسطينيين.

- لم يعارض بورقيبة السلام المصري الإسرائيلي (اتفاقيات كامب دافيد)، و لكن عارض انفراد مصر بالحل السلمي دون إشراك الفلسطينيين و العرب، و عارضه لأن هذا السلام يحل مشكلة مصر و ليس قضية فلسطين.
- رغم أن تونس كانت تعتبر صوتا معتدلا في المحافل الدولية و لكنها لم تكن مستعدة بتاتا لعزل نفسها عن العالم الثالث أو العربي خاصة في القضايا ذات الأهمية.
- لعبت الماجدة وسيلة دورا كبيرا في قبول بورقيبة احتضان القيادة الفلسطينية في تونس و أثر غيابها على الساحة السياسية على مواقف بورقيبة من هذا التواجد، و بالتالي تضيق الخناق على منظمة التحرير الفلسطينية.
- ارتبطت مسألة مستقبل المنظمة في تونس ارتباطا مباشرا بقضية العلاقات التونسية الأمريكية المستقبلية. كما أن الانزلاقات التي وقعت فيها المنظمة أثارت حفيظته و منه ابداء مواقف أكثر حزما تجاهها.
- أثر نظام بورقيبة بشكل نسبي على مسار النضال المسلح خاصة مرحلة الوجود الفلسطيني بتونس، بحيث قيد العمل العسكري و فتح باب النضال السياسي واسعا للفلسطينيين. و ربما إن النهاية المأساوية التي تعرض لها الفلسطينيون في تونس جعلتهم يدركون أن لا سبيل للكفاح من خارج الأراضي الفلسطينية، كون الثورة لا يمكن لها أن تقاد عن بعد أمام الضغوط التي تتعرض لها. غير أن هذه الحقبة ستظل محيطة بالغموض إلى حين رفع السرية عن أرشيف المنظمة في تونس.

الملاحق

الملحق رقم: 1

احتجاج الديوان السياسي على تقسيم فلسطين و مساندة الشعب الفلسطيني سنة 1937.



المصدر: "الصباح"، ع. 7588، 14/ 11/ 1973، ص5.

الملحق رقم 2:

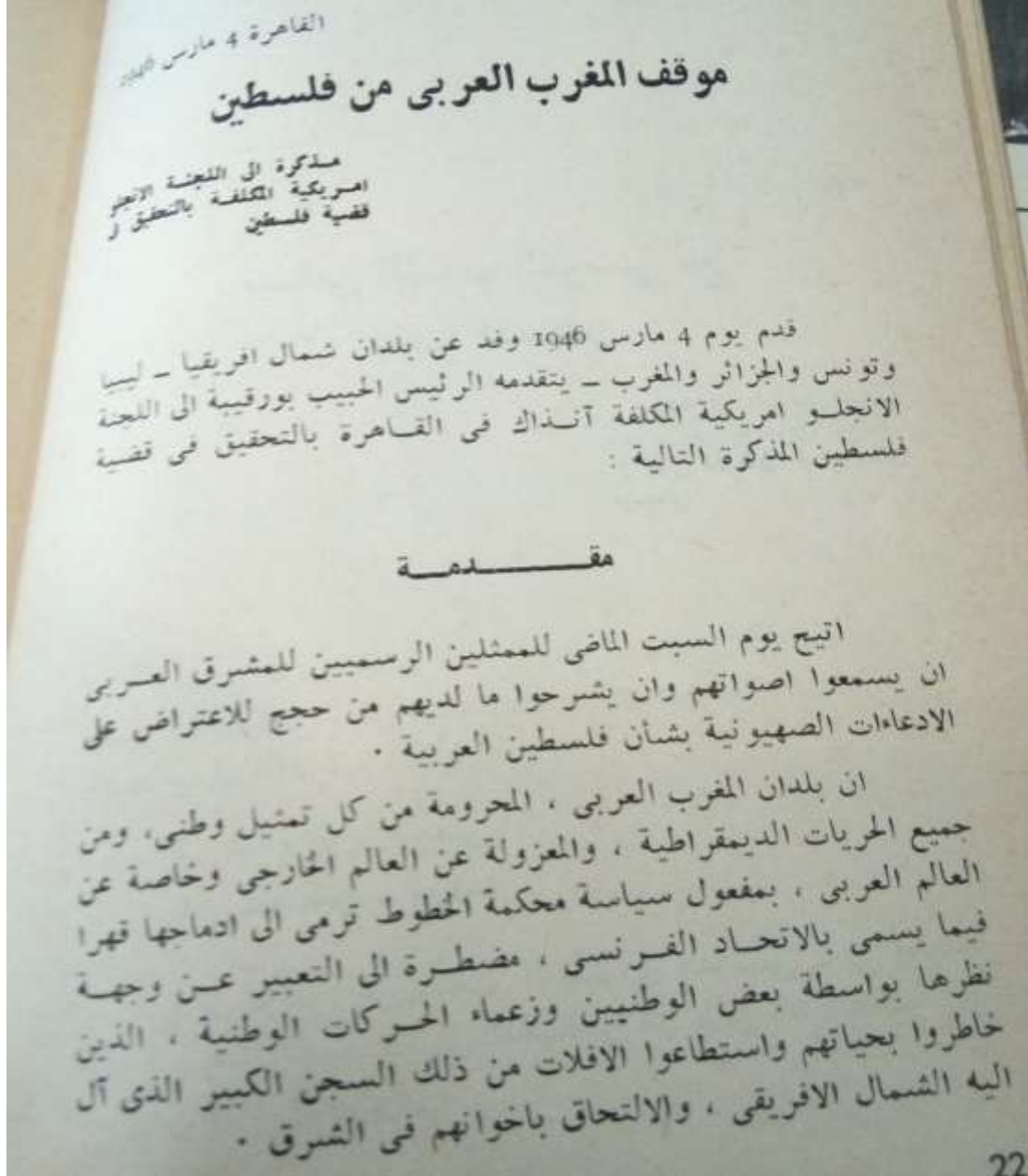
بورقية في مدينة عكا مع الفلسطينيين حسن أبو رقبة سنة 1946



المصدر: حسن أبو رقبة، المصدر السابق، د. ر. ص.

الملحق رقم: 3

مذكرة إلى اللجنة الأنجلو أمريكية المكلفة بالتحقيق في قضية فلسطين سنة 1946.



وازاء ما يبدية قيادة فرنسا للجدد من تصليب وتحجر . بعد
تبتهم للسياسة العتيقة القائمة على الحكم المباشر والقمع ، أصبحت
مهمتنا تتمثل في توسيع جبهة الكفاح الذي نخوضه ضد الاستعمار
الفرنسي ، وفي ربط قضايا الشمال الافريقي بقضايا الشرق الاوسط .

قضية استعمارية

ومنذ اثارت قضية « الوطن القومي اليهودي » غضب عرب
فلسطين ومناهضتهم للنوايا الاستعمارية الصهيونية لم تنفك الشعوب
العربية في الشمال الافريقي تبذل مساندتها لاشقائها بالشرق في
دفاعهم الشرعى .

وهذا التأييد مرجعه الى ثلاثة اسباب رئيسية :

(1) تضامن العرب في المشرق والمغرب . وهذا التضامن
الراجع عهده الى ثلاثة عشر قرنا ، اساسه وحدة اللغة والدين والمثل
العلياء . والعالم العربي الذي يمتد من الخليج الفارسي الى المحيط
الاطلسي بقى طيلة القرون العديدة ضمن امبراطورية واحدة ، فقد خضع
للخلافة الاموية ثم للخلافة العباسية وأخيرا للخلافة العثمانية .
والحواجز المصطنعة التي اقيمت بين اجزائه في عهود الانحطاط من
القرن السابع عشر الى القرن التاسع عشر لم تنل من ادراك الجماهير
لما يربط بين تلك الاقطار من صلة الرحم والانتساب الى مجموعة
بشرية واحدة .

(2) اثر الدعاية الصهيونية في علاقة شعوب المغرب العربي
بجالياتها اليهودية . تتألف هذه الجاليات من 250 000 نسمة بينما
العرب يبلغ مجموعهم نحو 25 مليونا ، وهي منحدره في اغلبها من
اليهود الذين قضى عليهم التعسف الديني في اوروبا بالهجرة ، اولئك

الذين فروا من الاعداد حرقا على يد محاكم الكنيسة الاسبانية
في القرن الخامس عشر والقرنين التاليين . ولقد وجدوا لدى
عرب المغرب من كرم الوفاة ما سمح لهم بالازدهار والارتقاء الى اسس
مناصب الدولة وكسب المكانة المرموقة في التجارة والصناعة والفن .
ولنذكر على سبيل المثال اسرة « شمامسة » نزيلة البلاد
التونسية المتمتعة باحترام الجميع والتي احتل احد ابنائها قبل الحماية
منصب وزير المالية في عهد الباي محمد الصادق .

وفي ايام الدايات بالجزائر ظفرت اسرة « البكري »
و « بورناخت » اليهوديتان بامتياز التجارة الخارجية وكان مما أته
الاسرتان من اختلاس الاموال ومن تدبير المؤامرات سببا في الحادثة
التي اودت بعرش الداى وباستقلال الجزائر .

وفي عهد حكومة فيشى ، عند ما حاق الخطر بيهود افريقيا
وباتت ارواحهم ومكاسبهم معرضة للتلف ، بمفعول قوانين اوجت بها
المانيا النازية ، فانهم وجدوا العون والحماية لدى الملكين العربيين في
المغرب جلالة سلطان المغرب وسمو باى تونس المنصف (I) .

وقد وفق هذان العاقلان رغم ضآلة السلطة التي ابقاها لهما
المقيمان العاقلان التابعان لحكومة فيشى الى تجنب رعاياهما اليهود ما
كان يهددهم من كوارث جلي .

وهذا ما جعل الجاليات اليهودية بافريقيا الشمالية لا ينالها الا
القليل من الويلات ايام الاحتلال الالماني .

ومن سوء الحظ ان الدعاية الصهيونية نالت اكبر النبل من هذه العلاقات القديمة . فقد خلقت في انفس الشبان اليهود عقلية استعمارية قوامها الصلف ، واحتقار أهل البلاد والكبرياء العنصري . وجعلت موقف الجاليات اليهودية دقيقا وسط الشعوب العربية بافريقيا الشمالية . فلا يدعش احد بعد ذلك اذا ما ادنى الامر بتلك الشعوب الى الاقتناع بان اليهود عنصر اجنبي داخل الامة ولا سبيل الى ادماجه او الاطمئنان اليه مما يدعو الى الضرب على يده توقيها من شره . وهكذا فان الصهيونيين هم الذين جلبوا بدور العنصرية واقحموها في شعوب ليس في العالم من هو اشد اكراما منها للضيف ولا اكثر سماحة ، فهي لم تقطعهم اليهود ابدا . بل اكرمت مثواهم وحمت حماهم وبسطت عليهم جناح رعايتها عند ما لجؤوا اليها فرارا من الاضطهاد .

ولئن عند ما تنظر الى واقع الشمال الافريقي لرى ان مجرد اعتداد الازمة العربية اليهودية بفلسطين يلحق بيهود المغرب العربي صريحا لا سبيل الى تلافي آثاره . حيث يقلب حياتهم الى جحيم وسط الشعوب العربية المحيطة بهم .

(3) تشابه الاهداف والوسائل الاستعمارية بفلسطين

وبالشمال الافريقي . لم تبرز شعوب المغرب تميز بين الاستعمار اللاتيني - بما له من خصائص هي اغتصاب الاراضي الزراعية ، وتوطين الجيش العرمرم من مزارعيه وموظفيه ، والاستحواذ على كافة سلطات الدولة وأهم دواليبها ، وكل ذلك يهدف الى غرض معين وهو ادماج الافراد والالحاق الترايبى - وبين الاستعمار الانجلوسكسوني الذي يتخذ من الوسائل ما يؤدي - خلافا للاول - الى رفع مستوى الشعوب المستعمرة ثم الى استقلالها .

على ان فلسطين هي الوحيدة - من بين بلدان المشرق الخاضعة للحكم البريطاني - التي تمارس فيها وسائل لا تكاد تختلف عن

وسائل اللاتينيين في الشمال الافريقي .

وهذه الظاهرة وحدها خلقت بين افريقيا الشمالية وفلسطين تيارا عاطفيا يدعو الى التأثير الشديد ، ووحدة الغاية هي التي تفسر وحدة الوسائل . ففي المغرب العربي وفي فلسطين يدعوا الشأن الى توفير الاسباب من اجل استقدام المهاجرين الاجانب سعيا لقلب التوازن في عدد سكان البلاد . ولئن كانت الغاية في فلسطين هي بعث وطن قومي يهودي فانها في الشمال الافريقي بعث وطن قومي فرنسي يؤدي الى جعل البلاد امتدادا لفرنسا . ولكن سعيا من هذا القبيل لا بد ان يصطدم بمقاومة أهل البلد ، ومن ثم تكون الحلقة المفرغة الرهيبة ، وهي القمع الذي يغذي الثورة بينما الثورة تحرك آليا دولاب القمع .

وهذا هو سر الاضطرابات التي لا تكاد تخمد نارها حتى تنبعث من جديد ، سواء في فلسطين او في الشمال الافريقي ، طيلة الخمسة والعشرين عاما الفاصلة بين الحربين العالميتين والتي لا مفر من تأجج لهيبها ، ما دام القوم يصرون على انكار الواقع الملموس . على انه لئن كانت فلسطين الواقعة في قلب المشرق العربي لم تنفك تحظى بعطف أجوارها الفعال ، فان الاستعمار الفرنسي استطاع في افريقيا الشمالية ان يمارس أفظع وسائل القمع سعيا للقضاء على كل مقاومة ، دون ان يشير استنكار العالم المتمدن .

ونحن نود الاعتقاد بان هذه الجرائم لن تتجدد ، لا سيما وتجربة الحرب العالمية الاخيرة اقامت البرهان على ان منظمة عالمية تلتقي فيها كل الشعوب ، وتنهى استغلال الانسان للانسان ، والشعوب الكبيرة للشعوب الصغيرة ، هي شرط أساسي للسلام .

الخاتمة

ان اعلاء كلمة العقل وتقدم العلم ، كل ذلك قضى على الفوارق العنصرية وعلى مظالم التعصب الدينى . والبشرية جنحت الى التجمع فى اعم تمناز عن بعضها ، ويربط بينها التضامن ، وتنصهر فيها فوارق اللغة والدين . وبفضل هذا التطور الذى يشرف العقل البشرى ، فان الجاليات اليهودية فى بعض البلدان الاروبية ، التى تفوق سواها تقدما ورقيا ، اندمجت تدريجيا ، وانصهرت فى البوتقة القومية للموطن الذى اختارته لنفسها فتبناعا .

وهذا التطور ينبغى ان يستمر وان يمتد الى جميع الاقطار الاروبية .

والواقع ان هذا التطور نالت منه الاحداث اكبر النبل قبل ظهور هتلر بزمان كبير ، عندما حاولت الحركة الصهيونية حمل اليهود فى العالم على اعتناق وطنية ذات طابع عنصرى او دينى ، فلفتت اليهم الانظار ثم ارتاب الناس فيهم ، واخيرا تسلط عليهم اضطهاد اقل الشعوب الاروبية تطورا .

وعليه فانه يمكن القول بان ما آتته الصهيونية من شطط وما ذهب اليه اولئك الذين ادعوا انهم شعب الله المختار ، هو الذى تسبب بقسط وافر فى ويلات اليهود .

وقد لا يختلف شأنهم عن شأن الزعماء النازيين الذين تغالوا فى الطموح وانساقوا مع الخيال الى اقامة ما اسموه بنظامهم الجديد ، فتصدى لهم العالم المتمدن ، ووقف فى وجوههم دفاعا عن النفس ، فتحملوا بذلك تبعه ما اصاب الشعب الالماني من خسران . وان لرفض مئات الالاف من اليهود الاروبيين العودة الى بلدانهم الاصلية بعد سقوط هتلر واعتزامهم الهجرة الى فلسطين مدلوله الواضح ،

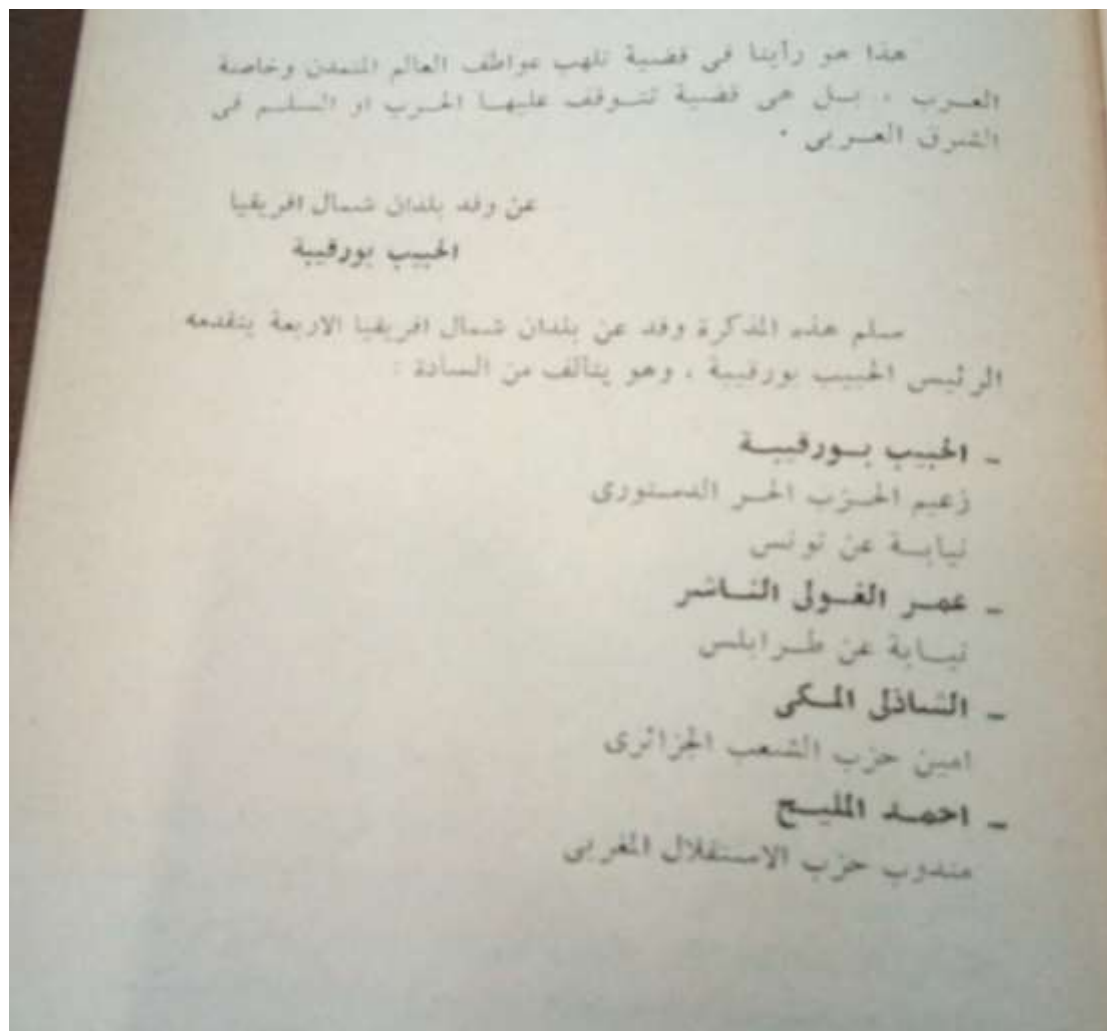
ولكنهم اذ يفرون توفيا من عداوة الشعوب الاروپية لليهود ، فانهم لم يشيرون لدى العرب الذين لم يضطهدوهم قط في الماضي ، حركة عدائيتها بحكم الدفاع عن النفس .

ان حل القضية اليهودية ليس في فلسطين . انه في اوروبا .
انه في الاعتماد على الرقي البشري كما كان الامر قبل طمس الصهيونية . وقد تحدث الناس عن اقتلاع جذور النازية من قلوب الالمانيين ليصبحوا شعبا قادرا على معايشرة الشعوب المتعدنة . ولعل الحاجة تدعو أكثر من ذلك الى اقتلاع جذور الصهيونية من قلوب اليهود اذا كانت النية متجهة الى تيسير اندماجهم التدريجي في البلدان التي يستقرون بها .

ويوم لا تبقى بعض الشعوب الاروپية تنظر الى اليهودي نظرتها الى عنصر لا سبيل الى معايشرة او ادماجه ، ويوم تميل بعض الدول الاروپية الى معاملة رعاياها على قدم المساواة دون ميز عنصري او ديني عندئذ تكون القضية اليهودية قد ظفرت بالحل .

أما توجيه المطامح اليهودية نحو فلسطين التي سوف يندب عنها العرب مهما كان الثمن وبجميع الوسائل ، فانه يخلق موطنا للحرب والفتنة في منطقة ليس أكثر منها حساسية في الشرق الاوسط ويتسبب في مصائب لا حصر لها تلحق يهود العالم بأكمله ، أولئك الذين يحيون منذ قرون في أمن وسلام بالبلدان التي أوتهم .

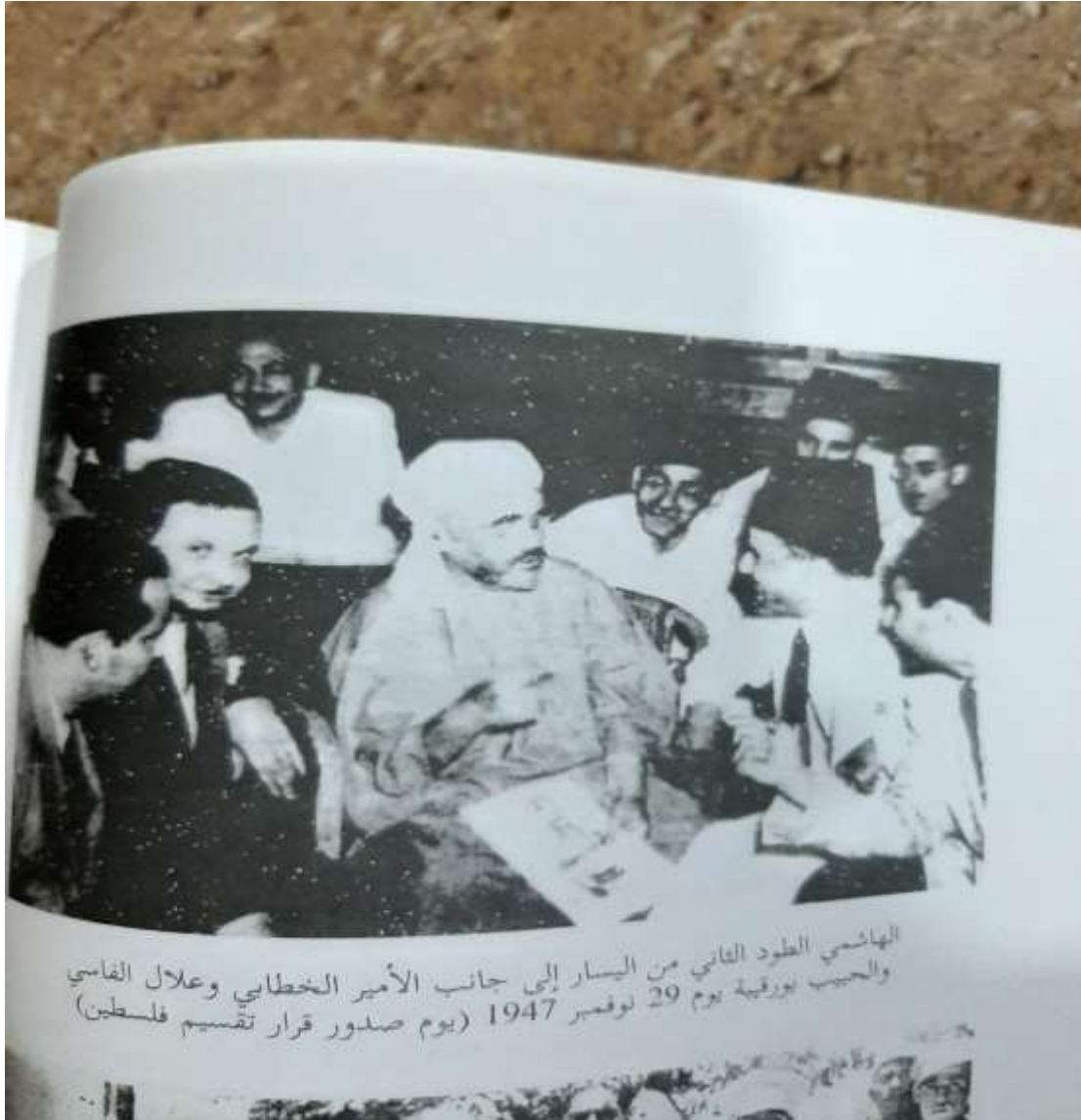
ومما لا ريب فيه ان اليهود الذين يضعون عادة التمسك بالواقع قبل كل اعتبار ، يخسرون أكثر مما يغتنمون من هذه المغامرة التي لا متفد لها .



المصدر: الحبيب بورقيبة، تونس و قضية فلسطين 1937-1965، المصدر السابق، ص ص 22-29.

الملحق رقم: 4

بورقية يوم صدور قرار تقسيم فلسطين مع مجموعة من الوطنيين المغاربة.



المصدر: الهاشمي الطود، المصدر السابق، ص 86.

الملحق رقم: 5

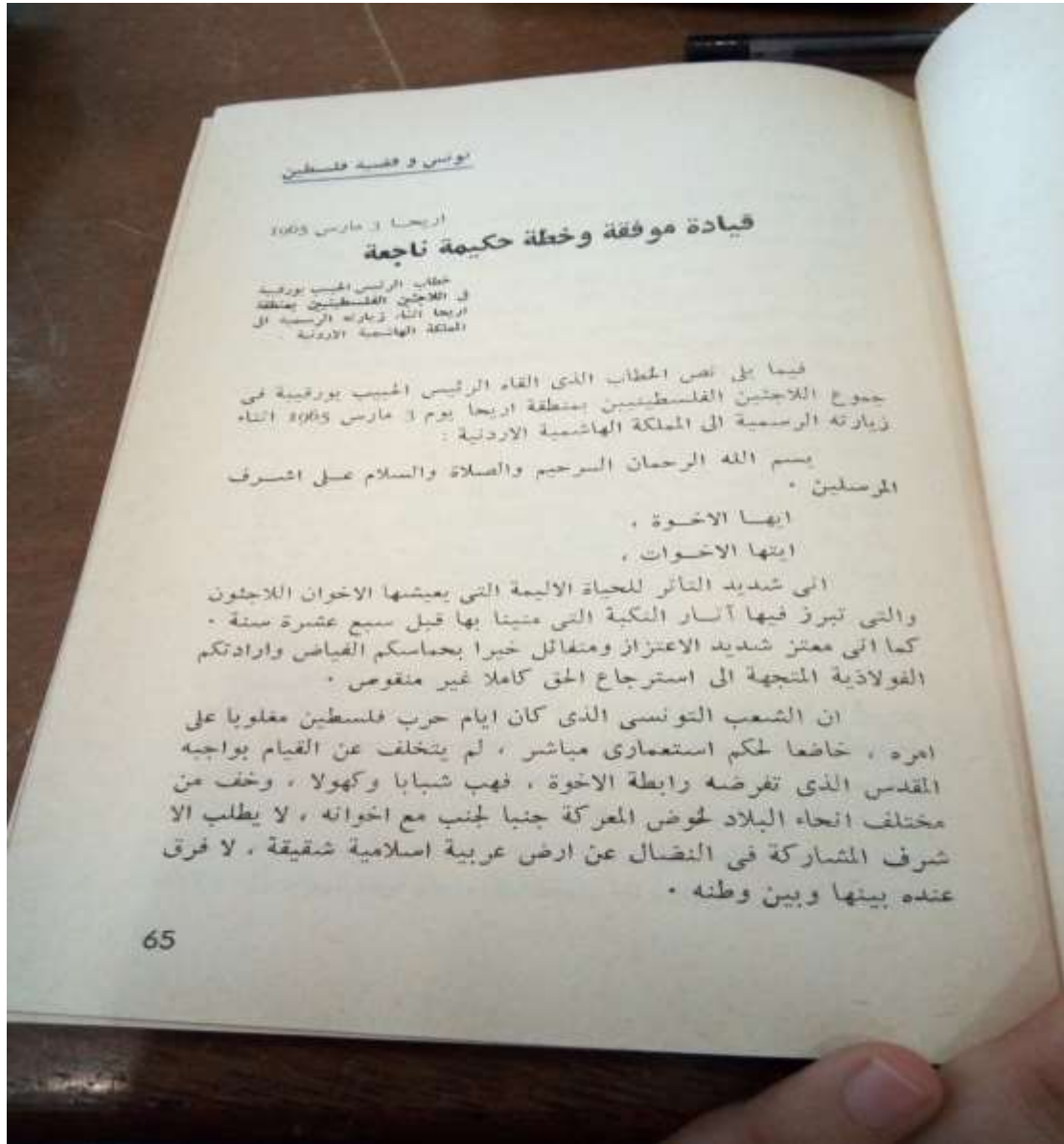
بورقية مع بعض المشاركين في حرب فلسطين 1948



المصدر: الهاشمي الطود، المصدر السابق، ص 86.

الملحق رقم: 6

خطاب الحبيب بورقيبة في مدينة أريحا (3 مارس 1965م)



ان تونس خاضت معارك عنيفة مريعة متواصلة انجلت عن نصر مبين ، فتخلصت من الاستعمار ، واقامت دولة عربية مسلمة لا تشوبها شائبة الازدواج في السيادة ، ولا يهيمن عليها نفوذ اجنبي . لكننا مع ذلك نعتبر انفسنا مقصرين ما دامت هناك واجبات يتعين علينا القيام باعبائها لتخليص ما لم يزل رازحا تحت وطأة الاستعمار من وطننا العربي الكبير . ومن اجل هذه الغاية لم نتردد في مؤتمر القمة الاول عن الاصداق برائنا في طريقة معالجة القضية الفلسطينية ، مؤكدين ان تونس على استعداد لدعم الصف العربي بكل ما لديها من امكانيات حتى الخروج من المعركة الفاصلة بنصر مبين . وبهذه المناسبة ، وعلى ضوء ما اتبع لي من تجربة شخصية وما خضنته من كفاح طويل تواصل اربعاً وثلاثين سنة اود ان الفت انتباهكم الى ان العاطفة المشبوبة والمشاعر المتقدة التي ترسم آثارها على وجوهكم لا تكفي وحدها للانتصار على الاستعمار . ولئن كان هذا الحماس ضرورة من ضرورات الكفاح لدفعه والابقاء على جذوته ، فان التضحية والاستشهاد هما اللذان يضمنان النتيجة المرجوة والفوز العظيم .

انكم انتم اصحاب الحق فعليكم ان تكونوا الطليعة في مقاومة الغاصب ، هنا على حدود الوطن السليب . . . كما كنا نحن طليعة الكفاح في تونس بوصفنا اصحاب الحق . ومع روح التضحية والحماس لا بد من قيادة حكيمة ، تجتمع فيها خصال جمة من فكر ناقد ، وتخطيط بعيد المدى ، وتبصر بالاحداث ، ودراسة لنفسية العدو ، ومراعاة لتفاوت القوى بيننا وبين الخصم ، واعتبار لامكانياتنا الحقيقية مع ضبطها وتقديرها باكثر ما يمكن من التحري والموضوعية حتى لا يؤول بنا الامر الى مغامرة ثانية تكون نكبة اخرى تعود بنا اشواطاً الى الوراء .

ان نجاحنا في المعركة يتوقف على مقدار كبير من الصبر ،
وتزويدهم بالأسلحة او يكسب الحلفاء والانصار ، فلا تتسرع قبل ان
تضمن الفوز لقضيتنا . وبعد كل هذه الاستعدادات ، تبقى بعض
عوامل الانتصار من نصيب القدر ، فيكون فيها اتكالنا على الله ، لاننا
على حق والحق يعلو ولو بعد حين .

ان توفير اسباب النجاح يرجع امره الى القادة . وهذه مشكلة
كبيرة عاقتنا في المعارك الماضية عن بلوغ اهدافنا . ونحن نعمل الآن
على حلها بجد وصدق واخلاص . وما الغاية من مؤتمرات القمة الا
الاعتبار بالتجارب السابقة وضبط حساب القوى التي يمكن الاعتماد
عليها ، على ضوء معطيات هي نفسها تتغير وتتطور بتطور الزمن .

والعمل الايجابي الذي شرعنا فيه يستدعي قدرا عظيما من
الصدق والاخلاص والجد والشجاعة . ذلك انه من السهل الاندفاع في
المزايدات الكلامية ، واتخاذ المواقف الحماسية . اما ما هو اعسر من
ذلك واهم فهو الصدق والاخلاص ودخول البيوت من ابوابها . فاذا
اتضح لنا اننا لا نستطيع قهر العدو والالقاء به في البحر وجب ان
ننتهج الى جانب الكفاح المسلح طرقا اخرى تعتمد الحكمة والدهاء بما
في ذلك من كرفر وترهيب وترغيب .

وليس مطلوبا من المواطن العربي الا ان يتخذ الهدف النهائي
قبلة نظاره وان يتحمس له ليوصل سيره . اما الزعيم المسؤول عن
نجاح المعركة فعليه التثبت من الطريق ، واختيار المسالك بما فيها من
منعرجات قد يضطر لسلوكها اجتنابا للعقبات ، وتقصيا من العراقيل
ولو طال به المسير . والمنعرجات تستنكف منها النفوس الميالة الى
انتهاج المسالك الواضحة الخطوط . اما الزعيم فاذا تبين له ان
الخط المستقيم لا يؤدي الى الهدف المنشود ، فانه يتعين عليه ان يسلك

سواء ، غير مبال بالسنة السوء التي قد ترميه بالابتعاد عن الهدف ،
او التنكر له . والحقيقة ان القائد انما يغير اتجاهه اذا ابصر
عقبة خفيت عن غيره ، فيفضل الابتعاد عنها حتى اذا تجاوزها عاد
فاتجه قدما نحو الهدف .

وهذا فيما يبدو هو ما تعذر ادراكه على كثير من الزعماء
العرب . والواقع اننا ما دمنا نعاني ويلات الكارثة التي منينا بها ونقف
على حدود وطننا الذي اغتصب منا ، ولا نبدي حراكا ، ولا نستطيع حتى
مشاغبة العدو ، فان ذلك دليل على ان القيادة ليست موفقة
والخطة غير محكمة . واذا كان الحماس متوفرا ، والمكافحون على
استعداد للبذل ، بينما الانتصار يتعذر رغم كل الجهود المبذولة ، فان
مرجع العلة الى القيادة دون ريب .

لهذا اصبح من واجبنا ان نعمل لرفع مستوى القيادة وجعلها
اهلا للاضطلاع بمسؤولياتها ، وهو ما تسعى اليه الاجتماعات الدورية
والتوجيهات التي تصدر عن مؤتمرات القمة .

وبالاضافة الى واجبات القيادة الحكيمة يتحتم على العرب جميعا
سواء في المغرب او المشرق ان يعززوا جهادكم فيتحمسوا لقضيتكم ،
ويفكروا في ما يرفع عنكم بلواكم . وينبغي عليهم الامساك عن عرقلة
الخطط التي ترسمها القيادة كما حدث في الماضي حين تعطلت القيادات
اكثر من مرة بمفعول ما واجهته من اعتراضات شلت حركتها .

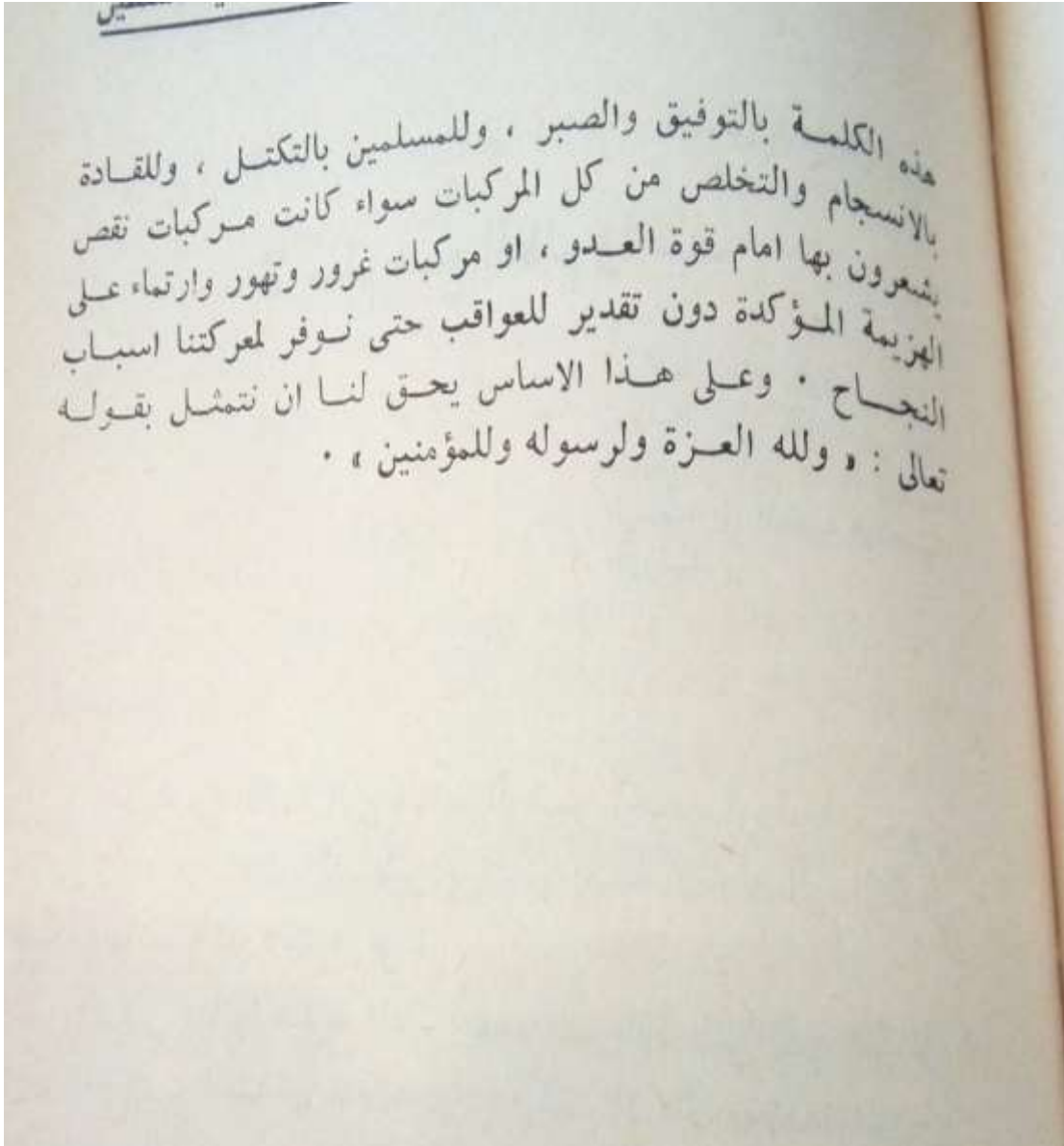
وكيف يكتب النجاح لزعيم عربي اذا اتهمه الناس بالخيانة
وبانه عميل للاستعمار ، لاول بادرة تصدر عنه قصد اخراج مشكلة
عربية من مازق وقعت فيه ، كان يقترح حلا وقتيا غير كامل ، او
الدخول في مفاوضات مع الخصم ، تمهيدا للظفر بالحل الكامل .
فبدل ان يجد التفهم لخطته ، والانصياع لما تشير به المصلحة ، يقابله
الناس بمهاترات ومزايدات لا تغني عن الواقع شيئا . ذلك انه ينبغي

ان يثق الشعب بزعمائه باعتبارهم المسؤولين عن خطوته ، فيترك لهم حرية التصرف لبلوغ الهدف . ولا انكر ان الزعيم ثاني عليه فترات يشعر فيها بالخروج عند اتخاذ مواقف لا تحظى لاول وهلة بارتياح الجماهير وتفهمها . وهذا ما حدث لي بالضيقة في عدة مراحل من الكفاح ، دعوت فيها الشعب الى تحكيم العقل ، والى الاعتقاد بان المعركة ليست ميسورة ، وبان الحصوم اقوياء ، وانه لا بد من السيف لتفكيك صفوفهم وكسب الانتصار لقضيتنا ، وهو ما لا يكون ابدا بسلوك سياسية « الكل او لا شيء » . وهي التي قادتنا الى المازق الذي نحن فيه ، وجلبت لنا الهزائم التي ما زلنا نجر ذيولها حتى اليوم . اما في تونس فاننا لم نتجح في بضع سنين الا لاننا اعرضنا عن سياسة « الكل او لا شيء » واعتبرنا كل خطوة نخطوها اداة تقربنا من هدفنا الذي بقيت متمسكين به وهو الاستقلال . وتجزئة كفاحنا الى مراحل سهلت على فرنسا نفسها التنازل ، وجعلتها ترضى بقبول اجتياز مرحلة واحدة في كل مرة ، باعتبارها اخف الضررين بالنسبة اليها ، وظنا منها انها قد تضمن بذلك البقية الباقية من نفوذها وسيطرتها الاستعمارية . بيد اننا كلما خطونا خطوة قطعنا شوطا جديدا نحو الهدف الاسمي ، فازدادت فرنسا ضعفا ، وازددنا قوة مكنتنا من عوامل جديدة للضغط عليها ، بالشغب والمظاهرات وعصابات المقاومة ، الى ان كانت آخر مرحلة ، عند ما خاض شعب تونس معركة بنزرت فكان الجلاء التام . فلو اننا رفضنا الحلول المنقوصة مثلما رفض العرب الكتاب الابيض والتقسيم - وقد ندموا على هذا الرفض فيما بعد - لظلت تونس الى هذا اليوم منكوبة بالاستعمار الفرنسي . فالحكمة اذن في كفاءة القيادة وفي اختيار السبل وفي حرية التصرف ، بشرط ان يتوفر الصدق والنزاهة والتفاني ، كي تكون كل مرحلة تمهيدا لما بعدها .

هذا ما اقول لكم باعتباري اخا عركنه الاحداث ومازى اكثر
من تجربة في مكافحة الاستعمار .
اما اخوانكم التونسيون فقد آمنوا بالطريقة التي دعوت اليها .
ومن ثم أصبحوا يوثقون لكل ما استطره من خطط ، وحتى التي
ضيقون بها يقبلونها على اساس التجربة وما وضعوه في شخصي
من ثقة فكانت النتيجة - والحمد لله - ان تحررت بلادنا وأصبحنا
سادة فيها .

هذه نصيحتي اسديها وطريقتي اعرضها عليكم في هذه
الزيارة التي لا اعلم هل ستمتد بي الحياة حتى تتاح لي مرة ثانية .
ولعلمكم ستذكرونها وتذكرون معها الحبيب بورقيبة ونظراته الى القضية
الفلسطينية واره التي تقدم بها اليكم والى كل العرب عساها ان تكون
عمادا لكم الى جانب العاطفة والحماس والقصائد الملهمة . ولعلمكم تعتبرون
من بين معطيات هذه القضية نصيحة رجل حنكته التجارب ولا يتطرق
اليكم الشك في صدقه واخلاصه وتفانيه . واني اناشدكم الاخذ بها
لتسوصول الى الهدف حتى لا نضل - بعد سبعة عشر عاما اخرى او
عشرين او مائة - نردد بدون جدوى اغاني العودة والوطن السليب .
ذلك ان كفاحنا اذا اقتصر امره على العاطفة الملهمة فحسب فاننا
سنبقى على هذه الحال قرونا وقرونا . ومهما يكن من امر ، فلا بد ان
يبرز من صفوف العرب رجال لهم من الشجاعة ما يكفي لمصارحة
الشعب ، ومواصلة الكفاح بجميع منرجاته ، وفي كل اطواره
ومراحلها بما يقتضيه من دعاء وكر وفر حتى نضمن لا لانفسنا
فقط ، بل وللجيال التي ستاتي من بعدنا النصر الحقيقي الكامل
واسترجاع الحق السليب .

ورجائي ان تدبروا ما قلته لانه تابع من ضميري ، ولان الله
سوف يحاسبني عليه . وانما الاعمال بالنيات . ودعائي لكم في ختام



المصدر: الحبيب بورقيبة، تونس و قضية فلسطين (1937 - 1965) ، المصدر السابق، ص ص 65-

الملحق رقم: 7

مذكرة مختصرة حول مقابلة ايستمرمان مع الحبيب بورقيبة سنة 1957

المؤتمر اليهودي العالمي

القسم السياسي ALE/N K

الدكتور ناحوم غولدمان. الوكالة اليهودية - القدس 18 جويلية 1957

عزيزي ناحوم،

تجدون طي هذا مذكرة مختصرة، في انتظار التقرير الشامل حول زيارتي لتونس و التي رجعت منها الآن. لقد كان لي لقاء مطول و ودي للغاية مع بورقيبة، سبقتة استشارات مطولة مع زعماء الطائفة اليهودية التي تعرف الآن وضعية داخلية دقيقة، أثرت على علاقات الطائفة بالحكومة. وقد ألح بورقيبة على تونسنة كل المؤسسات اليهودية وغيرها. إلا أن الطائفة اليهودية فسرت ذلك على أن هدف الحكومة منه، هو منع اليهود من إدارة شؤونهم الداخلية بأنفسهم، تحت حجة أن المؤسسات اليهودية يمكن أن تشكل دولة داخل دولة، وعلى ضوء ذلك فإن قلق الطائفة قد ازداد من خلال: أولاً: وقف الدعم الحكومي لها.

ثانياً: غياب الرد على رغبة الطائفة بإجراء حوار مفتوح حول المسائل اليهودية.

ثالثاً: عدم توجيه الدعوات للمنظمات الطائفية لحضور المناسبات الوطنية كما كان الشأن في السابق.

إلا أن بورقيبة رفض بصعوبة أي نية للقيام بمراقبة الطائفة أو التدخل في الشؤون الداخلية لليهود. و هو يخشى أن يتم استعمال المنظمات الطائفية لأغراض سياسية. غير أن السبب الحقيقي لضغينته البيئة إزاء هذه المنظمات، هو أن زعماءها لم يكونوا فقط من جنسية فرنسية، و لكن لأنهم لم يساهموا في معركة التحرير من أجل الاستقلال الوطني. و إن الذي يثيره أيضاً، هو أن بعض القيادات اليهودية وقفت ضد حركة الاستقلال و اتخذت موقفا مؤيدا لفرنسا ضد التونسيين. و قد صرح أنه لن يسمح بالاستمرار في هذا الوضع و ألح على تعويض هاته القيادات بأخرى تونسية، و كان حازما قطعا في هذا الموضوع القاضي بعدم السماح بدعم المؤسسات التي يديرها أجانب، وخاصة منهم المعارضون للاستقلال التونسي. إلا أنه من جهة أخرى كان حذرا جدا عندما أكد أن هذا الأمر لا يعني أنه يعارض أن تساعد هيئات يهودية أجنبية اليهود التونسيين، و يقصد بذلك JDC (لجنة التوزيع الأمريكية اليهودية المشتركة، وهي منظمة إغاثية يهودية مقرها نيويورك)، O.S.E (جمعية يهودية مهنية)، أو هيئات مماثلة. ولا داعي أن أذكر هنا أنه كان منزعجا بإثارتي للتفنيد الذي شرحتة في تقريرتي الشامل، و قد نصحتة بحماس، أن يأخذها بعين الاعتبار و هي كالتالي:

أولاً: كما هو الحال بالنسبة للدولة في حد ذاتها، فإن اليهود كانوا يمرون بمرحلة انتقالية، و إن واجبهم هو إتاحة الفرصة للتعاظم مع نظام الحكم الجديد.

ثانيا: إن الجنسية الفرنسية لليهود و التي اشتهى منها، ليست في الواقع، إلا عقدا شكليا، أخذ في فترة زمنية معينة عندما كانت فكرة الدولة التونسية المستقلة بعيدة جدا، و لم تكن محل نقاش يومئذ.

ثالثا: ليس هناك شك بخصوص ولاء يهود تونس للدولة التونسية و حكومتها. إلا أنه نظرا للمأزق أثناء الصراع الفرنسي-التونسي و القلق التقليدي لليهود، فإن بورقيبة و حكومته، وجب عليهما تشجيع اليهود خلال فترة الانتقال هاته، من خلال المظاهر التالية:

أ: مواقف إيجابية تبين مدى إدراك الحقائق و المستلزمات اليهودية.

ب: وقف الأعمال التي يمكن ان يسيء فهمها و تحبط اليهود.

ج: وكمثال على ذلك، فإن واجب الحكومة الإستمرار للإبقاء على دعمها حتى و لو كان المبلغ ضئيل.

رابعا: إن هؤلاء اليهود، شأنهم في ذلك شأن بقية يهود البلاد التونسية، كانوا يشعرون تماما بأنهم تونسيون منذ أجيال و أن الذين بقوا في البلاد، سوف يستمرون تونسيين أوفياء على كل الجبهات.

خامسا: و قد أخذت حريتي في القول لبورقيبة: أنه في دولة ديمقراطية، فإن الواجبات و الإلتزامات عبارة عن تجارة ذات حدين و إن التزامات المواطنة تفرض حقوقا، إذا كان للمواطنين حقوقا تجاه الدولة[...].140

سادسا: حول مبدأ أن اليهود لهم حرية إدارة شؤونهم الداخلية في اتجاه أن هاته الشؤون، كبقية الشؤون هي عبارة عن مسائل عائلية.

إن النتيجة الحتمية لهذا الحوار، هو أنني ألححت على بورقيبة في الأمور التالية:

أ: تشجيع اليهود بالطريقة التي شرحتها أعلاه.

ب: إذا أحس بضرورة إجراء تعديلات على الإدارة و على أنشطة المؤسسات اليهودية، فإنه باستطاعته القيام بذلك بطريقة هادئة. و حول هذه الإقتراحات رد بورقيبة بطريقة ودية للغاية و صرح لي بأنه يعتبر ما ذكرته له كنصيحة جيدة و سيأخذها تماما بعين الإعتبار، إلا أنه أضاف أن يهود تونس وجب عليهم من جانبهم مساعدته في ذلك.

و في إطار تفهمه و عطفه على اليهود التونسيين و الحياة اليهودية بشكل عام، ذكر بورقيبة بطريقة تلقائية، حق اليهود في الهجرة إلى إسرائيل، مؤكدا أن الأمر سوف يستمر. و كان ذلك مناسبة للتعبير عن الأمل لإبراز موقف ودي تجاه إسرائيل، و إننا نعول عليه كأهم رجل دولة ديمقراطي في إفريقيا الشمالية و حتى في العالم العربي، لممارسة تأثيره لتحقيق السلام في الشرق الأوسط و قد رد على في الحال قائلا: «إن السياسيين بالشرق الأوسط أغبياء (و قد هز كتفيه باحتقار) إن كل سلوكهم متسم بالغباء وليس لدي شعور بالاحترام تجاههم و بدرجة أقل لسلوكهم.

و قد وجب عليهم الاعتراف بوجود إسرائيل و العمل معها، عاجلا أو آجلا و سوف أعمل من جانبي لتحقيق التسوية بالشرق الأوسط، غير أنه وجب علي التقدم بحذر شديد، وهذا يتطلب شيئا من الوقت، و إن الظرف لم يحن بعد بالنسبة لي، للقيام بذلك نظرا إلى أن هاته الفترة التي اعتبر فيها حكام الدول العربية بالشرق الأوسط مرتابين و حساسين جدا و بطريقة غبية مني، و إن الواجب يحتم علي السير بحذر، سعيا مني لعدم منحهم الفرصة لتوظيف عداوتهم تجاهي و يقومون باتهامي بأني عدو لهم. إن كل هذه الأوضاع يجب أن تتغير و أن الواجب علينا أن نتحلى بالصبر و التروي، وقد خلص إلى القول... ثق بي، إنني أفهم جيدا الوضعية و آمل أن تدركوا كيف أنه من الصعب علي أن أتحرك الآن في فترة زمنية، و أنا مشغول جدا بكثير من المسؤوليات و المشاكل و حلها، حتى تتمتع البلاد التونسية بالإستقرار السياسي و الاقتصادي.

و وفقا لطلب السيد ماركوز، تناقشت مع وزير الداخلية حول مسألة الوكالة اليهودية وخاصة لكل ما يتعلق بالهجرة. ذلك أن السيد ماركوز كان قلقا جدا نتيجة المعلومات التي استلمها، و مفادها أن الإسرائيليين لا يمكن قبولهم بالبلاد التونسية. و أن الموجودين بها الآن مجبرون على مغادرتها. و في محادثة طويلة و ودية مع وزير الداخلية، شرحت له طبيعة العمل الذي أنجزته الوكالة. و على ضوء ذلك أعطاني الضمانات بعدم التدخل في شؤونها، و ذكر لي أن هجرة اليهود التونسيين سوف تستمر دون عوائق من طرف السلطات الرسمية، ذاكرا أنه قبل حادثة سيناء كانت الجوازات الممنوحة للمهاجرين اليهود تنص على التوجه إلى إسرائيل صراحة. إلا أن قضية سيناء، عقدت الأمور نظرا لحساسية الدول العربية بالشرق الأوسط. وقد استمر في القول أنه إذا رغب المهاجرون بالتنصيص على مكان آخر لتوجههم، فإنه سوف يمنحهم بحرية كل التسهيلات الضرورية، حتى و لو كان هو شخصا و حكومته يعلمان جيدا أنهم يتوجهوا في الواقع إلى إسرائيل: «إنني سأغض عينا على ذلك، و لكن وجب على رجالكم أن يساعدوني، و لن أتدخل في نشاطهم، و لكن وجب عليهم القيام بذلك بهدوء و دون إثارة الاهتمام. و لن أتدخل في شؤون يهود البلد، و من هذا الجانب لا تقلقوا حول مسألة مغادرتهم البلاد». و قد ذكر الوزير و لكن بحذر أنه لن يمانع في وصول يهود آخرين لزيارة البلاد، شريطة أن يكون العدد محدودا و أساسيا لنشاط الوكالة اليهودية. (آمل أن هذا الإقتراح الأخير لا يؤخذ حرفيا و لكن كمدخل لعدد كبير من المبشرين. إن كل اندفاع سوف يؤثر بل سيخرب نشاط الهجرة المعمول به الآن). و عندما ذكرت كل هذه البيانات إلى السيد ماركوز اندهش و عبر لي عن عميق اعترافه بالجميل، و هو يرى أن نتائج هذا اللقاء مع وزير الداخلية هامة جدا. مع الإخلاص أ.ل. ايسترومان.

المصدر عبد الجليل التميمي، الحبيب بورقيبة مؤسس الدولة التونسية الحديثة، المصدر السابق، ص 139-142.

الملحق رقم: 8

صورة تعود إلى ستينيات القرن الماضي لبورقيبة و هو يصافح إليك أليسترمان في أحد إجتماعاتهم.



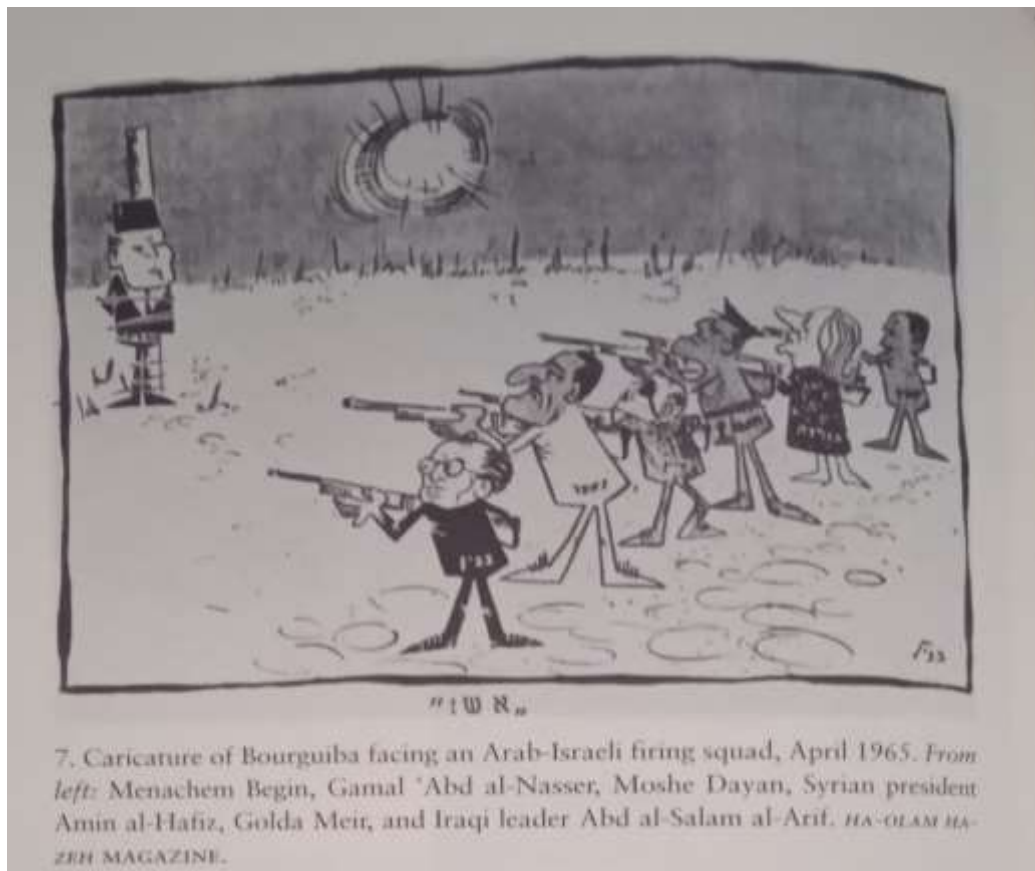
المصدر: الرابط الإلكتروني التالي:

<https://opensea.io/assets/7cb248420045c8ac68f646ce947276749f495x0e/5b>

762379407749702547701921127670100607863731479588436170472
32917248788966408193

الملحق رقم: 9

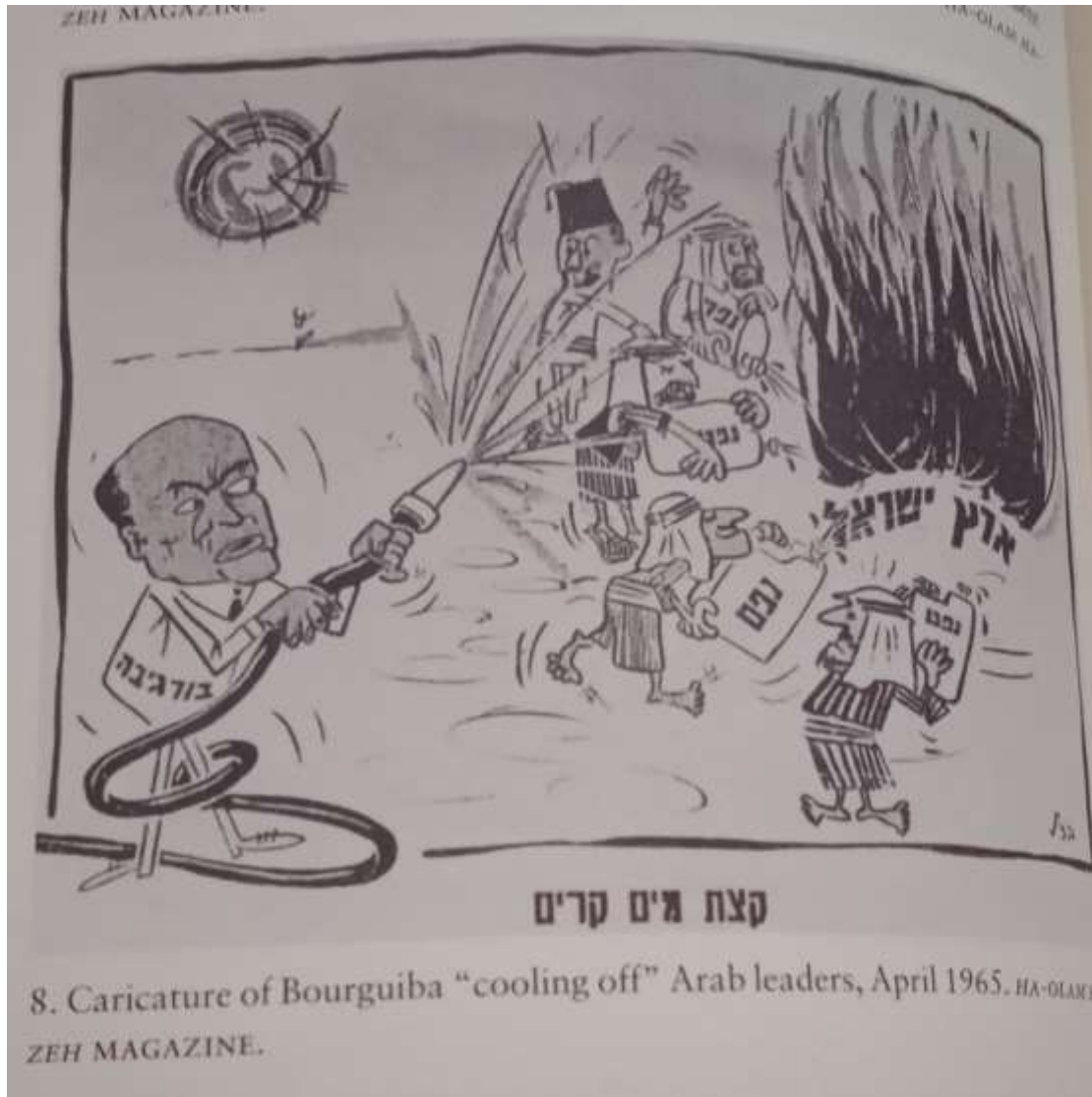
صورة كاريكاتورية بعد خطاب أريحا لبورقيبة و هو يواجه فرقة إعدام عربية إسرائيلية. من اليسار مناحم بيغن، جمال عبد الناصر، موشي دايان، الرئيس السوري أمين الحافظ، غولدا مائير، الرئيس العراقي عبد السلام عارف، نشرته جريدة HA-OLAM HAZEH الإسرائيلية في أبريل 1965م.



Source:michael m.laskier, israel and the maghreb, op.cit, p180.

الملحق رقم: 10

رسم كاريكاتوري لبورقيبة وهو يحاول تهدئة القادة العرب، بعد خطاب أريحا نشرته جريدة HA-OLAM HAZEH في أبريل 1965م.



Source, michael m.laskier, israel and the maghreb, op.cit, p180.

الملحق رقم: 11

وفد مراقب من فلسطين برئاسة المفتي أمين الحسيني يجري مناقشة مع رئيس وزراء جمهورية الصين الشعبية تشو إن لاي خلال المؤتمر الأفرو آسيوي. مبنى ميرديكا، باندونغ 19 أبريل 1955م.



.source: Asian-African Conference Archives

[34https://en.unesco.org/memoryoftheworld/registry/](https://en.unesco.org/memoryoftheworld/registry/)

الملحق رقم: 12

رسالة مطبوعة باللغة الانجليزية من إلياس كوسا محامي من أصول لبنانية إلى محرر صحيفة **Jerusalem Post**، جبروسالم بوست، تتضمن مقالا له بعنوان "بورقية و العالم العربي" بتاريخ 25 ماي 1965، يتحدث فيه عن مبادرة بورقية للسلام بناء على قرار الأمم المتحدة سنة 1947 . يشكك كوسا في مقاله في صدق نوايا بورقية من هذه المبادرة، ويذكر مجموعة من النقاط الناقدة للمبادرة منها تمثيل منظمة التحرير بقيادة أحمد الشقيري للفلسطينيين في المفاوضات، و الذي كان قد صرح في حينها أن المنظمة تسعى لتحرير كامل .

ELIAS H. KOUSSA,
ADVOCATE,
P.O.B. 14,
HAIFA.
25th May, 1965.

The Editor of The Jerusalem Post,
P.O.B. 81,
Jerusalem.

Dear Sir,

President Bourguiba's movement for the settlement of the Arab-Israel conflict lacks sincerity and honesty, and appears to be more of a propaganda stunt than a genuine desire to achieve its apparent aim because in its very nature the call is self-destructive. He advocates direct negotiations between Israel and the Palestinian Arabs on the basis of the United Nation Partition Resolution of 1947. This is not only queer but also absurd. The Palestinian Arabs are scattered in many countries, have widely divergent political orientations and lack a representative body to speak for them. To elect such a body would prove highly difficult if not impossible unless, indeed, President Bourguiba has in mind that they should be represented by the Arab ~~Palstinian~~ /Liberation Movement whose leader, Ahmed Shukeiri, has lately coined the slogan "no partition, no internationalisation, no re-habitation but complete liberation", or by the Arab Higher Committee whose paramount chief, Haj Amin Al Hussein, intends to drive out of the country all Jews who came to Palestine subsequent to the Balfour Declaration.

Moreover, President Bourguiba insisted through all his press conferences and interviews that the negotiations should be on the basis of the United Nation Partition Resolution. A political personality of his position and importance is deemed to be fully acquainted with the facts of the political problem he wishes to tackle. In calling for the solution of the conflict on this basis he either deliberately deluded himself and the Arab peoples, or is dismally ignorant of intervening developments, especially the oft-repeated emphatic assertions of Israeli responsible statesmen that the Partition Resolution is obsolete, that Israel ~~is not~~ willing to cede an inch of its present territory except by way of minor adjustment of

- 2 -

the frontiers, that the Arab refugees must be settled in Arab countries and that compensation is an arithmetical problem to be solved within the framework of war reparations and Jewish properties abandoned or nationalized in Arab countries.

An additional evidence of President Bourguiba's insincerity lies in the fact that Tunisia as an independent state, was not in existence when the Arab-Israel war broke out in 1948. It unnecessarily identified itself with the belligerent policy of the Arab League. Now, Tunisia is boycotting the meetings of the League and appears to consider itself free to act contrary to the resolutions of the Arab summit conferences of Cairo and Alexandria. If he were sincere in his desire to see peace and stability reign in the Middle East, there is no reason why he should not proceed forthwith to destroy, albeit partially, the wall of animosity between Israel and the Arab world by recognising Israel and establishing diplomatic and commercial relations with the State. Such a tangible and effective measure would be more beneficial than preaching to the remaining Arab states as to the line of action they should take. Tunisia will thus be able to enjoy the manifold benefits mentioned by the Prime Minister in his political speech in the Knesset on the 17th instant, and President Bourguiba will set a good example for the Arab diplomats and individuals who share his views and fear to express them openly. In all probability, he will remain for many years the lonely voice in the vast Arab world calling for the settlement of the conflict on the lines he proposed.

Yours faithfully,

H. BOURGUIBA.

7 *Published in Jerusalem Post 1.6.1965* *See full Jerusalem Post* *OK* *Letter to*

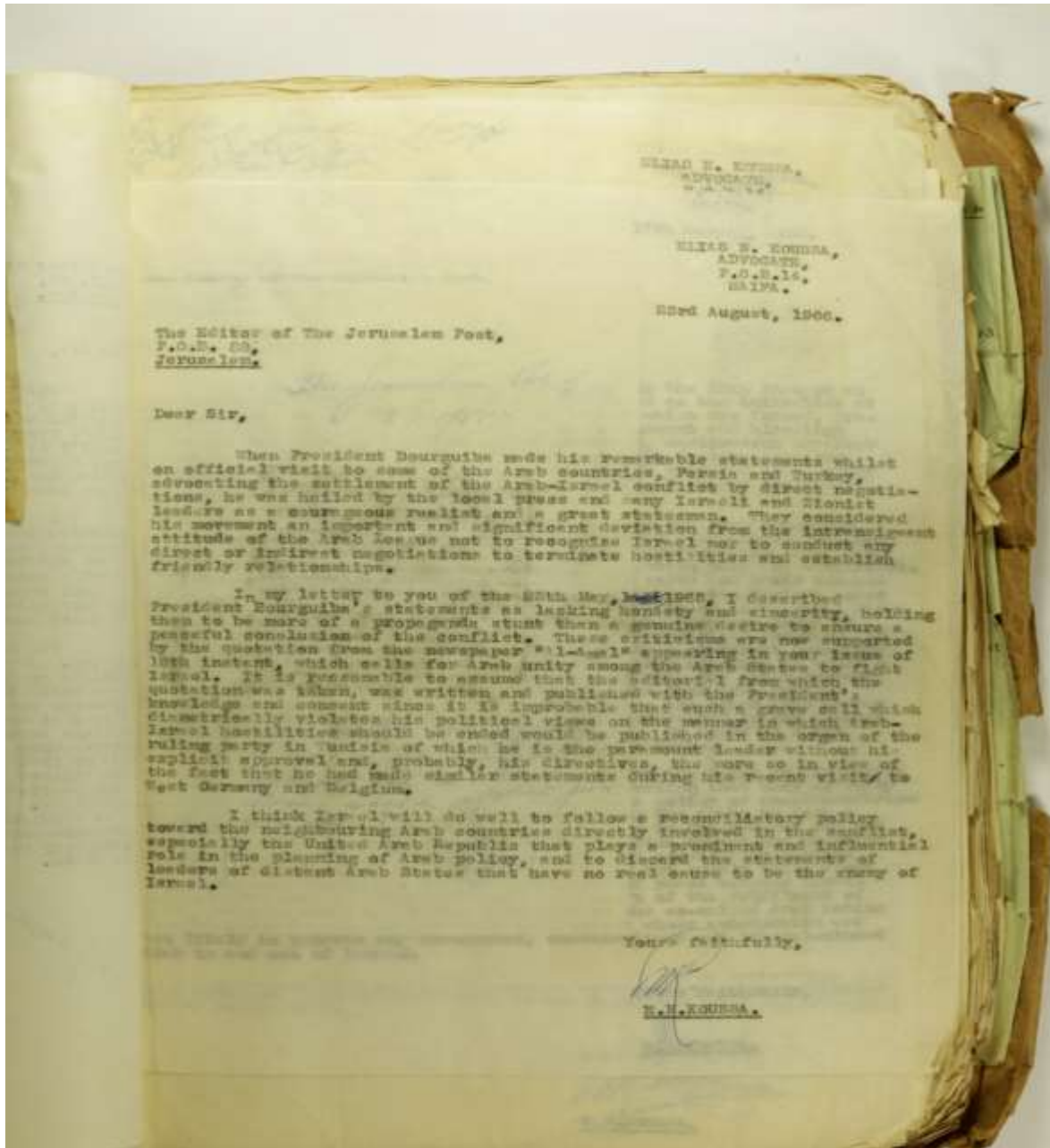
An additional evidence of President Bourguiba's insincerity lies in the fact that Tunisia as an independent state, was not in existence when the Arab-Israel war broke out in 1948. It unnecessarily identified itself with the belligerent policy of the Arab League. Now, Tunisia is boycotting the meetings of the League and appears to consider itself free to act contrary to the resolutions of the Arab summit conferences of Cairo and Alexandria. If he were sincere in his desire to see peace and stability reign in the Middle East, there is no reason why he should not proceed forthwith to destroy, albeit partially, the wall of animosity between Israel and the Arab world by recognising Israel and establishing diplomatic and commercial relations with the State. Such a tangible and effective measure would be more beneficial than preaching to the remaining Arab states as to the line of action they should take. Tunisia will thus be able to enjoy the manifold benefits mentioned by the Prime Minister in his political speech in the Knesset on the 17th instant, and President Bourguiba will set a good example for the Arab diplomats and individuals who share his views and fear to express them openly. In all probability, he will remain for many years the lonely voice in the vast Arab world calling for the settlement of the conflict on the lines he proposed.

H. J. ROUSSA.

7. Puttinderu na Jannala Post
1.6.1965. See full Letter to
Jannala Post. See

الملحق رقم: 13

مبادرة بورقبية للسلام 1965"، رسالة من إلياس كوسا إلى محرر صحيفة جيروسالم بوست
رسالة مطبوعة باللغة الانجليزية من إلياس كوسا إلى محرر صحيفة جيروسالم بوست بتاريخ 23 أوت 1966 بخصوص مقالته
المنشورة في الصحيفة "بورقبية والعالم العربي" 25 أيار 1965 حول مبادرة بورقبية للسلام وعدم صدقيتها، يذكر في رسالته تأكده من
ذلك بعد الاقتباس الذي نُشر في الصحيفة على لسان بورقبية بضرورة وحدة الدول العربية لمحاربة إسرائيل،



Source: the palestinian museum digital archive

الملحق رقم: 14

"مقترح بورقيبة لمحادثات سلمية بين فلسطين و إسرائيل"، ورقة ملاحظات، 1965-1966

JERUSALEM POST OF 11.4.1965.

Interview with "Le Monde" on Friday 9.4.1965, President Bourguiba said:-

"A solution could consist in applying the U.N.'s 1948 recommendation which never respected. This was the fixing of the Palestine frontier according to the demarcation line proposed at the time. Israelis would thus give back territories which they occupied beyond the frontier, especially regions of Jaffa, Acre and Nazareth, and refugees could settle there.

"Naturally Israelis won't agree, but at least the Arabs will be in a better tactical position. It was no good to remain locked in refusal, and to keep repeating that Israel's existence is an injustice. Even though true, it does no good."

The Tunisian leader claimed that his "realistic" method could succeed where "17 years of intransigence has failed". Intransigence could not achieve results any more.

Prime Minister Wasfi Al-Tal of Transjordan said on Thursday 22nd April, 1965:-

"Jordan has no answer to such statements and half solutions but determination and sacrifice in supporting the common Arab plan which aims at regaining the usurped rights in Palestine fully and absolutely."

Prime Minister Hussein Al Owaini of Lebanon said on Friday 23rd April, 1965:-

"Lebanon is bound to carry out the resolutions of the two Arab summit conferences in the same way as the rest of the Arab States. We undertake to carry out our pledges and would only agree to the restoration of the usurped land and the repatriation of the Palestinians."

Prime Minister Taher Yehya of Iraq said on Saturday the 24th April, 1965:-

"The Iraqi people could not accept any bargaining or compromises on the Palestine question."

JERUSALEM POST ON 25th April, 1965.

The Central Committee of the Socialist Destour Party on 24.4.1965 approved of Bourguib's proposals.

The proposals were made on Thursday 23.4.1965 in a speech to Tunisian students and members of the governing Socialist Destour Party. They are

- (1) Direct negotiations between Israel and the "Palestine Arabs" in a neutral capital.
- (2) Israel to surrender part of her territory and agree to repatriation of Palestinian refugees.
- (3) Later, further defreezing possible to enable Arab-Jewish peaceful co-existence, establish economic relations and enter co-operation among the nations.

Bourguiba expressed doubt on success of his plan in view of strong Arab nationalist feelings and whether Israel would accept it. In any case, the plan could not be carried out immediately.

- 2 -

Bourguiba added, "Israel ought to accept our proposal, and immediately an exploratory approach has been made to ensure that the Arabs are in favour, terms of a meeting, either in Rome or any other capital, could be studied.

"We shall set about making contacts. I shall confer with President Nasser on the method to be followed. No effort will be spared to achieve a concrete result.

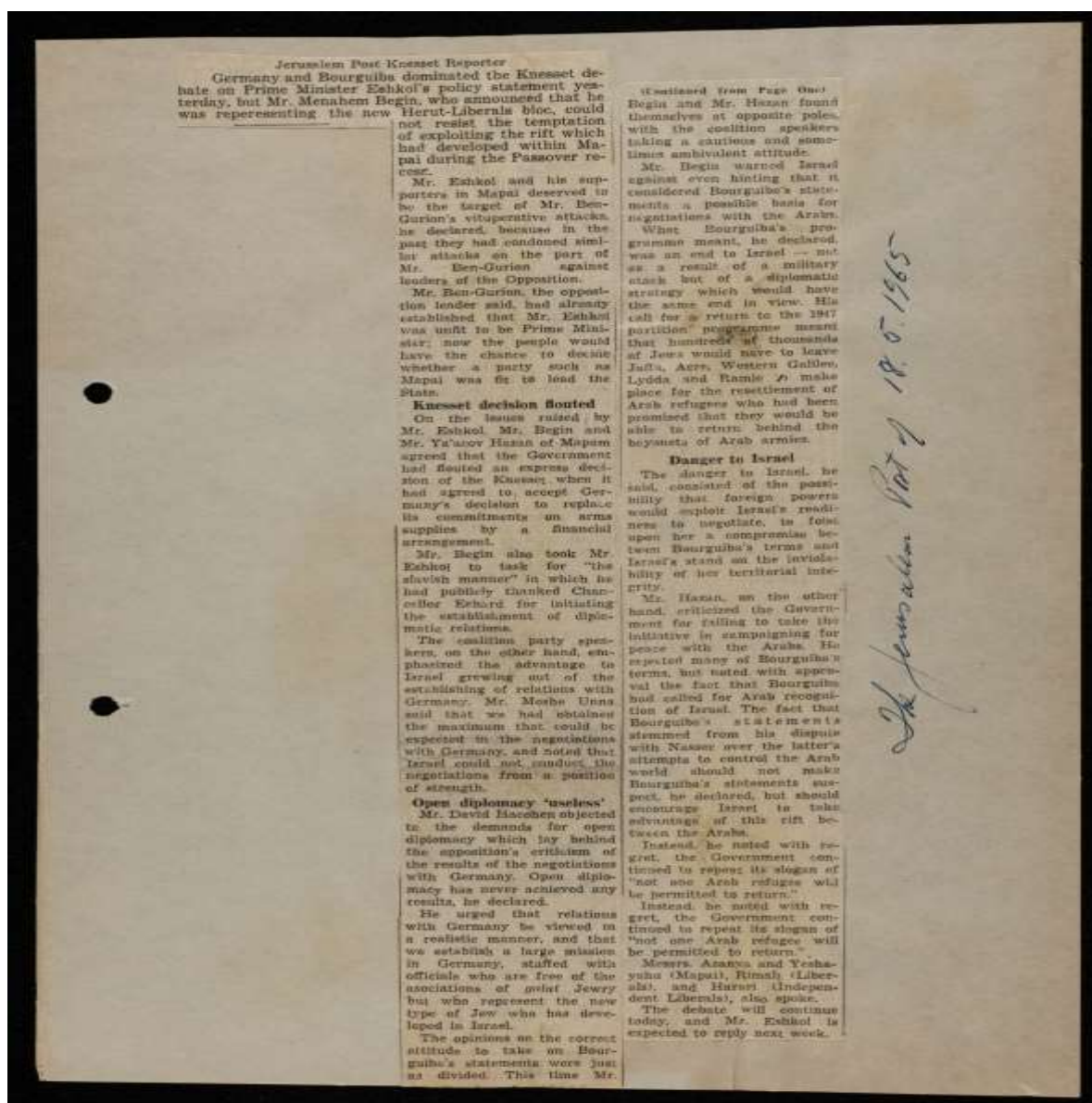
"In case Israel accepts our proposal and show readiness for negotiations, the partners will be of course the Palestinians and the Jews."

- تسلسل الحوادث بصدور اقتراح الرئيس Habib Bourguiba عن الصلح بين إسرائيل والدول العربية =
١. حديث الرئيس بورقيبة مع صحيفة "الموند" = "Le Monde" الإفريقية في ١٦٦٥/٤/٦
 ٢. يوم الخميس الموافق ١٦٦٥/٤/٢٣ الذي بورقته خطابا في جمهورية من الطلبة التونسيين وأعضاء حزب الدستور الاشتراكي التونسي وشرح فيه اقتراحه لتسوية قضية فلسطين كما ورد في لائحة
 ٣. يوم السبت ١٦٦٥/٤/٢٤ هجم الطلبة الصهيونيين على السفارة التونسية في القاهرة وبدأت جميع محطات الإذاعة بثن هجوم مرّ على بورقيبة
 ٤. يوم الأحد في ١٦٦٥/٤/٢٥ هاجمت الصحيفة التونسية "لاكسيمون" = "L'Action" عبد الناصر
 ٥. يوم الاثنين ١٦٦٥/٤/٢٦ قامت مظاهرة في القدس ضد بورقيبة والحملات الصحفية مستمرة
 ٦. يوم الثلاثاء ١٦٦٥/٤/٢٧ مظاهرة في تونس رجمت خلالها سفارات مصر والعراق وسورية وحمل المتظاهرون نعشا فيه صورة جمال عبد الناصر
 ٧. وأيضا في ١٦٦٥/٤/٢٧ سحبت مصر والعراق وسورية سفراها من تونس
 ٨. في ١٦٦٥/٤/٢٨ سحبت السفارة التونسية بكاملها من القاهرة

Source: The Palestinian museum digital archive

الملحق رقم: 15

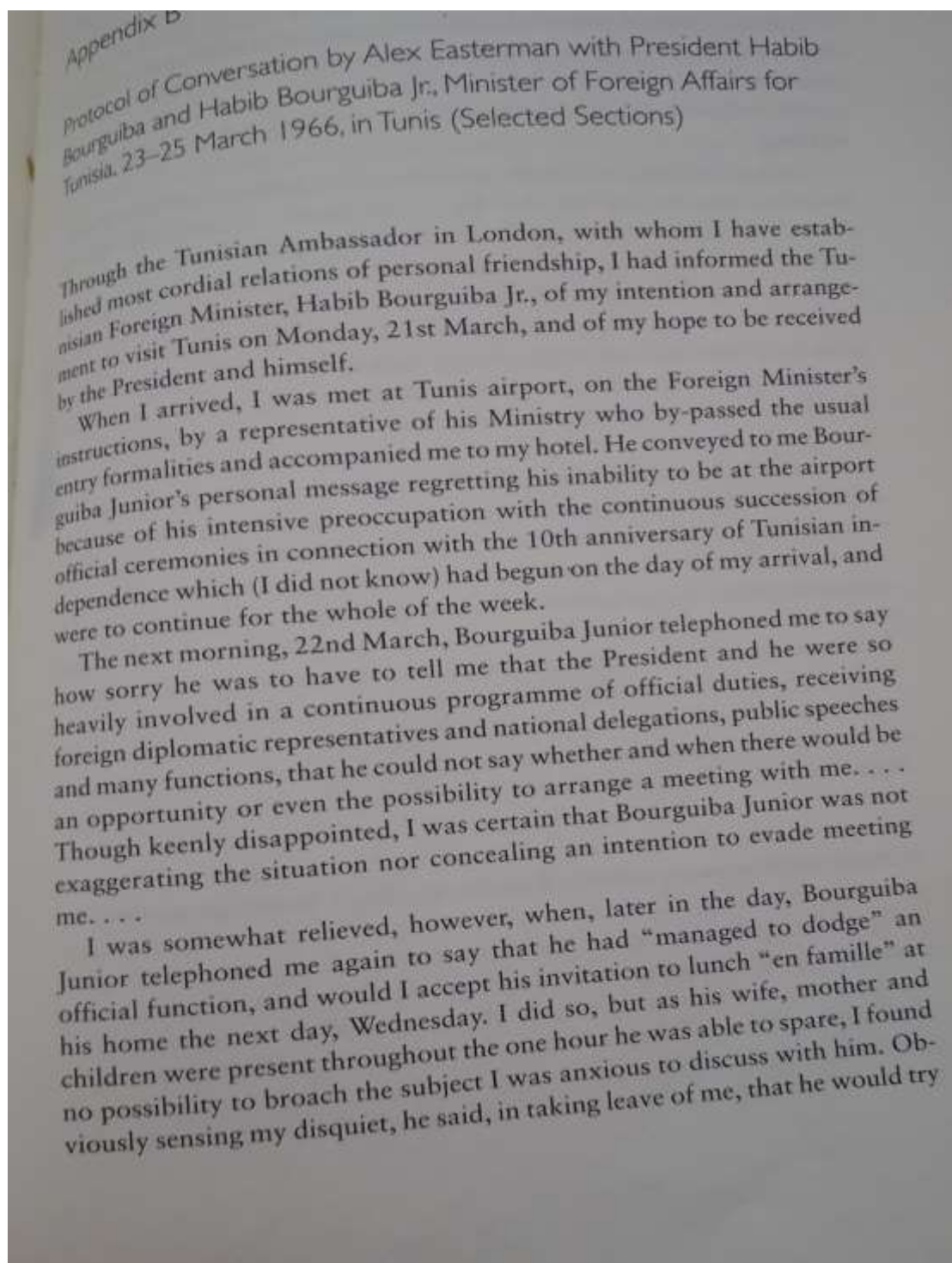
قصاصة من صحيفة "جيروسالم بوست" تتضمن تقرير صحفي بتاريخ 18 ماي 1965 حول مناظرة في الكنيست الإسرائيلي سنة 1965م، و التي سيطر عليها الحديث عن مبادرة السلام من بورقيبة و ألمانيا، و تصريح ليفي إشكول حول هذه المبادرات.



Source: The Palestinian museum digital archives.

الملحق رقم: 16

تقرير من alex easternman إلى وزارة الخارجية الإسرائيلية و المؤتمر اليهودي العالمي عن لقائه مع بورقيبة و ابنه بورقيبة الابن، وزير خارجية تونس، 23-25 مارس 1966، في تونس.



294 | Appendix B

his utmost to find a way for another meeting with me. The next morning, Thursday, 23rd March, he telephoned that he would come to me at my hotel in the afternoon. This he did and, on his suggestion, we retired to my room where he said, "we can talk here in privacy, without interruption and away from that . . . telephone."

Bourguiba Junior remained with me for two and a half-hours. I told him that I intended, during the past six months or so, to come to Tunis again to continue, if possible, the discussions I had last May, with the President and myself, following the President's call for a new Arab policy on Arab-Israeli relations. . . .

I hoped President Bourguiba and Bourguiba Junior would take it from me, as a statement of fact, that the Jewish people, as well as Israel, had welcomed and were encouraged by the President's pronouncements as opening the door to a wise and statesmanlike effort for a new approach to peace and conciliation between the Middle East Arab states and Israel, and to bring about an end to Nasser's intransigent and inflammatorily demagogic policies for an Arab war to destroy the State of Israel. I knew, as the President had told me last May, that he was disappointed by what he considered the lukewarm and even negative response of Israel; but I ventured to say, with great respect, that the President's views were not quite justified.

I recalled that Prime Minister [Levi] Eshkol and the then Foreign Minister, Mrs. Golda Meir, had publicly welcomed President Bourguiba's declarations. If their statements were not as forthright as the President thought they should be, this was not due to any lack of appreciative understanding, but rather to a desire not to embarrass him *vis-à-vis* his opponents, particularly Nasser. Since then, there had been a change of government in Israel, and its leaders, especially Prime Minister Eshkol, and the new Foreign Minister, Mr. [Abba] Eban, had declared publicly their welcoming approval and support of President Bourguiba's inspired initiative in calling for new thinking in the Arab world as regards Israel, and for an end to the climate of perpetual tension and conflict in the Middle East. During the recent Israeli general elections, Mr. Eshkol had repeated and emphasized his appreciation of President Bourguiba's statesmanship, and Mr. Eban also, in speeches in Israel and notably in statements published in the high-level French press, had expressed similar views

I told Bourguiba Junior that, during my recent stay in Israel, I had had the opportunity of discussing with Mr. Eban how best the Israel government could convey to President Bourguiba their profound desire to demonstrate their appreciation of his endeavors to bring about conciliation between Israel and the Arab world, and to inaugurate a new era of cooperative coexistence for progress and prosperity in the Middle East. Mr. Eban warmly

approved my offer to visit Tunis and, because of my highly-prized good personal relationship with the President, to continue the many discussions which I have had with him during the past 12 years on the Arab-Israel question, especially my talk with him last May.

In this sense, and for the first time, I could say I was speaking with the authority of the Israel government and, in their name, I would put forward practical proposals for the President's consideration and, as I sincerely hoped, for his acceptance of them. I could assure the President and his son that these proposals were solely and sincerely motivated by Israel's desire to be of service to Tunisia, and to assist President Bourguiba in his well-understood policies of planning for his country's development along modern progressive lines.

At the root of these proposals lay the fact that both Israel and Tunisia were small states which had started from scratch, as it were, without natural resources, modern agriculture or industries, all of which had to be built up by new scientific methods and up-to-date techniques. As was now universally known and admired, Israel had shown a quite remarkable capacity and originality in these fields, and had acquired a unique experience, putting her among the most advanced modern states, and making her the most prosperous country of the Middle East.

As President Bourguiba and his Foreign Minister certainly knew, Israel had placed her experience and techniques at the disposal and to the advantage of a number of the new African states. The Israel government was most willing and ready to put them at the service of Tunisia. If, as I hoped, they would be acceptable to the President, all that Israel sought in exchange was no more than mutual goodwill and understanding. In other words, there were "no strings attached."

Specifically, Israel would gladly offer its exceptional knowledge, skills and experience in the field of expanding tourism, which had brought great benefits to the Israel economy. The ever-increasing trends for foreign holiday travel among world Jewry, especially of the five and a-half million Jews of the United States, could be a most important financial potential for the tourist traffic to Tunisia. Israel would be ready to assist in developing this traffic, particularly by way of encouraging Jewish tourists from the Western world to include Tunisia in their itinerary either to or from Israel. This had already been done in the case of the United States Council of Synagogues whom the Israel government had successfully encouraged to include Tunisia in their large Spring tour to Israel.

The Israel government would be ready to assist Tunisia through its wise connections and experience in the field of foreign investment and finance, chiefly in the United States. Israel would also gladly offer her services by way

296 | Appendix B

of advice, and the unique practical skills of its highly expert technicians, in developing Tunisia's industries, agriculture methods, trade, transport and exports.

With full understanding that to put these proposals into practical effect would involve delicate considerations affecting Tunisian policy and relations in the Arab world, and anxious not to involve President Bourguiba in any embarrassment or difficulty, Israel would willingly render assistance in the fields I had mentioned, through non-Israeli channels and in conditions of maximum discretion and secrecy.

It was proposed, further, that in order to discuss and examine the proposals I had put forward, and if there were agreement to pursue them effectively, it would be desirable and necessary to establish contact between Tunisian and Israeli representatives on an appropriately high level, in Europe, and in conditions of absolute secrecy which Israel could guarantee. I suggested that this contact might be on an ambassadorial level, and that the President should designate someone intimately close to him and who had his complete and personal confidence. The Prime Minister and Foreign Minister of Israel would designate their representative on a similar basis. I added that, in the light of my long-standing intimate friendship with the President and his son, I could give my personal assurance that the most complete secrecy of any contacts would be rigidly respected on the Israeli side.

Bourguiba Junior listened intently and seriously throughout my rather lengthy statement, took elaborate and meticulous notes, and interposed many questions to me on the suggestions I had put forward. When I concluded, he said he regarded my statements and proposals as of great importance.

He continued that, as I had noted, the President had been most disappointed at the unhelpful and, he thought, discouraging reception given in Israel and in the Arab world to his declarations of a new policy for Arab-Israel relations. Consequently, he had decided to leave the Arab-Israel problem alone, to confine his interests and policies to his own internal and external affairs, and to refrain from public discussion of the Arab-Israel problem in the hope that events would force the Arab leaders and people to absorb, understand and see the rightness of his views and advice.

The President and he realized that other Arab statesmen and politicians were not yet ready fully to appreciate the value and necessity of the new ideas the President had propounded. These leaders were too far behind modern trends, and were still thinking in terms of the remote past. They concentrated on and were too deeply involved in the conflicts, rivalries and party political strife, which were . . . obstructing normalization of their external relations. They were unable to see the advantage of following and

acting upon President Bourguiba's advanced ideas for guiding the Arab peoples towards progress and democratic government on modern lines.

Beset and obsessed as they were by internal political struggling and economic stresses, other Arab leaders could not or did not dare to follow such new and unorthodox policies as President Bourguiba had proclaimed on the Arab-Israel issue. In other words, they thought only in terms of retaining power and combating opposition. Hence, they were obliged either to pay weak and non-committal lip service to President Bourguiba's advanced ideas or external problems of the Arab political world, or they kept their mouths shut. The most recent example of this attitude was the proposed Islamic conference on which King Hassan II of Morocco was afraid openly to express his views, although Tunisia knew that privately he approved of it.

These same Arab leaders had an obsessive fear of Nasser, and were scared to oppose him though, in private, they detested him. Hassan, for example, had a deep-rooted hatred of Nasser. "We don't hate Nasser, we despise him," Bourguiba Junior said. "He is sliding downhill and is hastening his descent by his recent attitude of 'It's I versus the rest of the Arab states.' He has begun to attack and denounce other Arab leaders as traitors, imperialists, colonialists and whatnot. This points to the end of his pretensions to dominate the Arab world. His leadership in Egypt is none too secure either. He keeps his hold over the Egyptians only by repression and by their fear of opposing him openly. The Egyptian people still have the same mentality as they have had for centuries. And Nasser retains his leadership because the United States keeps him in power by feeding, financing and arming him."

The next morning, Friday, 25th March, Bourguiba Junior telephoned me to say that he was obliged to leave in the afternoon for Southern Tunisia on a special mission . . . he added that the President asked him specifically to offer me his apology and sincere regret that it had been quite impossible to find the time to receive me. . . .

Just as I was on the point of leaving for the airport, a hotel employee called me, saying that there was an important and urgent message for me. There was an air of excitement around the reception desk when the hotel manager said, in awed tones, "The President has called for you on the telephone," and handed me the message stating, "Tomorrow at 12 noon President Bourguiba will meet you at his residence at 1 Rue du 1er Juin."

Next morning, to my happy surprise, Bourguiba Junior telephoned me again. He said his departure for the south had been delayed and, as he was just going off, he wanted to tell me how glad he was to have been able, after all, to arrange for the President to receive me. He had instructed his personal assistant at the Foreign Ministry, his friend, Ahmad Mestiri, to call for and accompany me to the President.

298 | Appendix B

President Bourguiba greeted me with utmost cordiality and by the, to me, unfamiliar gesture of affection, kissing me on both cheeks. As Bourguiba Junior had informed me, Mestiri was present throughout the interview and took notes. The presence of a third party was exceptional; in my previous many talks with Bourguiba, we were usually alone. I regard Mestiri's attendance, on this occasion, as indicating the importance, which the President and his Foreign Minister attached to the proposal I had put forward.

Bourguiba listened most attentively as I repeated, at some length, the views and suggestions I had put to his son. I referred to the consistence of the views he had expressed to me regarding Israel throughout the 12 years since I first met him at the Chateau de la Ferte in France, and in the course of the many talks I had with him on this and kindred subjects. I reiterated what I had said to his son—that the Jewish people as a whole, and Israel had derived great satisfaction and encouragement from his declarations last year, calling for a new and conciliatory approach to the Arab-Israel problem and for a settlement by coexistence between Israel and the Arab states of the Middle East. I added that, with Mr. Eshkol as Premier and Mr. Eban as Foreign Minister, he could count on a fresh climate of sympathetic understanding and approval of his general approach to the Arab-Israel question, in order to end Arab hostility and the threat of war against Israel. I also referred to Mr. Eshkol's and Mr. Eban's statements demonstrating the Israeli government's attitude.

I hoped, therefore, that he would agree with me that the time had come to suggest that the conciliatory policy he had proclaimed could be advanced by establishing friendly contact, unobtrusively and secretly, on an appropriately high diplomatic level, to discuss means by which the Israeli government could demonstrate in a practical way their goodwill towards him and their sincere desire to be of service to him and his policies and plans to develop Tunisia as a progressive, prosperous and modern state. I then explained the various suggestions which I had submitted to his son, and had Mr. Eban's authority to present to him. I expressed my devout hope that he would accept the sincerity of the Israel government's desire for a genuine, friendly relationship with him, and to demonstrate it practically in a way which would cause him no embarrassment or difficulty in his internal situation and in his external relations.

Bourguiba began . . . to elaborate that, from the very beginning of our relationship, he has not altered his views on the necessity and political wisdom of Arab recognition of Israel's actual and legal existence and of settling by mutual conciliation Israel's relations with the Arab world. . . . "Many of the leaders of Arab states know perfectly well that I am right and that my views are sound. But they do not have the courage, yet, to come out into the

open and support what I have said. They are still obsessed by the fiction of Nasserist power. They fear Nasser's threats and intimidation, his exploitation against them of their internal difficulties and opposition in their own states. But, in time, they will all come round to my way of thinking and say so. They will have to take account of the fact that there is a rising new generation, which is beginning to see and to resent the emptiness, the futility and the dangers of Nasser's fire-eating pretensions and ambitions. They do not realize that the growing youth is becoming politically and socially intelligent and also impatient. It is significant that, when I proclaimed my views on Arab-Israel relations in the Arab refugee camps, I was applauded by the young people. . . .

"I have not altered my views about the necessity of a radical change in Arab policy on Israel. But putting these views into practical effect is neither easy nor simple. It requires time, patience and circumstances. Neither we nor Israel should be in too much of a hurry. History is not static. It is made and changed by statesmen. Some seek to change it by reactionary methods, looking backwards; others try to change it by stages. I have always stood for and acted by progressive methods, by compromise, by stages and by abandoning policies and actions which retard progress.

"This is not the way of Nasser. But he is on the downward path and will not endure. His descent will be faster than the people think. He is digging his own grave. Look at what has happened to him in the last few years. He set up a so-called United Arab Republic, but where is it now? It has collapsed. There is Syria and there is Egypt. He had the pretension of creating an Arab unity, by which he meant, of course, Nasserist Arab unity. See what has happened to this ambition. The United Arab Republic is a fiction; he has suffered defeat in the Yemen. He has enemies in all the Middle East states. Now he attacks those Arab leaders who will not accept his policies or approve his actions, and he denounces them as imperialists, pro-colonialists and reactionaries.

"The 'Colonel' and those who support him are ruthless in their political methods and tactics. They are out to wreck every new idea and every new action, which men like me suggest and do to lead the Arab peoples toward progressive and peaceful policies and ways. They are unscrupulous in twisting and ruining every move to settle Arab-Israel relations by way of conciliation. I have therefore decided to go cautiously in continuing the policies I advocated publicly a year ago. I think it best not to take an open step to further that policy until such time as I consider circumstances to be of advantage and likely to bring good results. Above all, Israel, as well as I, should exercise patience and the utmost prudence. It is preferable to gain time and to let the ideas that I propounded sink steadily into the Arab mind.

300 | Appendix B

"Accordingly, while I am ready to accept in principle your suggestion for contact on a high level for discussion of the practical matters which you have put forward, I would not be willing to do anything which, directly or indirectly, would involve or imply that I was entering into diplomatic relations with Israel. In the way you have explained the practical suggestions whereby Israel could be of service in advancing Tunisia's economic development, I accept that they are meant to express that your Israeli friends appreciate the policies I have publicly proclaimed regarding Arab-Israeli relations.

"I appreciate your assurance that contact on a high or ambassadorial level would be carried out with the maximum discretion and in complete secrecy, and I have no doubt your Israeli friends would do everything in their power to prevent any leakage. But you know that, whatever precautions you could take, absolute secrecy would be impossible. It is not that I am afraid of anybody; it is simply that any leakage of such high level contacts as you suggest would do more harm to the purposes you have in mind. Leakage of secret meetings are bound to be distorted and subject to false interpretation. . . .

"[Nevertheless], I can . . . agree to your suggestion, at least as an experiment, that there might be contact between a Tunisian and an Israeli representative to discuss the proposals you have made. It must be clearly understood, however, that the discussions that may take place are to be regarded as absolutely confidential and do not imply and cannot be interpreted as the initiation of diplomatic relations. I think it best that the Israel government should designate not a diplomatic representative but rather an expert who could discuss, with my nominee, any of the specific practical proposals you have described. I will instruct [Muhammad] Masmoudi [the Tunisian ambassador] in Paris to act for me. He has my complete confidence and will directly [be in contact] with me and my son. We are close personal friends."

Source: Report by Alex Easterman to the Israeli Foreign Ministry and the World Jewish Congress of his meetings with President Habib Bourguiba and his Son, 23-26 March 1966, ISA/FM, 4027/6.

Source: michael.laskier, israel and the maghreb from statehood to oslo, op.cit,p293-300.

الملحق رقم: 17

لقاء بين عرفات و بورقيبة في الجزائر قبل عقد القمة العربية 1973، حيث تظهر الصورة أنه لقاء ودي.



المصدر: "الصباح"، ع. 7599، 27 / 11 / 1973

الملحق رقم: 18

تدريب فصيل فلسطيني على الحماية المقرية للشخصيات الرسمية سنة 1980 بمدرسة الأمن الوطني بصلامبو، تونس.





المصدر: النوري بوشعالة، المصدر السابق، ص ص 99-100.

البيبلوغرافيا

- القرآن

- أولا/مكتبات و مراكز أرشيف رقمية.

1. dwight d.eisenhower Library.

<https://www.eisenhowerlibrary.gov/search/bourguiba>

2. Wilson center digital archive /W.C.D.A

<https://digitalarchive.wilsoncenter.org/>

3. foreign relations of the united states.

<https://history.state.gov/historicaldocuments>

- ثانيا/ المصادر بالعربية.

1. أبو رقبة حسن، أزهار و أشواك مذكرات ضابط فلسطيني، ط1، دار الفارس، لبنان، 2005.

2. أبو عودة عدنان، يوميات عدنان أبو عودة (1970-1988)، ط1، المركز العربي للأبحاث و الدراسات، بيروت، 2018.

3. أبو غربية بهجت، من مذكرات بهجت أبو غربية من النكبة إلى الانتفاضة (1949-2000)، 2004.

4. إدريس الرشيد، ذكريات عن مكتب المغرب العربي في القاهرة، الدار العربية للكتاب، تونس، 1981.

5. باشا غلوب، حياتي في المشرق العربي، تر. جورج حتر وفؤاد فياض، دار الأهلية، الأردن، 2005.

6. بالطيب نور الدين، حسن مرزوق: خفايا حربي فلسطين وبنزرت وانقلاب 1962، ط2، الشركة التونسية للنشر، تونس، 2017.

7. بلخوجة الطاهر، الحبيب بورقيبة سيرة زعيم شهادة على عصر، الدار الثقافية، تونس، 1999.

8. بن فرج المنصف، ملحمة النضال التونسي الفلسطيني، من خلال الغارة الإسرائيلية على حمام الشط، تونس، 2007.

9. بونار أندري، بورقية، تعريب الشركة التونسية للتوزيع، تونس، 1986.
10. بورقية الحبيب، الخطب، ج20، 1965، نشریات وزارة الإعلام، جوان. 1981
11. بورقية الحبيب، بورقية بلسان بورقية (حياتي، آرائي، جهادي)، تقديم سعيد بحيرة، دار آفاق، تونس، 2015.
12. بورقية الحبيب، تونس وقضية فلسطين، كتابة الدولة للأخبار و الإرشاد، تونس، 1966.
13. بورقية الحبيب، لا وصاية على الثورة الفلسطينية، نشریات كتابة الدولة للإعلام، تونس، 4 مارس 1974.
14. بورقية الحبيب، موقف تونس من القضية الفلسطينية، نشریات كتابة الدولة للشؤون الثقافية، قرطاج، 1969.
15. بوشعالة النوري، قبس من الذاكرة، مذكرات ضابط أمن، ط1، رام الله، 2015.
16. التل عبد الله، كارثة فلسطين، ط1، دار الهدى، مصر، 1959.
17. توينبي أرلوند، فلسطين جريمة و دفاع، ط3، تع. عمر الديدايوي، دار العلم للملايين، 1981.
18. ثامر الحبيب، هذه تونس، مكتب المغرب العربي، القاهرة، 1948.
19. الثعالبي عبد العزيز، تونس الشهيدة، تر. سامي الجندي، دار القدس، بيروت، 1975.
20. جمال عبد الناصر هدى، المجموعة الكاملة لخطب و تصريحات الرئيس جمال عبد الناصر (13 يناير 1964-31 ديسمبر 1965)، م4، المكتبة الأكاديمية، 2007.
21. جمال عبد الناصر هدى، جمال عبد الناصر في مواجهة الصحافة، ج2، المكتبة الأكاديمية، مصر، د.س.
22. الجمالي محمد فاضل، الصهيونية الأمريكية و المأساة الفلسطينية، الدار العربية للكتاب، طرابلس، 1984.
23. الحوت شفيق، عشرون عاما في منظمة التحرير الفلسطينية (1964-1984)، دار الإستقلال، بيروت، 1986.
24. خلف صلاح أبو إياد، فلسطيني بلا هوية، دار فايول، د. س.

25. دسوقي ممدوح، أحمد سعيد الإعلامي الأشهر في الستينات وشهادته التاريخية، ط2، مكتبة جزيرة الورد، القاهرة، 2017.
26. زعيتر أكرم، يوميات أكرم زعيتر سنوات الأزمة (1967-1970)، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، 2019.
27. الزكاري أسامة، الهاشمي الطود: خيار الكفاح المسلح، حوار سيرة ذاتية، طنجة، 2018.
28. زياد عبد الفتاح، ورق حرير، ط1، القاهرة، 2014.
29. سالم صالح محمد، مدن نسكنها و مدن تسكننا، دار الكتب المصرية، مصر، 2008.
30. الشاذلي سعد الدين، مذكرات حرب أكتوبر، دار بحوث الشرق الأوسط الأمريكية، سان فرانسيسكو، 2003.
31. الشريف محمد فريد، مواقف دبلوماسية في العهد البورقيبي، تونس، 2012.
32. الشطي كمال، بورقية في عقيدة الآخرين، مذكرات صحفي، شركة البرق، تونس، 2017.
33. شعث نبيل، حياتي من النكبة إلى الثورة: سيرة ذاتية، دار الشروق، مصر، 2017.
34. الشقيري أحمد، أربعون عاما في الحياة العربية و الدولية، ط1، المؤسسة العربية الدولية للنشر و التوزيع، بيروت، 2005.
35. الشقيري أحمد، الهزيمة الكبرى مع الملوك و الرؤساء، من بيت عبد الناصر إلى غرفة العمليات، ج2، ط1، 2005.
36. الشقيري أحمد، حوار و أسرار مع الملوك و الرؤساء، ط1، دار العودة، بيروت، 2005.
37. الشقيري أحمد، من القمة إلى الهزيمة مع الملوك والرؤساء، المؤسسة العربية الدولية للنشر و التوزيع، بيروت، 2005.
38. صايغ فايز، حفنة من ضباب، بحث في مفاهيم البورقيبية و شعاراتها، مركز الأبحاث، بيروت، 1966.
39. عباس محمد الهاشمي، بورقية-نويرة ذكريات ومذكرات، ج3-4، تقديم الشاذلي القليبي، ميديا كوم، تونس، 2010.

40. علوش ناجي، خط النضال و القتال و خط التسوية و التصفية، ط2، دار الطليعة، بيروت، 1982.
41. علي الطاهر محمد، خمسون عاما في القضايا العربية، مؤسسة دار الريحاني، بيروت، 1978.
42. عمرو موسى، كتابيه، النشأة و سنوات الدبلوماسية، ط1، دار الشروق، القاهرة، 2017.
43. عمرو نبيل، عرفات و جنون الجغرافيا، دار الشروق، مصر، 2012.
44. غازي حسين، الفكر السياسي الفلسطيني (1963-1988)، دار دانية، دمشق، 1993.
45. غاي كار وليام، أحجار على رقعة الشطرنج، تر. سعيد جزائري، دار النفائس، 1970.
46. الفاسي علال، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط6، مؤسسة علال الفاسي، الدار البيضاء، 2003.
47. فرشج جورج، سليمان فرنجية شهادات و ذكريات، ط1، بيروت، 2002.
48. قاراس فيلكس، بورقية ومولد أمة، تر. بوراوي الملوح و آخرون، منشورات مكتب الصحافة و النشر للحزب الدستوري الحر، تونس، 1957.
49. القليبي الشاذلي، أضواء من الذاكرة، الحبيب بورقية، تر. محمد معالي، دار الكتب الوطنية، تونس، 2014.
50. القليبي الشاذلي، العرب أمام قضية فلسطين، سلسلة مقالات نشرت بجريدة العمل من 1 إلى 10 سبتمبر 1967، الدار التونسية للنشر، تونس، 1967.
51. مائير غولدا، اعترافات غولدا مائير، تر. عزيز عزمي، مؤسسة دار التعاون للنشر، د.س.
52. محمد حمزة، أبو جهاد أسرار بداياته و أسباب اغتياله، ط2، المركز المصري العربي، مصر، 1989.
53. مزالي محمد، نصيبي من الحقيقة، دار الشروق، تونس، 2007.
54. مكتب المغرب العربي، مؤتمر المغرب العربي المنعقد بالقاهرة من 15 إلى 22 فيفري 1947، مطبعة المكتب الثقافي الدولي، الجيزة، د.س.

55. هيكل محمد حسنين، سلام الأوهام، أوصلو ما قبلها و ما بعدها، ط7، دار الشروق، القاهرة، 2001.

56. والي فاتح، البورقيبية و اليسار التونسي، ميديا بوكس، تونس، 2017.

57. وزارة الثقافة و الإعلام، قضية المصير العربي بين قرار مجلس الأمن الدولي و مشروع روجرز، إيضاح من مصدر مسؤول حول رسالة عبد الناصر، وثيقة رقم 64، لبنان، 1970.

58.

- ثالثا/ المصادر بالأجنبية.

1. Bessis sophie, belhassen souhayr, **bourguiba un si long règne (1957-1989)**, p2, japress, paris, 1989.
2. Kennedy Charles Stuart, **interview with Richard eundeland**, 29/7/1994, it has been published 2006.
3. Kennedy charl Stuart, **interviewed with Ambassador David L.mack**, 24/10/1995.
4. Alan w. Horton, **the arab summit of january1964 ; some observation on inter arab relation**, vol.11, no.1, february1964.
5. jean paul chagnollaoud, **maghreb et palestine**, la bibiithèque arab sindbad, paris, 1977.
6. Amor chadli, **Bourguiba, tel que je l'ai connu**, les press simpact, tunisie, 2011.
7. Michael Mahoney, **interview with ambassador Stephen Bosworth**, A.D.S.F.A.O.H.P, 24/2/2003

المراجع:

أولا/الكتب بالعربية:

1. إبراهيمي أحمد طالب، اثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، عيون البصائر، دار الغرب الإسلامي.
2. أبو علم عبد الله محمد، قالوا من فمك أدينك يا إسرائيل، ج1، دار الفلاح، الأردن، 2014.
3. آفي شلايم، أسد الأردن، حياة الملك الحسين في الحرب و السلام، تر. سليمان عوض العباس، مركز الكتب الأردني، الأردن، 2011.

4. أوزمدير حسن، فلسطين في العهد العثماني و صرخة السلطان عبد الحميد الثاني، ط1، دار النيل، مصر، 2013.
5. بحري لؤي، سكة حديد بغداد "دراسة في تطور ودبلوماسية قضية سكة حديد برلين - بغداد حتى عام 1914، شركة الطبع و النشر، بغداد، 1967.
6. بشير يوسف، حين حدث ما لم يحدث، دار الساقى، بيروت، 2019.
7. بضيوف طارق، المراقبة السياسية بالبلاد التونسية خلال الحقبة الإستعمارية "الجهاز السري أنموذجاً"، ط1، مجمع الأطرش، تونس، 2017.
8. بلقاسم محمد، وحدة المغرب العربي فكرة و واقعا، الاتجاه الوحدوي في المغرب العربي 1910-1954، البصائر الجديدة، الجزائر، 2013.
9. بن عيسى الحسين، البورقيبية و الهوية صراع مشاريع، مكتبة تونس، تونس، 2015.
10. بن عيسى الحسين، سجلات الزيتونيين مع الإستعمار و دعاة التغريب (1881-1981)، ط1، مجمع الأطرش، تونس، 2018.
11. بن يوسف الطاهر، الحبيب بورقيبة تضخم الأنا سبب البلية، مطبعة فن الطباعة، تونس، 2012.
12. البنزرتي هشام، بورقيبة الإستثناء و المنعرج الحاسم، تونس، 2017.
13. تامالت محمد، العلاقات الجزائرية الإسرائيلية، دار الأمة، 2001.
14. التميمي عبد الجليل، الحبيب بورقيبة مؤسس الدولة التونسية الحديثة و نهاية الأسطورة، منشورات مؤسسة التميمي، تونس، 2012.
- 15.
16. التيمومي الهادي، الحركة الصهيونية بتونس (1897-1948)، ط 4، دار محمد علي حامي، تونس، 2017.
17. الجليدي محمد العربي، حكايات حب جبلية، دار حروف، تونس، 2017.
18. الجمل عبد المجيد، بريطانيا العظمى وبلاد المغرب، التنافس الإنجليزي الفرنسي بتونس والمغرب (1881-1939)، منشورات كلية الآداب، منوبة، تونس، 2019.
19. الجوادي محمد، محمد الخضر حسين و فقه السياسة في الإسلام، دار الكلمة، القاهرة، 2014.

20. جوق إدمون، علاقات دولية، تر. منصور القاضي، المؤسسة الجامعية للدراسات، لبنان، 1993.
21. الحمش منير، السلام المدان، مكتبة مديولي، القاهرة، 1997.
22. الحناشي عبد اللطيف، تطور الخطاب السياسي في تونس اتجاه القضية الفلسطينية 1920-1955، المركز العربي للأبحاث والدراسات، بيروت، 2016.
23. الحوت بيان نويهض، فلسطين. القضية. الشعب. الحضارة، ط1، دار الاستقلال، لبنان، 1991.
24. الخرفي صالح، عبد العزيز الثعالبي من آثاره و أخباره في المشرق و المغرب، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1995.
25. خضر هشام، الملك فاروق آخر ملوك مصر (1936-1952)، ط1، دار طيبة، مصر، 2008.
26. دانيال هادي، مؤامرة الربيع العربي، القضية الفلسطينية، دار بيرم، تونس، 2014.
27. ديب كمال، امراء الحرب و تجار الهيكل، خبايا رجال السلطة والمال في لبنان، دار الفرابي، لبنان، 2015.
28. رائسي إدريس، الحقائق الكبرى حول مشاريع السلام لحل الصراع العربي الإسرائيلي من مؤتمر الصلح إلى وادي عربة (1919-1994)، ج1، الدار المتوسطة للنشر، تونس، 2014.
29. سعد الله فوزي، يهود الجزائر موعد الرحيل، دار قرطبة، الجزائر، 2018.
30. سغفان كامل، اليهود من سراديب الجيتو إلى مقاصير الفاتيكان، دار الفضيلة، مصر، د.س.
31. سعيد الصافي ، بورقيبة سيرة شبه محرمة، رياض الريس للكتب و النشر، بيروت، 2002.
32. سعيد الصافي، القذافي سيرة غير مدنسة (1942-2011)، سوتيميديا للنشر، 2018.
33. سليمان أبو نادي، التونسيون و القضية الفلسطينية حتى عام 1948، دار حنين، تونس، 2015.

34. سميح إسماعيل أحمد حسن، اليهود في المغرب العربي و الحركة الصهيونية في العصر الحديث، دار الكتاب العربي، الجزائر، 2016.
35. سيد عبد الرزاق يوسف عبد الله، محمود فهمي النقراشي ودوره في السياسة المصرية وحل جماعة الإخوان المسلمين (1888-1948)، مكتبة مديولي، القاهرة، 1995.
36. سيد محمد السيد محمود، تاريخ الدولة العثمانية، النشأة-الإزدهار، مكتبة الآداب، القاهرة، د.س.
37. سيل باتريك، أبو نضال بندقية للإيجار، تق. أحمد رائف، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، د.س.
38. الشابي منصف، صالح بن يوسف حياة كفاح، ط2، دار نقوش عربية، تونس، د.س.
39. الشادي صالح، هواجس الوحدة، قراءة في إشكالية الوحدة العربية، ط1، دار مجدلاوي، الأردن، 2010.
40. الشايب محمد لطفي، الماصونية في الوطن العربي زمن الإستعمار الأوروبي، ط1، سوتيميديا للنشر، تونس، 2019.
41. صاغية حازم، الانهيار المديد، الخلفية التاريخية لإنتفاضات الشرق الأوسط العربي، دار الساقى، بيروت، 2013.
42. صالح محسن محمد، منظمة التحرير الفلسطينية، تعريف، وثائق، قرارات، مركز الزيتونة، بيروت، 2014.
43. الصخرواي الأزهر، مخطوطا السياسة الإستعمارية الفرنسية بتونس من برنار روا إلى شارل سومانيه (1881-1956)، ط1، دار المسيرة، تونس، 2018.
44. الصيفي شريفة الصيفي، المكبوت و المكتوب في الصحافة المكتوبة في تونس، المنهل، تونس، 2012.
45. الطاهر عبد الله، الحركة الوطنية التونسية رؤية شعبية قومية، ط2، دار المعارف، تونس، د.س، ص56.
46. الطويل يوسف العاصي، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي دراسات و بحوث حول التحيز الأوروبي و الأمريكي لإسرائيل، ج1، ط2، صوت القلم لعربي، مصر، 2010.

47. الطويل يوسف العاصي، الحملة الصليبية على العالم الإسلامي و العالم و علاقتها بمخطط إسرائيل، ج1، ط 1، مكتبة حسن العصرية، لبنان، 2014.
48. عبد الهادي جمال، الطريق إلى بيت المقدس، ج2، ط . دار الوفاء. 2001.
49. عطا الله سمير، مقال الأربعاء، دار الساقى، بيروت، 2008.
50. العقاد صلاح، قضية فلسطين. المرحلة الحرجة (1945- 1956)، المطبعة الفنية الحديثة، 1968.
51. عويد آرية، إسرائيل وإفريقيا، ج2، تر. عمرو زكريا خليل، المؤسسة المصرية إمدكو، القاهرة، 2014.
52. عياش عبد الله محمود، جيش التحرير الفلسطيني و قوات التحرير الشعبية ودورهما في مقاومة الاحتلال الإسرائيلي 1964-1973، مركز الزيتونة للدراسات، بيروت، 2014.
53. الغريب عصام، الحاج أمين الحسيني و دوره في الحركة الوطنية الفلسطينية (1897-1974)، بيروت، 2014.
54. فؤاد أنور أحمد، تاريخ اليهود من تشويه الانبياء إلى 11 سبتمبر، مركز الراية، د.س.
55. فيرنر روف، البورقيبية و السياسة الخارجية لتونس المستقلة، تر. الصحبي الثابت، المطبعة العصرية، تونس، 2011.
56. القاضي ليلي سليم، القضية الفلسطينية في ثلاثة و ثلاثين مؤتمرا دوليا من 1954 إلى 1966، مركز الأبحاث، بيروت، 1966.
57. القنطار رياض، التغلغل الإسرائيلي في إفريقية و طرق مجابهته، منظمة التحرير الفلسطينية-مركز الأبحاث، بيروت، 1968.
58. ماعوز موشيه، سوريا و إسرائيل من الحرب إلى صناعة السلام، تر. لينا وهيب، دار الجليل، عمان، 1998.
59. محمد فاروق محمد فاروق، المؤامرة الكبرى على بلاد الشام، دار الراوي، 2000.
60. المديني توفيق و آخرون، الأحزاب و الحركات اليسارية، ج.2، المركز العربي للدراسات الاستراتيجية، دمشق، د.س.

61. المديني توفيق، **المعارضة التونسية، نشأتها و تطورها، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001.**
 62. المصري محي الدين، **جامعة الدول العربية من كامبد ديفيد إلى تونس، الدار المغاربية، تونس، د.س.**
 63. مصطفى أحمد عبد الرحيم، **بريطانيا و فلسطين 1945 - 1939، دراسة وثائقية، دار الشروق، الكويت، 1981.**
 64. مقني رضا، **اليسار التونسي والقضية الفلسطينية (1947-1988)، ط1، دار حشاد للنشر، تونس، 2018،**
 65. مؤسسة الدراسات الفلسطينية، **اتفاق كامبد ديفيد و أخطاره، بيروت، 1978.**
 66. نصر صلاح محمد، **الحناوي كمال الدين، الشرق الأوسط في مهب الريح، ط1، مكتبة النهضة المصرية، مصر، د.س.**
 67. يوري بار جوزيف، **الملاك، الجاسوس المصري الذي أنقض إسرائيل، تر. فادي داؤد، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2017.**
- ثانيا/الكتب بالأجنبية.
1. Derek khoudja, **apartnership in the Maghreb;the first ten years of peace courps in tunisia**,university of new jersy,2013.
 2. Haouat Mohamed larbi, **Habib Bourguiba le combattant suprême(1903-2000)**,center culturel du liver,casablanca,2019.
 3. Laskier Michael, **israel and maghreb from statehood to oslo** ,university press of Florida, america,2004.
 4. Maatoug Fredj, **la gauche française et la question palestinienne de 1948 a1982**, these de doctorat d'histoire, F.S.H.S de tunis,1998.
 5. Perrin Dominique. **Palestine une terre , deux peuples.** presses universitaires du septentrion.2020.

ثالثا/المجلات و الدوريات:

الجرائد العربية

1. جريدة الصباح:

- الصباح، ع. 3919، 1965/3/4.
- الصباح، ع. 3920، 1965/3/5.
- الصباح، ع. 3827، 1965/1/12.
- الصباح، ع. 3905، 1965/2/16.
- الصباح، ع. 3921، 1965/3/6.
- الصباح، ع. 3926، 1965/3/12.
- الصباح، ع. 3939، 1965/3/27.
- الصباح، ع. 3930، 1965/3/18.
- الصباح، ع. 7560، 1973/10/14.
- الصباح، ع. 4627، 1967/6/10.
- الصباح، ع. 4633، 1967/6/16.
- الصباح، ع. 4635، 1967/6/18.
- الصباح، ع. 4497، 1967/1/10.
- الصباح، ع. 4638، 1967/6/22.
- الصباح، ع. 7561، 1973/10/15-14.

2. جريدة "الإتحاد":

- الاتحاد، م. 15، ع. 61، 1958/11/25.
- الاتحاد، م. 21، ع. 89، 1965/3/19.
- الإتحاد، م. 21، ع. 100، 1965/4/27.
- الإتحاد، م. 21، ع. 101، 1965/4/30.
- الإتحاد، م. 22، ع. 2، 1965/5/18.
- الإتحاد، م. 22، ع. 5، 1965/5/28.
- الاتحاد، م. 22، ع. 34، 1965/9/7.

- الاتحاد، ع.17-30، 10/7/1973.
- الاتحاد، م.31، 12/11/1974.
- الاتحاد، م.43/56، 20/7/1986.
3. "الأهالي" (بغداد)، 25/2/1959
4. "المحرر" (لبنان)، 1/4/1965
5. "صوت العروبة"، 12/3/1965
6. "الجريدة" (لبنان)، 9/3/1965
7. "المشرق" (لبنانية)، 14/3/1965
8. "النضال" (دمشق)، 26/4/1965
9. "العمل" (تونس)، 2/10/1985.
10. "الرأي" (تونس)، 4/10/1985.
11. "الثورة الفلسطينية"، ع.31، جانفي 1971.

الجرائد بالأجنبية:

1. "Information juive ", No.130, may1961.
2. "jewish telegraphic agency "(JTA) .
"The american jewish world",vol.49, No.308, 19/5/1961.
3. "the sentinel ",21/9/1961.
4. " The american jewish world", vol.53, No.34,23/4/1965
5. "Combat", no.6.488, 3/5/1965.
6. "Time",7/5/1965.
7. "the detroit jewish news",28/1/1966.
8. "the sentinel"" , 15/6/1967.
9. "the christen science monitor", 22/7/1982.
10. "Middle East Monitor",13/1/2021.

رابعاً/الرسائل و الأطاريح:

1. أبو جزر أحمد، بلدان المغرب العربي و القضية الفلسطينية(1948-1978)
تونس، الجزائر، المغرب، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة الجزائر2، كلية العلوم الإنسانية،2013/2014.

2. أسعد عيسى العبد الله، السياسة الخارجية للدولة العثمانية في عهد السلطان عبد الحميد الثاني 1876-1909، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بيروت العربية، 2016.
 3. بوعشة محمد، مواقف الدول غير العربية بشأن قضية فلسطين و الصراع العربي الإسرائيلي (1947-1983)، رسالة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية، جامعة الجزائر، 1984.
 4. زيد أمينة رمضان طاهر، نموذج الدولة الواحدة وأثر ذلك على عملية السلام الفلسطينية الإسرائيلية، رسالة ماجستير في التخطيط و التنمية السياسية، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2013.
 5. السامرائي إشراق نوري عبد بخيت، الحبيب بورقيبة و دوره في الحياة السياسية (1933-1987)، رسالة ماجستير في التاريخ المعاصر، كلية الآداب، بغداد، العراق، 2003.
- خامسا/المقالات بالعربية.
1. أسامة محمد أبو نحل: نشأة منظمة التحرير الفلسطينية بين المصالح العربية والطموح الفلسطيني، قراءة جديدة، "مجلة جامعة الأزهر"، عدد خاص، 2009.
 2. أنور جمعة حرب أبو مور: التطور التاريخي لمشروع الدولة الفلسطينية (1964-1999)، رسالة ماجستير، تاريخ الحديث و المعاصر، غزة، 2014.
 3. ايوجين روجان، الأردن و حرب 1948، "حرب فلسطين إعادة كتابة التاريخ"، تر. ناصر عفيفي، الكتاب الذهبي مؤسسة روز اليوسف، القاهرة، 2001.
 4. تويب تشارلز، العراق و حرب 1948 انعكاس الاضطراب العراقي، "كتاب حرب فلسطين إعادة كتابة تاريخ 1948"، تر. ناصر عفيفي، الكتاب الذهبي مؤسسة روز اليوسف، القاهرة، 2001.
 5. جنكيز تشاندار: أبو عمار كما يتذكره صديق تركي، تر. ثائر ديب، "مجلة الدراسات الفلسطينية"، ع107، صيف 2016.
 6. حاتمي محمد: المؤتمر اليهودي العالمي والوطنيون المغاربة (1944-1955)، "hespéris tamuda"، 2016.

7. حناشي عبد اللطيف: موقف بورقيبة من القضية الفلسطينية (1946-1965)، "مجلة الدراسات الفلسطينية"، م.18، ع.69، 2007.
8. الحوت شفيق: 70 رحلة في مخ الرئيس التونسي، "جريدة المحرر"، بيروت، 1971/11/22.
9. خليف كريم هادي: القضية الفلسطينية في العلاقات السعودية الكويتية (1964-1968)، "مجلة جامعة بابل"، م.24، ع.1، 2016.
10. رفيق عبد السلام: الحاجة إلى بناء الكتلة التاريخية - الحالة التونسية نموذجا - "الأحزاب والحركات والتنظيمات القومية في الوطن العربي"، مركز دراسات الوحدة العربية، 30 أبريل 2012.
11. رواشدة محمد خير الدين: سلطة موازية و محاولات اغتيال صعدت الصراع بين الأردن و التنظيمات الفلسطينية (مذكرات الأمير زيد بن شاعر كما ترونها أرملة)، "الشرق الأوسط"، ع.14883، 2019/8/28.
12. شلايم آفي: إسرائيل و التحالف العرب 1948، "حرب فلسطين إعادة كتابة تاريخ 1948، تر. ناصر عفيفي، الكتاب الذهبي مؤسسة روز اليوسف، القاهرة، 2001.
13. صالح علي الشورة، بسام عبد السلام البطوش: أثر الهجرات اليهودية في تغيير التركيبة السكانية للقدس في العهدين العثماني و البريطاني، "مجلة العلوم الإنسانية و الاجتماعية"، ع.19، أبريل 2011.
14. عبد القادر الزغل: إضطرابات الخبز وأزمة نظام الحزب الواحد في تونس، "كتاب دراسات إفريقية عن الحركات الاجتماعية و الديمقراطية في إفريقيا و العالم العربي"، ج1، ع.1508، 2010.
15. عدوان عصام محمد علي: فلسطين في خطابات الملك حسين بن طلال 1964-1967، مجلة التاريخية الفلسطينية، غزة.
16. لسود الطاهر: في نقاش تمثل علاقة بورقيبة بفلسطين، "توات"، 2007/4/18. على الرابط: <https://nawaat.org/2007/04/18/relation-bourguiba-palestine>

17. الهبيبي اديب صالح: الموقف العربي من مشروع الرئيس التونسي بورقيبة لحل القضية الفلسطينية 1965، "مجلة التربية والعلم"، م.20، ع.1، 2013.
 18. محسن محمد صالح: معركة الكرامة 21 مارس 1968 كما تعكسها الوثائق البريطانية، "المجلة العربية للعلوم الإنسانية"، ع.83، 2003.
 19. مرقطن محمد: الرحالة الفرنسيون والاكتشافات الأثرية في فلسطين والتمهيد للمشروع الصهيوني (1800-1914)، "كتاب العرب من مرج دابق إلى سايكس بيكو (1516-1916) تحولات بين السلطة و المجتمع"، 2020.
 20. وناس المنصف: الدين والدولة في تونس (1956-1987)، "كتاب الدين في المجتمع العربي"، مركز دراسات الوحدة العربية، 30 أبريل 2000.
 21. يشوع لانديز، سوريا و حرب فلسطين، القتال ضد مخطط سوريا الكبرى لصاحبه الملك عبد الله، "حرب فلسطين إعادة كتابة التاريخ 1948"، تر. ناصر عفيفي، الكتاب الذهبي مؤسسة روز يوسف، القاهرة، 2001.
- سادسا/المقالات بالأجنبية:

1. Abadi Jacob: algeria's policy toward Israel;pragmatism and rhetoric, "middle east jornal", vol.56, no.4, autumn 2002.
2. Ashford Douglas: new destour leadership and confiscated revolution: Cambridge university press, vol.17, no.2, jan1965
3. Basis Sofi, cette matinée incandescente qui a scellé le destin des juifs de tunisie, "orient xxi", 15/6/2017.
4. courbage Youssef, les juifs dans l'empire ottoman jusqu'à la déclartion balfour ,october 2001.
5. Curtius Mary: israele government divided on how to respond to killings, "the christen science monitor", october7/1985.
6. Dahmani Farida: tunisi, chedli klibi, ancien minister de bourguiba, tire sa réverence, "Jeune Afrique", 13/5/2020.
7. greenberg joel : Gideon rafael,85 a founder of the israeli foreign ministry, "the new york times", 12/2/1999.
8. Laskeir Michael : iseal and algeria amid French colonialism the arab-israel conflict(1954-1978), "Israel studies", vol.6,no.2, 2001.

9. Laskier Michael : israel and the maghreb at the height of the arab-israel conflict(1950-1970), "meria",vol.4,no.2,june 2000.
10. laskier Michael, israel an active spectator in the arab cold war of the1950s and 1960s;egypt and Tunisia through israelé lenses", "department of middle eastern studies", bar-ilan university Israel.
11. Lief louise,can tunisia keep radical neighbors at bay?,april14/1987.
12. Mallarde Etienne: la francophonie africane,"revue des deux mondes",15/2/1967
13. "Middle East Monitor", israel wants huge financial compensation from Tunisia, 13/1/2021.
14. tessler a. mark: the identity religious minorities in non-secular states:jews in Tunisia and morocco and arabs in Israel,"Cambridge university press",jul1978,vol.20,no.3.
15. watanab shoko: aforgotten mobilization : the tunisian volunteer movement for Palestine in1948", jornal of the economic and social histoty of the orient", no.60, 2017.
16. Wisnitzer louis : tunisia's unity threatend by pro-anti west rivalries,"the christen science monitor",October 29/1985.

سابعا/المؤتمرات.

1. بن يوسف عادل، المرأة والسلطة في تونس خلال فترة الحكم البورقيبي، وسيلة بورقيبية نموذجاً، المؤتمر الخامس حول نهاية حكم بورقيبية و القيادات العربية بين الصعود و الانحدار، مؤسسة التميمي، تونس، 2005.
2. الحناشي عبد اللطيف، إدارة الأزمات الخارجية في أواخر العهد البورقيبي، الغارة الإسرائيلية أنموذجاً، المؤتمر الخامس حول نهاية حكم بورقيبية و القيادات السياسية العربية بين الصعود و الانحدار جمع عبد الجليل تميمي، تونس، 2005.

ثامنا/ الموسوعات و القواميس:

1. أشتية محمد، موسوعة المصطلحات والمفاهيم الفلسطينية، دار الجليل، عمان، 2011.

2. البيطار فراس، الموسوعة السياسية والعسكرية، ج2، دار اسامة للنشر، عمان، 2003.
3. محمد خير رمضان يوسف، تكملة معجم المؤلفين، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1997.
4. الموسوعة الفلسطينية الرقمية على الرابط:
<https://www.palestinapedia.net/%D8%B9%D9%86-%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%88%D8%B3%D9%88%D8%B9%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D9%81%D9%84%D8%B3%D8%B7%D9%8A%D9%86%D9%8A%D8%A9>
- تاسعا/ البرامج التلفزيونية و الأشرطة الوثائقية و اللقاءات.
 1. شريط وثائقي، "شاهد على العصر، شفيق الحوت"، قناة الجزيرة، 2003/1/5، نشر من طرف قناة أحمد منصور بتاريخ 2021/6/11. على الرابط:
<https://www.youtube.com/watch?v=qmo1AOaSe4g>
 2. شريط وثائقي، شاهد على العصر، بهجت أبو غربية، قناة الجزيرة، تاريخ البث 2000/5/20، تاريخ المشاهدة 2020/5/5. على الرابط:
<https://www.youtube.com/watch?v=luFY2mgZ6xQ>
 3. شريط وثائقي، عمر الشاذلي، قناة الوطنية الأولى(تونس)، تاريخ المشاهدة 2022/4/3. على الرابط:
<https://www.youtube.com/watch?v=a9XvDyz-Pj8>
 4. حصة تلفزيونية، "وحش الشاشة"، قناة التاسعة (تونس)، تاريخ العرض: 2021/1/10، تاريخ المشاهدة: 2021/9/17.
 5. حوار افتراضي مع الحسن الطاهر، بتاريخ 2022/9/19.

عاشرا/المواقع الالكترونية.

1. [http://archive.jewishagency.org/israel/content/.23387the jewish agency for israel.](http://archive.jewishagency.org/israel/content/.23387the_jewish_agency_for_israel)
 - a. <https://www.jewishvirtuallibrary.org/site-search?q=Bourguiba>
2. [https://www.middleeastmonitor.com/20210113-israel-wants-huge-financial-compensation-from-tunisia-says-ex-minister/.](https://www.middleeastmonitor.com/20210113-israel-wants-huge-financial-compensation-from-tunisia-says-ex-minister/)
3. jewish virtual library.
4. peace corps tinisia the legacy1962-1996. On the link <https://tn.usembassy.gov/wp-content/uploads/sites/59/2017/01/LegacyEnglish.pdf>.
5. <https://jwa.org/encyclopedia/article/meir-golda>.

الفهارس

1. فهرس الأعلام:

— أ —

- الأزهر شريط: 174
أبا إيبان: 109، 198، 199، 216، 245
إبراهيم بكر: 231
أبو عصام أبو رقة: 75
أحمد الشقيري: 75، 76، 78، 79، 124، 130، 132، 150، 151، 152، 225، 226، 229، 231
أحمد المستيري: 30
أحمد بن بلة: 34، 70، 126، 136، 195، 196
أحمد بن صالح: 127.
أحمد بومنجل: 213.
أحمد جبريل: 253، 290
أحمد حلمي باشا: 69
أحمد سعيد: 22
أحمد سوكارنو: 126
أحمد شطورو: 224
إدغارفور: 27
إدموند روتشليد: 217
إدوايت إيزنهاور: 100، 129
أرثر جايمس بلفور: 53
أرلوند توينيني: 51، 56
أرماند قابلان: 291
إرنست بيغن: 58، 59
إسحاق شامير: 275
إسماعيل الأزهرى: 225
إسماعيل فهمي: 259.
ألان هورتن: 135
ألبيير بسيس: 94
إلياس ساسون: 209
أليك إيسترمان: 98، 128، 133
أمنون كابليوك: 298
إميل توما: 200.
أمين حافظ: 171.
أنتوني ناتنغ: 167
أندري باروش: 95، 193،

أندري بوتار: 42

أندري جوريميكو: 59

أنديرا غاندي: 218.

أنور السادات: 266، 265، 264، 263، 244، 253

أولبرخيت: 184، 183.

أوليفر كرومويل: 49.

-ب-

الباجي قائد السبسي: 287

بارلسويج: 29

بالمون يوشع جوشوا: 67

الباهي الأدم: 98، 146، 189،

بهجت أبو غربية: 158، 159 .

بورقيبة الإين : 131، 216، 241، 305

بيار مانداس فرانس: 145.

بيرز طرابلسي: 108

بينحاس سابير: 99.

-ت-

تشارلز دايوك: 53

توفيق أبو الهدى: 61

توفيق المديني: 35

تيودور هرتزل: 46، 53.

-ج-

جاك شيراك: 312

جدعون رافائيل: 98، 143

جلبرت كلايتون: 208

جليلة حفصية: 169.

جمال عبد الناصر: 28، 124، 126، 136، 149،

جواهر لال نهرو: 206

جورج حبش: 235، 253

جورج فرشح : 275

جوزيف بروز تيتو: 148، 178، 229

جون كينيدي: 141

جون مونس: 84 .

جيرالد فورد: 261

-ح-

حافظ الأسد: 249، 261، 277

الحبيب الشطي: 263، 281

الحبيب بن يحيى: 274

الحبيب ثامر: 26، 32

الحبيب عاشور: 281

حسن أبو رقبة: 74، 229

الحسن الثاني: 195، 234، 250، 303

حسن مرزوق: 84، 288

حسني الزعيم: 83، 208

حسين لحول: 34 .

حسين لعويني: 164، 169.

حكم بلعوي: 271، 277، 299

الحسين بن طلال: 124، 131، 165، 224، 237، 250، 251

-خ-

خالد جميل مسمار: 293

خليل الوزير: 303، 311، 317

-د-

دافيد بن غريون: 109، 200

دافيد ماك: 247، 248

دين راسك: 149، 204

-ر-

رشيد إدريس: 33.

روبرت إسماعيل مارا: 150

روح الله الخميني: 272

رونالد ريغان: 270، 282، 305

ريتشارد نيكسون: 129، 247، 252،

ريتشارد يوندلاند: 133، 139، 144، 146، 194

-ز-

زياد عبد الفتاح: 295، 300، 310، 311

زيد بن شاكر: 234، 235

زين العابدين بن علي: 308

-س-

سالم صالح محمد: 142، 270

سامي الحناوي: 83

ستيفن باسورث: 266، 272، 274، 289

سعيد كمال: 189.

سليم الأول: 44.

سليمان القانوني: 44

سليمان فرنجية: 275

سول بلوم: 58

سيد نوفل: 166.

سعد الدين الشاذلي: 246

-ش-

الشاذلي القليبي: 21، 42، 134، 145، 186

شارل ديغول: 146

شرشفسكي: 200، 201

شفيق الحوت: 156، 225

شكري القوتلي: 64، 208

شمونيل ميرلين: 200، 201، 205،

شوتان: 31.

الشيخ الصباح: 261

شيمون شامير: 264.

-ص-

صالح بن يوسف: 28، 33، 34، 36، 39، 76، 91، 100

صالح بولكباش: 222

صلاح الدين عبد الله: 261

صلاح بالي: 274

صلاح خلف: 68، 70، 154، 155، 158

صوفي بسيس: 138، 220، 253، 243، 248، 276

-ط-

طارق أبو رجب: 271

الطالب العربي: 174.

الطاهر بلخوجة: 182، 254، 260، 298

الطاهر بن عمار: 29

الطاهر يحيى: 171

الطيب سليم: 232

-ع-

عامر غديرة: 296

عباس لغرور: 174.

عبد الحميد الثاني: 46، 47

عبد الحميد هائل: 271

عبد الخالق حسونة: 137، 158
 عبد الرحمان عزام: 65، 269
 عبد السلام عارف: 135، 171
 عبد العزيز الثعالبي: 23
 عبد العزيز بوتفليقة: 131، 196
 عبد العزيز لصرم: 291
 عبد القادر الحسيني: 67
 عبد الكريم الخطابي: 22.
 عبد الله الأول بن حسين (الملك عبد الله) : 63، 64، 68، 155، 210
 عبد الله النثل: 69
 عبد الله السلال: 173.
 عدنان أبو عودة: 271
 عز الدين جنيح: 296
 عصام السرطاوي: 274، 280، 297
 علال الفاسي: 22، 24.
 علي معاوي: 86
 عمر الشاذلي: 124، 139

-غ-

غلوب باشا: 60، 61، 65.
 غليوم الثاني: 46
 غولدا مائير: 57، 63، 64، 198، 246، 247

-ف-

فاتح والي: 37، 295
 فاروق الأول: 61، 155
 فاروق القدومي: 155، 153
 فاضل الجمالي: 58.
 فايز صايغ: 160
 فرحات عباس: 76، 212، 213
 فكتور برانس: 194
 فهد عبد العزيز : 297
 فوزي القاوقجي: 67
 فولك برنادوت: 69
 فيدال كاسترو: 281
 فيصل بن الحسين: 56
 فيلكس قاراس: 22

-ك-

كمال الشطي: 239

كوهين شارون أرئيل: 277

كيرس فانس: 266

-ل-

لورا بايزا: 110

لوسيان سان: 20

لويد جورج: 54

ليفى إشكول، 199.

ليندون جونسون: 140، 149

ليوبولد سنغور: 223

-م-

ماتيلدا لوران، 301

مارسال بيرطون: 25

محمد أحمد محبوب: 225، 226

محمد البشير الإبراهيمي: 50

محمد الصادق بسيس: 84

محمد المصمودي: 100، 101، 127، 189

محمد أمين الحسيني: 59، 63، 156، 157

محمد بدر: 76، 123 .

محمد حسنين هيكل: 166، 294

محمد صفر: 217

محمد علي الطاهر: 73، 74، 75، 127، 160

محمد علي باشا: 44، 45

محمد مزالي: 184، 185، 270، 271، 286، 299، 305، 310، 313، 317

محمود المستيري: 305

محمود بورقبيبة: 75

محمود رياض: 164

محمود عباس: 262، 284، 303

محمود فهمي النقراشي: 61، 62

معمر القذافي: 38، 248، 276، 304

مناحم بيغن: 66

المنجي سليم: 34، 86، 128، 123، 131

المهدي بن بركة: 213

موشيه دايان: 265

مولود قاسم: 197

نـ

نابليون بونابرت: 45،
 ناجي علوش: 236، 289 ، 290
 ناحوم غولدمان: 102، 199
 نايف حواتمة: 254
 نبيل شعث: 125، 151
 نبيل عمرو: 269، 288
 نور الدين بن خضر: 191
 نوري السعيد: 56.
 النوري بوشعالة: 74، 158 ، 260، 263، 271، 285، 286

هـ

الهادي الغالي: 240
 الهادي المبروك: 291
 الهادي نويرة: 232، 262، 263، 265، 267، 268
 هاري ترومان: 57
 الهاشمي الطود: 83، 85
 هريث سكوويث: 55
 هلو تسوت: 200
 هنري كيسنجر: 243، 262، 265
 هوارى بومدين: 38، 70، 220، 249 ، 253

وـ

والث رايتان: 216
 وستون تشرشل: 55.
 وسيلة بن عمار: 278، 280، 281، 310، 316، 317
 وصفي التل: 168
 وليام روجرز: 241
 وليام كولبي: 250
 وودرو ولسن: 55

يـ

ياسر عرفات: 210، 236، 238، 240، 244، 252، 254
 ياكوف تسور: 99، 100
 يوري أفنيري: 275، 297، 298
 يوسف رويسى: 32، 85

2. فهرس الأماكن و البلدان

أ-

الاتحاد السوفياتي: 59، 60، 204

أديس أبابا: 121

الأردن: 124، 168، 223

أريحا: 122، 124

اسبانيا: 49، 54

إسطنبول: 150

الإسكندرية: 179

ألمانيا: 46، 49، 110، 183، 184

اندونيسيا: 126، 157

أنغولا: 121

إيطاليا، 54، 262

ب-

باجة: 294

باريس: 21، 23، 99، 217

باكستان: 219

باندونغ: 126، 181، 182، 206، 207

البرتغال: 49، 54

بريطانيا: 47، 53، 54، 56، 77

بغداد: 31، 83، 267، 269

بلجيكا: 54

بلودان: 61

بنزرت: 113، 115، 144،

بنغازي: 259

بئر السبع: 61

بيروت: 119، 160، 167، 207، 272، 290

ت-

تونس: 23، 26، 27، 29، 33، 34، 37، 38، 41، 115، 126، 128، 304، 305، 306،

ج-

الجزائر: 27، 31، 34، 118، 127، 128، 142، 159، 139، 195، 197، 250، 251

جنوب افريقيا: 121، 179

جنيف: 212، 252، 222، 246

ح-

حلب: 32

حمام الشط : 302، 304

خ-

الخرطوم: 226، 229

-د-

الدار البيضاء: 179، 195، 207

الدانمارك: 114.

دمشق: 32، 85، 171، 223، 269

-ر-

روديسيا: 124

روسيا: 45، 52، 55.

-ز-

زيوريخ: 29

-س-

السعودية: 124، 128، 206

السودان: 226

سوريا: 44، 61، 64، 65، 84، 160، 253

سيناء: 247

-ض-

الضفة الغربية: 61

-ع-

العراق: 32، 64، 206

عكا: 75

عمان: 68، 208، 223، 238

-غ-

غزة: 61، 114

-ف-

فرنسا: 20، 21، 25، 26، 45، 54،

فلسطين: 33، 44، 45، 49، 50، 56، 63، 65 (...)

فلورنسا: 213

فولتا العليا: 180

الفيتنام: 281، 149

فيينا: 53

-ق-

القاهرة: 26، 34، 73، 75، 78، 79، 84، 111، 116، 121، 130، 152، 153، 179، 223

قبرص: 48

القدس: 46، 131

-ك-

كوينهاغن: 114

الكويت: 160، 170.

-ل-

لبنان: 48، 63، 67، 119، 166، 267، 272.

لوزان: 78.

ليبيا: 38، 249، 260، 274

-م-

مصر: 28، 36، 44، 62، 63، 101، 110، 123، 129، 134، 165، 247، 259، 263.

المغرب: 31، 126، 194، 241، 269

المنستير: 20

-ن-

نابلس: 122.

نيويورك: 96، 111، 142.

-ه-

الهند: 157

الهند: 218

هولندا: 48

-و-

الو. م. أ: 42، 43، 53، ، 241، 262، 285.

واشنطن: 307

-ي-

اليمن: 44، 128، 173

يوغسلافيا: 148

الصفحة	الموضوع	رقم الملحق
327	احتجاج الديوان السياسي على تقسيم فلسطين و مساندة الشعب الفلسطيني سنة 1937.	1
328	بورقية في مدينة عكا مع الفلسطيني حسن أبو رقبة سنة 1946	2
329	مذكرة إلى اللجنة الأنجلو أمريكية المكلفة بالتحقيق في قضية فلسطين سنة 1946.	3
337	بورقية يوم صدور قرار تقسيم فلسطين مع مجموعة من الوطنيين المغاربة	4
338	بورقية مع بعض المشاركين في حرب فلسطين 1948	5
339	خطاب الحبيب بورقية في مدينة أريحا (3 مارس 1965م)	6
346	مذكرة مختصرة حول مقابلة إيسترمان مع الحبيب بورقية سنة 1957	7
349	صورة تعود إلى ستينيات القرن الماضي لبورقية و هو يصافح أليك إيسترمان في أحد إجتماعاتهم.	8
350	صورة كاريكاتورية بعد خطاب أريحا لبورقية و هو يواجه فرقة إعدام عربية إسرائيلية. من اليسار مناحم بيغن، جمال عبد الناصر، موشي دايان، الرئيس السوري أمين الحافظ، غولدا مائير، الرئيس العراقي عبد السلام عارف، نشرته جريدة HA-OLAM HAZEH الإسرائيلية في أبريل 1965م	9
351	رسم كاريكاتوري لبورقية و هو يحاول تهدئة القادة العرب، بعد خطاب أريحا نشرته جريدة HA-OLAM HAZEH في أبريل 1965م	10
352	وفد مراقب من فلسطين برئاسة المفتي أمين الحسيني يجري مناقشة مع رئيس وزراء جمهورية الصين الشعبية تشو إن لاي	11

	خلال المؤتمر الأفرو آسيوي. مبنى ميرديكا، باندونغ 19 أبريل 1955م	
353	رسالة مطبوعة باللغة الانجليزية من إلياس كوسا محامي من أصول لبنانية إلى محرر صحيفة Jerusalem Post , جيروسالم بوست، تتضمن مقالا له بعنوان "بورقية و العالم العربي" بتاريخ 25 ماي 1965، يتحدث فيه عن مبادرة بورقية للسلام بناء على قرار الأمم المتحدة سنة 1947 . يشكك كوسا في مقاله في صدق نوايا بورقية من هذه المبادرة.	12
355	مبادرة بورقية للسلام 1965، رسالة من إلياس كوسا إلى محرر صحيفة جيروسالم بوست، رسالة مطبوعة باللغة الانجليزية من إلياس كوسا إلى محرر صحيفة جيروسالم بوست بتاريخ 23 أوت 1966 بخصوص مقالته المنشورة في الصحيفة "بورقية و العالم العربي" 25 أيار 1965 حول مبادرة بورقية للسلام وعدم صدقيتها، يذكر في رسالته تأكده من ذلك.	13
356	"مقترح بورقية لمحادثات سلمية بين فلسطين و إسرائيل"، ورقة ملاحظات، 1965-1966	14
358	- قصاصة من صحيفة "جيروسالم بوست" تتضمن تقرير صحفي بتاريخ 18 ماي 1965 حول مناظرة في الكنيست الإسرائيلي سنة 1965م، و التي سيطر عليها الحديث عن مبادرة السلام من بورقية و ألمانيا، و تصريح ليفي إشكول حول هذه المبادرات	15
359	تقرير من alex easterman إلى وزارة الخارجية الإسرائيلية و المؤتمر اليهودي العالمي عن لقائه مع بورقية و ابنه بورقية الابن، وزير خارجية تونس، 23-25 مارس 1966، في تونس.	16

367	لقاء بين عرفات و بورقية في الجزائر قبل عقد القمة العربية 1973، حيث تظهر الصورة أنه لقاء ودي	17
368	تدريب فصيل فلسطيني على الحماية المقربة الشخصيات للشخصيات الرسمية سنة 1980 بمدرسة الأمن الوطني بصلامبو، تونس.	18

الصفحة	العناوين
	البسمة
	شكر و امتنان
	إهداء
	قائمة المختصرات
18-8	مقدمة
71-20	الفصل الأول: بورقية و القضية الفلسطينية، قراءة في الشخصية و تاريخ القضية
44 - 20	أولاً: الحبيب بورقية من المناضل السياسي إلى رجل دولة
23 - 20	1/ الحبيب بورقية، المولد و التنشئة السياسية
31 - 23	2/ الحبيب بورقية، المناضل السياسي و محنة الإستعمار الفرنسي
35 - 31	3/ بورقية و قضايا التحرر و الوحدة في المغرب العربي مرحلة
38 - 35	4/ بورقية و هاجس الوحدة العربية
44 - 38	5/ بورقية رجل الدولة، السياسة الداخلية و الخارجية لتونس المستقلة
71 - 44	ثانياً: القضية الفلسطينية من وعد بلفور إلى قيام الكيان الصهيوني إسرائيل
47 - 44	1/ الوجود العثماني بفلسطين.
50 - 47	2/ الاحتلال البريطاني لفلسطين.
56 - 50	3/ التغلغل الصهيوني في فلسطين و إصدار وعد بلفور بين المنح و الافتكاك.
62 - 56	4/ قرار التقسيم و قيام الكيان الصهيوني إسرائيل
70 - 62	5/ اندلاع الحرب العربية الإسرائيلية الأولى و نتائجها.
71	استنتاج جزئي
104 - 73	الفصل الثاني: بورقية و القضية الفلسطينية في إطار الحزب الدستوري الجديد (1946 - 1956)
82 - 73	أولاً: قضية فلسطين في اهتمامات الحبيب بورقية (بدايات الارتباط).

86 - 82	ثانيا: بورقية و مسألة التطوع للجهاد في فلسطين سنة 1948.
88 - 86	ثالثا: موقف بورقية من الدعم المالي (التبرعات) التونسي لفلسطين.
103 - 88	رابعا: بورقية و النشاط الصهيوني مرحلة النضال الوطني (الدعاية الصهيونية، الأقلية اليهودية، اللقاءات التونسية الصهيونية)
104	استنتاج جزئي
214 - 106	الفصل الثالث: بورقية و القضية الفلسطينية مرحلة بناء الدولة (1956-1965)
111 - 106	أولا: بورقية و مسألة الهجرة اليهودية من تونس إلى الكيان الصهيوني إسرائيل
120 - 111	ثانيا: بورقية و القضية الفلسطينية في مؤتمرات القمة العربية 1964 م.
122 - 120	ثالثا: جهود بورقية الدبلوماسية إزاء القضية الفلسطينية في الإطار الإفريقي (منظمة الوحدة الإفريقية)
204 - 122	رابعا: مقترح بورقية في أريحا 1965 لتسوية القضية الفلسطينية (الإرهاصات - المواقف - النتائج).
213 - 204	خامسا: بورقية و إشكالية الاستثناء في قضية فلسطين ما قبل خطاب أريحا و بعده
214	استنتاج جزئي
256 - 216	الفصل الرابع : بورقية و القضية الفلسطينية (1965-1973)
225 - 216	أولا: قضية فلسطين في خضم حرب جوان 1967 و موقف بورقية منها
233 - 225	ثانيا: بورقية و قضية فلسطين في مؤتمر الخرطوم 1967
241 - 233	ثالثا: بورقية و النزاعات العربية الفلسطينية (الصراع الأردني الفلسطيني - النشاط الفدائي الفلسطيني في لبنان)
244 - 241	رابعا: بورقية و مشاريع السلام الأجنبية (مشروع روجرز 1970)
256 - 244	خامسا: حرب أكتوبر 1973 م و دور بورقية فيها
256	استنتاج جزئي
318 - 258	الفصل الخامس: بورقية و تطورات القضية الفلسطينية (1973-1985)
259 - 258	أولا: جهود بورقية الدبلوماسية في حل النزاعات بين الفصائل الفلسطينية

262 - 259	ثانيا: موقف تونس من الصراع الفلسطيني اللبناني في لبنان 1975م
268 - 262	ثالثا: بورقية و اتفاقيات السلام الإسرائيلية المصرية (كامبد دافيد)
286 - 268	رابعا: اللجوء الفلسطيني لتونس بين الخيار و الاضطرار
317 - 286	خامسا: منظمة التحرير الفلسطينية في تونس من اللجوء حتى قصف حمام الشط 1985 (النشاط السياسي، التحديات).
317	استنتاج جزئي
325 - 319	الخاتمة
369 - 327	الملاحق
388 - 370	البيبلوغرافيا
	الفهارس
399 - 490	فهرس الأعلام و الأماكن
402 - 400	فهرس الملاحق
405 - 403	الفهرس المحتويات

الملخص بالعربية:

في إطار التفاعل المغاربي مع قضية العرب الأولى "قضية فلسطين" هدفنا من خلال هذه الدراسة البحث في الدور الذي قام به الحبيب بورقيبة إزاء القضية الفلسطينية و كذا بعض المسائل المتعلقة بها، و ذلك من خلال رصد مجموعة الخطب و الجهود و المواقف التي اتخذها بورقيبة تجاه القضية و تطوراتها في الفترة ما بين 1946-1985.

تتبعنا سياسته و آراءه بوصفه مناضلا سياسيا في الحزب الدستوري الجديد، من خلال دراسة موقفه من مسألة التطوع و الدعم المالي للقضية الفلسطينية و كذا التطرق لعلاقاته بأطراف صهيونية. ثم عرجنا إلى دوره بصفته رئيس دولة استنادا إلى موقفه من مسألة الهجرة اليهودية من تونس إلى الكيان الصهيوني إسرائيل، و كذا جهوده السياسية و الدبلوماسية لحل القضية في إطار مؤتمرات القمة العربية 1964م و منظمة الوحدة الإفريقية، وصولا إلى موقفه في خطاب أريحا عام 1965م. ثم موقفه من حرب جوان 1967م و كذا دوره في حل النزاعات العربية الفلسطينية (الصراع الأردني الفلسطيني-النشاط الفدائي الفلسطيني في لبنان)، و موقفه من حرب أكتوبر و جهوده فيها. ثم جهوده في حل النزاعات بين الفصائل الفلسطينية، و موقفه من اتفاقيات كامب دافيد للسلام، و كذا الوجود الفلسطيني بتونس.

و بناء على ما توفر لدينا من شهادات تاريخية و وثائق أرشيفية و دراسات أكاديمية و جهدنا الشخصي توصلنا إلى مجموعة من النتائج يمكن أن نذكر أهمها:

- دور بورقيبة تجاه القضية الفلسطينية قبل الاستقلال تحكمت فيه ظروف الاستعمار، حيث بدت سياسته معتدلة من أجل صالح الحركة الوطنية و حشد الدعم لمطلب الاستقلال، لكن بعد استرجاع السيادة التونسية تحكمت فيه متطلبات بناء الدولة.

- في ظل الخطاب البورقيبي تجاه القضية الفلسطينية يمكن الحديث عن أن آراءه من أجل أمن و اقتصاد تونس. فالاحتياجات الاستراتيجية دفعت ببورقيبة للدعوة إلى البراغماتية و الواقعية السياسية في معالجة قضية فلسطين.

- لا يمكن فهم علاقة بورقيبة بالنزاع الإسرائيلي الفلسطيني و الموقف منه بعيدا عن دائرة الإرث اليهودي المتجذر بتونس.
- إن التزامات بورقيبة للغرب و الأمريكيين بصفة خاصة جعلته في كثير من الأحيان يتخذ مواقف إزاء القضايا العربية تتفق و طبيعة هذه الالتزامات.
- لم يبد بورقيبة ارتياحا كبيرا للوجود الفلسطيني بداية الثمانينيات، و منه تعامل معه بأقصى درجات الحذر و الريبة.
- أثر نظام بورقيبة بشكل نسبي على مسار النضال المسلح خاصة مرحلة الوجود الفلسطيني بتونس، بحيث قيد العمل العسكري و فتح باب النضال السياسي واسعا للفلسطينيين.

الملخص بالإنجليزية:

Arabic summary:

Within the framework of the Maghreb interaction with the first Arab issue, the "Palestinian issue", our aim through this study is to investigate the role played by Habib Bourguiba regarding the Palestinian issue, as well as some issues related to it, by monitoring the group of speeches, efforts and positions taken by Bourguiba towards the case and its developments in the period between 1946-1985. We followed his policy and views as a political fighter in the new Destourian Party, by studying his position on the issue of volunteering and financial support for the Palestinian issue, as well as his relationships with Zionist parties. After that, we turned to his role as head of state based on his position on the issue of Jewish immigration from Tunisia to the Zionist entity Israel, in addition to that, his political and diplomatic efforts to resolve the issue within the framework of the Arab summit conferences of 1964 AD and the Organization of African Unity, up to his position in the Jericho speech in 1965 AD. Then his position on the June 1967 war, as well as his role in resolving the Arab-Palestinian conflicts (the Jordanian-Palestinian guerilla conflict - the

Palestinian activity in Lebanon), and his position on the October War and his efforts in it. Then his efforts to resolve conflicts between the Palestinian factions, and his position on the Camp David Peace Accords, as well as the Palestinian presence in Tunisia. And based on the available historical testimonies, archival documents, academic studies, and our personal effort, we reached some results, the most important of which are:

- Bourguiba's role towards the Palestinian issue before independence was governed by the conditions of colonialism, as his policy seemed moderate for the sake of the national movement and mobilizing support for the demand for independence, but after the restoration of Tunisian sovereignty, he was controlled by the requirements of state building.

- In light of Bourguiba's discourse on the Palestinian issue, it can be said that his views are for the security and economy of Tunisia. Strategic needs prompted Bourguiba to call for pragmatism and political realism in dealing with the question of Palestine.

- It is not possible to understand Bourguiba's relationship with the Israeli-Palestinian conflict and the position on it away from the circle of the Jewish heritage rooted in Tunisia.

- Bourguiba's commitments to the West and the Americans in particular made him take positions on Arab issues that are consistent with the nature of these commitments.

- Bourguiba did not show much satisfaction with the Palestinian presence in the early eighties, and he dealt with it with the utmost caution and suspicion.

- Bourguiba's regime had a relative impact on the course of the armed struggle, especially the stage of the Palestinian presence in Tunisia, as it restricted military action and opened the door to political struggle widely for the Palestinians.